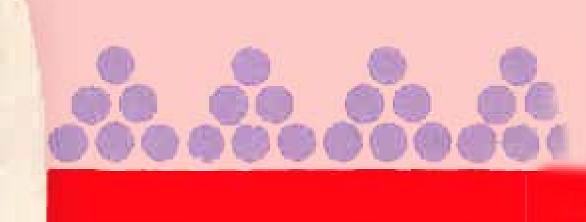
دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

في هذا العدد



مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد السادس والسابع
السنة الرابعة عشرة
ربيع الثاني جمادى الأولى
1391
يونيه : يوليوز
1971

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :

مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما
فـأكثـــر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حســـاب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحســاب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 10-308 ـ 03-327 ـ الرباط

كلمة العدد



كان يوم العاشر من شهر يوليوز الماضي عيدا وطنيا للشباب ، جميل البسمات ، طلق القسمات ، عليل النسمات ، رفاف الاديم ، احتفلت فيه الامة المغربية النبيلة مع ملكها العظيم الذى تعتز به ، وتقدس له ، وتتفانى فيه ، فى قصره العامر بالصخيرات الذى كان فى ذلك اليوم المشهود زاخرا بالحياة ، موارا بالفرح ، زاخرا بالحركة ، يمرح بفيض الشباب ، ويموج بأطياف الحب والمنى ، وينعم بطلاقة العيش ، ويسبح فى جمال الوجود ، والناس فى فيض سماوي من البهجة والغبطة والانشراح امام المحيط الهادر الذى يتنفس بالنعيم ، ويطفح عمقه بالخير والبركات ، وتلثم امواجه خدود الرمال ...

فى هذا الجو العبق البهيج ، المنعش برخاء الامن وظلال العافية اندفعت ، فى جنون مراهق ، شرذمة خائنة مارقة أصابها مس من الهوس والعته ، واعتراها بحران من الحمق والسفه ، تحركها احقاد مريضة ، وتثيرها شهوات طائشة وتحفزها مطامع خسيسة ... تبطش بالابرياء ، وتحصد رشاشها الاهوج الطائش الاطفال والعجزة والنساء، حيث أرادوها ((ثورها)) قوامها المجازر ، وسندها كل حاقد ومكابر، وعدتها كل من فقد النور والبصيرة وقلد النذل المغامر ... لقد هالها ما عليه المغرب الراقي من نعيم مقيم ، وراعها ما يسبح فيه من بلهنية العيش ، ورخاء الحال ، وكفرت بأنعم الله ، فحاولوا أن يطفئوا نوره بأفواههم ليسرقوه فى الظلام ، ويسلبوا ذخائره واعلاقه فى الغفلة ، ويحولوا أفراحه الى تعاسة ، وسروره الى مساءة ومناحة ، ويذيقوه ضروب الفتنة ، واخطار السوء ، والوان العذاب ... مع انهم كانوا يعملون فى هذا البلد الامين فى حماه وهم أحرار ، ويتفيأون ظله الوارف وهم آمنون ، وينعمون بخيراته وهم رافهون ...

ومن يدري ؟ فلعل شقاءهم وتعاستهم كانت تكمن فى أوضاعهم الحسنة ، وامتيازاتهم الكثيرة ، وسياراتهم الفارهة ، واملاكهم الواسعة ... وفيما أوتوا من زينة وأمول فى الحياة الدنيا .

لذلك فقد طمس الله على اموالهم ، وشد على قلوبهم، فلم يشكروا نعمته حتى رأوا العذاب الاليـم ...

واذا استوت للنمـل أجنحـة حتى يطير ، فقد دنـا عطبـه

وقد فزع الناس فى هذا اليـوم الى الشك يدفعون به هول الخطب ، وروعـة المفاجاة، وبغتة الحادث ... لكن انطلقات النارية التى كانت تدوى فى جنبات القصر، والاشلاء التى كانت تتناثـر تناثـر اوراق الخريـف ، جعلت النـاس فى حيـرة وارتباك ... فهذا مضرج بدمائه ! وذاك مهزوم ، وهذا صريـع ..! وقـد تكشف الغدر الصريح عن انيابه ، وذرت قرون الخيانة البليدة من خفاياها ، واحتـارت العقول امام الفاجعة التى روعت النفوس ، وضرمت الانفاس ، حتى كادت تقـوض حصون الامـل .. فارتاعت لفرط الجزع الهالع النفـوس ، وانخلعت القلـوب ، وانفطرت الاكباد ، وعقد الخوف الالسن ، وكادت تخور العزائم ويقعد الوهن المفاجيء والضعف المباغت بالناس عن مواجهة الخطب القادح ، والخوف الماحـق ، والـرزء الجلل ... وتجلت عناية اللطيف الرحيم الذى تدارك خلقه بلطفه ، واسدل عليهم درعا واقيا من عنايته ، حيث جنبهم شر العثرات ، وحماهم من أوخـم العـواقب والمغبات ، وحفظهم بالطافه الربانيـة ، وشملهم بوقايته التى اغنت عن مضاعفة من الدروع ، ومن عال من الاطم ...

ومنذ اللحظة الاولى وقف صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني الذى جعلـه الله لهذه الامة ركنا ياوي اليه الحق ، ونظاما يجمـع شتيت الشمـل ، ومنـارة شامخة تشع بالهداية ، وعلما يخفق بالآمال ، امام هذه الكارثة طـودا شامخـا ، وجبلا راسيا يمثل العزة الالاهية ، والنخوة العربية ، والشجاعـة الاسلاميـة ، وبطلا حباه الله حيوية دافقة تفيـض فى كلماتـه ، وعزيمـة صاولت الجيـوش تضطرم فى نظراته ، وهدوء رزينا يحبط خسيس المطامع ، ودنـيء الاغـراض ، ووضيـع الشهـوات ...

ومـن تكـن برسـول اللـه نصرتـه
ان تلقـه الاسـد فى آجامهـا تجـم

ف « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت »
و « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرا » ...

— * —

وما كادالنبا يتسرب الى جمهور الشعب حتى اندفع كالسيل الهادر، وانفجر كالأتي الماحق فى حماسة مشبوبة ، ومظاهـر صادقة من الـولاء والاخـلاص يعرب عن عواطفه المتاججة ، ومشاعره الجياشة نحو سيد البلاد الذى عهد فيه انه يهدي الى الحق ، ويرمي الى الخير ، ويدعو الى المحبة والوئام ، ويقود أمته نحو معارج الارتقـاء ...

ان القوة التى ظهر بها الخونة المتآمرون لم يخضد شوكتها ، ويجعل كيدها فى نحرها ، ويقلم اظفارها الا كتاب الله ، وتلاوة آياته التى كان يتلوها فى سره أمير

المؤمنين في تلك الفتنة الكبرى ... فلقد تداعت قواهم ، وخارت عزائمهم ، وسقط في أيديهم حينما سمعوه يتلو سورة الفاتحة ام الكتاب التى عمرت قلبه بالقوة ، وغمرت نفسه بالأمل ، فاصيبوا بالذهول ، فانحلت حباهم ، وتفككت خناصرهم ، وتمزقت عناصرهم ، وتوزعت اواصرهم ، ووقعت الكرامة الالاهية التى وهبها الله في تلك اللحظة الحاسمة والمجزرة الآثمة ، لملك عظيم ، اعتمد على تأثيل ملكه ، وتثبيت عرشه على سلطان الدين ، وطيب الارومة والمحتد والنجار ، والنجد الحازم الصريح ، والاخلاص العامل النزيه ... فجمع الفئات ، واستل ما في صدورها من غل وسخيمة بالعتاب الهين ، واللوم اللين ، والحكمة والموعظة الحسنة ، والشخصية القوية الجذابة حتى أحال عداءها الى صداقة ، وجفاءها الى مودة ، واستعلاءها الى تواضع جم ، وموادعة ظاهرة ...

— ※ —

انها ارادة الله وعنايته ، ولطفه الشامل ورحمته الواسعة تتجلى لعباده لتبقى هذه الأمة الناهضة الواعية تسير في طريقها اللاحب المرسوم ، وخطها المعلوم ، وهدفها الواضح وسبيلها المامون ..

وانها ، ايضا ، حكمة الله البالغة تكشف عن تلك الجماعة المجرمة الخائنة ، وتحسر اللثام عن وجوهها واقفيتها ، لتظهر ، مرة اخرى ، كرامة سيد البلاد ، ومقامه عند ربه ، ومكانته عند شعبه ، وخروجه من براثن الازمة ظافرا منصورا ، حيث جعل الله من بين يديه سدا ، ومن خلفه سدا ، فاغشيناهم فهم لا يبصرون..

وما من شك في انها كرامة الاهية، والطاف ربانية انقذت هذه الامة مما كان يدبر لها في الخفاء للقضاء على آمالها ، وجهود نهضتها ، ومستقبل فكرتها ، كما انها كرامة اسلامية حافظت على قائد عظيم من قادة امتها ، ورائد خطير من روادها يعمل دائما لرأب صدعها ، ولم شتاتها ، وجمع شعثها ، وتوحيد كلمتها ...

— ※ —

وقد انجلى الغيهب البهيم ، ولله الحمد ، عن فلق الفجر ، وانتهى الطريق المرعب المخيف الى بر السلامة وأمان الغاية ، وحفظ الله مولانا الامام لهذا الشعب الذى خرج منه ، ونبغ فيه، ودافع عنه حتى أصبح رمزا لاستقلاله ، وعلما على كرامته ، وعنوانا على تقدمه ومسيرته ...

وقد آن الاوان لنستخلص العبرة ، كما قال جلالته ، من هذا الحدث الفريد النادر حتى لا نفتن في كل عام مرة أو مرتين ثم لا نتوب ولا نذكر ... ونتنزع العظة مما كاد معه ان يصبح المغرب لا قدر الله بادي البلى ، ممزق الاهاب ، مبتوت الصلات تهوي به الريح في مكان سحيق، فتنسد أمامه السبل، ويختنق بالاخطار، وتحف به المكاره ، ويهلك الحرث والنسل ، وتهدد الحقول الخصيبة الغنية بالجذب والفناء ، وتسيطر على البلاد فاقة وعوز وتشريد حتى تلتبس عليه معالم الطرق والصوى ، حيث لا عاصم من أمر الله ...

لقد حسم مولانا صاحب الجلالة داء الكارثة بالكي ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا بما أمر الله .. وذاك هو جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الارض فسادا ..!

— * —

انـــه لطيـــف ...

نعـم .. انه لطيف بخلقه ، رحيم بعباده ، رؤوف بالمومنين ..

وتلك هي من صفات الله سبحانه التي استخلصها لنفسه ، واستأثر بها ، وتفرد بها دون سواه .

وذاك هو تسبيح المومن ، وموئل المسلم ، وملاذ المسلم المخلص الواثق بعزة الله يـردده كلما فدح كـرب ، وعظم رزء ، واشتدت أزمـة ، وتفاقـم خطـب ، واستحكـم مصـاب ...

نعـــم ...

انـــه لطيـــف ...

دعوة الحق

خطاب جلالة الملك المعظم

في عيد الشباب

وجه جلالة الملك المعظم مساء يوم 8 يوليوز الماضي خطابا الى شعبه الوفي بمناسبة عيد الشباب

تحدث جلالته عن ثلاث موضوعات وقضايا :

- عن موضوع الاحصاء
- عن الشباب
- عن اعفاء طائفة كبيرة من المواطنين من ضريبة المباني والارباح المهنية .

وتضمن خطاب جلالة الملك المعظم توجيهات الى الشباب ، وتحدث جلالته بصراحته المعهودة عن المشاكل التى يواجهها شبابنا .

وفيما يلي النص الكامل لخطاب جلالة الملك المعظم حفظه الله :

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

هانحن نلتقي اليوم مرة اخرى بمناسبة عيد ميلادي الذى ابيت شعبي العزيز الا ان تجعل منه عيدا للشباب وذلك لما تراه فى الشباب من حيوية وحماس وطهارة واستقامة ووطنية .

لذا فانني مسرور بهذه المناسبة مسرور حيث انها تتيح لنا ، لك ولي الفرصة لان اخاطبك وبان احدثك بالمشاكل التى من الطبيعي أن يجتازها كل بلد فتي يريد ان يعمل لحسن حاله ، حتى يضمن حسن مآله .

فمن النقط التى سنستعرضها جميعا منها ما يهم الشباب خاصة ومنها ما يهم عامة البلاد ومنها ما يهم طبقة معينة من المغاربة .

قرن التقنية والضبط

غير خاف عليك شعبي العزيز ان القرن العشرين الذى نعيشه هو قرن اراد قبل كل شيء ان يتميز عن القرون الاخرى بالتقنية وبالضبط .

حينما نريد الضبط فلا نريده في أساليبه ولا نريده فقط في محتوياته ، ولا نبحث عن الضبط في أشكاله وانما نريد من الضبط نريد منه ان يعينه على معرفة ضروريات الحياة اليومية حتى يمكن لهذا القرن الذي يتخبط في مشاكل عدة أن يواجه الصعاب وان يتغلب على العراقيل .

ضــــرورة الاحصائيــات

ومن وسائل هذا الضبط ومن طرق هذه التقنية نرى ان الاحصائيات تاتي في مقدمة الضروريات لهذا القـــرن .

لذا ونظرا لما لنا من ارادة في ان نساير قرننا بل في ان نكون في طليعة الدول الموازية لنا راينا من الواجب علينا ان نفتح هذه السنة عملية الاحصــاء للسكان والتعمير حتى يمكننا أن نكون على بينـــة تامة بالسكان الموجودين وحتى يمكنـنا ان نخطـط الخطط للسنوات المقبلة لا لتصميم خمس سنوات فقط ولكن لتخطيط عشر سنوات وعشر سنوات .

وهذا الاحصاء هو في الحقيقة عملية صعبـة وسهلة في آن واحد : صعبة اذا نحن تطرقنـا الى الاسئلة المديدة الكثيفة المكررة التي ستلقى على كل واحد منكم ؛ سهلة اذا نحن فهمـنا ان مـن خـلال اجوبتكم فاننا لا نريد ان نكشف عن حياتكم الخاصة او ان ندخل الى بيوتكم من غير ابوابها المشروعة ، او ان نطلع على اسراركم ومحتويات بيتكم ولكن ان نعرف بكل بســاطة وبكل دقة وبكل امانة ونزاهـــة من جهة اخرى ما انتم بصدده اليوم وما من شأنــه ان يكون بكم بالغد .

نـــــداء كريـــــم

لذا فانني أضع أملي كله على شعبي العزيز في أن يجيب بكل صراحة وبكل تلقائية عن الاسئلة التي ستلقى عليه .

وانني من جهة اخرى اوجه النداء الى جميـع السلط التي ستقوم بهذا الاحصاء مدنية او عسكرية او ادارية او من سيعين هذه السـلـط مــن بعـض المدرسين والاساتذة على ان يتسموا بالصبر والامانة والنزاهة والطمأنينة والتحمل حتى يمكن للجميع ان يقوم بعمل مجد نافع من شانه ان يجعلنا كلنا حاكمين ومحكومين على بصيرة تامة من حالة بلادنا في سنة 1971 فنتمكن بدورنا جميعا حاكمين ومحكومين من العمل جميعـا على تركيـز التخطيطـات وتطبيـق المخططات حتى تعمل لحالنا ولمآلنا كما قلت لكـم آنفـــا .

مشاكـــل الشبــــاب

هذه شعبي العزيز نقطة خاصة بالمسائل العامة، نعم هناك نقط أخرى لايمكن لاي احد ان يستعرضها في مناسبة مثل هذه ، وانما سأكتفي بالنقـط التـي ارى من واجبي ان اركز عليها خطابي هذا حتى اكون قد بلغت وحتى تكون قد بلغت .

لا يمكن لاي احد ان يحتفل بعيد الشباب دون ان ينظر الى مشكلة الشباب ، وفي الحقيقة حاولت ان اجد للشباب مشكلة ولم اجد للشباب مشكلة ، وانما مشكلة الشباب هي مشاكل الكهول .

فالشباب في حد ذاته طاهر وثاب حي طموح، اقول ان شبابنا يتسم بشيء من السذاجـة تلـك السذاجــة وتلـك الطهــارة التـي تجعلــه ضحية للحيل وتجعل منه فريســة لمن يريد ان يحركه في غير مجال الشباب ، فنرى مثلا ، نرى ان بعض الناس يستعملون شبابنا حتى في المدارس الثانوية ليقولوا لهم قوموا بالاضراب ، فيضرب التلاميذ عن الدراسة دون ان يعلموا لماذا اضربوا .

والشيء الذي هو اهم من هذا وقد اخذت على نفسي شعبي العزيز ان اخاطبك دائمـا بصراحـة ، الشيء الذي هو اغرب من هذا هو أولا أن الاضرابات لا تقع الا في المدارس الحكومية ؛ فلم نر اضرابا في اي مدرسة حرة ولم يسمع بأي اضراب في مدرسة من المدارس التابعة للبعثة ، فحاولت ان استنتج نتيجة من هذا كله فوجدت أن المحركين والمحترفين السياسيين الذين لم يبق لهم الا ان يعبثوا ويلعبوا بأبنائهم وحفدتهم يقومون بالاضـراب في المـدارس الحكومية وابناؤهم اما في البعثة او في المـدارس الحرة ؛ والا كيف يمكن تفسير بأن المغربي هنا غير نافع والمغربي هنا نافع ؟

ومن يجد هـــؤلاء المتعوذون لتحريك التلاميذ؟ يجدون طائفة من المنافقين، المنافقين بالتعريف الاسلامي الذي جاء في القرآن، اولئك الذين يأخذون مرتبهم من

الدولة باليد اليمنى ويخلقون متاعب للدولة باليد اليسرى، والحالة ان اولئك العاملين على هذه الفئة وهم بعض الاساتذة واننا لنعرفهم واحدا واحدا باسمائهم وفي كل المدن ، لا يمكنهم ان يجدوا لعملهم هذا اي تعليل واي عذر حيث انهم ربحوا مرتين في سنة واحدة :

ربحوا مرتين في سنة واحدة

ربحوا الزيادة في الاجور بعد مناظرة ايقران الخاصة بالاساتذة وربحوا زيادة اخرى ، تلك الزيادة التي شملت القطاع العام كله ، فانني لاسميهم بالمنافقين ، حيث انهم ياخذون من الدولة المال باليمنى ، ويطعنونها باليد اليسرى ، بل اقول انهم منتحرون ، حيث انهم ينتحرون في اشخاص ابنائهم وفلذات كبدهم .. فابناؤنا كنحن فلا يمكننا ان نقول : اننا عارفون .. اننا علماء ، وان نترك اولادنا يتخبطون في الجهل ، ويضيعون في سنة بعد سنة ، نعم للدول ان تتخذ بعض التدابير الضرورية لاصلاح حالة المدارس لا اقول المدرسين فقد اصلحت حالتهم اكثر مما كان يمكن ، لكن لاصلاح المدارس، لاصلاح المختبرات ، لاصلاح الاقسام ، لاصلاح الداخليات ، عليها ان تعمل وانني اعدك شعبي العزيز اننا سننكب باهتمام على هذا المشكل طيلة العطلة الصيفية ، الكبرى ، ولكن ما عدا هذا اذا ضمنت الدولة برامج صحيحة ومناقلة للتلاميذ والطلبة مضمونة، فلن يبقى لاي احد اية علة او اي تعليل بأن يقوم بهذا العمل التخريبي .

وانني لاعجب من هؤلاء الذين يتشدقون صباح مساء بسوء تدبير الدولة ، بسوء محاسباتها وبعدم استقامتها ، والحالة هذه ، انهم يعبثون باكثر من الاموال وباكثر من الدراهم يلعبون باستثماراتنا البشرية ، يلعبون بطاقات الغد .. أيريدون اولئك الذين ابناؤهم في حل من الاضرابات ان يعيش ابناؤهم علماء ، في عالم من الجهلاء ، أيريدون ان يخلقوا اقطاعية جديدة للجيل المقبل تلك الاقطاعية التي ستجعل من طبقة انها لم تضيع وقتها وانها كسبت الامتحانات في وقتها ، وانها تخرجت في السنة الرابعة والعشرين من سنها ، حتى تجد المنافذ الاولى وتترك الباقي يتبعها ويجري وراء رزق، هؤلاء هم الذين يريدون ان يخلقوا من حيث يشعرون او لا يشعرون طبقية وميزا ثقافيا في الاجيال المقبلة .

عليكم ان تكونوا يقظين

اما فيما يخص الامتحانات التي هي بالكليات فان الحكومة وانني شخصيا لسنا مستعدين بان نتمشى في سيرة ان هي اكتست خارجيا صبغة العطف ، ففي داخلها يكمن الغدر ، وذلك بأن نؤجل تاريخ الامتحانات او ان نتخذ اجراءات اخرى من هذا القبيل كما قال الشاعر :

وقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس احيانا على من يرحم

لذى اقول لشبابنا :

يا شباب الغد ، يا رجال الغد عليكم ان تكونوا يقظين اكثر مما كنا نحن .

العدو هو الاستراحة

نحن جاهدنا واجتهدنا ولكن كان امامنا هدف معين مشخص وهو نيل الاستقلال ، وكان امامنا خصم كان يعرفنا ونعرفه وبقي اذن الجهاد والعراك بيننا متجسما وبهذه الكيفية لم نجد اية معركة جانبية من شانها ان تصدنا عن الهدف الاول ، ولكن يا شباب اليوم يا رجال الغد ان عدوكم وعدونا جميعا هو كامن في نفس كل واحد منا ، الا منا ، الا وهو الاستراحة ، الا وهو الاستراحة ، الا وهو السكون الى الدعة والراحة الا وهو أن نقول : « خليها اليوم يظهر كما تكون غدا » .

حقيقة ان عدونا وخصمنا جميعا ليس مجسما في دولة تحكمنا ولا في استقلال نريد ان ندركه حيث اننا حققناه هو عدو يخالج كل واحد منا هو عدو نلبسه ويلبسنا بمثابة ثوبنا او قميصنا، فعلينا اذن جميعاكهولا وشبابا آباء وابناء ان نكون دائما يقظين وان نقول أن العراك لا زال مستمرا وسيبقى العراك مستمرا الى ان يقضي الله على هذه الارض بالفناء والى ان يقضي الله على البشرية بالانعدام .

املي فيك يا شباب المغرب

واملي فيك يا شباب المغرب ان لا تخيب الفار فرجائي منك في هذه العطلة الصيفية ان ترجع الى بعض كتب تاريخ المغرب فاقراها وتمعن معانيها ولي اليقين بانك ستجد في سطورها امثلة ودروسا ستمكنك من ان تكون خير خلف لخير سلف .

الاعفاء من ضريبة المباني

شعبي العزيز :

بعد هذا الخطاب الذى ابيت الا ان اوجهه الى الشباب المغربي بمناسبة عيد الشباب اريد ان ازف بشرى الى بعض المواطنين ، ذلك اننا اتخذنا قرارا باعفاء طائفة كبرى من المواطنين من نوع من الضرائب

فاولا : الضريبة المسماة بضريبة المباني .

فباعفاء هذه الضريبة سيمكن لـ 180.000 شخص من عدم اداء الضريبة الملقاة على عاتقهم والتى كانت تقدر فى بعض الاحيان بخمسين درهما .

ومن جراء هذا الاجراء ستتمكن من اعفاء اكثر من 55 فى المائة من المالكين الذين يملكون شيئا فى هذه البلاد .

ونظرا للسكان وتزايدهم سيمكن لهذه النسبة ان تصل فى بعض المدن ما بين 75 فى المائة و 96 فى المائة .

الاعفاء من ضريبة الارباح المهنية

اما الضريبة الثانية فستعفي من ضريبة الارباح المهنية كل الذين يؤدون اقل من 20.000 فرنك .

وهكذا سيمكن اعفاء الناس الذين لهم تجارة صغيرة او حرفة مهنية سيصل عددهم الى 20 الف على 50 الف الذين يؤدون هذه الضريبة .

وهكذا شعبي العزيز ترى اننا كلما امكننا ذلك وكلما رأينا انه لا يمكن ان نضر بأي حال من الاحوال بانطلاقتنا الاقتصادية وبصحتنا النقدية نخطو خطوات تلو الاخرى لترفيهك ولاسعادك .

ففى نفس هذه السنة اتخذنا اجراءات تشجع الفلاحين على الحبوب ، واتخذنا اجراءات لرفع مستوى اجور الموظفين وها نحن اتخذنا اجراء جديدا بأن توسع على ضعاف الملاكين .

واملنا ان نكون فى كل سنة كهذه السنة ان تكون اولئك الذين يأتون بالغنى للفقير لا الذين يفقرون الغني .

نعم هناك طبقات وطبقات من شأنها ان تطمع فى الزيادة ومن حقها ان تطمع فى الزيادة ولكني اقول لها حذار حذار ، ان بعض الزيادات من شأنها أن تأتي او ان تكون كمن يخنق الاقتصاد فى البلاد لمدة ما .

فعلينا اذن ان نسير سيرا يلائم ويناسب امكانياتنا ريثما نصل الى الوسائل التى تمكننا من مطامحنا .

عمل لاسعاد الامة

وهكذا شعبي العزيز ترى اننا فى كل سنة نعمل جميعا وبانسجام لاسعاد هذه الامة .

وغدا ستحتفل شعبي العزيز بيوم ميلادي فى يوم تاسع يوليه الذى يوافق السنة الثانية والاربعين من عمري .

انني اسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيد من عمري ما دمت اخدمك واعمل لصالحك وانقطع عن كل شغل يشغلني حتى اسعدك وان اكون خادمك الاول .

كما ارجوه سبحانه وتعالى ان لا يمن علي بأي زيادة ولا بركة لا فى عملي ولا فى غدوي ولا فى راحتي ولا فى ابنائي ولا فى فلذات كبدي ان هو علم ان فى قلبي ولو مضغة واحدة لا تكن لك الحب ذلك الحب الذى يصل فى بعض الاحيان الى الوثنية .

وفقنا الله جميعا لما فيه خير هذه البلاد واسعدنا واسعدكم فى الايام والسنين المقبلة . والسلام عليكم ورحمة الله .

الملايين تفتديك ...

للشاعر مفدي زكرياء

أبدا ... لن تنال منك المخاطـر … وابن عدنان في (السخيرات) حاضر
جدك المصطفى ، انبرى يصرع الغد … ر ، ويودي بكل نـذل مغامـر
ويد الله ، أنجدت جيـرة اللـ … ـه ، وساقت بالمعجزات المقـادر
والعنايـات أدركتـك ، وحفت … بك الطاقة الجحـال البواكـر
فاذا القـدر يحصـد الغـدر لما … حـاق مكـر الاله بالمتآمـر
واذا النـار تأكل النـار لـمـا … أدركت أن موقـد النـار غـادر
وأتى أمره ، وقد صـدق الـو … عد ، ودارت على البغـاة الدوائـر
وتعالى الهتاف ، والحسن الثـا … ني على العرش ، نافذ الحكم آمـر
نظرة ، ايقظت ضميـر السكـارى … ومحيا ، احيا موات البصائـر
جبهة ، تشـرق الجلالة منهـا … وجبين ، تموج فيـه البشائـر
وفؤاد ، يشـد كـل فـؤاد … بعرى الحب ، واوفا ، والمشاعـر
كيف لا يبهر العيـون سنـاه ؟ … فيرى النور خاسيء الطرف حاسر
كيف لا يوقظ الضمير يـداه ؟ … وهو من بث طهره في الضمائـر
كيف لا يغمر النفوس هـواه ؟ … وهل ملء الحشا ، وملء الخواطر
صانع المعجزات ... سر مطمئنـا … واثق الخطو ، عاصفا بالسماسـر
أن للحلم في الرسالات حـدا … أن تعداه ، كان من عجز قاصـر
الملايـين تفتديـك ، وأن خـا … نـك مستهتر ، وأرجف ماكـر
وبغاث الطيور ، مهمـا استطالـت … ليس تقوى على لقاء الكواسـر

والقناقيد ، في المعابر مهما انطـ   ـلق الشوك ، لا تضر القساور

وعواء الذئاب لا يسقط البـد   ر ، وركب الخلود ما زال سائر

وجنون المراهقين الحيارى   ليس يمحو بين الشعوب الاواصر

وخفايا الصدور مهما توارت   تصدع الغيب ، يوم تبلى السرائر

والشعارات لا تطيل نظاما   لم تؤثر في غاصبيه الشعائر

ومن الخزي ان يلقب بالثو   رة حكم ، قوامه في المجازر

كلما جاء بالحماقات ماجو   ر ، عميل ، مسخر ، قيل ثائر

ثورة الحق ، رحمة ، واخاء   وبناء ، ووحدة ، وتآزر

ذل من ضل ، فالسياسة اخلا   ق ... وليست تحكما في المصائر

وانقلابا يسود اثر انقلاب   وانحرافا لواجبات المساكر

والعلاقات ، ذمة وضمير   لانفاق ، مموه بالمظاهر

واذا العرب ، لم تغير سلوكا   فاشهدوا ... انني بيعرب ، كافر

ايها الاسمر ، الذي تخدم الالطا   ف اقداره ، بالهام قادر

يا منى وحدة البلاد ، وبا من   كنت اشراق فجره في الدياجر

لك في المغرب الكبير ذمام   صادقات ، وفاؤها متواتر

لك في تونس ، مشاعر حب   خالدات ، وحرمة في الجزائر

لحمة ، احكم المصير سداها   وسعت أن تنال منها المخاطر

لك من شاعر الخلود ، التهاني   والاماني ، وما تكن المشاعر

ذاب شوقا الى لقاك ، وبا ما   خفق القلب كلما طار طائر

والتحيات صاغها عمق حب   من سنا وحيه ، تنبأ شاعر

وصلاة على رفات الضحايا   من شهيد ، ومن جريح مصابر

عش مع الشعب ، صامدا في اعتزاز   شامخا رغم حاقد ومكابر

ساهرا ، تحرس العرين ورب العر   ش ، يحدو خطاك ، يقظان ساهر

تونس : يوم 11 يوليوز 1971

مفدي زكريا

إن ألطاف الخفية...

للشاعر المدني الحمراوي

خاب كيد قد بيت العدوانا   واستحل المروق والبهتانا

ورعى الله قطرنا ، وحمانا   من خراب يدمر العمرانا

وحمى عرشنا ، وسيده الشهـ   ـم المفدى من كل مكر وصانا

وابى الله ما اراد بغاة   يضمرون الكفران والعصيانا

اي نعمى اله فى خير لطف   به من غمة الهموم وقانا

عبرة اظهرت لكل لبيب   ان لله وحده السلطانا

فهنيئا لنا ، وللحسن الثا   ني"، وبشرى ، ولنحمد الرحمانا

ولنقل للزمان : حي وبايع   صاحب التاج ، والتزم اذعانا

واجث يا دهرنا قبالة عرش   يصنع المجد همة وافتتانا

تتعالى بحكمة الحسن الثا   ني له صولة تروع الزمانا

عبقري مسدد ، وامام   علوي قد زلزل الطغيانا

واعاد الحمى عزيزا كريما   يوم واسى ابا وعاف الهوانا

واقام البناء شبرا فشبرا   ثم اعلى وشيد الاركانا

ورايناه رائدا عربيا   واماما يناصر القرآنا

فمنحناه حبنا كل حب   ووقفنا وراءه بنيانا

ووهبناه ــ كيف شاء ــ قلوبا   خافقات بحبه تتفانى

قد بلغنا بجهده كل قصد   وبلغنا من العلاء رضانا

ولبسنا من الفخار برودا   زاهيات تداعب الاعيانا

وسمعنا من الزمان ثناء مستفيضا يشنف الآذانا
وفخرنا به الانام جميعا وسبقنا به قبلنا الرهانا
بطل قاد شعبه باباء وبروح تشرف الانسانا
عرفته البلاد قائد جيل واميرا ، ومالكا فى حمانا
ربط الحاضر الكريم بماض كان مجدا فوحد الازمانا
وتلقى امانة العز ارثا وكفاحا فحاط سرا وصانا
يا رباط الفتوح منذ قرون فتحك اليوم حير الاذهانا
فيه لله كل لطف خفي حين أولى حسودنا خذلانا
ووقانا من مكره ، وارانا فى همام نجيه احسانا

— ◆ —

يا هماما له القلوب عروش له هشت محبة وحنانا
قد بلوناك فى خطوب جسام فوجدناك حارسا سهرانا
وخبرناك رائدا وزعيما فحمدناك قائدا ربانا
وعرفنا مع الانام جميعا أنك القد اعجز الاقرانا
ورأينا من راحتيك نعيما فاض فينا مسلسلا هتانا
فابتهجنا بما صنعت وقلنا هكذا اخصب الهمام ثرانا
فلسان الزمان فى كل صقع بك يشدو مدلها سكرانا
ولسان الجميل فى كل آن لك يهدي ويجزل الشكرانا
حرس الله فيك عمرا زكيا ظل يمنا ورحمة واما نا
فعلى الله والبلاد بحق وبصدق اوقفته حبانا
عش سليما ، لك الولاء المصفى ولتدم — سيدي — لنا سلطانا
وليعش شبلك العزيز المفدى ولي العهد بالرضى مزدانا
والرشيد الحبيب قرة عين حفظ الله فيهما مولانا

— ◆ —

الف حمد والف شكر لرب صان فيك الاسلام والايمانا
الف حمد والف شكر لرب فيك ابقى لامة سلوانا
الف حمد والف شكر لرب حاط للمغرب العزيز كيانا
ان سلمتم فكل شيء سليم يا حبيبا يمازج الوجدانا
عش عزيزا لامة انت فيها امل ، يا سراجنا ، يا منانا

الرباط — المدني الحمراوي



ان المتامل فى سيرة محمد صلى الله عليه وسلم يرى ان النبي الكريم كان صادقا فى دعوته كل الصدق ، مخلصا لمهمته السامية كل الاخلاص ، ما جرب عليه كذب او خيانة ابدا ، ولو جرب عليه شيء من ذلك — ولو فى صغره او قبل الشروع فى الدعوة — لكان ذلك سببا كافيا ، ومدعاة للناس — قرشيين وغيرهم — ان يغمزوه به ويرفضوا دعوته ، ويجابهوه بما لا قبل له به .

ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، اي ان صدق محمد صلى الله عليه وسلم وأمانته واخلاصه ، ظلت الخصال الحميدة ، والصفات اللاصقة بحياته ، والبارزة فى اقواله وافعاله ، قبل البعثة وبعدها ، الى أن اختاره الله لجواره الكريم . ومع هذا قد تعرض الرسول العظيم ، لمناهضة دعوته من طرف قومه اولا ، ومن غيرهم الذين ناصبوه العداء وافتروا عليه الكذب ثانيا .

تصدى لهؤلاء الاخيرين وما كان اكثرهم فى القرون المتأخرة ! كاتب عظيم هو طوماس كارليل Thomas Carlyle (1795 — 1881) فالقمهم حجارة بل سلط عليهم قنابل اشد هولا وخطرا من «النبالم» تحرق اجسامهم وعقولهم وقلوبهم وضمائرهم ، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ليذوقوا العذاب . وذلك فى فصل واحد من كتابه القيم «الابطال وعبادة البطولة:

« Heroes and Hero Worship »

الذي ترجمه المرحوم محمد السباعي باسم «الابطال». وهذا الفصل : « البطل فى صورة رسول » جدير بكل مسلم ومسلمة ان يقرأه ، لا لان مؤلفه انصف النبي صلى الله عليه وسلم بكيفية نادرة المثال فحسب ، بل لان اسلوب الكاتب ايضا يفيض حلاوة وطلاوة وبلاغة وحرارة وبطولة . لم يختر كارليل فى حديثه عن الابطال عبر العصور والاجيال رسولا آخر تتمثل فيه البطولة غير محمد ، فهو بطل الرسل الابطال ، ورسول الابطال الرسل الذين قاسوا من شعوبهم الامرين ، ورغم ذلك جدوا واجتهدوا وجاهدوا بالرخيص والغال فى سبيل نشر الدعوة ، وعبادة الواحد الاحد ، وانقاذ البشرية من ضلالات الاوهام ، واباطيل الاعتقادات الفاسدة .

وصف المؤرخ الانجليزي الشهير هربرت جورج ويلز (1) (1866 — 1946) قصة الفتح العربي بانها « اكبر قصة فتح مدهلة فى كل تاريخ الجنس البشري» . وقال عن العرب البداة : « انهم نشروا حكمهم ولغتهم فيما بين اسبانيا وارباض الصين ، واعطوا العالم ثقافة جديدة ، واحدثوا دينا ما يزال الى يومنا هذا واحدا من اكثر قوى العالم حيوية » .

(1) H. G. Wells : A Short History of the World, Pelican Books, page 161.

لكن كيف تمكن العرب وفى طليعتهم النبي العربي محمد عليه الصلاة والسلام من القيام بهذا العمل الضخم ؟ الجواب سهل ميسور ، لقد تمكنوا من ذلك بفضل الدعوة الصادقة ، التى تحوطها العناية الربانية الخالدة ، والتأييد السرمدي . وقد مرت الدعوة النبوية بمرحلتين رئيسيتين :

اولا ـ المرحلة السرية : وكانت البداية ، وفيها اقتصرت الدعوة على الاهل والاقرباء والاصدقاء .

ثانيا ـ المرحلة الجهرية العلنية : وقد اتخذت الدعوة العلنية اشكالا مختلفة تجلت فى :

1 ـ عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على الناس فى الاسواق والمواسم والاعياد ، ودعوته لهم ، وترتيله الآيات القرآنية المنزلة ، على مسامعهم . وكانت هذه المرحلة فى بداية البعثة ـ والمسلمون اقلية ضعيفة ـ تكتسي طابع العنف والشدة من جانب واحد هو الجانب القرشي ، ومع ذلك استمرت الدعوة رغم تجبر قريش ومغالاتهم فى الاذاية .

2 ـ الجهاد وخاصة بعد الهجرة الى يثرب وتكاثر اتباع النبي الكريم ، ووجدانه فى الأوس والخزرج خير ناصر ومعين . وكان من اسباب تشريع الجهاد ما يلي :

ا) الدفاع عن النفس ضد من يتعدى على المسلمين المومنين .

ب) الدفاع عن الدعوة المحمدية ضد من يقف فى سبيلها باية كيفية من الكيفيات :

1) ـ سواء بفتنة من دخل فى الاسلام وآمن برسالة محمد عليه السلام .

2) ـ او بصد من اراد الدخول فى الاسلام والحيلولة بينه وبين اعتناق الدين الجديد .

3) ـ او بالوقوف فى وجه الدعاة المسلمين ، ومنعهم من القيام بمهمتهم المقدسة فى تبليغ الدعوة ونشر الاسلام .

تلك هي الحكمة او الدافع الذى حدا بالمسلمين الاوائل ان يسترخصوا انفسهم فى سبيل الله ، وان يقاتلوا لاعلاء كلمة التوحيد ، لا ما يدعيه البعض من ان الاسلام انتشر بالسيف ، او ان دافع الجهاد كان اقتصاديا محضا ولا اثر للدافع الديني فيه ، ويظهر ان الدكتور فيليب حتي السوري الاصل هو ممن يعتنق هذه الفكرة الخاطئة التى تحاول التقليل او الطعن فى روحانية المجاهدين الاولين (2) .

وتعجبني فى مجال الرد على من يزعم ان الاسلام انتشر بالسيف مقالة طوماس كارليل : « وقد قيل كثيرا فى شأن نشر محمد دينه بالسيف ، فاذا جعل الناس ذلك دليلا على كذبه فشد ما اخطأوا وجاروا ! فهم يقولون: ما كان الدين لينتشر لولا السيف ، ولكن ما هو الذى اوجد السيف ؟ هو قوة ذلك الدين وانه حق» . ثم يقول : « فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة او بالصحافة او بالنار ، لندعها تكافح وتجاهد بايديها وارجلها واظافيرها ، فانها لن تهزم الا ما كان يستحق ان يهزم ، وليس فى طاقتها قط ان تفني ما هو خير منها ، بل ما هو احط وادنى » (3) .

3 ـ والشكل الثالث من اشكال الدعوة العلنية المكاتبات ـ وهي بيت القصيد ـ فقد كاتب الرسول الاعظم كل الملوك ورؤساء الدول والامارات المعاصرة له ، وهذه حقيقة ثابتة لا ينبغي الجدال حولها ، على ان بعض المشككين حاولوا انكار تلك الحقيقة ، ولولا رغبتي فى الرد على هؤلاء ، وفى وضع الامور فى نصابها ، لما طرقت هذا الموضوع على صفحات هذه المجلة الغراء التي تدعو الى الحق دائما . فليتنا نستجيب جميعا لـ **« دعوة الحق »** .

لقد اعترف بهذه الحقيقة ـ مكاتبات الرسول الى ملوك العالم ـ كثير من فطاحل المؤرخين : الشرقيون اولا اي العرب ، ثم الغربيون المنصفون ثانيا . اما غير المنصفين فما زالوا يتسكعون ويتلكاون ، وكان خلع الضرس ـ على طريقة عهد الفرزدق لا على الطريقة الحديثة ـ اهون عليهم من الجهر او الاعتراف بمثل هذه الحقيقة الناصعة !

ولعل اكثر المتعصبين المتحاملين على خير البرية ممن قرأت لهم مؤلف كتاب Mahoma y el Korán الذى لفت عنوانه نظري فاشتريته من احدى مكتبات العاصمة الاسبانية . وربما ـ والحق يقال ـ ساورني بعض الندم على شرائه ، لا ضنا بالمال ، فقد كان ثمنه بالنسبة

(2) F. Hitti : Historia de los Arabes, Madrid, 1950, pp. 113-114. (2)

(3) الابطال ص 57 .

لحجمه زهيدا جدا ، ولكن ضِئنا بكرامة الرسول الاعظم وشرف الاسلام والقرآن ان يداسا من طرف Rafael Cansinos-Asens الذي يصفه الناشر S.A. Editorial Bell الارجنتيني (Buenos Aires) « بالكاتب والمستشرق الاسباني الذي طبقت شهرته آفاق العالم » . ان صفحات هذا الكتاب البالغ عددها 447 صفحة ، لا تكاد تخلو واحدة منها من غمز او لمز او فرية او قذف او تجن . ولعل في هذا بلاغا للناس ، وفرصة لتحذير القراء من الوقوع في أحابيله واكاذيبه وترهاته هو ومن لف لفه ، او من نسج هو على منوالهم ، وعزف على اوتارهم الحانه الناشزة .

وقد يكون هذا الكاتب وامثاله الاجانب معذورين ، لانهم ماجورون او مغرضون في كتاباتهم وتآليفهم . اما غير الاجانب ممن ينتسب الى الدم العربي — وستتعرف على احدهم بعد قليل — فليس له اي عذر ، بعد ان اتضح الصبح لذي عينين ، وبرزت حقيقة بعثات النبي صلى الله عليه وسلم وسفاراته الى الخارج على لسان غير واحد من ائمة الكتاب والمؤلفين ، عربا وغير عرب ، مسلمين وغير مسلمين على السواء .

وهذه بعض امثلة فقط ، نستقيها ممن كشفوا عن هذه الحقيقة النقاب ، ونوهوا بها ، ولم يسعهم نكرانها او جحودها :

يقول المسعودي في كتابه مروج الذهب جزء 2 ص 183 عند كلامه على احداث سنة ست من الهجرة ما يلي : « .. ووجه بالرسل الى كسرى وقيصر »

ومعلوم ان الرسل انما يحملون رسائل مكتوبة محررة ، زيادة في الايضاح والتعبير الصريح ، وتنويها بمقام المرسل ودعوته ، وتعزيزا لجانب المبعوث لدى المرسل اليه .. وفي نفس الصفحة وتاليتها يقول المسعودي ايضا :

« .. وفيها — أي سنة 7 هـ كان قدوم حاطب ابن ابي بلتعة ، من مصر من عند المقوقس ملكها ، ومعه مارية القبطية ام ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من هدايا المقوقس اليه » .

والمؤرخ الهندي المسلم سيد امير علي يتحدث في كتابه : « مختصر تاريخ العرب » الذي الفه بالانجليزية وترجم الى العربية ونشر ببيروت ، عن بعثات النبي صلى الله عليه وسلم الى الخارج فيقول : « ارسل النبي صلى الله عليه وسلم الى ملك الفرس وامبراطور الروم يدعوهما الى الاسلام ، فأحسن امبراطور الروم استقبالهم ، وطردهم ملك الفرس من حضرته . كما ارسل رسولا آخر الى احد امراء النصاري الخاضعين لامبراطورية الروم بالقرب من دمشق ، فقتله الاخير شر قتلة » . (ص 21) .

اما العلامة الشيخ محمد الخضري فيقول في كتابه القيم : محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ج 1 ص 144 ما يلي : « ولما كانت رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عامة بنص القرآن ، لم يقتصر في دعوته على الجزيرة العربية . بل أرسل كتبه ودعاته الى الملوك ورؤساء الامم الى الدين حتى لا يكونوا ممن يصد عن الاسلام او يقف في سبيل دعوته » . وفي نفس الصفحة وتالياتها الثلاث اتى بنصوص بعض الرسائل ، وباسماء بعض المبعوثين من طرف الرسول عليه الصلاة والسلام .

والى الذين قد لا يجدون فيما يقوله مؤرخو العرب والمسلمين غناء لهم او مقنعا ، اسوق هذه الفقرات علها تشفي ضرهم وتفيد في الموضوع . ورد في دائرة معارف الكليزية نشرت في القرن الماضي سنة 1868 ما يلي : « .. وفي هذا الوقت ، بدا رسله يحملون عقيدته وتعاليمه الى الخارج ، الى خسرو الثاني (590 — 628 م) Chosroes II الى هرقل (610 — 642) م Heraclius الى ملك الحبشة ، الى نائب الملك (4) Viceroy بمصر ، ثم الى رؤساء مختلف الاقاليم العربية . بعضهم قبل الدين الجديد ، لكن Chosrû Parvis (5) ملك فارس ، وعمرو الغساني (6) نبذا اقتراحاته في ازدراء (7) » .

(4) هو المعروف في كتب العرب بالمقوقس، واسمه جريج بن مينا
(5) كسرى ابرويز كما في كتب العرب وهو خسرو الثاني
(6) يقصد الحارث السابع شرحبيل بن عمرو المعروف بابي شمر الاصفر : من ملوك دولة غسان التي كانت خاضعة لدولة البيزنطيين وكانت تكون ما عرف في التاريخ الحديث بالدولة الحاجزة Buffer State
(7) Chamber's Encyclopaedia, Vol. VI, p. 503

فهؤلاء المبعوثون كانوا يبلغون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاليمه الدينية ومبادئه الاسلامية شفويا وكتابيا . وهل المعقول من هذه الشخصيات السامية المرسل اليها ان تكتفي بالرسائل الشفوية ؟ ان من ابسط البديهيات في السفارات الحديثة ما يعرف بأوراق الاعتماد ، وبدون هذه الاوراق لا تقبل سفارة سفير . فهل بعد هذا نستنكر ان يحمل رسل محمد صلى الله عليه وسلم اوراقا مكتوبة ورسائل فيها ذكر الله وذكر رسوله واهم المبادىء الاسلامية التي تجري الدعوة بشأنها ؟

واذا غاظ هذا الكلام اولئك الشعوبيين الذين لا ترضيهم أية فضيلة عربية ، فلعل ما سانقله لهم بعد قليل ، سيزيدهم غيظا على غيظ . كتب المؤرخ الانكليزي القدير هـ . ج . ويلز في كتابه « مختصر تاريخ العالم » فصلين يهماننا في هذا المقام ، احدهما عن محمد والاسلام ، والآخر عن ايام العرب الكبرى او العظمى ويقصد بها عهودهم الزاهرة . قال في الفصل الاول (ص 162) : « في سنة 629 عاد محمد الى مكة سيدا لها . وبعد سنة (8) بعث الى الخارج رسله الى هرقل ، وتاي ــ تسونك (9) Tai-tsung وقباذ (10) Kavadh وكل حكام الارض » .

اجل، ان كتب محمد عليه السلام ورسله وصلوا حتى عاصمة الصين آنئذ **كانتــون** . وقبل ان نفصل القول في هذه النقطة نذكر ما قاله ويلز في مكان آخر من كتابه (ص 158 ــ 159) عن رسل محمد الى امبراطور بيزنطة وكسرى فارس قال :

« بينما كان هرقل يستعيد الامن والنظام في سوريا اذ جاءته رسالة ، واحضرت الى مركز القيادة الامبراطوري في بصرى Bostra جنوبي دمشق . كانت مكتوبة بالعربية وهي لغة صحراوية سامية غامضة ، وقرئت للامبراطور ــ اذا كانت وصلته بالمرة ــ بوساطة ترجمان . لقد كانت من أحدهم الذي دعا نفسه « محمدا نبي الله » . طلبت (الرسالة) من الامبراطور ان يؤمن **بالله الحق الواحد** وان يعبده . وما قاله الامبراطور لم يقع تدوينه (11) .

« ورسالة مماثلة وصلت الى قباذ بعاصمته Ctesiphon (12). لقد استشاط غضبا ومزق الرسالة وطلب من المبعوث ان ينصرف ... وقال محمد حين درى بتمزيق الرسالة : كذلك اللهم مزق ملك قباذ » .

وفيما يتعلق ببعثة رسول الله الدبلوماسية الى امبراطور الصين ، نجد ويلز يقول في ص 160 :

« ... الى هذا العاهل ايضا في سنة 628 وصل رسل محمد (عليه الصلاة والسلام) . اتــوا **كانتــون** في سفينة تجارية . لقد قطعوا المسافة كلها عن طريق البحر من بلاد العرب وعبر طول الشواطىء الهندية . وخلافا لما فعله هرقل وقباذ فان تاي ــ تسونك اصغى الى اولئك الرسل متلطفا ، وعبر لهم عن عطفه واهتمامه بافكارهم اللاهوتية ، واسعفهم في بناء مسجد في كانتون ، مسجد لا يزال قائما ــ كما يقال ــ الى يومنا هذا . انه اقدم مسجد في العالم (13) » .

---

(8) معظم المؤرخين على ان المكاتبات وقعت زمن هدنة الحديبية اواخر سنة ست للهجرة . وقيل ان مكاتبة هرقل كانت من تبوك سنة 9 هـ . وويلز هنا اعتمد الراي الاخير . ويمكن التوفيق بين القولين بان مكاتبة هرقل وقعت مرتين : اثناء صلح الحديبية سنة 6 هـ (628) وبعد فتح مكة سنة 8 هـ (630) .

(9) امبراطور الصين تولى الحكم سنة 627 هـ وينتمي الى اسرة تانك Tang التي تقلدت زمام السلطة بالصين سنة 619 م .

(10) قباذ الثاني (628) عزل اباه واغتاله . وهذه الحادثة وقعت بعد مكاتبة الرسول للاب المغتال ، واخبر بها الرسول بعد حدوثها مباشرة . ومن هذا يتضح ان الرسول خاطب خسرو الثاني لا ابنه قباذ الثاني الذي لم يلبث ان توفي ايضا في طاعون سنة 628 .

(11) لمعرفة ما قاله هرقل وما فعله حين تسلم الرسالة النبوية يراجع في صحيح البخاري حديث ابن عباس (ض) عن أبي سفيان ، ويراجع تاريخ الطبري ، وكتاب عظمة الرسول لاستاذنا **محمد** عطية الابراشي 214 ــ 221 .

(12) Ctesiphon هي : المدائن .

(13) يقصد ويلز اقدم مسجد خارج شبه الجزيرة العربية .

فهل بعد هذا البيان بيان ؟ تلك حقيقة واضحة وحجة دامغة ادلى بها هذا العالم الاوربي ، وأتينا بها هنا لنثبت للذين ما زال في آذانهم وقر ، وفي قلوبهم مرض ، ان الدنيا بخير ، وان الاسلام لا يضره من جحده ، وان رسول البشرية جمعاء ، فوق مستوى الدساسين المشككين ، وان رسالته الخالدة ستظل قذى في عيون حاسديه ، وشجى في حلوقهم الى الابد .

وفيما يلي ارسم جدولا يبين اهم السفارات النبوية الى داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها وذلك زيادة في التبيين والايضاح :

السفراء حاملو الرسائل النبوية	الملوك والرؤساء المرسل اليهم	مكان تسليم الرسائل	اين توجد نصوص الرسائل	ردود فعل مختلفة
دحية بن خليفة الكلبي	هرقل (امبراطور بيزنطة)	بصرى	السيرة الحلبية . صحيح البخاري . صحيح مسلم . تاريخ الطبري . تاريخ الكامل لابن الاثير . الاغاني . صبح الاعشى . المواهب اللدنية للقسطلاني . جمهرة رسائل العرب لاستاذنا احمد زكي صفوت .	استقبال حسن هرقل لم يسلم
عبد الله بن حذافة السهمي	ابرويز بن هرمز (خسرو الثاني) (كسرى فارس)	المدائن	السيرة الحلبية . صبح الاعشى . تاريخ الطبري . الكامل لابن الاثير . اعجاز القرآن للباقلاني . المواهب اللدنية . جمهرة رسائل العرب .	استقبال سيىء وتمزيق الخطاب النبوي
عمرو بن امية الضمري	الاصحم بن ابجر النجاشي (الحبشة)	اكسوم	السيرة الحلبية . تاريخ الطبري . صبح الاعشى . اسد الغابة . اعجاز القرآن . المواهب اللدنية . جمهرة رسائل العرب .	استقبال حسن اسلم النجاشي واجاب النبي كتابة
	تاي ـ تسونك (امبراطور الصين)	كانتون		حسن استقبال وسماح بتأسيس مسجد في كانتون

السفراء حاملو الرسائل النبوية	الملوك والرؤساء المرسل اليهم	مكان تسليم الرسائل	أين توجد نصوص الرسائل	ردود فعل مختلفة
حاطب بن ابي بلتعة	المقوقس اجريج بن ميتا (حاكم مصر)	الاسكندرية	السيرة الحلبية . صبح الاعشى . خطط المقريزي . حسن المحاضرة . المواهب اللدنية . جمهرة رسائل العرب .	حسن استقبال وبعث كتاب وهدايا للنبي (ص) ، من ضمنها جاريتان .
شجاع بن وهب الاسدي	الحارث السابع (شرحبيل بن عمرو الغساني) (ملك دولة غسان)	دمشق	السيرة الحلبية . تاريخ الطبري. المواهب اللدنية . جمهرة رسائل العرب .	سوء استقبال وقتل السفير
العلاء بن الحضرمي	المنذر بن ساوى العبدي التميمي (ملك البحرين في شرقي جزيرة العرب)	القطيف	صبح الاعشى . كتاب الخراج لابي يوسف . اسد الغابة . الاصابة . فتوح البلدان للبلاذري . المواهب اللدنية . جمهرة رسائل العرب .	اسلم واجاب النبي (ص) بكتاب فراسله النبي أيضا .
سليط بن عمرو العامري	هوذة بن علي (ملك اليمامة)	اليمامة	السيرة الحلبية . صبح الاعشى . المواهب اللدنية . جمهرة رسائل العرب .	اشترط لاسلامه ان يشركه النبي في الامر فرفض (ص) .
عمرو بن العاص(14)	جيفر بن الجلند الازدي واخوه عبد (ملكا عمان)	صحار	السيرة الحلبية . صبح الاعشى . المواهب اللدنية . جمهرة رسائل العرب .	مناقشات مع السفير اعقبها اسلام الاخوين

هذا قل من كثر ، حيث توجد رسائل اخرى عديدة ، كان لها الاثر الطيب في نشر الاسلام ، وخاصة في داخل شبه الجزيرة العربية ، الامر الذي يتعذر معه الاستقصاء فلنكتف بالتمثيل ، ومن اراد البحث عن المزيد فليرجع الى المظان ، فهناك يجد ما يشفي الغليل .

اسطر هذا وانا مستحضر في ذهني مدى ما بلغته الجراة ببعضهم حتى اقدم على الشك

(14) حدثت سفارة عمرو بن العاص الى ملكي عمان سنة ثمان للهجرة .

والتشكيك في مكاتبات الرسول عليه الصلاة والسلام لملوك الفرس والروم والحبشة ، ولم يدر — او انه درى وتجاهل — ان النبي صلى الله عليه وسلم كاتب كل حكام الدنيا المعاصرين له : من ذكرنا منهم فى هذه العجالة ومن لم نذكرهم . ثم ان هذا البعض لم يدر او درى وتجاهل ان سيرة محمد بن عبد الله ليست غامضة كسيرة غيره من الرسل ، بل هي محفوظة فى الصدور وفى الكتب، وستظل محفوظة مدروسة أبد الابدين .

حاول بعض الكتاب الغربيين أن يشككوا فقط فى بعض مراسلات النبي محمد صلى الله عليه وسلم لافى جميعها ؛ من ذلك مثلا ما يفهم من عبارة ويلز السابقة القائلة عن رسالة هرقل : « اذا كانت وصلته بالمرة » . ومثل ما يشير اليه الاستاذ باريخا بقوله : « .. فى هذا الظرف (يقصد هدنة صلح الحديبية) تذكر الرواية ارسال محمد بعض رسائله الى مختلف الملوك العظام داعيا اياهم لاعتناق الاسلام. وربما كان جوهر الحقيقة فى هذا الموضوع هو بعض الرسائل السياسية المتبادلة بين محمد وبين حكام الثغر السوري . والاكثر تحقيقا وواقعية — فيما يظهر — هي تلك العلاقات الكائنة بين المقوقس الحاكم البيزنطي للاسكندرية ، وبين محمد الذى بعث اليه ذلك ضمن هدايا اخرى جاريتين انجب محمد من احداهما ابنه ابراهيم الذى توفي فى عمر غض » (15) .

بيد ان الادهى والامر هو رأي لاستاذ مشرقي المنبت ، عربي المنتمى ، جامعي المستوى ، ابثه فى كتاب له مطبوع متداول بين الطلبة والمدرسين : لقد حاول هذا الاستاذ انكار سفارات الرسول الى الخارج وانكار كتبه للملوك والحكام فى مختلف البلدان . استغفر الله ! انه لم يحاول الانكار فقط ، بل انكر بالفعل ، والذى حاوله هو اقامة الحجة على ذلك الانكار ، مدعيا ان مكاتبات الرسول مع حكام الاقطار والامبراطوريات هي خاضعة لمبادىء التجريح التاريخي . مرحى ! مرحى لهذا الاكتشاف العظيم !

واهم تلك المبادىء فى رايه الشك والتردد فى قبول كل ما فيه اثر لدعاية دينية او قومية ما لم يقم دليل صريح على ثبوته . برافو يا استاذ ! ان هذه الحجج التى قدمنا وعشرات غيرها مما لم نقدمه لم يؤلف لديك اي دليل صريح يثبت وقوع المكاتبات ! ثم ما هي الدعاية او الـ Propaganda التى يقصد اليها هذا السيد ؟ هل هذا الدين الاسلامي الذى مر عليه حتى الآن اربعة عشر قرنا من الزمان، واعتنقته منذ نشأته الى اليوم مئات او الاف الملايين من الارواح البشرية قام على مجرد دعاية تحتمل الصدق والكذب ان لم تكن بنت كذب محض ؟!

يقول طوماس كارليل فى الرد على مثل هذا الشخص : « أيظن احدكم يظن ان هذه الرسالة التى عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والاحصاء كذبة وخدعة ؟ اما انا فلا استطيع ان ارى هذا الراي ابدا . ولو ان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول ، فما الناس الا بله ومجانين، وما الحياة الا سخف وعبث واضلولة . . فوا اسفاه! ما اسوا مثل هذا الزعم ! وما اضعف اهله واحقهم بالرثاء والمرحمة !

« وبعد ، فعلى من اراد أن يبلغ منزلة ما فى علوم الكائنات الا يصدق شيئا البتة من اقوال اولئك السفهاء ، فانها نتائج جيل كفر ، وعصر جحود والحاد ، وهي دليل على خبث القلوب ، وفساد الضمائر ، وموت الارواح فى حياة الابدان. ولعل العالم لم ير قط رايا اكفر من هذا والأم » (16) .

ثم يدعم الاستاذ الجامعي رايه بل شكه وجحوده بان النبي صلى الله عليه وسلم فى السنة السادسة للهجرة — وهي تاريخ بعث هذه الكتب — لم يكن من القوة الحربية بحيث يخضع قبائل العرب القريبة، فكيف يعقل ان يهتم باخضاع كبار الملوك يومئذ وهو لا حول حربيا له ولا طول .

هنا أسأل الاستاذ هل ينبغي لاصحاب الرسالات العظمى فى التاريخ البشري الا يقوموا باي عمل — ولو كان سلميا مثل بعث الرسل والكتب — حتى يكونوا اقوياء ، لهم حول حربي وطول ؟ يا لخيبة الحق! لقد ضاع اذن، وضاع اصحابه وطلابه بمقتضى هذا المنطق الاعوج ؟

الا يدري سيادة الاستاذ وهو الحاذق المؤرخ للادب العربي وللاحداث الادبية العربية فى كل العصور بما فيها العصر الحديث ، ان بعض الناس — رغم ضعفهم — خاطبوا اقوى الاقوياء فى عصرهم ودعوهم للاسلام ؟ الا يذكر جناب الاستاذ ايام الحرب

---

(15) Félix M. Pareja : Islamologia, vol. I, p. 77

(16) الابطال ، ص 43

العالمية الثانية 39 ـ 1945 سطوة هتلر واستيلاءه على كل دول اوربا وشعوبها الا من رحم ربي ، ومع ذلك تجرأ أحد زعماء مصر ، أضعف زعماء مصر حينئذ ونقصد به الشاب الخطيب المصقع الاستاذ أحمد حسين زعيم حزب « مصر الفتاة » تجرأ فكتب الى هتلر ودعاه الى اعتناق الاسلام ؟ هلا انتظر احمد حسين حتى يقوى حزبه وتكون له الاغلبية المطلقة في البرلمان المصري ، او حتى تسود مصر العالم ، حينئذ يبعث رسالته الى هتلر يدعوه فيها للاسلام ؟

ان القوي يا أستاذ لا يحتاج الى بعث رسائل او سفارات يدعو فيها بالتي هي أحسن ، الى التي هي احسن ، بل يتخذ سلاحه القوة الجارفة ، والجيش العرمرم ، والهجوم الخاطف ، ليمكن لسطوته في الارض ، وليخضع العالم لقوته وجبروته سياسيا وعسكريا واقتصاديا .

انك يا أستاذ اذا قدر لك أن تقرأ هذا المقال ، او قدر لك ان ترجع الى احداث الماضي السحيق ، عرفت أن الرسول عليه السلام حينما اتخذ هذه الخطوة السليمة ، وبعث برسله وكتبه داعيا الى عبادة الواحد الاحد ، كان احكم الحكماء ، واعظم الرسل تدبيرا وبصيرة . انه فعل ذلك حينما عقد صلح الحديبية ، اي حينما هادن قريشا وهادنته ، وامنت جانبه ، وامن هو جانبها ولو الى حد محدود . اجل ، حينما يهدأ صليل السيوف ، ينبغي ان يدوى صرير الاقلام . ما اعظمها من حكمة صدرت عن محمد ابن عبد الله ربيب الصحراء ، وتلميذ رب العالمين !

وقد فعل ذلك ايضا بعد أن تم له فتح مكة : مسقط راسه ، وعاصمة خصومه واعدائه الالداء ؛ واذا سقطت العاصمة ، سقط معها كل خصومة او عداء . واذا تم اخضاع شبه الجزيرة العربية حكما او فعلا، فان البشير النذير الذي ارسل الى الناس كافة لا يمكن ان يرتاح للنتيجة الجزئية، وينام عن تادية الرسالة ، بل لا بد ان ينظر بعيدا ، وان يتصل بحكام العالم ، ويعرض عليهم رسالة ربه ، ويؤدي اليهم امانته ، وما على الرسول الا البلاغ .

وليسمح لي الاستاذ بعد كل هذا ان اهمس في اذنه بعض الحقائق :

1 ـ ان الدعوة المحمدية لم تكن من قبيل الدعاية المغرضة التي يقصد بها ترويج مذهب او مبدا ولو كان فاسدا ، وانما كانت الدعوة المحمدية بجانبيها السلمي والحربي ـ اداء للامانة ، وقياما بواجب الهي مقدس .

2 ـ ان بعث محمد صلى الله عليه وسلم للسفارات والرسائل للملوك بعد مهادنة قريش وبعد فتح مكة كان عملا سياسيا رائعا، ودبلوماسية رشيدة حكيمة ، وكان في الوقت ذاته تبليغا للرسالة السماوية فلقد ارسل محمد للناس كافة .

3 ـ ان اسهل شيء الهدم واصعب شيء البناء، وان الشك والتشكيك الذي احترفه بعض أدباء العرب منقادين لاهواء بعض المستشرقين ، يعتبر من اخطر معاول الهدم ، واننا اذا سمحنا لانفسنا بالشك في كل شيء وبغير حق ، ولم يبق لنا شيء على الاطلاق. قد يقبل الشك اذا كان وسيلة لغاية هي الوصول الى الحقيقة، اما ان يتخذ الشك غاية في حد ذاته ، فضرره حينئذ اكبر من نفعه ، ولا أعتقد ان له نفعا في هذه الحالة .

4 ـ ان الذي يشكك في كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الملوك والرؤساء ، يشكك في أحاديثه واقواله وأفعاله التي ثبتت باكثر من دليل قطعي وبالتالي يمكنه ان يشكك في اية حقيقة بديهية كوجود المسيح مثلا .

5 ـ وهمسة اخيرة في اذن الاستاذ تتلخص في ان محاولة انكار مكاتبات الرسول عليه الصلاة والسلام للملوك والرؤساء هي محاولة في نفس الوقت لانكار وجود النثر الفني العربي في العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام . وهنا نصرخ في اذن الاستاذ وآذان امثاله لنقول لهم ان محاولتهم فاشلة ، وادعاءهم محض افتراء . فعربية العربي فطرة وسليقة ، وبديهة وارتجال ، وقدرة عجيبة على الفصاحة والبيان . وان فيما وصلنا ـ على قلته ـ من خطب وكتب العصر الاسلامي ، ومن الآثار الادبية للعصر الجاهلي ، دليلا اي دليل على وجود النثر الفني العربي بخصائصه ومميزاته التي يمتاز بها عن غيره .

اما بعد ، فان للمحترم الاستاذ انيس المقدسي استاذ الادب العربي بالجامعة الامريكية في بيروت ـ عفا الله عنه ـ كتابا اسماه : « تطور الاساليب النثرية في الادب العربي » نرجو ـ اذا ما عزم على اعادة طبعه ـ ان يعيد النظر في صفحتيه الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين بالحذف او التعديل ، والا فانه سيظل يسيء الى الحقيقة ، والى ملايين المسلمين في مختلف الاقطار والاعصار .

تطوان ـ الدكتور عبد الله العمراني



قدمنا في حديث سابق كلمة حول عقيدة التوحيد ودعوة رسول الله (ص) اليها وبعض الآيات من كتاب الله العزيز التى تدعو الناس الى التدبر والتفكر والبحث لاجل التوصل الى الاستدلال بمخلوقات الله على عظمته حتى يكون التامل فى مصنوعاته خير قائد ودافع لمن يستعمل عقله الى الايمان بالله كما ينبغي ، عن دليل قاطع وبرهان ساطع ، لا يترك فى النفس محلا للشك والتردد فى الايمان بخالق الاكوان سبحانه ولكن المقام عظيم لانه مشكل الساعة خصوصا بعد ظهور الوجودية المادية والمنكرين صراحة لوجود الله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فاحتاج المقام الى مزيد من العناية حيث كثرت شكوى المربين من الانحراف عن الجادة وخصوصا من رجال الكهنوت الذين نفروا الناس بسلوكهم من الاديان جملة وتفصيلا وقد لاحظ مؤلف كتاب « اميل القرن التاسع عشر » وقاحة احداث الدكاترة فى شان المباحث الدينية مثل ملاحظته على رجال الكنيسة ، فسجل في المكتوب السادس الخاص بالتربية الدينية والفلسفية بعد حضه على النظر والبحث ما ياتي : ان من يرفض المذاهب الدينية او الحكمية على غير علم بها كمثل من يقبلها بدون بحث فيها ولا نظر كلاهما مناقض لنفسه غير مسدد فى رايه ولا شيء فى الحقيقة أدعى الى الضحك من وقاحة احداث الدكاترة الذين يجاهرون بأن المباحث النظرية التى ارتاض بها امثال ديكارت واسبينوزا وباسكال وهيجل ليست خليقة بالتفاتهم وميلهم فللجهلة الاغبياء منهم كلمة يطنطنون بها فى هذه الايام وهي قول أحدهم وهو لم يفتح فى حياته صحيفة من كتاب «الكون» «مالي ولاضاعة وقتي فى حل ما لا يسبر غوره من مسائل وجود الله وخلود الروح ووحدة الروح والجسم او تغايرهما فحسبي الاشتغال بالعلم » هذا كلامه وقد اصابت هذه العدوى الالحادية مع الاسف المجتمعات الاسلامية المقلدة للمدنية المادية تقليدا أعمى فى العصر الحاضر لان الالحاد يضعف معنويات الشعوب حتى يستغلها الاستعمار الذى يترك فينا هذه الرواسب الخبيثة .

وفى نفس هذا الكتاب الذى نال اعجاب المربين نجد مؤلفه يعيب على رجال الكنيسة غلوهم واستبدادهم واستهتارهم فيقول : « ان كثيرا ممن يميلون الى محو دراسة المذاهب الدينية والحكمية منقادون فى هذا الى حاجة طبيعية للانتقام وهم لا يشعرون فانهم قد راوا الحكماء ورؤساء الاديان فى أيامنا هذه بافوا من تعاطيهم للمظالم ومتاجرتهم بالسرائر ومقارفتهم للفظائع مبلغا لجا بالعقل فى اشمئزازه من سيرتهم الى الجحود المطلق فالقسيسون هم دعاة الالحاد لا الماديون » هذا كلامه .

وقد سجل شيخ الفلسفة الذرائعية الفيلسوف الامريكي جون ديوي المتوفى سنة 1952 فى كتابه آراءتوماس«جيفر سون»الحية سجل من آراء«جيفرسون» هو الفساد الذى ادخله رجال الكنيسة على المسيحية حيث اعترف بقوله : « واني على خلاف كبير مع الافلاطونيين الذين يدعونني كافرا ويتعتون انفسهم كروة بالانجيل اي وعاظا به فى حين انهم يستقون عقائدهم البارزة مما لم يقله او يره مؤلف الانجيل ،

ولقد الفوا من بين الاسرار الوثنية منهجا يتعذر فهمه على العقل الانساني ، ولو رجع المصلح العظيم لاخلاق اليهود الشريرة وعقيدتهم فى الالوهية الى الارض لما اعترف بهذا المنهاج او بظاهرة واحدة من ظواهره »

هذا كلام رئيس الولايات المتحدة الذي كتب وثيقة استقلالها وانتخب رئيسا لها مرتين (1801 – 1804) فى الكتاب الذى نشرته مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر فما لشباب العصر يقف من دين الاسلام دين البحث والتفكير الذى يمجد العلم والعقل موقف احرار الفكر مع رجال الكنيسة الذين الفوا من مناهج الوثنية ما سجله الفيلسوف ديوي عليهم ، افلا ينظر شباب الاسلام الى حقيقة دينهم الذى ابطل تأليه البشر ، وحمل الى العالم حرية البحث والنظر، وابطل وسائط السوء بين الانسان وربه وجاء رسوله بشريعة سمحة عادلة رفعت من قدر الانسان وبوات الانسانية فى الوجود مقاما كريما كما تقول آية القرآن : «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

ويحلو الباحث فى هذه الحقيقة العليا «وجود الله» التى جاء الرسول لتجديدها فى العالم ان يستطلع آراء بعض المفكرين فى العصر الحديث وما قبله فيها عسى ان يتفكر فيها اصحاب العقول الشابة تفكيرا يعود بهم الى حقيقة نفوسهم، فمن الشرق الاستاذ العقاد رحمه الله حيث يقول : « فى رأينا ان مسألة وجود الله هي مسألة وعي قبل كل شيء ، فالانسان له وعي يقينه بوجوده الخاص وحقيقته الذاتية ، ولا يخلو من وعي يقينه بالوجود الاعظم والحقيقة الكونية لانه متصل بهذا الوجود بل قائم عليه ، والوعي والعقل لا يتناقضان» ، وفى نهاية هذا البحث يقول : ونحن لا نحصي هنا جميع البراهين التى استدل بها الفلاسفة على وجود الله فانها كثيرة يشبه بعضها بعضا فى القواعد وان اختلفت كثيرا فى التفصيلات والفروع ولكننا نكتفي منها باشيعها واجمعها واقربها الى التواتر والقبول وهي برهان الخلق وبرهان الغاية وبرهان الاستكمال او الاستقصاء وبرهان الاخلاق او وازع الضمير .

والعقاد رحمه الله فى هذا الاتجاه يتفق مع الفيلسوف الاسلامي العظيم ابن رشد الحفيد فى كتابه « مناهج الادلة » فقد زيف ادلة المتكلمين حيث رتبوا ادلة وجود الله على حدوث العالم بسبب لزوم الاعراض وامتناع حوادث لا اول لها ونقضها كلها كما يعلم من مراجعة كتابه لها .

ثم ذكر دلالة القرآن وانها دلالة اختراع وابداع تتجلى فى الخلق والابتكار ودلائل عناية بالانسان الذى سخر الله كثيرا من الموجودات لفائدته وانها مخلوقة لغاية وحكمة وكذلك يقر هذه الادلة شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى كتاب «النبوات» ويزيف ادلة الاشاعرة حتى ذكر ما قيل فيهم : من انهم مخانيث المعتزلة، فليطالع هذين الكتابين الراغبون فى البحث عن طريقة رسولنا العظيم فى الدعوة الى الله ، التى وافقت العقل والشرع فى وقت واحد فكانت ادلة عقلية برهانية وشرعية سمعية لان الرسول اعتمدها ودعا الناس عن طريقها الى توحيد الله وعبادته ووصفه بما وصف به نفسه من العلم المحيط والقدرة على كل شيء وسوى فى هذا الحديث بشهادة مفكر متدين باخلاق الانجيل كما يذكر عن نفسه ولكنه ربما يكون اول من دعا الى الحرية الدينية التى جرت الويلات على البشرية وهو توماس جيفرسون المتقدم ولكنه يعترف بوجود الله كسائر الموحدين فانه قال فى الكتاب الذى اشرنا اليه سابقا واعتقد (دون حاجة الى الاستعانة بالوحي) بانه لدى تأملنا فى الكون من حيث الاجزاء التى يتكون منها بصورة عامة او تفصيلية لابد للعقل البشري ان ينشأ عنده الاعتقاد بوجود نظام ومهارة فائقة وبقوة لا نهاية فى كل ذرة من بناء الكون، فامامنا حركات الاجسام السماوية التى تتابع حركاتها الدقيقة بفضل التوازن بين القوى الطاردة من المركز والقوى الجاذبة اليه ، وامامنا تكوين الارض نفسها وانقسامها بين ارض وماء وهواء ، وهناك الاجسام الحيوانية والنباتية بكل دقائقها وهناك الحشرات التى على الرغم من انها ابسط الاجسام الحية فانها تخضع لنظام تام لا يقل فى دقته عن خلق الرجل او الماموث، وهناك المواد المعدنية واستخراجها ومنافعها فمحال أن لا يعتقد العقل الانساني بوجود نظام فى هذه كلها ووجود سبب ونتيجة واخيرا بوجود العلة النهائية اي صانع جميع الاشياء ومنظمها والمحافظ عليها فى حالتها الحاضرة والذى يعطيها اشكالا جديدة واخرى، وسنجد ايضا براهين ساطعة على وجود قوة عليا تشرف على الابقاء على الكون ونظامه » هذا كلامه بالحرف الواحد ولنستمع الى فقرات من كلام الفيلسوف ابن رشد تشير الى ادلة وجود الله

التى ملأ كتابه مناهج الادلة بتوجيهها فانه قال: «فقد تبين لك من هذا كله ان الطرق المشهورة للاشعرية فى السلوك الى معرفة الله سبحانه ليست طرقا نظرية يقينية ولا طرقا شرعية يقينية وذلك ظاهر لمن تامل اجناس الادلة المنبهة فى الكتاب العزيز على المعنى اعني معرفة وجود الصانع وذلك ان الطرق الشرعية اذا تؤملت وجدت في الاكثر قد جمعت وصفين احدهما ان تكون يقينية والثاني ان تكون بسيطة غير موكبة اعني قليلة المقدمات فتكون نتائجها قريبة من المقدمات الاولى .. » فتكلم على انواع من المخلوقات وفائدتها بما لا يناسب هذا الحديث ثم قال :

واما السماوات فتعلم من قبل حركاتها التى لا تفتر انها مامورة بالعناية بما هاهنا ومسخرة لنا والمسخر المامور مخترع من قبل غيره ضرورة، واما الاصل الثاني فهو ان كل مخترع فله مخترع فيصح من هذين الاصلين ان للموجود فاعلا مخترعا له .. قال : وفى هذا الجنس دلائل كثيرة على عدد المخترعات ولذلك كان واجبا على من اراد معرفة الله حق معرفته ان يعرف جواهر الاشياء ليقف على الاختراع الحقيقي فى جميع الموجودات لان من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع والى هذا اشار بقوله تعالى « اولم ينظروا فى ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شيء » ، وكذلك ايضا من تتبع معنى الحكمة فى موجود اعنى معرفة السبب الذي من اجله خلق والغاية المقصودة به كان وقوم على دليل العناية . (أهـ) .

فعسى ان نسترشد بحكمة ابن رشد ، والى الحديث المقبل والسلام عليكم ورحمة الله .

الرباط — محمد الطنجي



يدخل التاريخ الاسلامي هذا العام العقد الاخير من القرن الرابع عشر الهجري مما ينبه الأذهان الى القاء نظرة عبر الافق الى هذا التاريخ المجيد تطلعا الى القرن الخامس عشر .

اولا : منذ بزغ فجر الاسلام الى اليوم والاسلام عامل مؤثر فى مجرى التاريخ الانساني وما يزال يحرك الاحداث ويوجهها، ومنذ ذلك اليوم الى اليوم، والى ما بعد اليوم لم يقض امر من امور هذا (الكوكب) دون ان يكون للاسلام فيه اثر ، وخاصة فى مجال قيام الدول وسقوطها ، والثورات والحروب والحضارات.

ظهر الاسلام فكان عاملا هاما فى اسقاط الحضارتين القديمتين الرومانية والفارسية ، فما كادت كلمة ترن فى الآفاق حتى اخذ مكان القيادة فى العالم كله فى مدة لا تزيد عن سبعين عاما ، ومنذ نشأ فى الجزيرة العربية كانت دعوته الى الحرية والعدل عاملا هاما فى توسعه وامتداده الى العراق وفارس والشام ومصر وافريقيا حتى بلغ الاندلس قبل نهاية القرن الاول من عام 93 هـ ، 711 م ثم بلغ السند وما وراء النهر واشرف على اوربا واوغل فى فرنسا وجنوبي ايطاليا حتى توقف عندما اتسعت الدائرة التى امتدت من دمشق الى (بواتيه) عابرة هذه الآلاف من الاميال .

ثانيا : التاريخ الهجري الذى يسجل العام الواحد والتسعين بعد ثلاثمائة والف من القرن الرابع عشر الفا يمثل ما اتفق عليه المسلمون من اعتبار (الهجرة) هي مبدأ التاريخ الاسلامي ، ذلك انه لم يكن للعرب قبل الاسلام تاريخ يؤرخون به الا (الاحداث الكبرى) التى كانوا ينسبونها الى عام الفيل مثلا او عام الفجار .

وقد راى امير المؤمنين عمر بن الخطاب فى العام السادس عشر من الهجري الى ضرورة وضع مبدا التاريخ الاسلامي لضبط الحوادث ، وذلك بعد ان انتشر الاسلام واتسع نطاقه، وقد اشار الامام علي بن ابي طالب (رضى الله عنه) بأن يدون التاريخ ابتداء من العام الذى هاجر فيه النبي من مكة الى يثرب .

وكان القرآن الكريم قد انزل من لدن الحق تبارك وتعالى على قلب النبي على راس الاربعين، وقد كان العام المتم للقرن الرابع عشر لنزول القرآن هو عام 1387 وقد احتفل به المسلمون فى جميع بقاع الارض (1)

ثالثا : لا شك ان القيم والمبادىء التى حملها الاسلام الى الناس فيها التفسير الصحيح لمعجزة التوسع الخارقة التى دهش لها المؤرخون ، وليس

(1) كان كاتب هذه السطور من بين من تنبهوا الى هذه المناسبة العظمى بمقال فى مجلة منبر الاسلام (شعبان 1386)

لها تفسير صحيح الا في عظمة المبادىء التي حملها المسلمون وتعطش العالم اذ ذاك لتقبلها .

ولم يكد يبدأ القرن الثاني الهجري ، حتى كان المغرب قد بدأ الصراع مع هذه القوة الجديدة محاولا ايقاف مدها في معركة (بلاط الشهداء) وهذه المعركة التي قادها كارل مارتل والتي عدها المؤرخون الغربيون المنصفون اكبر عامل في تعويق الحضارة الانسانية .

لقد اعترف الكثير من المؤرخين بان معركة بواتيه كانت شرا على اوربا وانها اوقفت الحضارة الجديدة الاسلامية : يقول هنري دي شامبون :

« **لولا انتصار جيش (كارل مارتل)** الهمجي على تقدم المسلمين في اوروبا لما وقعت فرنسا في ظلمات القرون الوسطى ولما اصيبت بفظائعها ولا كابدت المذابح الاهلية الناشئة عن التعصب الديني والمذهبي . ولولا ذلك الانتصار البربري على المسلمين لنجت اسبانيا من وصمة محاكم التفتيش ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون ..

«ونحن مدينون للمسلمين بكل مساق حضارتنا في العلم والفن والصناعة مع اننا نزعم اليوم ان لنا حق السيطرة على جميع الشعوب العريقة في الفضائل وحسبها انها كانت مثال الكمال البشري في مدة ثمانية قرون بينما كنا يومئذ مثال الهمجية ، ولكنه لكذب وافتراء ما ندعيه من ان الزمان قد اختلف وانهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى ومثل هذا القول ردده العلامة كلود فاير حين اعترف بانه قد اناخت الانسانية بعد السبعمائة الميلادية على العالم الغربي سبعة قرون او ثمانية من الهمجية قبل ان تظهر تلك النهضة ، هذه الكارثة هي ذلك النصر الهائل الذي احرزته في بواتيه جماعات الهركاس المتوحشين يقودها شارل مارتل على فرق العرب والبربر في مثل هذا اليوم فتقهقرت الحضارة ثمانمائة سنة ، وحسب المرء ان يذكر ما كان يمكن ان تصل اليه فرنسا ، لو ان « الاسلام » النشيط الحاذق الرصين المتسامح اذ الاسلام هو كل هذا — استطاع ان ينتزع وطننا فرنسا من فظائع لا تجد لها اسماء »

هكذا نظرت اوربا الى الاسلام وقد وسعت هذه النظرة من بعد ، فظنت ان سوريا ومصر وشمال افريقيا كانت تابعة للدولة الرومانية وان الاسلام قد انتزعها من الغرب وان من حق الغرب ان يستعيد هذه الارض وان يرد الاسلام الى الجزيرة العربية .

رابعا: اعتمدت حركة التاريخ الاسلامي على«مبادىء» آمن بها قادة برزوا من قلب قوى شعبية مؤمنة برسالة الاسلام، معتنقة هدفا اساسيا هو نشر هذا الاسلام واذاعته في العالم كله ، ومنذ اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم الرفيق الاعلى بعد ان اتم بناء الجماعة الاسلامية وجمع الجزيرة العربية على كلمة التوحيد ، فلم يلبث الاسلام ان اسرع بالاندفاع الى الشمال والشرق والغرب ناشرا لواءه ، وكان لابد لدعوة تقوم على التوحيد والعدل ، من ان تجتاز القفار والوهاد ، حيث استقبلتها الامم والشعوب بالولاء وفتحت لها الصدور والاوطان فلم يقف امامها تصدها ، الا القوى الحاكمة الطاغية الوثنية ، هذه القوى التي اصطدم بها الاسلام حين وقفت في وجهه تصده ، وتمنعه من تحقيق ارادة الحرية والتوحيد.

ثم توقف عصر التوسع بانتهاء الدولة الاموية وبدأ عصر جديد هو عصر (التبلور والانصهار) للجماعة الاسلامية التي اصبحت مجتمعا ضخما يتمثل في اكثر من سلطة اساسية ، فنتالج في هذه المرحلة ان تقدم وحدات سياسية استقلالية في اكثر من اقليم ، قام عليها اعلام من بناة القول ، حملت لواء النهضة والحضارة والبناء ، وقد ظلت بعض هذه الوحدات مرتبطة بمقر الخلافة العباسية فيما بعد ، وفي هذه المرحلة قامت الدولة الاموية في الاندلس مستقلة عن الخلافة العباسية فيما بعد ، وقد ظلت بعض هذه الوحدات مرتبطة بمقر الخلافة العباسية فيما بعد ، وفي هذه المرحلة قامت الدولة الاموية في الاندلس مستقلة عن الخلافة العباسية . وقضت الامة الاسلامية الجديدة تواجه محاولات الانصهار بين الاجناس والالوان والشعوب طبعها الاسلام بطابعه.

ومضت هذه المرحلة في صراع بين القوى التي ما زالت تحاول ان تسقط دولة الاسلام بالمؤامرة او تسقط فكره بالشعوبية ، واختلطت هذه الحركات الهدامة بحركات العدل الاجتماعي التي كانت تقصد الى تحقيق مفهوم الاسلام ، ومن خلال الصراع بين العرب والترك والفرس ، اخذت الجبهة الداخلية في التصدع مما جعلها ضعيفة امام الغزو الخارجي .

خامسا : هذا الغزو الذي بدأ اول امره في صورة صراع على الحدود البيزنطية الاسلامية من ناحية الشمال وعلى الحدود بين الفرنجة والاندلس من ناحية الغرب .

هنالك اهلت « ازمة الاسلام الكبرى » هـذه المرحلة التى مرت بعالم الاسلام منذ اقبلت الحملات الصليبية على المشروع فى اواخر القـرن الخامس الهجري 493 هـ ـ 1099 م هنالك بدات مرحلة من ادق مراحل تاريخ الاسلام ، حين تعرض الاسلام للخطر وتوالت هذه الحملات على ساحل الشام ومصر وتونس ولم يلبث عام 656 هـ ـ 1258 م ان زحف هولاكو على (عالم الاسلام) فى الغزو المغولي الذى دمر بغداد وسيطر على حلب ودمشق واستطاعت مصر ان تصده فى موقعة عين جالوت 659 هـ وبعد عامين من سقوط بغداد .

وتوالت فى هذه المرحلة الحملات الصليبية على المغرب لاجلاء الاسلام والعرب من الاندلس . وكانت هذه الحملات قد توالت منذ معركة بلاط الشهداء عام 144 هـ واصبحت للحرب سجالا بين القوات الاسلامية التى قادها بنو الاغلب طويلا فى سبيل دعم نفوذ الاسلام فى ايطاليا وفرنسا واسبانيا . ثم لم تلبث ان تراخت هذه القوة ، ليرتفع « مد » نفوذ الفرنجة ، فاذا الاندلس قد وقفت فى الصراع بين مملكة قشتالة ومملكة الاندلس ، وهو صراع طال واحتدم .

سادسا : فى هذه المرحلة ظهرت قوات اسلامية ثلاث حملت لواء الاسلام ودافعت عنه : ظهرت قوة السلاجقة فى المشرق وابرز رجالها آل زنكي ونور الدين محمود ثم صلاح الدين الايوبي ثم قوة المماليك، وهما القوتان اللتان نصرتا الاسلام فى المشرق، وفى المغرب ظهرت قوة البربر وهي القوة البدوية الشابة التى خرجت من صحراء المغرب وعبرت الى الاندلس مرتين واستعادت المملكة الاسلامية من الفرنجة وكان من ابرز رجال البربر : يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي وقد استطاع هؤلاء الابطال فى معارك حاسمة ومواقع خالدة : حطين وعين جالوت والزلاقة ان يحدوا من قوة الغزاة وان يردوهم على اعقابهم.

وهكذا تبدو صورة العالم الاسلامي وهو فى معركة مستمرة بينه وبين القوى المعادية له الراغبة فى السيطرة عليه . ذلك انه ما ان توالت الحملات الصليبية على ساحل الشام حتى ظهر نور الدين محمود قام اول وحدة اسلامية كبرى فى وجه العدو، ثم برز صلاح الدين الايوبي فسحق الصليبيين فى حطين عام 583 واعاد بيت المقدس .

وما ان تقدم لويس الى دمياط وهاجم مصر على رأس الحملة الصليبية السابقة عام 646 هـ حتى هزمه المصريون واعتقلوه فى المنصورة واضطروه الى دفع فدية ضخمة لاستخلاص نفسه اما الصليبيون فقد انتهت معاركهم بالهزيمة الكاملة فقد عاد الصليبيون الى اوربا وقد خسروا هذه القوى التى قذفوا بها عالم الاسلام دون ان يحرزوا اي نصر وكانوا آية فى القسوة والتعصب واستنزاف دماء المسلمين حتى تقلوا سبعين الفا فى فتح بيت المقدس ، فلما هزمهم المسلمون واستردوا منهم القدس ، رفض صلاح الدين ان يعاملهم بالمثل ، اما التتار فقد عادوا مرة ومرة ، وواجهتهم قوى المسلمين التى صرعتهم فى عين جالوت وبعدها ، وكان الاسلام قد صهرهم فى داخله فتحولوا اليه .

وقد استطاع المماليك الادالة من الصليبيين والتتار جميعا ، فى نفس الوقت الذى اخذ الاسلام ينتشر بقوته الذاتية فى افريقيا وجنوب شرقي آسيا .

سابعا : وحين حان انتفاض الاسلام من المغرب بسقوط الاندلس المسلمة فى يد الفرنجة ، وهي معركة بدات سنة 898 هـ ـ 1609 م باتفاق فرديناند وايزابيلا وانتهت بعد اكثر من مائة وعشرين عاما باجلاء المسلمين عن الاندلس واوربا نهائيا فى عام 1018 هـ 1609 م .

حين حدث هذا كان الاسلام قد امتد الى اوربا من ناحية المشرق عندما استولى العثمانيون على القسطنطينية 857 هـ 1452 م ومدوا نفوذهم حتى وصل اسوار فينا (95 10 هـ ـ 1683) فى قلب اوربا .

وكان العثمانيون قد اقاموا قوة اسلامية جديدة واجهت اوربا وصارعتها واقلقت مضاجعها وامتد هذا النفوذ ستة قرون كاملة .

وفى خلال هذه الفترة استطاعت الدولة العثمانية ان تحمي العالم الاسلامي من الحملات الصليبية التى كانت تتاهب للسيطرة والتى تحولت لتطويق عالم الاسلام .

ثامنا : كانت الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي هي نقطة الانطلاق فى اوربا والشرارة التى اوقدت الحضارة الغربية الحديثة فقد سيطرت اوربا على منهج العلم التجريبي الاسلامي الذى كان

يتمثل فى قاعدة جامعات الاسلام فى الاندلس وذلك حين اجلت المسلمين والعرب من اوربا كلية .

نعم كانت الحروب الصليبية هي مقدمة النهضة فى الغرب فقد انتقلت الثقافة والعلوم من مسالك الشرق والاندلس وجنوب ايطاليا ثم من بعد عن طريق آسيا الصغرى .

وكانت افكار المسلمين وعلومهم وكانت مفاهيم الاسلام نفسه بعيدة الاثر ودعوة لوثر وكلفن لاصلاح المسيحية ، كما كانت بعيدة الاثر فى حرية الفكر وتطور المنهج العلمي التجريبي الذى صاغه المسلمون اساسا ومن خلال مناهج ابن حزم وابن الهيثم والجاحظ وابن خلدون فاقت الاسس لتطور الفكر الغربي .

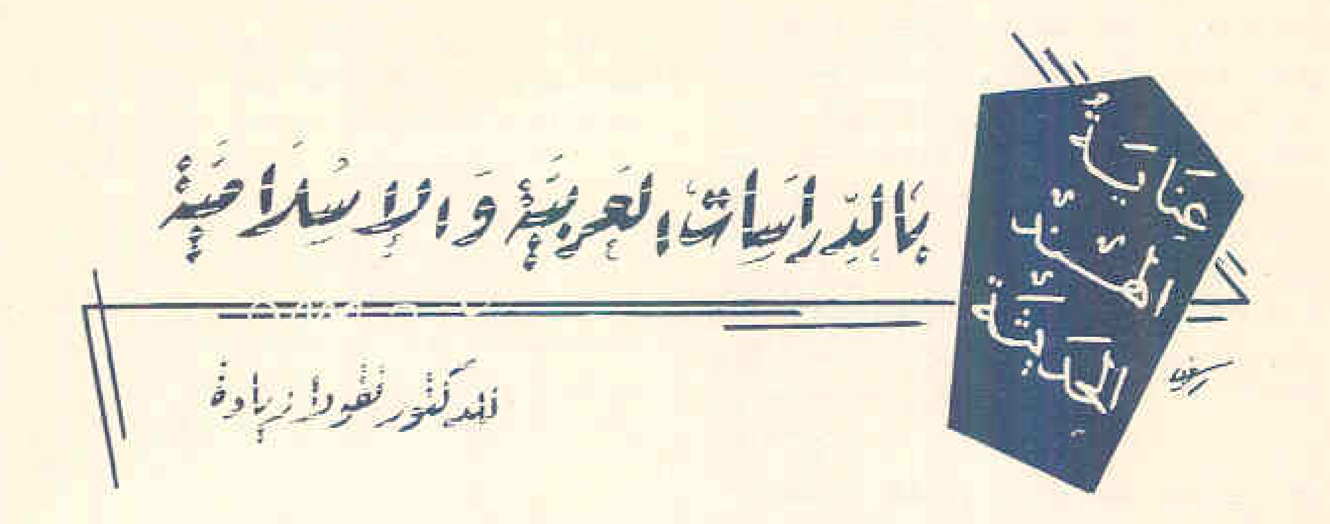
تاسعا : من نقطة الانحدار بسقوط الاندلس بدات اسبانيا والبرتغال انطلاقها لغزو العالم الاسلامي عن طريق ساحل افريقيا الغربي فيما اطلق عليه تطويق عالم الاسلام والالتفاف حوله ، نتيجة لسيطرة الدولة العثمانية على البحر الابيض ، وكان هذا فى اوائل القرن الخامس عشر الميلادي ، (التاسع الهجري) وقد امتد وتطاول حتى اخذت الدولة العثمانية تدخل فى مرحلة الضعف بعد ان خسرت المجر 1095 هـ ــ 1683 م وحين بدا الاسطول الفرنسي يقصف الجزائر وتونس 1076 هـ ــ 1665 م ثم بلغت هزيمة الدولة العثمانية ذروتها فى القرن الثاني عشر الهجري 1109 هـ ــ 1698 م ، هنالك بدات تشرق من آفاق الامة العربية قوة جديدة تحمل لواء التوحيد فى قلب الجزيرة العربية ومن داخل حلقات الجامع الازهر .

غير ان القرن الثالث عشر الجهري قد شهد امتداد النفوذ البريطاني الفرنسي الى العالم العربي الاسلامي ففي 1177 هـ ــ 1763 م بدات بريطانيا تسود الهند ، وفى 1213 هـ 1798 م بدات الحملة الفرنسية على مصر ، وفى 1246 هـ 1830 م احتلت فرنسا الجزائر ، ولم ينته القرن الثالث عشر الهجري حتى كانت فرنسا قد استولت على تونس 1299 هـ ــ 1881 م وبريطانيا على مصر 1300 هـ ــ 1882 م غير ان قوى المقاومة العربية كانت قد بدات حركتها من خلال الحركات الاسلامية التى اتصلت ولم تنقطع .

عاشرا : اما القرن الرابع عشر الهجري ونحن نعيش اليوم عقده الاخير ، فقد شهد ثورات المقاومة فى مختلف انحاء الامة العربية والعالم الاسلامي على الاستعمار البريطاني الفرنسي والهولندي ، وقد انتهت الدولة العثمانية بنهاية الحرب العالمية الاولى وتقسمت دول الامة العربية وتجزات تحت نفوذ الاستعمار ، غير انها لم تقبل الاحتلال وثارت واستطاعت ان تحقق كثيرا من الانتصارات ، غير ان اخطر ما بلغه النفوذ الاجنبي هو اقامة دولة صهيونية فى فلسطين ، وحين اعلن الانجليز بلسان قائدهم اللنبي عام 1917 انهم بدخولهم القدس قد انتهت الحروب الصليبية .

القاهرة ــ انور الجندي





اتيح لي ان اقضي مؤخرا خمسة اسابيع في زيارة للهند . وقد كانت الرقعة التي زرتها صغيرة، بالنسبة الى بلد يقطنه خمسمائة وخمسون مليونا من البشر . ومع ذلك فقد زرت خمس جامعات واربع كليات موزعة بين عليكرة ودلهي وجيبور وحيدراباد وبومباي . وكانت زياراتي طويلة احيانا وقصيرة احيانا أخرى . وتحدثت فيها الى الاساتذة وحاضرت في الطلاب . وقد اجتمعت ايضا الى بعض العلماء وحادثت الادباء واصغيت الى الشعراء وقرأت الكثير من نتاج اهل البلاد باللغة الانجليزية .

ولست ارمي الساعة الى التحدث عن الهند والهنود ، فهذا امر لا يتيسر الا لمن قضى في البلاد سنوات . ولكنني اود ان اشرك المستمعين الكرام معي في بضعة امور تمت الى الدراسات العربية والاسلامية في الهند بصلة قوية .

ولنبدأ قبل كل شيء بأن نذكر أنفسنا بان في الهند نحوا من سبعين مليون مسلم ، وهؤلاء جلهم، والرجال منهم على الخصوص ، حريصون على قراءة القرآن الكريم ، ومن ثم فانهم يتعلمون من العربية ما يمكنهم من ذلك . فاذا انتهوا الى قراءة المصحف تمكنوا من ذلك مبنى اي لفظا دون ان يدركوا له كنها او معنى . وهذا النوع من تعلم العربية يتم في ما يسمى الكتاب ، على نحو ما اصطلحنا نحن على تسميته في ديار العرب . واذا كان مكان التعليم يقدم للطلاب اكثر من مجرد القراءة البسيطة ، بحيث يتمكن المتعلم فيه من قراءة العربية ، سمي مكان التعليم مدرسة .

على انه ثمة من المدارس ما يزود طلابه بقدر واف من العربية وآدابها وعلوم القرآن والحديث والفقه . وقد تسمى هذه مدارس او كليات . والغالب عليها العلم الاسلامي التقليدي . ولست ادعي انني أعرف جميع هذه المدارس او الكليات ولكن ثمة اربع او خمس منها عرفت عنها الكثير وهي في لكنو ومدراس وبومباي وكلكتا . ولعل اوسع هذه المؤسسات شهرة دوابند ، التي تقع على نحو مئتين وخمسين من الكيلومترات الى الشمال من دلهي . وتكاد دوابند تعتبر مركز الافتاء في الشؤون الشرعية في الهند . وثمة من خريجيها من يتحدث العربية الصحيحة بطلاقة ويسر ، ويكتبها باتقان .

على انه بالاضافة الى هذا العلم العربي الاسلامي التقليدي يوجد في الهند دراسات عربية واسلامية اكاديمية منتظمة في الجامعات تمنح فيها الدرجات العلمية على غرار أي من الموضوعات الاخرى . فينال الطالب ، او الطالبة درجة بكلوريوس ثم الماجستير وقد ينتقل بعدها الى الدكتوراه . والجامعات التي تيسر لطلابها مثل هذه الدراسات كثيرة . فبين الثمانين جامعة او يزيد الموجودة في الهند يوجد ما لا يقل عن ثلاثين جامعة يستطيع الطالب أن يتابع فيها المساقات الرئيسية لواحد على الاقل من

المجالات العربية والاسلامية ، وقد يكون في الجامعة مجال لاكثر من نوع واحد من مثل هذه الدراسات .

وما لنا نتحدث في الامور عامة، ولم لا ننتقل الى التخصيص فنذكر ، على سبيل المثال ، ما تقدمه جامعة عليكرة الاسلامية وهي التي تقارب في عمرها المئة من السنين . في هذه الجامعة يوجد كلية خاصة بالالهيات وفيها فرعان : الواحد للدراسات السنية والآخر للدراسات الشيعية . وتشمل المجالات التفسير والحديث والفقه وما الى ذلك . ثم يوجد في الجامعة دائرة للدراسات الاسلامية تقدم للطلاب دروسا في تاريخ الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية وفن المعمار في ديار العرب والاسلام وتاريخ العلوم عند العرب والتصوف الاسلامي .

واذا نحن انتقلنا من كلية الالهيات ودائرة الدراسات الاسلامية الى اللغات الاسلامية وآدابها اي العربية والفارسية والتركية وجدنا ان جامعة عليكرة تخص العربية بدائرة مستقلة ، بينما تترك الفارسية والتركية في دائرة الدراسات الاسلامية . والجامعات التي فيها دوائر او اقسام خاصة باللغة العربية كثيرة في الهند ، مثل مدراس وكلكتا والعثمانية ودلهي والله اباد وبونا وغيرها عشرات . واللغة الفارسية تشارك العربية مثل هذه المنزلة . ولعل سبب ذلك كثرة ما كتب بالفارسية عن تاريخ الهند وعن التصوف . اما اللغة التركية فهي دون الاخريين منزلة من حيث العدد ، وان كانت لا تختلف عنهما من حيث العناية بها متى وجدت . اما من حيث عدد الطلاب فالعربية والفارسية اكثر اغراء من التركية . وسبيل الدراسة في هذه اللغات تعلم النحو والبلاغة حيث ذلك موجود ، والانتقال الى الادب بعد ذلك . والكثير من رسائل الدكتوراه هي تحقيقات لكتب قديمة او دواوين شعر . اما الذين يعنون بالحديث من تطور الادب العربي او الفارسي فيعنون بالادباء او المصلحين .

وثمة مظهر آخر من مظاهر العناية بالدراسات العربية والاسلامية هو الاهتمام بدراسة منطقة غرب آسيا ، اي الشرق الاوسط ، وشمال افريقيا . وهذه الدراسات اوسع ، بطبيعة الحال ، من الدراسات الكلاسيكية اللغوية او الادبية او الدينية. لغرب آسيا مراكز خاصة للبحث واقسام في الجامعات تعنى بالنواحي المختلفة لهذه المنطقة من العالم . فهي تدرس سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ودينيا . ففي جامعة جواهر لال نهرو في دلهي مدرسة للدراسات الدولية فيها قسم خاص بدراسات غرب آسيا وفي جامعة عليكرة مركز لهذه الدراسات .

الى جانب الاقسام والمراكز والمعاهد التي تكون جزءا من الجامعات ، ثمة معاهد للدراسات الاسلامية مستقلة عن الجامعات . وهذه يمولها عادة افراد اثرياء او مؤسسات وطنية او جماعات طائفية . ومن مثل هذه المعاهد المعهد الهندي للدراسات الاسلامية في دلهي ، وهو الذي تنفق عليه مؤسسة همدرد الوطنية ويشرف عليه الحكيم عبد الحميد . هذا معهد ييسر للباحثين ، عن طريق مكتبة غنية ، المجال للعمل والدرس ، ويمكنهم من نشر آثارهم فيما بعد . والامل معقود على معهد الدراسات الاسلامية الذي سيقوم قريبا في حيدراباد اذ وقف النظام ستة ملايين روبية لانشائه .

ومع أن اكثر الجامعات والكليات في الهند حكومية ، فانه يوجد جامعات خاصة . ولما كنا نقصر حديثنا الساعة على الشؤون العربية والاسلامية، فاننا نكتفي بالاشارة الى « جامعة ملية اسلامية » في دلهي . ولهذه الجامعة ، فيما يتعلق بالدراسات الاسلامية ، ميزة خاصة اذ انها ذات نزعة لبرالية .

وفي الهند مجلات تصدر باللغة الاردية وبالانكليزية تعالج القضايا الاسلامية والشؤون المتعلقة بالآداب العربية والفارسية والتركية . فمن تلك التي تصدر بالانكليزية مجلة «الثقافة الاسلامية» (Islamic Culture) التي تصدر عن الجامعة العثمانية في حيدراباد وهي من اقدم المجلات في تلك الديار ومجلة « الاسلام والعصر الحديث » التي تصدر في دلهي عن جمعية تحمل هذا الاسم بالذات وهي احدث المجلات اذ انها لا تزال في سنتها الاولى .

ولعل من خير ما يوضح مدى الاهتمام الذي تلقاه الدراسات العربية وغيرها من اللغات الاسلامية في الهند هو دائرة المعارف التابعة للجامعة العثمانية . هي دار نشر من الدرجة الاولى ، ولكنها لا تنشر الا الكتب القديمة محققة مدققة . وقد زرناها فأعجبنا ترتيب العمل فيها . لكن الذي اعجبنا فيها حتى قبل الزيارة هذا العدد الضخم من الكتب التي صدرت عنها وهي مائة وثلاثون كتابا بعضها في مجلدات عديدة . وآخر ما حقق هناك وطبع كتاب الحاوي في الطب .

وما دمنا قد وصلنا الى الطب فلنذكر ناحية خاصة تتعلق بدراسة الطب فى الهند وهي مرتبطة بالدراسات العربية والاسلامية . ذلك انه يوجد فى الهند بالاضافة الى الطب العصري المألوف فى جهات الدنيا الاربع ، طبان الواحد يعتمد على ما عرفته الهند اصلا ، والثاني يسمى الطب اليوناني وهو فى الواقع جماع الطب اليوناني العربي . ولهذا الطب كليات خاصة هي اجزاء من الجامعات الكبرى يتلقى فيها الاطباء دروسهم سنوات طويلة . والمشتغلون بالتطبيب به معترف بهم . والمتعارف عليه ان الذى يدرس الطب العصري يدرسه فى كلية العلوم الطبية ويسمى طبيبا . اما الذي يدرس الطب اليوناني العربي يدرسه فيما يسمى « طبية كولدج » والذى يمارسه يسمى حكيما . والفرق الاساسي بين التطبيب على الطريقة اليونانية العربية والطريقة العصرية هو ان الاولى لا تقبل بالعلاجات الكيماوية التركيب ، وتعتمد ما يصنع من الحشائش والاعشاب اصلا .

وفى دلهي معهد لتاريخ الطب فى الهند فيه مكتبة ضخمة لمن يريد ان يعنى بمثل هذا الموضوع، وفيه متحف كبير يوضح تطور هذا التاريخ .

بيروت ـ د. نقولا زيادة





انعقد بالقاهرة فيما بين 26 مارس (آذار) و 27 ابريل (نيسان) 1971 .. المؤتمر السادس لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، واشترك فيه 120 عالما اسلاميا يمثلون مختلف المنظمات والهيئات والقيادات الدينية والعلمية فى مختلف انحاء العالم .

وقد ناقش المؤتمرون على امتداد شهر كامل عددا كبيرا من قضايا المسلمين ترتبط بكيانهم العقيدي والسياسي الاجتماعي والثقافي ، وفى مقدمتها قضية النضال العربي ومعركة المصير .

افتتاح المؤتمر :

وافتتح المؤتمر فضيلة الامام الاكبر ، الدكتور محمد محمد الفحام ، شيخ الجامع الازهر بكلمة اشار فيها الى رسالة الاسلام ودعوته القائمة على السلام وحرصه على التواد والتعاطف بين بني البشر ، ونبذ العداوة والخصام .. وقال ان اهل الاسلام مامورون بان يسالموا من يسالمهم ويعادوا من يعاديهم ، ومامورون كذلك بان لا يبدأوا احدا بعدوان ، ولكنهم مامورون فى الوقت نفسه برفض كل سلام فيه ذلة وهوان ..

وتحدث فضيلته عن سماحة هذا الدين فذكر شعوب العالم انه حمى اليهود وغيرهم ممن اضطهدتهم اممهم فعاشوا فى المدن الاسلامية فى سلام وامن ، وربحت تجارتهم ، وراجت بضاعتهم فى حماية المسلمين ورعايتهم ، ولكن كثيرا منهم لم يحفظ للعرب والمسلمين الفضل والود ..

وقال فضيلته ان انتصار اليهود على العرب فى معركة لا يعني كسبهم للحرب ، فالحرب سجال فيوم علينا ويوم لنا ، ويوم نساء ، ويوم نسر « سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا » ..

وحمل فضيلته علماء المسلمين مسؤولية الدعوة الى سبيل الله .. جهاد فى سبيل الله فى كل مجالات الحياة .. لا بالحرب والفتح فحسب ، بل ايضا بكل عمل صالح لخير عباد الله ، وبنشر العلم وهداية الناس الى ما تصح به نفوسهم ويبرون به للخير ومرضاة ربهم من امور دينهم ودنياهم » .

ثم القى سماحة الشيخ عبد الله غوشه ، رئيس وفد الاردن ، كلمة الوفود فحملها صورة مؤلمة عن الحياة التى يعيشها العرب فى الارض المحتلة .. قال سماحته : لقد مضى على احتلال العدو الاسرائيلي لبلاد العرب والمسلمين ما يقرب من اربع سنوات يصول فيها ويجول ويتيه ويتكبر على ارض بلادنا وتحت سمائها يقيم سياسته فيها على التمييز العنصري يقتل ويعتقل ويخرب ويطرد ويشرد وينسف ويهدم ويصادر الاموال ويسن القوانين الظالمة ليحرم اصحاب الحقوق من حقوقهم ويعتدي على المقدسات التى يحرقها ويهين كرامتها غير حاسب لاحد حسابا ولا مبال بالراي العام

العالمي ، ولا عابيء بمبادىء العدالة والانسانية .. ولا يزال يتمادى فى عدوانه وطغيانه ويسعى حثيثا لتهويد مدينة القدس ، وامتهان كرامة المسجد الاقصى مستخفا بشعور مئات الملايين من المسلمين، وانه لا سبيل الى مواجهته والتغلب عليه الا بالرجوع الى الله ، وباجتماع كلمتنا . وتوحيد صفوفنا ، واعداد العدة الكافية الروحية والمادية »..

واعطيت الكلمة بعد ذلك للاستاذ جمال الصورانى (فلسطين) فهاجم اسرائيل والدول التى تساندها ، وطالب المؤتمر بالعمل على انشاء لجان شعبية لنصرة فلسطين فى كل البلاد الاسلامية يتولاها صفوة من العلماء لشرح القضية الفلسطينية، كما طالب بتشكيل لجنة من المؤتمر للطواف فى الدول الاسلامية لمساعدة القضية الفلسطينية سياسيا وماديا ، وناشد الدول الاسلامية التى لها علاقة باسرائيل ان تقطع هذه العلاقة » .. وايد الاقتراح اعضاء المؤتمر .

وتلاه اللواء الركن محمود شيث خطاب ، فنبه الى ضرورة انشاء « صندوق الجهاد » لدعم العمل الفلسطيني ، وقال ان قرشا واحدا يجمع من كل مسلم يكون 70 مليون جنيه .. وقدم 500 جنيه تبرعا منه لهذا الصندوق .

واثناء انعقاد المؤتمر تناقلت وكالات الانباء اخبار الاشتباكات فى الاردن وباكستان ، فسارع المؤتمر بتوجيه نداء عالمي الى كل من الدولتين لوقف القتال بين الاشقاء ، وحفظ الدماء العربية والاسلامية من النزيف ..

تفاهم تام :

وسارت مناقشات المؤتمر فى جو من التفاهم التام ، والتقت الآراء فى اغلب القضايا التى بحثت ، ولاسيما قضية المصير ، والعدوان الاسرائيلي على العرب .

واعلن د. سيد جعفر شهيدي (ايران) الذى حضر لاول مرة .. تأييد الامة الايرانية للعرب والمسلمين فى قضاياهم حتى يستردوا اراضيهم المغتصبة ومقدساتهم الدينية .

واشار الشيخ حسين عبد الله فارح (الصومال) الى ان المعركة الدائرة فى الشرق الاوسط هي معركة اسلامية وليست مصرية او اردنية فيجب على المسلمين ان يتحدوا وان يهتموا بارسال قوات مسلحة الى جبهة القتال ، وبتنفيذ « صندوق الجهاد »

وانتقلت المناقشات بعد ذلك الى قضايا العقيدة والتربية الاسلامية .. وتحدث الاستاذ عبد الكريم ساتيو (اليابان) فقال انه يمثل المنظمة الاسلامية الوحيدة المعترف بها فى اليابان ، وان مواطنيه فى حاجة الى دين يهديهم سواء السبيل .. واشار الى ان اليابان عهدها بالاسلام قريب ، وان منظمته تلقت مساعدات من السعودية وحكومات اسلامية اخرى ولكنهم فى حاجة الى مزيد منها لنشر الثقافة الاسلامية وانشاء مركز اسلامي ..

وطالب اسماعيل بالتيش (النمسا) ببذل مزيد من العناية بوسائل الاعلام ، وقال ان اعادة تنظيم التبليغ الاسلامي يجب ان تشكل اللبنة الاولى فى العالم .. واشار الى ان الحاجة ملحة لترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغات المختلفة .. وقال ان نهضة المسلمين ينبغي الا تعتمد على الحكومات فقط . وانما يجب انشاء جمعيات لهذا الغرض .

واشار السيد حسين جوزو (يوغوسلافيا) الى التيارات الفكرية المختلفة التى يعيشها المسلمون فى اوروبا وما لها من نظم وافكار وفلسفات الامر الذي يحتم علينا تغيير الاساليب القديمة فى الحياة الدينية ، وفى تنظيمها على اساس روح الاسلام الحقة وتعاليم شريعته السمحاء .. واوضح ان هزيمة العرب فى حرب يونيو 1967 لم يكن سببها التخلف العلمي والتكنولوجي وحده ، وانما كان لضعف العقيدة فى نفوس المسلمين .

وعن التربية الاسلامية .. تحدث الدكتور المهدي بن عبود ... فقال : اننا مقبلون على حرب قوامها التطاحن اساسا بين المعتقدات والرسالات .. وفى العالم الآن ثلاث دوائر :

- دائرة العالم الغربي
- دائرة العالم السوفييتي
- دائرة العالم الاسلامي

ويجب ان ينشأ الجيل القادم على اساس القيم والمبادىء الاسلامية .. ثم اقترح ان يكون شعار

المؤتمر القادم (تكوين الفرد المسلم ورسالة المستقبل) .. وقال سماحة الشيخ حسن خالد ، مفتي الجمهورية اللبنانية : ان كلا من الدولة والآباء مسئول عن حماية الدين .. وطالب بتقييد حرية الصحافة الماجنة وعدم السماح بعرض الافلام الخبيثة ، وتقييد حرية اجهزة الاعلام فيما تقدمه من موضوعات مخالفة للدين وبخاصة اننا الآن في معركة مصيرية مع اسرائيل تستلزم تربية النشء تربية دينية صحيحة ..

وطالب الاستاذ غلام نيازي (افغانستان) ببحث اسباب علل الانحراف في المجتمعات الاسلامية، وان يطالب علماء المسلمين حكوماتهم بتطبيق الشريعة الاسلامية وتدوين الفقه تدوينا عصريا على نمط القوانين .. كما اقترح التنسيق بين المؤتمرات الاسلامية ..

وندد الاستاذ عبد الله جنون المفكر المغربي الكبير بالدول الكبرى المتحكمة في مصير العالم .. وقال ان هذه الدول تتشدق بمبادىء الحرية والمساواة والحكم الديمقراطي او الاشتراكي ، والعدالة الاجتماعية ، رغم ما تعانيه الانسانية بسببها من عذاب مستمر ، وخوف ورعب وقلق ، مما ادى الى انغماس شبابها الصاعد في بؤرة اللهو والفساد والاستهتار ، وتعاطي المخدرات ، والعقاقير الخطيرة .

ثم اوضح سيادته مظاهر انسانية الدولة الاسلامية .. لا فوارق جنسية ولونية .. ولا دينية او مذهبية .. فكل البشر سواء في شريعة الاسلام .. وتساءل اين دول الحضارة الغربية التى ما زالت تعتد بنظرية الجنس السامي .. من حضارة الاسلام ..؟

توحيد الاعياد والمواسم الاسلامية :

ثم جرت بعد ذلك مناقشة حول توحيد الاعياد والمواسم الدينية بداها الامام موسى الصدر ، رئيس المجلس الاعلى الشيعي بلبنان بالمطالبة بتوحيد الشعائر الدينية ؟!! .. وتساءل الاستاذ عبد الله كنون (المغرب) عن المعنى الذى يقصده بكلمة الشعائر ؟ فرد الامام الصدر .. مثل اختلاف مواقيت الاعياد في البلدان الاسلامية .. وايد الشيخ عبد الحميد السائح (الاردن) الاقتراح ، لكن د. جعفر شهيدي (ايران) عارضه بقوله : ان هذه امور لا يمكن توحيدها ، وان هذا الخلاف كان موجودا عند السابقين .. فقال الامام الصدر ان د. شهيدي يحاول ادخالنا في تفاصيل فقهية وانه يقول له متمثلا بقول الشاعر :

جاء شقيق عارضا رمحه
ان بني عمك فيهم رماح

واضاف الامام الصدر ان الامر الآن يختلف كثيرا عن الماضي .. ففي الماضي كانت الوسيلة هي الرؤية في اثبات الهلال مثلا ، اما الآن فيمكن الاعتماد على الوسائل العلمية الحديثة ، كما افتى العلماء بانه اذا ثبت الهلال في اي قطر فانه يثبت في جميع الاقطار الاسلامية ، وانه لا مانع من توحيد العيد في العالم الاسلامي ..

ثم اشترك في المناقشة فضيلة الشيخ جبريل السيسي (سيراليون) فايد اقتراح الامام الصدر .. وقال ان المسيحيين في بلاده يقولون :

« لماذا يختلف المسلمون في شعائرهم ، ولهذا فاننا في حاجة ملحة الى توحيد الشعائر الدينية لان ذلك ينقذنا من الانقسام .. واشار الى ان سيراليون تخلو من العلماء الذين يعلمون الناس الاسلام الصحيح .

وانهى المناقشة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ، الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية مطمئنا الشيخ السيسي، ان دار الافتاء بالجمهورية العربية المتحدة على اتصال دائم بدور الافتاء في البلاد الاسلامية الاخرى ، وذلك للوصول الى نتيجة مرضية في هذا الموضوع ..

وبعد ذلك تلا الامين العام للمؤتمر رسالة تلقاها من جمعية الاصلاح الاجتماعي بالكويت تطالب بتعزيز التعاون الاسلامي ، وتشير الى وجود نسخة محرفة من المصحف مطبوعة باللغة الامهرية في الحبشة ، وقد ارسل المؤتمر في طلب هذه النسخة توطئة لمراجعتها ..

الوحدة الاسلامية :

وفي الجلسات التالية طرح موضوع الوحدة الاسلامية .. وتحدث فضيلة العلامة الشيخ محمد احمد ابو زهرة ، صاحب الـ 75 ربيعا ، اطال الله عمره — فعرض لاطوار هذه الوحدة منذ الرسالة

المحمدية ، وفي عهد الخلفاء الراشدين ، موضحا اسباب التفرق بعد الاجتماع ، ووسائل اقامتها في وقتنا الحاضر، ومنها الاهتمام بالبعثات الاسلامية الى الخارج وبنشر الثقافة الاسلامية ، وازالة الجفوة بين المسلمين ، كما دعا الى الوحدة الاقتصادية ، وانشاء مصرف اسلامي عام .. وجامعة اسلامية ..

واشار الشيخ علي عبد الرحمن (السودان) الى ان العروبة نواة لجامعة اسلامية وهي الاساس ، فالقرآن الكريم عربي واسلوب العبادة عربي ، والعرب لا يمكن ان يستقلوا وحدهم بجامعة بل يجب ان يتقدموا للمسلمين فاذا اجتمع العرب والمسلمون في وحدة يمكن ايجاد المجتمع الاسلامي الذى سيكون اقوى مجتمع في العالم .. واقترح سيادته تكوين لجنة لانشاء جيش للمتطوعين في جميع البلدان الاسلامية لا يخضع لحكومة معينة .

وتكلم الاستاذ مالك بن نبي المفكر الجزائري الكبير فاشار الى فكرة انشاء « كومنولث اسلامي » .. واعلن تأييده لبحث العلامة الشيخ أبو زهرة ، وطالب بنشره في جميع انحاء العالم ..

واعقبه الشيخ احمد محمد جمال ، عضو مجلس الشورى بمكة المكرمة فايد اقتراح الشيخ علي عبد الرحمن بضرورة قيام وحدة عربية اولا .. وقال : ان المسلمين في العالم ينظرون الى العربي نظرة مؤسفة بسبب تفرقهم ..

ثم اعطيت الكلمة لفضيلة الشيخ محمد عبد الودود (موريتانيا) فاشار الى ان الوحدة الاسلامية قد ظهرت بشائرها في العالم الاسلامي ، وانها آتية لا ريب فيها ان شاء الله

وتحدث بعد ذلك السيد محمد علي ديمابورو (الفليبين) فنادى بضرورة الوحدة الاسلامية بين جميع الشعوب التى تدين بالاسلام لانقاذ الانهيار الذى يتعرضون له في مختلف انحاء العالم .. واختتم كلمته فقال : يجب ان يكون هناك تنسيق بين بلادنا وتوجيه لوحدتها والا فلن يحترمنا احد ، وحتى لا يستخف بنا العالم يجب ان نتحد فورا والا فاننا سنتساقط دولة بعد دولة ، وستعاني الدول الاسلامية صغيرها وكبيرها .. وسيعاني اطفالنا واحفادنا .. »

قرارات وتوصيات :

وكانت اجتماعات المؤتمر موزعة على فترتين صدرت في ختام كل منهما عدة قرارات وتوصيات .. وتضمنت قرارات الفترة الاولى :

◆ مطالبة الدول الاسلامية بارسال متطوعين طيارين وفنيين الى جبهة القتال ، وقطع علاقاتها السياسية والاقتصادية مع اسرائيل ، وحشد طاقات الدول العربية للمعركة ، ووضع وحدتها العسكرية موضع التنفيذ .

◆ رفض اي حل لا يعيد جميع الاراضي المحتلة وفي مقدمتها القدس الى العرب ، وان فكرة تدويل القدس بأي صورة من الصور مرفوضة كرفض تهويدها .

◆ تاكيد ان المسجد الاقصى وجميع المقدسات الاسلامية ملك المسلمين جميعا لا يملك احد التصرف فيها او الانتقاص من قدسيتها ، كما ان المقدسات المسيحية من واجب المسلمين حمايتها وتامين زيارتها لكل المسيحيين في العالم

◆ استنكار استمرار اسرائيل في تغيير معالم القدس، واهدارها لحقوق الانسان في الاراضي المحتلة .

◆ ادانة موقف امريكا لدعمها اسرائيل سياسيا وعسكريا واقتصاديا رغم تماديها في العدوان مما يعد ذلك عداء سافرا للعالم الاسلامي والعربي .

◆ مطالبة الدول الاسلامية بانشاء صندوق للجهاد في كل منها ، وانشاء مصرف اسلامي يخلو من المخطورات الشرعية لسد حاجة الاقتصاد الاسلامي .

◆ مطالبة الدول العربية بدعم المقاومة الفلسطينية باعتبار انها تمثل القيام بواجب شرعي في الجهاد ، وتنفيذ جميع الاتفاقات المعقودة لتنظيم العلاقات معها ، كما طالب المؤتمر بتوحيد صفوف المقاومة .

◆ انشاء دار للفكر والنشر الاسلامي ، وتوجيه نظر وسائل الاعلام لمراعاة آداب الاسلام فيما تنشره ، ودعوة المسلمين للاستمساك بآداب الاسلام وتقاليده في سلوكهم وازيائهم وتصرفاتهم .. ومطالبة الحكومات والهيئات الاسلامية بالحفاظ على

العرف الاسلامي فى حفلاتها وعدم تقديم المشروبات المحرمة ..

.. ومن توصيات الفقرة الثانية :

◆ الدعوة الى الوحدة الاسلامية فى كل البلاد والمجتمعات الاسلامية ، على ان يوجه هذه الدعوة باسم المؤتمر فضيلة الامام الاكبر

◆ توثيق التعارف الاسلامي عن طريق :

- نشر تقويم اسلامي يشتمل على البيانات الصحيحة عن البلاد الاسلامية وسكانها وشؤونهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .
- تشجيع الرحلات الفردية والجماعية بين البلاد الاسلامية
- التوسع فى تبادل الاساتذة والطلاب بين البلاد والمجتمعات الاسلامية على مختلف المستويات التعليمية .

◆ دعوة المسلمين الى الالتفاف حول كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

◆ تطبيق الاحكام الشرعية الاسلامية فى الاسرة والمعاملات المالية والزواجر الاجتماعية ، على ان يطبق كل مجتمع اسلامي المذهب السائد فيه.

◆ نشر التعريف بالاحكام الشرعية للمسلمين الذى يحتاجون الى مزيد من التبصرة بشؤونهم الدينية .

◆ نشر لغة القرآن الكريم فى كل البلاد الاسلامية ، بحيث تكون اللغة العربية احدى اللغات التى تدرس فى المدارس الاعدادية والثانوية فى البلاد الاسلامية .. وتنشيط ترجمة العلوم الكونية الى اللغة العربية على جميع المستويات التعليمية .

◆ العمل على الوحدة الاقتصادية الاسلامية بدعوة اولي الامر لتذليل الصعوبات الجمركية ، وتيسير كل ما من شأنه تحقيق تعاون وتكامل اقتصادي بين البلاد الاسلامية .

◆ استنكار التفرقة العنصرية التى تمارسها بعض الدول ، ومطالبة الامم المتحدة باتخاذ جميع الوسائل العملية لحماية الانسان من مهانة هذه الوصمة فى كل جزء من أجزاء العالم .

◆ تشجيع مقرئي القرآن الكريم ان يقرؤوه بجميع القراءات والا يقتصروا على قراءة حفص . حفظا لكل هذه القراءات الثابتة من النسيان والاندثار .. وتخصيص الازهر منحا لدارسي القراءات من البلاد الاسلامية .

◆ عدم الاعتماد على غير المصحف العثماني المعتمد من مجمع البحوث الاسلامية. مشيخة الازهر، على ان يكون لاي ناشر الحق فى نشر اي صورة ماخوذة بالاوفست من هذا المصحف .

بحوث المؤتمر :

وقد ناقش المؤتمر على مدى 30 جلسة 39 بحثا فى الدراسات الاسلامية والعلمية والفقهية .. هي :

1 – الاصلاح الاجتماعي بين النزعتين المادية والروحية لفضيلة الامام الذكي الدكتور محمد الفحام ، شيخ الازهر .

2 – العنصرية كأساس فى قيام دولة اسرائيل للدكتور اسحق موسى الحسيني

3 – العنصرية كأساس فى قيام دولة اسرائيل للدكتور حسن ظاظا

4 – عدوان اليهود على المقدسات الدينية لسماحة الشيخ عبد الحميد السايح

5 – محنة حقوق الانسان فى اسرائيل للاستاذ وفيق القصار

6 – محنة حقوق الانسان فى اسرائيل للدكتور مصطفى الرافعي

7 – بنو اسرائيل قبل الاسلام للاستاذ البهي الخولي

8 – رعاية الاسلام للقيم والمعاني الانسانية للاستاذ عبد الله كنون

9 – رعاية الاسلام للقيم والمعاني الانسانية لسماحة الامام موسى الصدر

10 ــ رعاية الاسلام للقيم والمعاني الانسانية
لسماحة الشيخ عبد القادر غوشه

11 ــ رعاية الاسلام للقيم والمعاني الانسانية
للاستاذ عبد الحميد حسن

12 ــ الشهيد في الاسلام
لسماحة الشيخ حسن خالد

13 ــ الشهيد في الإسلام
لفضيلة الشيخ قاسم غالب

14 ــ الشهيد في الاسلام
لسماحة الشيخ عبد الستار السيد

15 ــ الشهيد في الاسلام
لسماحة الشيخ يوسف البندري

16 ــ الشهيد في الاسلام
للفريق عبد الرحمن امين

17 ــ نحو اقتصادي اسلامي
للاستاذ ابراهيم الطحاوي

18 ــ الحرب النفسية
للواء الركن محمود شيت خطاب

19 ــ مشكلة العرض والنشر في المجال الديني
للدكتور ابراهيم اللبان

20 ــ الفكر التشريعي الاسلامي
لفضيلة الشيخ علي الخفيف

21 ــ الوحدة الاسلامية
لفضيلة العلامة الشيخ محمد احمد ابو زهرة

22 ــ حقوق الانسان في القرآن في صلة الفرد بالجماعة
للدكتور محمد البهي

23 ــ الدولة الاسلامية دولة انسانية
للاستاذ اسعد مدني

24 ــ مسؤولية الفرد تجاه الجماعة في المجتمع الاسلامي ومسؤولية الجماعة تجاه الفرد
لسماحة الشيخ عبد الستار السيد

25 ــ الدين الاسلامي .. دين الانسانية
لفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام

26 ــ حقوق الانسان في الاسلام
للاستاذ غلام محمد نيازي

27 ــ التفسير بالرأي : معناه ، تاريخه ، حدوده المشروعة
للدكتور سيد جعفر شهيدي

28 ــ التكامل الاقتصادي في الاسلام
للدكتور علي عبد الواحد وافي

29 ــ النظرة العالمية في الاسلام
لفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار

30 ــ النظرة العالمية في الاسلام
لفضيلة الدكتور علي حسن عبد القادر

31 ــ حقوق الانسان في الاسلام
للاستاذ محمد خلف الله احمد

32 ــ حقوق الانسان في الشريعة الاسلامية
للدكتور عثمان خليل عثمان

33 ــ الوظيفة الاجتماعية للحقوق في الاسلام
للدكتور مصطفى كمال وصفي

34 ــ العقيدة والقيادة في الاسلام
للواء الركن محمد شيت خطاب

35 ــ رسم المصحف : تاريخه وبيان ضرورة التوقيف فيه
لفضيلة الدكتور محمد محمد أبي شهبة

36 ــ القراءات وموضوع الرسم الاصطلاحي
للسيد الاستاذ لبيب السعيد

37 ــ الوحي : انواعه وموضوعه
للاستاذ البهي الخولي

38 ــ القراءات بين حقيقة التوقيف ودعوى الاجتهاد
لفضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضي

39 ــ المحكم والمتشابه في القرآن الكريم
لفضيلة الدكتور عبد الغني الراجحي

القاهرة ــ محمد نعيم عكاشة



ان رسالة محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ولا تزال اعجوبة التاريخ ، وخارقا من أعظم الخوارق التي عرفها الكون منذ نشاته ، وذلك انها ظهرت فى زمن غلب فيه الجهل والانانية واستبداد الانسان ، فى زمن افل فيه نور الحق والعدل ، وظهرت هذه الرسالة ، فى ارض قاحلة ، فى امة جاهلة متفرقة متنافرة ، فلم يمض كثير من الزمن حتى ارتفعت تلك الامة من الحضيض الى اعلى قمة ، ثم امتدت فى الارض تنشر العدل والاخاء ، وتعيد للانسانية ما فقدته من امن ورخاء ، ولم نر فى التاريخ رسالة غير هذه قلبت أوضاع الارض ونظمها فكريا وسياسيا واجتماعيا وخلقيا وعسكريا فى مدة ربع قرن .

وفى وقت كانت الدنيا فى ظلم وظلام ، وخصام وآثام ، فى انانية متغطرسة ، وقسوة معاندة ، وعنصرية متزايدة ، وتاله وتاليه ، والانسانية تتالم وتتململ تحت وطاة العسف والجبروت ، فى أنين وحنين بين اليأس والرجاء ، يأس منبعث من تأزم الوضع ، وأمل ضعيف بأن كل شيء الى نهاية ، وان طيات الليل والنهار قد تاتي بالساعة المرجوة ، ساعة الفرح وانكسار القيود والاغلال ، وانطلاق جديد للحريات الفردية والاجتماعية .

هكذا كان الوضع على وجه العموم فى سائر أنحاء المعمورة . فلم يكن فى الارض آنذاك الا قوتان متصارعتان ، كل منهما تريد ان تعلو الاخرى وتخضعها لسلطانها ليتم لها الاستبداد على الكل دون شريك او منازع . ففي الجهة الشرقية كان الفرس اكاسرة ومرازبة ودهاقين يرون انفسهم فوق الجميع ، وانهم الامة التي يحق لها التحكم فى ارض الله ، والتملك لعباده ، والتعاظم على خلقه احبوا أم كرهوا فنصبوا انفسهم كالآلهة يجب على الناس تقديسهم ، ومن يستنكف فله الذل والهوان ، فاستعبدوا الناس طويلا ، وظنوا انهم افلتوا من صروف الزمن وغيره ، وانهم خالدون مخلدون فيها قادرون على ما ارادوا منها .

وعلى هذا الوضع وبنفس النفسية كان الروم يسيرون ، وبنفس الفكر يفكرون ، فاستولوا على القسم الغربي من الارض ، غربى آسيا ومعظم اوربا وشمال افريقيا ، فقهروا البلاد والعباد وعلوا فى الارض علوا كبيرا وبلغوا فى التعلي الى ان الصغار يسجدون للكبار وتجاوزوا بذلك حدود الاحترام والتعظيم ، ومن شواهد ذلك ما ورد عن الصحابي المشهور معاذ بن جبل رضي الله عنه انه رأى الروم فى الشام يسجدون لعظمائهم ، وظن ان ذلك اليق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما عاد من الشام وجاء أمام الرسول صلى الله عليه وسلم سجد له ، فبدل ان يثني عليه تقديرا لمحبته واخلاصه ، بدل ذلك غضب عليه ، وقال : ما هذا يا معاذ ؟ فقال : يا رسول الله رايت الروم يسجدون لعظمائهم وانت أعز عندنا منهم . فقال له : يا معاذ ! ان هذا — السجود — لا يليق الا لله ، ولو كنت آمرا مخلوقا ان يسجد لمخلوق لامرت المراة ان تسجد لزوجها لما له عليها من الحق .

هذا ما كان من حال فارس والروم ومن تادب بادبهم . اما العرب فقد كانوا فى جاهلية عمياء وعنصرية جنسية قبلية جافية ، غارقين فى خضم من الاوهام ، وعبادة الاصنام ، من اشجار واحجار وبيوت بنوها ، وتماثيل نحتوها ، وخيالات تخيلوها ،

وخرافات وجنة تخوفوها ، وسحر وكهانة توارثوها، واعتقدوها ، فألفوها وكأنهم جبلوا عليها ، مما جعلهم فى مكان سحيق بعيدين عن منافسة الامم ذات الرياسة والسياسة البعيدة المتحضرة .

فبينما الدنيا سادرة فى غيها متمادية فى ضلالها ، ضلال الدين والعقيدة ، ضلال الخلق والآداب ضلال الجهل بالقيم والمقاييس الصحيحة التي تحتاج اليها الحياة البشرية فى سيرها البعيد ، وحياتها الطويلة اللامتناهية . بينما هي كذلك تتخبط فى ليل من المشاكل وعقد الحياة التي حار فيها اولو الالباب ، واذهلت عقول البشر اذ طلع نور الرسالة المحمدية ذلك النور المشرق الوضاء ، طلع لينقذ الانسانية مما هي فيه من محن وآلام ، وليضع المقاييس والموازين ، ويحدد الحدود للانسانية لتسير الى ما يسعدها بخطى ثابتة مطمئنة . فالرسالة المحمدية رسالة السلام والاسلام جاءت بالمثل العليا لكافة البشر ، لو يمنحونها من العناية والدرس والفهم ما تستحقه ، وما هي جديرة به ، فقد كانت ولا تزال بحق ، المحجة الوضاءة ، والحجة القاطعة ، والقبس المتوقد الذي لا يخبو عند مهب العواصف ، ولا يتأثر بالحوادث ومرور الزمن . تلك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، رسالة الحق والصدق ، والهداية ، رسالة جاءت لمعالجة النفس البشرية ، وازالة امراضها ، وتطهيرها من ادرانها ، وتوجيهها توجيها صحيحا يكفل لها السعادة الدائمة المتواصلة التي لا تنقطع بالموت ، وتنحصر ولا تقتصر على حياتنا الدنوية القصيرة الضيقة ، بل تمتد الى ارجاء فسيحة ، وسعادة طويلة واسعة لا حد لها ولا نهاية ، ترتفع بنا فوق ما يتصور من السمو الحسي والمعنوي، ترتفع بنا الى اقدس مقام ، الى جنان الخلد حيث الانوار الساطعة حيث الحياة الراضية الخالصة الزاخرة بكل بهجة وسرور ، فى جور الملائكة الاطهار ، وفى جناب خالق الاكوان ومالكها الواحد القهار . الى مثل هذا والى ما فوقه تدعو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والى ما تضيق عنه العبارة ، ويعجز القلم عن تسطيره . هذه الرسالة التي احاطت علما بالبشرية وعرفت ظواهرها وبواطنها ، وامدتها بكل ما يحقق لها الرشد والهداية من التشريع والنظم السامية التي تضمن لها سعادتها فى الاولى والاخرى ، وتحل مشاكلها النفسية ، والعقائدية ، والاجتماعية ، والخلقية ، تتبعت ذلك تتبعا دقيقا مراعية فيه مصلحة الفرد والجماعة دون تعارض بينهما ، بل جعلت كلا منهما يكمل الاخر ويسنده ، ويتوقف صلاحه عليه . فوزعت الحقوق توزيعا محكما كما هو معروف مفصل فى كتب التشريع الاسلامي ، ومن أهم تلك التفاصيل المبينة ما يجب على الانسان من حق الله وعبادته وحده دون أن يشرك به شيئا ، وهو ما عبر عنه الركن الاول من اركان الاسلام الخمسة بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله. وبهذه الكلمة يتحرر الانسان من جميع العبودية ليعيش حرا شريفا كما خلقه الله ، فلا يخضع لاحد ولا لشيء سوى الله الحق ، فيعيش كامل الحرية يشعر بالمساواة التامة التي جعلها الاسلام حقا لكل ابناء البشرية ورسم لها قاعدة ثابتة بقوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . وبهذه القاعدة قضى على جميع العنصريات والقوميات والوطنيات ، وجميع التفاضلات والتعليات التي اقامها الانسان بين شعوبه وامه ، والتي لا تؤدي الا الى شر مستطير ، واشعال نار الفتن والعداوة بين الناس فى كل زمان ومكان ، مفرقة بين الشعوب ، واقفة عثرة فى طريق الاخلاق النافعة ، والتعاون بين الامم بما يزيد فى تقدمها ونموها ، ويساعد على امنها ورفاهيتها ، ومن شواهد ذلك الشر ما نشاهده الان بين السود والبيض فى امريكا ومشاكل جنوب افريقيا وروديسيا ، الى غير ذلك مما يعقد الحياة ويزيد فى آلامها ، ويزرع الشقاء والكراهية بين اهلها ، ويمزق الصلات البشرية ، ويجذب حبل الاخاء والمودة الخلقية بينهم . ولو رزقوا شيئا من التوفيق وتفطنوا الى العمل بتلك القاعدة الجليلة – ان اكرمكم عند الله اتقاكم . لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لابيض على احمر الا بالتقوى – لو تدبروا هذه القاعدة وطبقوها كقانون عادل للمساواة بين اجناس الناس ، لوجدوا فيها الدواء الشافي ، والحل النزيه الذي يحقن الدماء ويوفر الاموال ، ويقطع جرثومة الفساد الذي نراه الان منتشرا فى كثير من بقاع الارض . وهذا قل من كثر ، بل قطرة من بحر ، بالنسبة الى ما تفيض به الرسالة المحمدية من نور على البشرية الغافلة ، فاى خير او سعادة يمكن ان ينالها الانسان لم تدل عليها ؟ واي شر دنيوي او اخروي يمكن ان يلحق الانسان ولم تحذر منه ؟ . أما وضعت للناس كل ما يحتاجون اليه من النظم الصحيحة التي ليس لها مثيل لا فى السابق ولا فى اللاحق ؟ بلى وضعت شبكة حكيمة محكمة من العقائد والنظم الدينية التي لا تذبذب فيها ولا اعوجاج ، بل هي صراط مستقيم ، ونهج قويم ، يصل العبد بخالقه ، ويربط حياته الدنيا بحياته الاخرى ، ويضمن

له السعادة الكاملة ، ويزوده بالعلوم والافكار والهدايات التي تبدد غياهب الشكوك والشبهات النفسية الطارئة ولا تدع للوساوس الضالة منفذا تتسرب منه الى الخيال او تلم ، واحاطت ذلك برياضيات وعبادات قولية وفعلية، فكرية وعقائدية ، فهي صراط منير واضح لا يعتريها الظلام كما وصفها معلمها الداعي اليها بقوله (ص) : « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك » . وكذلك كان ويكون فكل من زاغ عنها هلك.

هذا من الناحية الدينية . اما من الناحية الاجتماعية فقد جاء التشريع المحمدي بما يكفل بناء مجتمع مثالي يكون مقياسا ينسج الناس على منواله ، ولا يجدون عيارا ادق من عياره ، جاء بما يحكم بناء المجتمع ، ويرسي اسسه من اول لبنة الى اعلى قمة ، وضع منهاجا لتربية الفرد منذ نشأته الى موته ، وامده بسائر النظم والتعاليم التوجيهية التي اذا عمل بها وسار عليها جعلته فردا صالحا مصلحا وضمنت له السعادة الابدية بلا ريب ؛ ثم غرس نواة الاسرة وسقاها وغذاها بالنظم التي تحفظها وتجعلها اسا صالحا يتفرع عنه كل خير وصلاح . فرغب فى الزواج واحاطه بسلسلة من النظم التي تنبثق عنها سعادة الزوجين ثم الاسرة وبالتالي سعادة المجتمع الواسع ، وحدد لكل واحد من الزوجين الحقوق والواجبات ، ورسم لهما طريق الحياة الطيبة كاملا غير منقوص ، ثم تناول الاولاد والاقرباء والزم الكل بحدود وواجبات معينة لا يجوز التخلي عنها ، وقيدهم بصلات وآداب عالية تحكم الرابطة بينهم وتجعلهم وحدة متماسكة ببعضها البعض من جهة ، وبالوحدات الاخرى من جهة اخرى مع التماسك والترابط الذي يمتد بامتداد المجتمعات الشعبية المتاخية الى ان يشمل الامة الاسلامية باكملها ويكون منها كتلة متراصة تذوب فيها الجنسيات والالوان واللغات وسائر الفروق حتى لا يبقى الا وحدة انسانية يجمعها نظام واحد هو الاسلام تخضع كلها لرب واحد يملكها ويسيرها الى الغاية التي رسمها . « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون» فهي بحكم النظام السماوي واحدة مهما ترامت اطرافها وبعدت مسافاتها او تعددت اقطارها ، واختلفت لغاتها واجناسها والوانها ، لان الاسلام الذي هو دين اخوة وايمان يتخطى كل تلك الآفاق الضيقة — آفاق الوطنيات ، والجنسيات والقوميات واللغات والالوان — يتخطى ذلك الى افق ارحب ، وهدف اسمى ، والى افق الوحدة الشاملة التي يشير اليها بقوله تعالى : « يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » . ويشير اليها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : « كلكم لآدم وآدم من تراب » . اذا فالاسلام يهدف فى تعاليمه ونظمه الواسعة الدقيقة الى بناء مجتمع صالح الافراد ، متماسك الحلقات يشمل الارض وعموم البشر دون تمييز .

هذا فيما يختص ببناء المجتمع ، اما فيما يتعلق بالاقتصاد وامور الاموال ، ووسائل اكتسابها ، وطرق انفاقها ، فقد نظم المعاملات ، وسن شرائع البيع والشراء ، والقرض والرهن ، والحرث والزرع والمضاربة والشركة والامتلاك ، وسن الزكاة ، وحرم الربا بانواعه والاحتكار ، وقسم الثروات تقسيما يجعل المال موزعا على الناس توزيع منفعة متداولا بين الناس على حسب مصالحهم لا لان يجتمع عند طائفة ويحرم منه الباقي ، وهذا نظام لو طبق تطبيقا صحيحا لازال تطاحن الشيوعية والراسمالية ، بل لا يكون لهما وجود اصلا .

ومن ثم نرى ان الاسلام لم يترك عقدة من عقد الحياة البشرية الا احسن حلها ، ولا علة من العلل الا حسم مادتها . اما الاخلاق فاليه كان منتهاها .

واما السياسة فقد جاء بها نقية ، ونزهها من الكذب والغش والحيل ، وبناها على حسن الاخلاق ، والعفو ، والمواساة ، والتجاوز وغض النظر عن العيوب والزلات ، ويكفيك ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة من تاليف القلوب ، وتقسيم الاموال بدلا من الانتقام والبطش .

ومع ذلك فقد وضع الحدود وقرر الزجر والعقوبات فى الاحداث والجنايات مراعيا فى ذلك جانب المصلحة ، وتقليل الضرر ما امكن . كما نظم امور الحرب تنظيما كاملا يخفف اخطارها ، ويقلل من متاعبها ، فحرم قتل النساء والصبيان ، والشيوخ والعباد ، ومنع التخريب والفساد بقدر الامكان . ومن جهة اخرى جند للجهاد جميع الطاقات ، والتسلح بكل سلاح يحقق النصر والنجاح . قال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » . وكيف جعل لفظ القوة نكرة لتشمل جميع الانواع ، الى غير ذلك مما ارشدت اليه الرسالة المحمدية من نظم وهدايات لو اتبعها الناس ، وصادفت منهم تفهما لعاشوا فى امن وسلام مغتبطين مطمئنين . فهل للبشرية من زمان ترتفع فيه الى مستوى اعلى ، من التعقل والنضج .. ؟

تطوان — محمد العربي الهلالي



للأستاذ الراجي التهامي الهاشمي

مر علي الآن وقت طويل افنيته فى البحث عن علوم القرآن ، وعكفت عليها ، والحمد لله ، تعلما وتعليما وامنيتي الغالية ان يتيح الله لي فسحة الاجل اقضيها فى ملازمة هذه الدراسة ، اتمتع بما جدت به قرائح الافذاذ من ابنائنا فى هذا الباب .

ولقد بدا لي من خلالها ان كثيرا من المواضيع فى القراءات القرآنية درست قديما ، دراسة دقيقة ، علمية وخرج قراؤنا الكبار منها بما يبهر . غير أن توالي الحدثان اسبغ عليها ثوبا باليا اعطاها مسحة من التزمت والرجعية هي منها براء .

ومن بين هذه المواضيع المد :

وما كنت لاسمح لنفسي بالحديث عن المد، وهو قتل بحثا ، وفرغ الناس من زمان من الخوض فيه ؛ لولا توفيق من الله الهمني الى حل بعض رموزه بقيت الى يومنا هذا غامضة لا يعرف كنهها الا القليلون .

وعليه فاني لن اتعرض للمد كما يعرفه الناس جميعهم فى القرآن فهذا موجود فى جميع كتب علوم القرآن ، ولكني سأتحدث بالدرجة الاولى عن زمنه ، اي عن مدة النطق به ، وهو امد لم يتفق حوله القراء ابدا .

غير انه قبل ذلك يحسن ان نعرف ما المد ؟

المد فى اللغة هو تطويل الشيء واذن هو فى الاصطلاح اطالة الصوت قليلا او كثيرا . بهذا يشرحه المقرىء المغربي ابو زكرياء يحيى بن سعيد السملالي (1) فى كتابه « تحصيل المنافع من كتاب الدرر اللوامع » (2)

والمقرىء المغربي محمد بن شعيب بن عبد الواحد ابن الحاج المجاصي اليصليتي (3) فى كتابه « شرح اللوامع الموضوع فى حذف نافع » (4) والمقرىء المغربي ابو عبد الله محمد بن احمد بن عمران

---

(1) ابو زكرياء فى هذا هو ابن القاريء سعيد السملالي الذى أتحدث عن ترجمته فى الرقم 9 .
(2) مخطوط خاص صفحة 44 .
(3) عاش المجاصي فى القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، ونعرف من بين تلامذته مندبل بن اجروم الذى قرا عليه الفاتحة بالقراءة السبع والشاطبية وبعضا من الدرر واللوامع . ترك لنا زيادة على شرحه للدرر اللوامع ، شرحا على مورد الظمآن وقصيدة جمع فيها الكلمات الصعبة والغريبة فى القرآن الكريم سماها « منظوم فى غريب القرآن » .
(4) لا زال هذا الكتاب مخطوطا وهو موجود فى خزانتي صفحة 47.

الفتزاري السلاوي المعروف بابن المجراد (5) في كتابه « الايضاح » صفحة 47 (6).

والمقريء المغربي ابن القاضي (7) في كتابه الذي صنفه في شرح الدرر اللوامع ، والمسمى « الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع » (8) .

والمقريء المغربي سعيد بن سعيد بن داوود الجزولي (9) في كتابه « معونة الصبيان » (10)

والمقريء التونسي ابراهيم المرغاني في شرحه على الدرر المسمى « النجوم الطوالع على الدرر اللوامع » (11) .

وجميع هؤلاء القراء يعتمدون في شرحهم هذا على قوله تبارك وتعالى : « بلى ان تصبروا وتتقوا ياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين » (12) .

---

(5) ابن المجراد مقريء مغربي كبير توفي بمدينة سلا سنة 778 هجرية (377 ميلادية) . يخبرنا أبو العباس احمد بن خالد الناصري عن قبره في كتابه الاستقصا طبعة الدار البيضاء الجزء الرابع صفحة 83 فيقول انه مشهور بسلا ويوجد خارج باب المعلقة .
ترك لنا ابن مجراد زيادة على « شرح الدرر اللوامع التي سأتحدث عنها اسفله مؤلفا يعرف ب « لامية الجمل » ذكره صاحب الاستقصاء في الجزء الرابع صفحة 83 ولم اقف عليه بعد .
يسميه اخواننا السلاويون ب « الامام السلاوي » (انظر اتقان الصنعة) لابن شفيق مخطوط الخزانة العامة بتطوان رقم 25 .

(6) يسمى هذا الكتاب الذي لم يطبع بعد : « ايضاح الاسرار والبدائع وتهذيب الغرر والمنافع في شرح الدرر واللوامع في اصل مقرأ الامام نافع » بخزانتي نسخة خطية منه كما توجد نسخ كثيرة منه في المكتبات العامة والخاصة .

(7) هو الشيخ المقريء ابو زيد عبد الرحمن بن ابي القاسم بن القاضي المولود سنة تسع وتسعين وتسعمائة والمتوفى سنة اثنتين وثمانية والف وقد دفن حسب صاحب « صفوة من انتشر من اخبار صلحاء القرن الحادي عشر » صفحة 168 من الطبعة الحجرية بفاس بدون تاريخ بروضة سيدي علي الصنهاجي بفاس . نعرف من مؤلفاته : 1) بيان الخلاف والتشهير وما وقع في الحرز من الزيادات على التيسير . 2) مقالة الاعلام في تخفيف الهمزة لحمزة وهشام . 3) علم النصرة في تحقيق قراءة امام البصرة . 4) تحقيق الكلام في قراءة الادغام . 5) القول الشهير في تحقيق الادغام الكبير . 6) القول الفصل في اختلاف السبعة في الوقف والوصل وكل هذه المؤلفات موجودة عند الشيخ ابراهيم الهلالي بمكناس بخط يد المؤلف . كما أنه ترك لنا كتبا اخرى نفيسة مثل « الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع » مخطوط في خزانتي — تقييد ما يلتبس من رسم مكي موجود بالخزانة العامة بتطوان تحت رقم 1 / 458 — ازالة الشك والالتباس العارضين لكثير من الناس في نقل الم احسب الناس — مخطوط خزانة القصر الملكي العامر تحت رقم 4481 ب « المشكلات في قراءة البصري ووقتت بالواو في المرسلات مخطوط بالخزانة العامة بتطوان تحت رقم 273 وغيره كثير .

(8) الفجر الساطع صفحة 78 من المخطوط الموجود بخزانتي .

(9) هو سعيد بن سعيد بن سليمان الكرامي السملالي من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي . اعرف له تسعة كتب لا زالت كلها في علمي مخطوطة ، اولها شرح للدرر اللوامع سماه ب « معونة الصبيان على الدرر اللوامع » موجود بخزانتي ، شرح الارجوزة الشريشي سماه « معونة الصبيان » شرح على رسالة ابي زيد القرواني — شرح على الفية ابن مالك ، شرح الاجرومية ، مؤلف سماه « مشكلات القرآن » ومؤلف في التنجيم . انظر « سوس العالمة صفحة 178 » ومن خلال جزوله » صفحة 17 .

(10) معونة الصبيان صفحة 90

(11) النجوم الطوالع صفحة 45 .

(12) السورة الثانية آل عمران الاية 125 .

الا ان المعنى الاصطلاحي للمد قد تغير مع مر الزمن ، فبينما كان يدل اصلا على المد الطبيعي ، أي الحركة ، بلا زيادة ولا نقصان ، كما سنرى بعد قليل يدل على المد المزيد فيه » (13)

ونعلم ان المد ، هو عند كثير من قرائنا ثلاثة انواع :

ـ المد المسمى « الطويل »

ـ المد المسمى « المتوسط »

ـ المد المسمى « القصير »

وهذا التقسيم هو الذي اشار اليه ابن بري (14) في ارجوزته « الدرر اللوامع » (15) بقوله :

القول في الممدود والمقصور
والمتوسط على المشهور

ولقد توصلت في بحوثي الى تحديد ماهية الطويل ووجدت ان فيه اربعة ازمنة . كما لاحظت ان في المتوسط زمن واحد وان في القصير اثنين وسأبين كل ذلك معتمدا على النوطة الموسيقية وعلى اقوال قرائنا الكبار .

ولنبدا باقوال قرائنا فيما يتعلق بمدة المد او بزمنه ، يقول ابن المجراد ما مؤداه . ان للمد المشبع اربع حركات او الفان (16) وان للمتوسط ثلاث حركات بمعنى انه يساوي الفا ونصف الالف . وان للمقصور حركتان او الفا (17) بينما يقدر القارىء المغربي سعيد بن سعيد بن داوود المد وزمنه بطريقة اخرى فيقول :

مقدار الاشباع أربع حركات مجانسات للحرف بمقدار حرفين من حروف المد ، فان كان الفا باربع فتحات وان كان واوا بأربع ضمات وان كان ياء باربع كسرات ، ومقدار المتوسط ثلاث حركات مجانسات ايضا بمقدار حرف ونصف ومقدار القصر حركتان مجانستان بمقدار حرف وما زاد على ذلك فقد اربا وظلم (18) .

وقبل سعيد بن سعيد السملالي قال صاحب «التحفة» (19) مبينا مقدار المد

فصل وما ترى لها من مد
غير مزيدى فقل في الحد

مقداره حرف لدى التفريع
وهو الذى وسمت بالطبيع

ثم المزيد عليه يقسط
فمشبع وآخر موسط

حرفان مقدار المزيد والوسط
حرف ونصف مقداره بلا شطط

ويظهر من هنا ان صاحب التحفة اضاف الى التقسيم الذى ذكرناه مدة أخرى للمد هي «المزيدى»

الا ان جماعة من قراء المغرب والاندلس قسموا المد الى قسمين فقط ، « المد المتصل » و « المد المنفصل » واغلبية قراء المغرب يسمون المد المتصل

---

(13) ايضاح الاسرار والبدائع وتهذيب الغرر والمنافع صفحة 90 .
(14) هو عبد الله محمد بن علي بن الحسن المعروف بابن بري ، توفي سنة 737 (1337) ودفن بتازة .
(15) اكبر ارجوزة معروفة الآن قيلت في مقرا الامام نافع واسمها الكامل هو : « الدرر اللوامع في اصل مقرا الامام نافع وتشتمل على 270 بيتا .
(16) مع العلم ان الالف يساوي حركتين
(17) ايضاح الاسرار والبديع . صفحة 90 .
(18) معولة الضبيان صفحة 91 .
(19) هو ابو الوكيل ميمون بن مساعد المصمودي مولى أبي عبد الله الفخار قارىء كبير وفقيه مشهور توفي بفاس سنة 816 (1414) ولقد ترك لنا زيادة على التحفة الدرة وهما معا في القراءات القرآنية . كما ترك لنا مصنفا في الرسم سماه « المورد الراوي » انظر ترجمته في سلوة الانفاس الجزء الثاني الصفحتان 2 و 3 .

المد المشبع . وكان على رأس هذه الاغلبية ابو محمد مكي بن ابي طالب (20) ، وابو العباس المهداوي (21).

كما ان بعض قراء العراق اغتنموا نفس الفكرة ودافعوا عليها بحماس ، اذكر من بينهم الاستاذ ابو الفتح بن شيطة (22) وابو طاهر بن سوار (23) .

غير ان بعض القراء الاندلسيين يعطون للمد اقدارا اربعة هي كما يلي :

- أشـــبــــاع
- درجـــة دون ذلـــك
- ثـــم دونـــــه
- ثـــم دونـــــه

وليس بعد هذا فى نظر هؤلاء الا القصر . ومن بين الذين دافعوا عن هذا التقسيم ابو الحسن طاهر بن غلبون (24) ، وابو جعفر بن باذش ، وابو عمرو الداني (25) . بالزيادة التى سنرى بعد قليل .

نعم زاد الداني على هذه المقادير الاربعة . قال ابن الجزري : « وزاد (اي الداني) فى المتصل والمنفصل جميعا مرتبة خامسة هي اطول من الاولى لمن سكت على ساكن قبل الهمزة (26) .

غير ان القاريء خلف (27) ، ينقل لنا ان اطول مد عند حمزة هو المفتوح ، كالمد الموجود مثلا فى قوله تعالى :

---

(20) هو مكي بن أبي طالب بن حيوس بن محمد بن المختار ، ابو محمد القيسي القرطبي ازداد سنة 355 (965) بالقيروان ، دخل الاندلس سنة 382 (993) . مات سنة 437 (1046) . لقد خلف لنا ابن الجزري ثمانين مصنفا منها التبصرة فى القراءات ، الكشف على التبصرة ، الموجز فى القراءات . انظر ترجمته فى غاية النهاية فيطبقات القراء الجزء الثاني صفحة 310 .

(21) هو احمد بن عمار بن ابي العباس المهداوي مؤلف كتاب الهداية فى القراءات وشرحها المسمى « الموضوع فى تعليل وجوه القراءات» الذى يوجد منه الجزء الثاني فى خزانة القرويين تحت رقم (139 ق) وتفسيرين للقرآن الكريم هما « التفصيل » و « التحصيل » . ويوجد فى القرويين الجزء الاخير من « التحصيل فى مختصر التفصيل » تحت رقم (300 ق) . توفي المهداوي سنة 430 (1040) .

(22) توفي سنة 405 (16 — 1015) الف « التذكرة فى القراءات العشر » .

(23) قاريء من المذهب الحنفي مؤلف « المستنير فى العشر ». توفي سنة 496 (03 — 1102) .

(24) هو طاهر بن عبد المؤمن بن عبد الله بن غلبون بن المبارك . ابو الحسن الحلبي مؤلف كتاب «التذكرة فى القراءات الثمانية». توفي يوم 10 شوال 399 الموافق 7 يونيو 1009 انظر ايضا غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزري الجزء الاول صفحة 339 .

(25) توجد ترجمة هذا القاريء العظيم عند ابن بشكوال « كتاب الصلة » نشر Francisco Codera بمدريد 1883 صفحة 398 من الجزء الاول، فى معجم الادباء طبعة القاهرة 1936 — 1938 الجزء الثاني عشر صفحة 125 وعند المقري فى كتابه نفح الطيب طبعة القاهرة 1302 هجرية الجزء الاول صفحة 368 وعند الضبي فى « بغية الملتمس فى تاريخ رجال اهل الاندلس » نشر Francisco Codera و Julian Ribera بمدريد سنة 1885 صفحة 399 ، عند الذهبي فى « تذكرة الحفاظ » طبعة الهندسة 1333 ـ34 ، فى الجزء الثالث صفحة 298 ، « فى النجوم الظاهرة » طبعة القاهرة 1956 الجزء الخامس صفحة 54 فى غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزري طبعة القاهرة 1933 الجزء الاول صفحة 503 الترجمة 2091 وغيرها .

(26) النشر فى القراءات العشر الجزء الاول صفحة 316

(27) هو خلف بن هشام بن ثعلب بن هشام الاسدي، الراوي الاول للامام حمزة هو احد القراء العشرة ازداد سنة 150 هجرية (768 ميلادية) يروي قراءة حمزة ولكنه يخالفه فى قراءة 120 كلمة سنتعرض لها ان شاء الله فى بحث آخر . توفي سنة 229 (844) ببغداد . انظر ايضا التيسير صفحة 7 وغاية النهاية صفحة 273 .

« تلقاء اصحاب النار » (28) . وان اقصر مد هو الموجود فى المكسور الملاحظ مثلا فى الكلمات :

— خائفيـــن
— الملائكـــة
— يا بني اسرائيـــل

وهناك وجه آخر فى تقدير المد يحسن التعرض له . ذلك ان كثيرا من القراء يعتقدون ان المد الناتج عن المدغم اكثر طولا من غيره .
والذين يدافعون بحماس عن هذا الراي (29) هم مكي بن أبي طالب وابو عبد الله ابن شريح (30) .

ومعلوم ان المد الذى اتحدث عنه فى هذه الفقرة هو هذا المد الذى ينتج، كما راى ذلك فقهاؤنا، عن ثلاثة اشياء : الهمز والسكون ثم الشد . ونظموا ذلك فى « انصاصهم » كما يقولون :

ثلاثة فاعلم تسـوق المـد
الهمز والسكون ثـم الشـد

يجب فى نظر مكي بن أبي طالب وابي عبد الله ابن شريح ان يكون مد دآبة اطول من مـد محيـاي او جاء وامثاله .

وهناك طبعا مد ينطق به ولا يثبت فى الكتابة وهو موجود بكثرة فى القـرآن الكريم ، وذلـك ما سنتحدث عنه ايضا مع المد الناتج عن الاشيـاء الثلاثة المذكورة .
كل هذا يتعلق بالمد المتصل .
فماذا يقولون عن المد المنفصل الذى يسمونـه ايضا بـ « مد البسط » او «مد الفصل» او «مـد الاعتبار» .

نلاحظ هنا أن الخلاف على أشده بين القراء المغاربة والقراء الشرقيين سيما العراقيين فبينما يعطي هؤلاء لهذا المد مقدارين هما :

— طويـــل
— متوســـط

نرى المغاربة يمنحونه اربعة أوزان .

— فـوق القصـر
— متـوسـط
— فـوق المتوسـط
— اشبـاع

واضاف الهذلي ، صاحب ابي معشر الطبري قدرا خامسا سماه القصر المخض .

واضاف الداني مقدارا سادســا فى « جامـع البيان » (31) سماه « فوق الطولي »

واضاف القـاريء ابو القاسـم الهـذلي (32) مقدارا آخر لهذا المد سماه الافراط ويقدر بأكثر من ست الفات .

الآن وقد حددنا مقدار المد عند القراء ورأينا ان له سبع مراتب ننظر هل يوافق ذلك ما نعرفه فى الموسيقى .

نعرف ان فى الموسيقى سبع درجات هي كما يأتـي :

المستديـرة	la ronde	la redonda
البيضـاء	la blanche	la blanca
السـوداء	la noire	la negra
المقطوعـة	la croche	la corchea
ثنائيـة الاسنـان	la double croche	la semicorchea
ثلاثيـة الاسنـان	la triple croche	la fusa
رباعيـة الاسنـان	la quadruple croche	la semifusa

---

(28) فى السورة السابعة الانعام الآية 47
(29) انظر النشر فى القراء العشر الجزء الاول صفحة 318 .
(30) هو ابو عبد الله بن شريح بن احمد بن محمد بن شريح الرعيني الاشبيلي ازداد سنـة 388 (998) ذهب الى مصر سنة 433 (1042) ثم حج واغتنم فرصة وجوده بالشرق لدراسة القراءات الثمن التي صار يقرأ بها بعد عودته توفى سنة 476 (1084) انظر النشر الجزء الاول صفحة 67 وغاية النهاية فى طبقات القراء الجزء الثاني صفحة 153 .
(31) النشر فى القراءات الجزء الاول صفحة 318.
(32) هو يوسف علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة ابو القاسم الهذلي اليشكري المزداد سنة 390 (1000) مـؤلف كتـاب « الكامـل فى القراءات جمع فيه كل القراءات المعروفة فى زمنه . كما ترك لنا كتابين آخرين هما « الوجيز » و « الهادي » توفى سنة 365 (73 — 1072) .

فاذا أردنا ان نقدر كل واحدة من هذه المراتب قلنا ان :

𝅝 المستديــرة تســاوي :

2 بيضـــاء
4 ســـوداء
8 مقطوعـــة
16 ثنائيـة الاسنــان
32 ثلاثيـة الاسنــان
64 رباعيـة الاسنــان

𝅗𝅥 والبيضـــاء تســاوي :

2 ســوداء
4 مقطوعـــة
8 ثنائيـــة الاسنـــان
16 ثلاثيـــة الاسنـــان
32 رباعيـــة الاسنـــان

𝅘𝅥 والســـوداء تســاوي :

2 مقطوعـــة
4 ثنائيـــة الاسنـــان
8 ثلاثيـــة الاسنـــان
16 رباعيـــة الاسنـــان

𝅘𝅥𝅮 والمقطوعـــة تســاوي :

2 ثنائيـــة الاسنـــان
4 ثلاثيـــة الاسنـــان
8 رباعيـــة الاسنـــان

𝅘𝅥𝅯 وثنائيـــة الاسنـــان تســاوي :

2 ثلاثيـــة الاسنـــان
4 رباعيـــة الاسنـــان

𝅘𝅥𝅰 وثلاثيـــة الاسنـــان تســاوي :

2 رباعيـــة الاسنـــان

وان من المعجزات التى ساعدتني على تطبيق ما سبق على المد ما قاله ابن الجزري حين صرح قائلا :

ان هذا الاختلاف فى تقدير المرتب بالالـف لا تحقيق وراءه بل يرجع الى ان يكون لفظيا وذلك ان المرتبة الدنيا وهي القصر اذا زيد عليها ادنى زيادة صارت ثنائية ثم كذلك حتى تنتهـي الى القصـوى وهذه الزيادة بعينها ان قدرت بالف او بنصف الف هي واحدة ؛ فالمقدر غير محقق والمحقق انما هـو الزيادة . وهذا مما تحكمه المشافهة وتوضحه الحكاية ويبينه الاختبار (33) .

يتضح لنا مما يقوله الشيخ المقرىء ابن الجزري ان اقل مقدار المد هو القصر وان الزيادة تكون على أساس الف او نصف الالف حسب كيفيـة الترتيـل وصاحب القراءة وان المقدر غير محقق وان الزيادة وحدها هي التى تعتبر وان الاخذ بذلك واتقانه يعود بالدرجة الاولى الى المشافهة والحكاية . وان هذه الزيادة يقع التـدرج فيهـا من ادنـى الى اعلـى .

ويوضح ذلك أكثر المقرىء المغربي محمد بن عبد السلام الفاسي (34) فيقول :

« ثم ينبغي ان ينتبه لغلـط يقع الطلبـة فى التقدير فى الحركات ، فانها لما لم تكن منفصلة عن الحرف ومصوتا بها وحدها . ويقولون ان ورشا يمد الالف في نحو جاء زمنا يسع ستة احـرف وست حركات والمراد الزمان الذى يسع الحركـات فقـط وتجدهم يعدون ذلك باصابعهم . وكل ذلك هذيـان والله اعلم الصواب » (35) .

من كل ذا يظهر لنا بوضوح ان التقدير بالالف انما هو امر نسبي ليس الا ، وان ذلك يختلف باختلاف القراء والمذهب الذى يتبعونه .

واحب قبل ان اتحدث عن تقدير المـد بمقارنة كل رتبة من رتبته بما نعرف في الموسيقى العالمية ان ابين ان المهتمين برسم القرآن بالمغرب اختلفوا اشد الاختلاف فى التعبير عن هذا المد بخطهم .

---

(33) «النشر فى القراءات العشر» الجزء الاول صفحة 326 ــ 327 .

(34) هو محمد ن عبد السلام بن محمـد بن عبد السلام بن محمد العربي بن علي المحاســن يوسف ابن محمد الفاسي . اكبر قارىء مغربـي فى القرن السابع عشر الميلادي . ترك لنا مصنفا عظيم الشأن يعرف بـ « اتحاف الاخ الاود المتداني بمحاذي حرز الاماني ووجد التهاني » .

(35) المحاذي مخطوط بالخزانة العامة بتطوان صفحة 171 ويوجد هذه المخطوط بهذه الخزانـة تحت رقم 880 .

اما ابن القاضي ، الذي يعتمد الخط الفاسي فى كل ما يكتب عن الرسم القرآني ويجعله اساس انطلاقه فى هذا الباب فيقول فى الخلاف والتشهير (36) ما ضمنه :

لا يوجد نص صريح فى كيفية وضع هذا المد (37) او المط .

الا ان صاحب التحفة يقنن ذلك فيقول :

وفى نزول المط فى الفواتح
وجهان خذ تعليله من راجح

بعدم النزول يعني الخط
واللفظ فى النزول هو القسط

اعتقد اننا نستطيع الآن ان نقوم بتحديد هذا التقدير اعتمادا على المراتب الموسيقية التى تحدث عنها أعلاه وعلى المعلومات التى ذكرها مختلف القراء فى بيان زمنه .

لقد اتضح لنا مما سبق ان اقصر مد عند القراء هو القصر . وان كثيرا منهم يعطونه مقدار الف وان اطول مد عند بعضهم هو الافراط ، ويقدر باكثر من ست الفات .

هذا واننا نعرف جميعا ان مقدار التوسط ثلاث الفات وان كلمة « فوق » تقدر بالف واحد زائد ، وان « دون » تقدر بالف واحد ناقص .

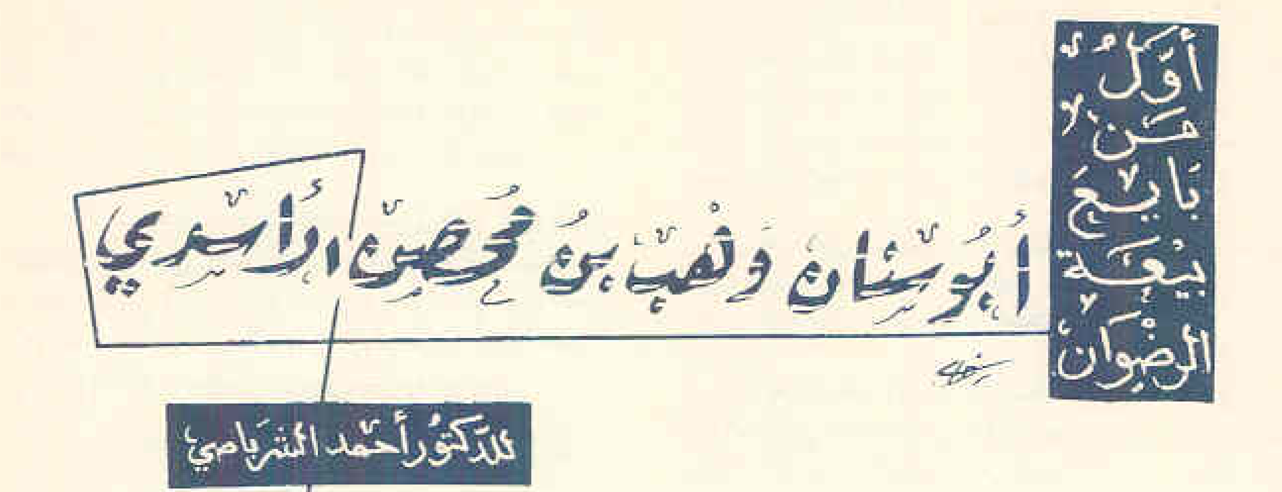
نستطيع الآن ، بهذه الايضاحات الاضافية ان نضع جدولا نجمع فيه مقادير المراتب الموسيقية مع ما يعادلها من مراتب المد :

المستديرة	افراط =	+ 6 الفات
البيضاء	فوق فوق فوق التوسط	6 الفات
السوداء	فوق فوق التوسط	5 الفات
المقطوعة	فوق التوسط	4 الفات
ثنائية الاسنان	التوسط	3 الفات
ثلاثية الاسنان	فوق القصر	2 الفان
رباعية الاسنان	القصر	1 الف واحد

تطوان : الراجي التهامي الهامشي

(36) الاسم الكامل لهذا المؤلف الذى لا زال مخطوطا هو : « بيان الخلاف والتشهير والاستحسان وما اغفله مورد الظمآن وما سكت عنه التنزيل والبرهان وما جرى به العمل من خلافيات الاسمية فى القرآن وربما خالف العمل النص فخذ بيانه باوضح بيان » توجد نسخ منه فى الخزانة العامة بالرباط تحت هذه الارقام : D 1371 — D1 503 — D2 1532
كما توجد نسخة محملة الواتا عند الاستاذ سعيداعراب بها حواشي مفيدة ، هذا واعتقد ان من المفيد ان انبه الانتباه الى ان هذا المصنف الذى يعرف عادة بـ«بيان الخلاف والتشهير» ليس هو الكتاب الثاني النفيس المسمى « بيان الخلاف والتشهير وما وقع فى الحرز من الزيادات على المتسير » . والذى توجد منه نسخة فى الخزانة العامة بتطوان تحت رقم 887 ابتداء من الصفحة 141 . والذى يعرف هو ايضا بـ « بيان الخلاف والتشهير » مما يحمل الناس على جعلهما كتابا واحدا . وهو خطأ نرجو الا يقع فيه الباحثون .

(37) يسمى ابن القاضي وجميع قراء فاس هذه العلامة الدالة على المد مطا .



ان المسارعة الى الخير شعار المؤمنين الذين يحرصون على رضى الله تعالى والقرب منه ، ولذلك يقول الحق عز وجل فى سورة آل عمران : «سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين » .

وان السبق الى مواطن الفضل والبر سمة من سمات المفلحين الفائزين ، ولذلك يقول القرآن الكريم فى سورة الواقعة : « والسابقون السابقون ، اولئك المقربون فى جنات النعيم » .

وان التنافس الكريم المحمود هو ما كان فى مجالات الطاعة والاحسان : « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » .

ولقد كان تقدم المسلم على اخوانه فى مكرمة او فضيلة وسام شرف يسجله له التاريخ ، ويردده الدهر ، ولذلك جاءت فى السيرة الاسلامية العطرة طائفة من « الاوليات » التى امتاز بها فريق من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فأول من اسلم — مثلا — السيدة خديجة رضي الله عنها .

واول من هاجر الى الحبشة ذو النورين عثمان ابن عفان رضي الله عنه .

واول من هاجر الى المدينة ابو سلمة رضي الله عنه .

واول من عقد له لواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

واول شهيد فى الاسلام مهجع الصحابي رضي الله عنه .

وهكذا الى آخر هذه « الاوليات » التى يفخر فيها اصحابها لا باموالهم ولا باجسامهم ، ولا باحسابهم أو نسبهم ، وانما فخروا فيها بسبقهم فى ميادين العمل الخالص لوجه الله عز وجل .

— * —

وهذا واحد من اولئك الاوائل :

انه قد امتاز بأولية باهرة خالدة ، تكفيه شرفا وتوسعه تكريما ، حيث كان اول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان ، وبالها من بيعة ايمان واحسان !.

انه الصحابي الجليل ، المناضل المقدام ، المسارع الى الفداء والشهادة : ابو سنان وهب بن محصن الاسدي (1) ، اخو البطل الشهيد عكاشة بن

(1) اختلفوا فى اسم ابي سنان ، فقيل ان اسمه وهب ، وقيل : عبد الله ، وقيل غير ذلك ، ولكن الاصح ان اسمه وهب ، وكان لوهب ولد اسمه سنان بن ابي سنان ، وهو بدري مات سنة ثلاث وثلاثين (انظر الروض الانف ، ج 2 ص 25).

محصن الاسدي الذى لقي الشهادة فى حروب الردة (2) .

وقد سارع ابو سنان الى الاسلام ، وسبق الى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد معه غزوات بدر واحد والخندق (3)، ثم جاءت غزوة الحديبية (4) فى السنة السادسة للهجرة .

وكانت هذه الغزوة نقطة تحول بارز فى تاريخ النضال الاسلامي الطويل ، اذ انتقل بها المسلمون من مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم ، لان الرسول صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه بعد غزوة الخندق : لن يغزونا القوم بعدها ، نحن سنغزوهم .

ثم جاءت غزوة الخندق ـ غزوة الاحزاب ـ عقب ذلك ، لتكون بابا لفتح عظيم ، بل انها كانت فتحا فى ذاتها ، لانها كانت سببا فى فتح مكة ، ولذلك قال الزهري : « لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية ، اختلط المشركون بالمسلمين ، وسمعوا كلامهم ، وتمكن الاسلام من قلوبهم ، واسلم فى ثلاث سنين خلق كثير ، وكثر بهم سواد الاسلام »

وذكر الالوسي انه قد خفي كون ما كان فى الحديبية فتحا على بعض الصحابة حتى بينه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقد اخرج البيهقي عن عروة قال :

اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا ، فقال رجل من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: والله ما هذا بفتح ، لقد صددنا عن البيت ، وصد هدينا ...

وبلغ ذلك لرسول الله فقال : بئس الكلام هذا، بل هو اعظم الفتح ، لقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح عن بلادهم ، ويسالونكم القضية ، ويرغبون اليكم فى الامان ، وقد كرهوا منكم ما كرهوا، وقد اظفركم الله عليهم ، وردكم سالمين غانمين ومأجورين ، فهذا أعظم الفتح . أنسيتم يوم أحد ، اذ تصعدون ولا تلوون على احد ، وانا ادعوكم فى اخراجكم ؟ انسيتم يوم الاحزاب اذ جاؤوكم من فوقكم ، ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الابصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنون ؟.

وهنا قال المسلمون : صدق الله ورسوله ، هو اعظم الفتوح والله يا نبي الله، ما فكرنا فيما ذكرت، ولانت اعلم بالله وبالامور منا (5) .

وكذلك قال الامام ابن عبد البر : « ليس فى غزواته صلى الله عليه وسلم ما يعدل بدرا ، او يقرب منها ، الا غزوة الحديبية » (6) .

— ❊ —

وكان من خبر غزوة الحديبية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فيها معتمرا مع اصحابه ، وفيهم بطلنا ابو سنان وهب بن محصن الاسدي، وكان يريد بهذه الغزوة ان يدخل مكة ، ويطوف بالبيت الحرام لاقرار حق المسلمين فى ذلك ، ولعله كان يريد من وراء ذلك ايضا ان يجدد عهد المهاجرين بوطنهم مكة ، لكي يظلوا عازمين على العودة الى موطنهم فاتحين منتصرين .

ولكن المشركين رفضوا ذلك ، ووقفوا فى طريق موكب النور المؤمن، فارسل اليهم النبي عثمان ابن عفان، ليفاوضهم فاحتبسوه عندهم ، واشيع انهم قتلوه ، فأمر النبي مناديه بان ينادي فى الناس قائلا:

« الا ان روح القدس قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فامره بالبيعة ، فاخرجوا على

(2) ولوهب ايضا أخ اسمه « سنان بن محصن » .
(3) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج 3 ص 65
(4) الحديبية : قرية متوسطة ، ليست بالكبيرة ، سميت باسم بئر عند مسجد الشجرة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها اصحابه ، أو لشجرة حدباء كانت فى ذلك الموضع ، وبين الحديبية ومكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل (زاد المسير لابن الجوزي ، ج 7 ص 420 بالهامش) .
(5) تفسير الالوسي ، ج 26 ص 77 طبعة المنيرية.
(6) السيرة الحلبية ، ج 2 ص 142 .

اسم الله تعالى ، فبايعوه (7) » . فسارع الصحابة الى استجابة النداء .

واقبلوا على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وهو واقف تحت شجرة كبيرة (8) في هذا المكان، واخذوا يبايعونه (9) على عدم الفرار ، وعلى الثبات حتى الاستشهاد او الانتصار .

قال سلمة بن الاكوع : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت .

وقال جابر : بايعناه على ان لا نفر .

والخلاف لفظي ، لان الذي لا يفر في الجهاد يكون على اتم الاستعداد للاستشهاد .

وقد ذكر السهيلي انه قيل : بايعوه على ان لا يفروا ، ولم يبايعوه على الموت ، وقيل : بايعوه على الموت ، ثم قال : وكلا الحديثين صحيح ، لان بعضهم بايع على الا يفروا ولم يذكروا الموت ، وبعضهم قال: أبايعك على الموت (10) .

وشاءت الاقدار ان يكون اول من بايع هذه البيعة العظيمة الكريمة هو ابو سنان ، فقد اقبل قبل غيره على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له في صدق واخلاص : يا رسول الله ، ابسط يدك ابايعك .

فقال له النبي : على ماذا ؟ .

فأجابه ابو سنان : على ما في نفسك يا رسول الله .

فقال النبي : وما في نفسي ؟ .

فاجاب ابو سنان : الفتح او الشهادة !

فسر الرسول من ذلك ، وبسط يده فبايع بها ابا سنان (11) .

يا لروعة الموقف ، ويا لجلال هذا الحوار !..

انا لنرى في هذا التجاوب الباهر بين القائد والجندي، فهذا هو أبو سنان الجندي التابع، يسارع بالاستجابة لامر القائد المتبوع ، فيسال النبي ان يبسط يده ليبايعه دون ان يخصص ابو سنان الامر الذي يبايع عليه ، لانه على استعداد لمبايعة الرسول على اي امر مهما عظم ، وعلى اي وضع مهما صعب ، وعلى اي واجب مهما جل ، لان النبي لا يبايع الا على الحق والخير والواجب : « وما ينطق عن الهوى ، أن هو الا وحي يوحى » ، « من يطع الرسول فقد اطاع الله » .

والرسول القائد يريد ان يتأكد من سلامة التصور الموقف العصيب في عقل الجندي المخلص ، فيسأله : على اي شيء تبايع يا ابا سنان ؟..

وهنا يأتي الجواب البليغ الرشيد : على ما في نفسك يا رسول الله .

وكان ابا سنان يعرف تماما ما بنفس الرسول في مثل هذا الموقف ، وماذا يكون بنفس الرسول حينئذ سوى كلمة الحق ، وموقف الصدق ، ومنطق الجهاد حتى النصر او الاستشهاد ؟ ..

ويعود الرسول ليزيد الموقف ايضاحا وجلاء ، حتى يسير المجاهدون على بصيرة ، فيسال : وما في نفسي ؟.. فيأتي الجواب الطبيعي الناشيء من حسن الادراك لتبعات الموقف ، فيكون : الفتح او الشهادة !..

ليت المجاهدين من ابناء الاسلام في كل مكان يتعلمون – قادة وجنودا – من هذا الدرس البليغ الموحي بأن تكون علاقة القائد بالجندي قائمة على صلاح القائد وتمام صفات القيادة الرشيدة عنده ،

---

(7) تفسير الآلوسي ، ج 26 ص 97 .

(8) روي انها كانت شجرة طلح ، وهي السمرة ، وفي القاموس ان الطلح شجر عظام ، وفي كتب التفسير : الطلح شجر الموز .

(9) انظر كتابي « فدائيون في تاريخ الاسلام » ، ص 288 .

(10) الروض الانف ، ج 2 ص 235 .

(11) تهذيب الاسماء ، ج 2 ص 149 بالهامش ، ولقد حدث الشعبي بهذا الحديث رجلا من بني اسد، ثم قال للرجل مادحا قبيلته : «فكانت هذه لقومك»

وعلى حسن الاستعداد والطاعة المطلقة — ولا اقول العمياء — من الجندي المخلص لقائده الامين (12) .

— ✻ —

واقبل الصحابة من وراء ابي سنان يبايعون الرسول قائلين : نبايعك يا رسول الله على ما بايعك عليه ابو سنان . ويالها من وسام عظيم وشرف مجيد، ان يكون ابو سنان طليعة المبايعين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان ، تلك البيعة التي يقول عنها الحق تبارك وتعالى في سورة الفتح : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق ايديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه اجرا عظيما » .

وقد نستطيع ان نفهم جلال هذه « الاولية » حين نجد كتب السيرة تحرص على ذكرها وتعيين اسم صاحبها ، فابن هشام يقول : « اول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الاسدي » (13) .

ويقول النووي عن ابي سنان : « قيل انه اول من بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة ، ثم بايع الناس على بيعته » (14) .

ويقول ابن عبد البر : « اول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ابو سنان الاسدي » (15) .

ويقول ابن كثير : وكان اول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابو سنان وهو وهب ابن محصن ، اخو عكاشة بن محصن » (16) .

ويقول ابن جرير الطبري : « كان اول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني اسد يقال له ابو سنان » (17) .

ويقول السهيلي : « وقال موسى بن عقبة : اول من بايع ابو سنان واسمه وهب بن محصن اخي عكاشة ابن محصن ، وقال الواقدي : كان ابو سنان اسن من اخيه عكاشة بعشر سنين » (18) .

ارايت كيف حرص هؤلاء الرواة والمؤرخون — كما حرص كثير غيرهم — على ان يذكروا اسم ذلك المبايع « الاول » في بيعة الرضوان ؟ .

ان ذلك يدل على ان السبق هنا امتياز طيب ، ينبغي ان تنص عليه ، وان يفخر صاحبه به ، لانه سبق في مجال طاعة لله ، ومسارعة الى تحمل تبعة ينهض بها خيار الرجال ، وصلوات الله وسلامه على رسوله حينما راى ابا دجانة وهو يختال في مشيته بين المجاهدين ، لانه فاز بسيف رسول الله ، فقال له : « يا ابا دجانة ، انها مشية يكرهها الله الا في مثل هذا الموطن » ! ...

« وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » .

« والسابقون السابقون ، اولئك المقربون، في جنات النعيم ».

واكثر المؤرخين والمفسرين قد نصوا على ان ابا سنان هو الذي فاز بالاولية في هذا المقام المشهود، فلا يضيرنا كثيرا بعد ذلك ان نجد بعض المصادر تقول انه « سنان بن ابي سنان الاسدي » (19) .

---

(12) في رواية ان ابا سنان قال للرسول : ابايعك على ما في نفسك . فقال : وما في نفسي ؟ فاجاب ابو سنان : اضرب بسيفي بين يديك حتى يظهرك الله ، او اقتل (السيرة الحلبية ، ج 2 ص 142) .

(13) سيرة ابن هشام على هامش الروض الانف ، ج 2 ص 229 .

(14) تهذيب الاسماء ، ج 2 ص 149 .

(15) الدرر ، ص 206 .

(16) السيرة النبوية ، ج 3 ص 328 .

(17) تفسير ابن جرير الطبري ، ج 26 ص 86 .

(18) الروض الانف ، ج 2 ص 235 .

(19) انظر الروض الانف ، ج 2 ص 235 . والسيرة النبوية لابن كثير ، ج 3 ص 328 . والطبقات ، ج 3 ص 65 .

وبعض المصادر تقول ان اول من بايع فى الحديبية عبد الله بن عمر ، وقيل سلمة بن الاكوع (20) .

— * —

وقد سميت هذه البيعة بيعة الرضوان لان الله تبارك وتعالى تفضل بعظيم رضاه وجليل رضوانه على هؤلاء الرجال الابطال الذين يقلون عند الطمع ، ويكثرون عند الفزع ، والذين باعوا نفوسهم الكريمة العظيمة القويمة رخيصة لخالقها وبارئها جل جلاله، ولذلك قال القرآن الكريم فى سورة الفتح : « لقد رضى الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما فى قلوبهم ، فانزل السكينة عليهم ، واثابهم فتحا قريبا ، ومغانم كثيرة ياخذونها ، وكان الله عزيزا حكيما » .

ومن لطائف ما حدث ان عثمان رضي الله عنه حينما احتبسه المشركون عرضوا عليه ان يطوف حول الكعبة ان شاء ذلك ، وعثمان يشاء ذلك ويحبه ويحرص عليه ، ولكن قائده غير موجود وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف ياخذ لنفسه ما يرضيها ورسول الله بعيد غير موجود ؟ . ولذلك رفض عثمان وقال : ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحينما ظن بعض المسلمين ان عثمان انتهز الفرصة وطاف حول الكعبة وقالوا : قد خلص عثمان الى البيت ، فطاف به دوننا .

رد عليهم النبي قائلا : ما اظنه طاف بالبيت ونحن محصورون .

فقال البعض : وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص اليه ؟

فأجاب الرسول ذلك ظني به ، ان لا يطوف بالكعبة حتى نطوف ، لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف به حتى اطوف .

ولما رجع عثمان اخبروه بهذا الحوار ، فقال : بئسما ظننتم بي ، دعتني قريش الى ان اطوف بالبيت فابيت ، والذى نفسي بيده لو مكثت بها (يعني مكة) معتمرا سنة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ، ما طفت حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى تصرف عثمان يقول صاحب الهمزية :

وابى ان يطوف بالبيت ، اذ لم
يدن منه الى النبي فناء

فجزته عنها ببيعة رضوا
ن — يد من نبيه بيضاء

ادب عنده تضاعفت الاعما
ل بالترك ، حبذا الادباء

وصاحب الهمزية يريد ان يقول ان من العجيب ان ترك عمل الخير يكون سببا للثواب الكثير ، فعثمان قد ترك الطواف وهو مشروع ، ولكنه تركه لنية عظيمة قويمة ، ففاز على هذا الترك بأن كانت بيعته أعظم من غيرها ، لان الرسول بايع عن عثمان وهو غائب (21) .

وبيان ذلك ان الرسول اراد ان يعطي درسا فى تقدير المجاهدين العاملين : بان يحفظ حقهم وقدرهم ولو كانوا غائبين ، فعثمان غائب فى مكة ، ولم يحضر المبايعة بشخصه ، ولكن روحه وهواه مع رسوله ، ولو كان حاضرا ما تأخر عن المسارعة الى البيعة ، وهو غائب فى عمل يتصل بالجهاد والدعوة ، فمن حقه — اذن — فى تقدير الرسول النبيل ان يعد حاضرا ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ان عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسوله ، فانا ابايع عنه » .

ثم وضع الرسول يده اليمنى فى يده اليسرى، وقال : « اللهم ان هذه عن عثمان، فانه فى حاجتك وحاجة رسولك » !..

وهكذا يكون تكريم المجاهدين ، وتقدير المناضلين ! ...

---

(20) السيرة الحلبية ، ج 2 ص 142 . واقرا السيرة البطولية لسلمة بن الاكوع فى كتاب « فدائيون فى تاريخ الاسلام » من صفحة 288 الى ص 298 .

(21) انظر السيرة الحلبية ، ج 2 ص 141 .

لقد رفع الرسول من مكانة هؤلاء الاخيار الاطهار الابرار الذين بايعوه بيعة الثبات والجهاد حتى الاستشهاد ، فقال لهم : « انتم خير اهل الارض » . ثم اخبر عنهم بانهم يدخلون الجنة ، فقال : « لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة » . وقال ايضا : « يا ايها الناس ، ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية » (22) .

وروى البخاري ان عبدا لحاطب جاء يشكوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ليدخلن حاطب النار . فرد عليه الرسول قائلا : كذبت، لا يدخلها ، شهد بدرا والحديبية » .

وروي ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل احد النار ان شاء الله من أصحاب الشجرة التي بايعوا تحتها .

فقالت حفصة كالمعترضة : بلى يا رسول الله (اي يدخلونها) .

فانتهرها النبي ، فارادت ان تستفهم ، فتلت قول الله تعالى في سورة مريم : « وان منكم الا واردها، كان على ربك حتما مقضيا » .

فارشدها الرسول الى الجواب بأن تلا قوله تعالى عقب ذلك مباشرة : « ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » . اي باركين على الركب من شدة الهول وقسوة العقاب .

ويا عجبا كل العجب ، ان الغزوة الفاصلة الحاسمة التي احتاجت الى بيعة على الثبات حتى الموت من الف واربعمائة صحابي بايعوا حينئذ (23)، لم يحدث فيها قتال ، ولم تسل فيها دماء ، بل ادت الى نصر كبير وفتح عظيم ، واستحقت ان ينزل فيها قول الله تبارك وتعالى : « انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا » (24) .

وعاش ابو سنان وهب بن محصن الاسدي ، مجاهدا مناضلا ، وفيا تقيا ، حتى لحق بربه عند حصار المسلمين لبني قريظة (25)، رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

احمد الشرباصي

---

(22) قال العلماء ان الواو هنا بمعنى او .

(23) هذا هو المشهور الاصح ، وقد روى الالوسي في تفسيره عدة روايات في عدد المبايعين ، ثم حاول الجمع بين الروايات بانها بناء على عد الجميع ، او ترك الاصاغر والاتباع والاوساط ، او نحو ذلك (تفسير الالوسي ج 26 ص 97) .

(24) ذكر كثير من المفسرين ان المراد بالفتح هنا هو ما كان في الحديبية .

(25) في الدرر : « مات في الحصار الذى كان في بني قريظة ، ودفنه الرسول صلى الله عليه وسلم في مقبرة بني قريظة » ص 194 . وانظر الروض الانف ، ج 2 ص 235 . والطبقات لابن سعد ، ج 3 ص 65 .



الاسلام كرسالة سماوية اقيم على دعائم ثابتة ، وركائز قوية ، من الدعوة الى الاخاء والعمل على نشر الوئام بين الناس ، وقد سلك منهجا فريدا في رسم الطريق للنهوض بالافراد والجماعات . وكان سلوكه ازاء ذلك عن حكمة في دعم اواصر الاخوة والصلات الانسانية ، فكانت دعوة الاسلام ثورة كبرى لتحرير الانسانية من كل فساد وظلم ، وتحطيم القيود التي تفرق بين الناس بالجاه والتفاخر بالتكاثر بالاموال . وكانت هذه الثورة السماوية بمثابة النداء الصارخ لتكافل اجتماعي شامل في كل نواحي الحياة ودعوة الى اخوة متعاونة تسوي بين الناس في الحقوق والواجبات على أساس من الحب والايثار . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » . ويقول : « الناس سواسية كاسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » .

والاسلام رسالة مقدسة يحث على العمل ، ويحارب البطالة ، ويفرض الوانا من المعاملات التي يشترك فيها الاغنياء والفقراء في ميدان العمل ، وتتاح فيها للفقراء فرصة استغلال مواهبهم ، فاذا عجز الانسان عن العمل ، فهناك الوان من المساعدات الاجتماعية التي تؤمنه على حياته ، كالزكاة والصدقة والاحسان ، وكالملاجىء العامة التي تفتح للعجزة والمساكين واليتامى . وقرر القرآن الكريم حق الفقراء في اموال الاغنياء : « والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » . كما حث الرسول الاعظم صلوات الله عليه على وجوه الخير والبر والاحسان والتضامن الاجتماعي : « الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه » . « المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا » « مثل المومنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

فتعاليم الاسلام تهدف الى تحقيق الصالح العام واعداد الفرد الى تكافل اجتماعي في جميع نواحي الدعوة ، فالفرد في المجتمع الاسلامي جزء من كل : الفرد مسؤول عن الجماعة ، والجماعة مسؤولة عن الفرد ، وهذا التقابل بين الفرد والجماعة هو اول وسائل التكافل الاجتماعي في الاسلام واساس مقاومة الآفات الاجتماعية . والتكافل الاجتماعي في الاسلام يجعل كفالة الحق في ضمير الفرد ، وضمير الجماعة ، ولذا فان الاسلام يضع التضامن الانساني في منزلة رفيعة ، تبدأ صورة هذا التضامن منذ ان يخلق الانسان بين ابوين فيلتزمان برعايته وتكوينه ، وينشأ هو على برهما وحبهما ثم يحسن اليهما في كبره ، وكذلك الاقارب لهم حق البر بعضهم على بعض ، ومثل ذلك الجار مع الجار والصديق مع الصديق .

وقد كان الاسلام أول دين اهتم بالاسرة البشرية ، والتفت الى العرى الاجتماعية ، ودعا الى رعاية المحتاج وعلاج المريض واغاثة الملهوف ، واعتبر هذه التكاليف التي يقوم بها المتدينون من المومنين رياضة يقومون بها لتهذيب نفوسهم وتوجيه شعورهم ليكون ذلك بمثابة

الاعداد الصحيح الذي يساعد على أن يكون الفرد لبنة كريمة في بيئة صالحة يكون شأنها البناء والنهوض والإقدام ، لا الهدم والركود والتخلف .

والاسلام لا يحب الأنانية ولا يرضى لذويه أن يجعلوها ديدنهم وسجيتهم . وفي سبيل ذلك يعود المرء أن يكون انسانيا في عمله ، أو نية يضمرها ، ويعلن اليه دائما ان افضل بر يقدمه او معروف يبذله هو هذا الذي يعود على الجماعة وتؤول فائدته الى الامة .

وقد تمثلت هاته المعاني السامية في شعور المسلمين بالمحبة والسلام الى درجة الايثار ، اذ غرس النبي صلى الله عليه وسلم معنى التعاون والتضامن في نفوس اصحابه حتى تجاذب الانصار من سكان المدينة ـ الذين كانوا يقيمون في اموالهم واهليهم واولادهم ـ اخوانهم المهاجرين الفقراء الذين جردوا من اموالهم واخرجوا من اوطانهم ، فكان كل واحد من الانصار يحاول ان يسبق غيره في مديد المعونة لاخيه المهاجر حتى وصل بهم ذلك التسابق في الخير الى شيء من التشاحن .

وقد حدث قحط في عهد سيدنا ابي بكر ، وكان أن قدمت لسيدنا عثمان الف راحلة برا وطعما ، فجاءه التجار ليشتروا ما عنده ثم يبيعونه على الناس ، فقال: كم تربحونني ؟ قالوا : العشرة اثني عشر ، قال : لقد زادوني ، فقالوا : العشرة خمسة عشر ، قال : لقد زادوني ، قالوا : من زادك ونحن تجار المدينة ؟ قال: لقد زادني الله لكل درهم عشرة ، وتلا قوله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » . واشهدهم رضي الله عنه على أنها كلها صدقة على فقراء المدينة . وقد حدث في عهد سيدنا عمر قحط ايضا لأهل الحجاز فارسل الى ولاته بالانصار ليعينوه في تلك الضائقة فتسابقت الاقطار الاسلامية في الاستجابة اليه . وقد اهديت لعبادة بن الصامت هدية ومعه في الدار اثنا عشر من اهل بيته فقال ، اذهبوا بهذه الهدية الى آل فلان فهما احوج اليها منا ، فذهب بها الوليد بن عبادة، فكان كلما جاء أهل بيت قالوا : اذهب بها الى آل فلان فهم احوج منا اليها حتى رجعت الهدية الى عبادة .

كان هذا من جماعة المسلمين ، مظهرا واضحا من مظاهر التعاون الاسلامي والتضامن الانساني ، ولهذا تغلبوا على ما صادفهم من أزمات وضائقات ، وحل الرخاء محل الجدب بفضل ذلك التعاون وذلك الايثار .

نعم ان من ابرز الحقوق التي يحث عليها الاسلام ان تكون في حاجة اخيك اذا احتاج اليك ، وأن تفرج عنه الكرب اذا وقع فيه ، وأن تيسر عليه اذا كان في عسر ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة » . ويقول صلوات الله عليه : « ايما اهل بقعة اصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله » . ومن هذا الحديث استنبط الفقهاء حكمهم من ان كل اهل قرية او مدينة يجب عليهم الا يهملوا امر الفقراء وان يستوفوا لهم ما يحتاجون اليه من شؤون العيش من مطعم وملبس ومسكن ، واذا قصروا في هذا وجب على ولي الامر بحكم الشرع ان يجبرهم على ذلك فيجمع منهم المال اللازم من كل بحسب طاقته . يقول الامام ابن حزم في ذلك في كتابه المحلى : « وفرض على الاغنياء من اهل كل بلد ان يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الزكوات بهم ولا في سائر اموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما ياكلون من القوت الذي لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة » . وروي بالسند الصحيح : « من لا يرحم لا يرحمه الله » . ثم يقول : « ومن كان على فضله ورأى المسلم اخاه جائعا عريانا ضائعا فلم يغثه فما رحمه» ويروى ايضا بالسند الصحيح عن عبد الرحمان بن ابي بكر الصديق: «ان اصحاب الصفة كانوا اناسا فقراء ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن عنده طعام اربعة فليذهب بخامس او سادس » . ويروى كذلك : « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» ثم يقول ابن حزم : « ومن تركه يعرى ويجوع وهو قادر على اطعامه وكسوته فقد اسلمه » . والنصوص من القرآن والاحاديث كثيرة جدا . وينقل عن سيدنا علي ابن ابي طالب بسنده: «ان الله تعالى فرض على الاغنياء في اموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم ، فان جاعوا أو عروا وجهدوا فيمنع الاغنياء وحق على الله تعالى ان يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه» . وعن ابن عمر : «في حقك مال سوى الزكاة » . وعن عائشة والحسن ابن علي وابن عمر انهم قالوا كلهم لمن سألهم : « ان كنت تسأل في دم موجع ، او غرم مفظع ، أو فقر مدقع ، فقد وجب حقك » . وصح عن ابي عبيدة وعدد كبير من الصحابة ان اجتمعوا فأمرهم ابو عبيدة فجمعوا أزوادهم في

مزودين وجعل يقوتهم اياها على السواء فهذا اجماع مقطوع به من الصحابة رضي الله عنهم لا مخالف لهم منهم .

فالدين الاسلامي قد وضع قواعد اصيلة لتكافل اجتماعي سليم لا غل فيه ولا حسد ، تناول ذلك في كل نواحي الحياة دون توقف عند التكافل في المال فقط كما هو الشان في النظم والمذاهب الحديثة التي تصطبغ بصبغة المادية ، وكثيرا ما تتجرد عن هذه المعاني الانسانية الخصيبة الندية ، ولكن الاسلام تناول التكافل الاجتماعي في كل النواحي والصلات : تكافل في الصلات الروحية والامور الخلقية ، وتكافل في الصلات المالية ومسائل المعاملات ، وكانت الاولى طريقا للثانية ، ولذا كان التكافل فيه مبعثه الوازع والضمير وابتغاء فضل الله في دار البقاء ، وكانت دعوته في هذا واضحة كل الوضوح : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك » .

وبهذا نطمئن الى ان هذا الدين لم تكن تكاليفه عبادة متبعة ولا أوامر ملتزمة ، بمقدار ما كانت تربيته اجتماعية رشيدة ، وتهذيبا انسانيا صحيحا ، وتنمية لروح الخير عند الناس لتصبح الاخوة الكاملة ، والرافة الشاملة والرحمة العامة هي القوانين السائدة وبذلك يشعر المسلم اذا اصابه الجوع أو العرى او المرض ان على كتفه يدا تربت عليه وتقدم له أنواع المعونات من غير ان تشعره انها صدقة مال ، او زكاة جاه ، وانما هو واجب الاسلام واحكام الشريعة قضى الله ان تؤديها من غير ملل ولا ضجر .

فهل بعد هذا نظام اكمل للضمان والتامين والتكافل الاجتماعي من هذا النظام ؟ ان الغرب في القرن العشرين لم يأت بجديد ، وما يتحدث به اصحابه عن التكافل الاجتماعي فهم انما يتحدثون عنه من جوانبه التي تتصل بالمطالب المعيشية التي تتصل بالفآت المحرومة من الغذاء والمسكن وما اليها . . . بيد ان الاسلام لم يكتف بتقرير هذه الحقيقة وحدها ـ منذ اربعة عشر قرنا ـ ولكنه قرر قبلها لكل مواطن حقوقا لا تتم كرامة الانسان وسعادته الا بها وهي فقط الدين ، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل ، ولاجلها فعل التشريع الحكيم لصونها، والقوانين لاحترامها . فأصول حضارة الغرب مأخوذة من مبادىء الاسلام وشريعته الخالدة واعمال خلفائه ومآثرهم في العدل ومعاملة الرعية .

الرباط : العربي القساسي





قد اعجبت اعجابا كبيرا وايقنت جازما ان الخير فى امة من قول وقوله الصدق « الخير في وفي امتي الى يوم القيامة » طالما وجد فى هذا العالم وفى هذا العصر بالذات من يدعون الى الحق ويقومون عليه . ذلك ان «دعوة الحق» قد انتدبت نفسها وانتدبها واقع امتها فيما قصى من الارض وما دنى ، ومصير هذه الامة للدفاع عن عقيدة الاسلام وعن الدين الحنيف الذي اصبح الماسك عليه . كالماسك على الجمر .

فقد صار الاسلام فى بلاد المسلمين غريبا فى هذا العصر الذي انطمست فيه معالم الايمان وطغت فيه روح المادية واتسع فيه نشاط الملاحدة فكثر الواترون على الاسلام الذي كان سبب اخراجهم ومن فى الارض جميعا من ظلمات الجهل الى نور المعرفة ومن حيرة الشك الى نور اليقين واطمئنانه . ومع ذلك فقد قل فيه ناصروا هذا الدين واصبح المتدين والمدافع عن الدين من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمؤمنين بالله رجعيين ومحل سخرية واذاية واستهزاء تماما كما بدأ الدين اول مرة ، ولعل اهم مظاهر غرابته فى دياره تتجلى فى نفوس الشباب المتخاذلة نفوسهم المنتسبين للاسلام انتسابا والمحسوبين عليه فى العالم الاسلامي . اولئك الذين يشكلون معاول هدم استخدمها وما زال يستخدمها اعداء الاسلام ضده لما اعيتهم الحيل فى محاولات النيل منه مباشرة لان الله تعالى وعد بحفظه فوقاه شر كيدهم . وفى ذلك يقول شاتليي (Chatulié) احد المستشرقين الذي حارب الاسلام بالفكر والقلم والكلمة والمحاضرة والكتاب يقول فى كتابه « غزو العالم الاسلامي » — لم يبق الا ان نستخدم ضد الاسلام الذي استعصى علينا النيل منه باي طريقة من الطرق .. لم يبق الا ان نستخدم ضده عناصر من المسلمين ولو لم نجد منهم الا السذج البله لكفانا ذلك لان الشجرة يجب ان يقطعها احد اغصانها —

وهكذا عملوا على تهيئة اطارات من شباب الامة الاسلامية فاصبحت (طوابير خامسة) تسدد طعناتها الخلفية وتعمل على عرقلة هذا الدين ومن بين هذه الاطارات التي اصبحت ابواق دعاية ضد الاسلام زكي ابو شادي الذي عمد الى تحريف الاحكام القرانية وقلب الحقائق فى مبادىء الاسلام ورمى القرآن بالتحريف وساير من يدعي انه كلام جاء به محمد لا وحي فيه ولا الهام واودع هذه الاراء فى كتابه الذي اسماه (ثورة الاسلام) لغاية الوصول الى اغراض مادية بحتة ورخيصة بعد ان هاجر الى امريكا وانضم الى جمعية اصدقاء الشرق الاوسط الامريكية وحضر عدة مؤتمرات للمستشرقين والمبشرين وتعهد فيها بعدة ماموريات ونشر كتابه فى لبنان بواسطة دار الحياة .

ووصلت الى نسخة من هذا الكتاب فى شهر افريل 1969 — على ان الكتاب لا يعرف بالضبط تاريخ نشره لخلوه من اي تاريخ . — قلت وصلت الى نسخة منه فاطلعت عليها .. ودرستها دراسة دقيقة فرايت من واجبي كمسلم ان اتصدى للرد عليه ودحض مزاعمه وتفنيد ادعاءاته مستعملا فى ذلك الحجج العقلية

المطرزة بآيات قرآنية واحاديث نبوية فعددت لذلك دراسة طويلة تحت عنوان « وزهق الباطل » .

— ◆ —

اتضحت النوايا وانكشفت فاذا الماكرون ينقضون عرى الاسلام عروة عروة واذا هم يقلبون الاحكام القرآنية يقول ابو شادي فى الصفحة 24 من كتابه (ان روح الاسلام تسمح بان تكون المراة قوامة على الرجل) وهو قلب مقصود لحكم الآية الكريمة فى قوله تعالى : (الرجال قوامون على النساء) .

ان الرجال في كل مكان وفي كل زمان قوامون على النساء وان صارت المرأة اليوم تتعاطى اعمال الرجال لكن الرجل دوما هو الذي يشق لها الطريق ويسبقها لكل ميدان وفن ولناخذ لذلك مثلا من واقع عصرنا وحياتنا اليومية فرواد الفضاء مثلا لم تكن منهم امراة وسوف لن تكون منهم امراة حتى تستقر التجارب وتنتهي ويصير سفر الانسان الى الفضاء مضمونا في ذهابه وايابه بقدر ما يسمح به العلم وفي نطاق امكانياته ورب متعرض يقول ان رائدة فضائية سوفياتية كانت قد عبرت الفضاء فى تجربة علمية لكن ذلك كان بعد عديد التجارب التي اجراها رواد رجال ثم لم تتكرر تجربة من هذا النوع قامت بها امراة مما يدل على صحة الحكم القرآني وانطباقه على كل زمان ومكان وبالتالي على صلاحية الا محدودة بالظروف الزمانية والمكانية ويستمر ابو شادي فى نفاقه وقلبه للحقائق فيقول بالصفحة 25 (وهل بنا من حاجة لان نقول لاي مسلم ان الحضارة العلمية التي تتسم بها حضارة القرن العشرين هي وليدة تعاليم الاسلام ومبادئه وان الاسلام نفسه لا يمكن له ان ينكر ابوتها خاصة وقد طورت هذه الحضارة تلك التعاليم والمبادىء وان الاسلام استفاد منها) الاتعسا للماكرين الدهاة ان حضارة القرن العشرين لم تكن وليدة الاسلام الا من حيث التقنية ومن حيث الروح العلمي الذي طبع به هذه الحضارة فتاثرت به لكن كيد الماكرين والمنافقين ابى الا ان يكيف هذا التاثر فيجعله عكسيا اما ما زاد على ذلك من الاباحة والتحلل والمجون فحاشا للاسلام وحضارة الاسلام من التشبه بها والانتساب اليها او حتى مجرد المقارنة معها لان الاسلام دين يعطي ولا ياخذ ويؤثر ولا يتاثر ولان حضارة الاسلام تعتمد على اسس واضحة جلية جملتها الفضائل كلها التي تسامت فى عليائها فقصرت عنها الحضارة الغربية ولم تستطع ان ترقى اليها او تدنو منها وان كانت حضارة الاسلام كالشمس تعم اشعتها الكون ولا يضرها عمى من لم يرها وبقيت بذلك حضارة القرن العشرين متعفرة باوحال جملتها الرذائل كلها ما عرف منها وما لم يعرف على ان الاسلام دين تتفاعل مبادئه وتعاليمه مع كل الضمائر الحية والعقول النيرة التي استوعبتها ، وانى لدعاة الباطل مثل هاتيك العقول والضمائر ؟

ان مصيبة العالم بدأت يوم بدات حضارة القرن العشرين بشعبها ومنذ ان صار العالم يتقلب فى فلسفات شتى منها المتناقض مع نفسه ومنها المتعارض مع بعضه ومنها المتناقض مع غيره من المذاهب الاخرى ومنها ما ينكر وجود الله اصلا ومنها ما يسيء معرفة الله منذ ان صار العالم اسير هذه التقلبات اصبح الناس اسراء لنزواتهم واهوائهم يرتعون كما ترتع الانعام بل هم اضل سبيلا وكثرت الجرائم وكثر محترفوها واهم سبب لذلك هو الانحلال الخلقي والتفسخ الديني الذي لقن لشباب الامة الاسلامية بواسطة رجالات التعليم فيها ومؤسساتها اولئك الذين صاروا ابواق دعاية لمدنية احلت الحرام وحرمت الحلال ولا ادل على ذلك مما قاله شاتليي فى كتابه غزو العالم الاسلامي لكي نسود المسلمين ونتحكم فيهم ونوجههم الوجهة التي نريد ونتحكم فى مصائرهم يجب ان نميت فيهم روح الفضيلة وبالتالي يجب ان نقتل فى نفوسهم ما وقر فيها من مبادىء دينهم) .

لقد اعيتهم الحيل فى محاولات النيل من هذا البناء المتماسك الذي تحدى وسيبقى يتحدى جميع المعاول الهدامة .

غير ان هذه الحضارة استطاعت بواسطة الاطارات التي هياها باعثوها من المسلمين انفسهم فى مدارس اوربا وامريكا وبواسطة البرامج التعليمية التي ادخلت الى البلاد الاسلامية وفق مناهج وسياسات ماكرة وعداوات فاجرة استطاعت ان تفشي فى شباب الامة الاسلامية روح الرذائل واغتنم الملاحدة والمحسوبون على الاسلام نجاحهم فى صرف هذا الجيل من المسلمين عن دينه وجعلوه يؤدي لهم خدمات اقل ما يقال فيها التنفير من الاسلام وتشجيع الخلافات بين المسلمين وحفروا بذلك فجوات عميقة واقاموا . . . سدودا عالية فرقوا بها بين المسلمين وعزلهم عن دينهم الذي يعتقدون انه سبب تقلبهم لما فيه من حيوية وسمو يقول برناردشو (لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار السامي بسبب حيويته المدهشة فهو الدين الوحيد الذي حاز اهلية الهضم لاطوار الحياة المختلفة

بحيث يستطيع ان يكون جذابا لكل جيل من الناس انه دين يعطي ولا ياخذ) .

هذه شهادة فيلسوف مسيحي في الاسلام بعد دراسة طويلة وعميقة .

نعم يا ابا شادي ان الاسلام دين يعطي ولا ياخذ لكن ما ذهب اليه من تلفيق الشبه وجمع الحيل خاصة وقد تكاثر الواترون من انصارك . قلت ان ما ذهبت اليه باعانة بعض الجمعيات والمؤسسات والمنظمات ... والحكومات والدول يمكن ان يصد الجماهير عن الايمان ويغلق ابصارهم بحيل وخدع سيما وقد قل في البلاد الاسلامية وانحسر التعليم الديني والتاريخ الاسلامي النقي من الشوائب ولعل انحسار التعليم الديني ترتب عن الدعوة التي ما فتئنا نسمع ترددها وقد تعرض ابو شادي في كتابه تلك هي القول بوجود اشياء تغني عن الدين كالرياضات البدنية المتنوعة .

ومرت على العالم عصور متتالية ليس فيها عصر واحد جفت فيه ينابيع الايمان وخفت فيه حاجة الانسان الى الدين كعصرنا هذا عصر حضارة القرن العشرين التي يدافع عنها ابو شادي ويجعل منها عنصر تاثير في الدين والحضارة الاسلاميين فيدعو للتمسك بها ليزيد انتشارها وتعمر اكثر من الحضارات السابقة بل ولتنصير فيها الحضارة الاسلامية ولست اشك في ان ابا شادي على جانب من الذكاء وكل دعي وكذاب محتال وكل محتال له نصيب من الذكاء كما له نصيب اكبر من المكر والخبث .

والدهاء والذكاء اذا اجتمعا مع الخبث كانا سلاحا فتاكا واداة هدم ناشطة ولست اعيب عليه ذكاءه ولا اعتقد ان احدا يعيبه لكن العيب في خبث النفوس اللئيمة التي تستخدم ذلك السلاح لاغراض اردى واخبث واني لاحترم العقل البشري والضمير الانساني اليقظ ان كانت النزاهة العلمية هي الاساس وهي الغاية والوسيلة لعمل كل من العقل والضمير البشريين غير ان احترامي هذا لا يجعلهما يبلغان عندي درجة الاستغناء عن وحي السماء بما في ذلك الوحي من كلام الله وتعاليم الدين وحديث رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما ادعى ذلك ابو شادي الذي يرى في الالحاد فلسفة وتفكيرا حسنا فيقول : (لا يوجد التفكير الصحيح الا مع الالحاد لما فيه من حرية وعدم تقيد بالدين) ثم يعترف في صراحة ساذجة فيقول (ولا يوجد الالحاد الا في الحضارة الامريكية والاوروبية بذلك كانت هذه الحضارة ينبوع التفكير السليم والفلسفة العقلية الصحيحة) هكذا وبكل بساطة ومن حيث اراد ان يظهر مزية الحضارة الغربية بعدم تقيدها بالحدود الدينية وابراز ما فيها من حرية فيناقض نفسه حين اراد ان يبرهن بطريق العقل على ان الحضارة الغربية والامريكية هي اصل التحرر العقلي فاخزاه الله اذ اوقعه في تناقض وخانه ذكاؤه فوقع في هذا الاعتراف .

ان الاسلام بناء متماسك لا تناقض فيه وحاجة العالم اليوم الى الاسلام هي حاجته الى كل علم صحيح وحاجته الى معرفة نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم لدرس سيرته دراسة موضوعية نزيهة هي حاجته الى معرفة النور ، ولقد درس برناردشو سيرة محمد وخرج على العالم بنتيجة حتمية لا بد لمن كان مثله ان يحصل عليها تلك هي الملخصة في قوله (لقد تبينت أن دين محمد سيكون مقبولا لدى اوربا في الغد القريب وقد بدا كونه مقبولا لديها اليوم في الوقت الحاضر كثيرون من ابناء قومي ومن اهل اوربا وجميع القارات التي على وجه الارض ومن سكان هذا الكوكب من اصحاب العقول النيرة دخلوا دين محمد حتى ليمكن ان يقال ان تحول اوربا الى الاسلام قد بدا وفي القرن التالي ربما ذهبت اوربا الى ابعد من ذلك في حل مشاكلها بالاسلام لما فيه من ديمقراطية وسلام) . فماذا يساوي ابو شادي هذا في علمه وتفكيره وعقله امام بارناردشو ؟ ..

اعتقد انه لا يساوي في كل ذلك ذرة واحدة من امكانيات هذا العقل الجبار والمعروف باسم شو وانه لمن المحزن ان يساء الى الحق بطريق الحق نفسه وان يتخذ الحق كجسر للوصول عبره الى غايات فاسدة باطلة لكن الله يهدي من يشاء .

تونس ـ محمد علي كيوة



في هذه الفترة العصيبة التي تمر بها الامة العربية وما تواجهه من تحد صهيوني استعماري ووقوفها بكل قوة في وجه هذا التحدي صامدة مصممة على النصر ... في هذه الفترة يجب ان نسترجع ذكرى ابطالنا الذين وقفوا اثناء المحنة صامدين حتى انتصروا ...

ومن اجدر باسترجاع ذكراه في هذه الايام من السيدة زينب بنت علي بن ابي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ... زينب بنت السيدة فاطمة الزهراء البتول بنت المصطفى صلى الله عليه وسلم ... لقد كان لموقف البطولة والصمود الذى وقفته السيدة زينب رضي الله عنها في موقعة كربلاء اكبر الاثر في المحافظة على نسل الحسين رضي الله عنه بدفاعها عن ابنه علي زين العابدين ومنعه من اعدائه فلم يستطيعوا قتله .

مولـــدها :

ولدت رضي الله عنها سنة خمس من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم « زينب » وتولى ابوها وجدها تربيتها وتنشئتها حتى بلغت سن التمييز فظهرت عليها علامات النبوغ فعلمها علي كرم الله وجهه واحسن تعليمها وادبها فأحسن أدبها فنشأت متفقهة في دين الله .. تحفظ القرآن الكريم وتروي احاديث جدها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكانت رضي الله عنها آية في العلم والدين وحسن الخلق وروى عنها ابن عباس كثيرا من الاحاديث النبوية الشريفة ..

زواجهـــا :

لما بلغت سن الزواج تقدم لها الكثير من اشراف قريش ولكن اباها رفض تزويجها لهم حتى تقدم لها من هو كفء وهو ابن عمها عبد الله بن جعفر فولدت له محمدا ويكنى جعفر الاكبر ، وعونا الاكبر ، وعليا الاكبر ، وام كلثوم ، وام عبد الله .

صفـــاتهـــا :

كانت السيدة زينب رضي الله عنها رقيقة القلب سريعة الدمع شديدة الخوف من الله تصوم النهار وتقوم الليل .. وكانت دائما تناجي الله وتدعوه سبحانه في خشوع وخضوع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا من لبس العز وتردى به ، وتعطف بالمجد وتحلى به أسالك بمعاقد العز من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك الاعظم وكلماتك التامات المباركات أن تصلي على محمد وعلى آل محمد الطيبين الطاهرين ، وان تجمع لي خيري الدنيا والآخرة برحمتك يا ارحم الراحمين ».

صمودهـــا في موقعـــة كربـــلاء :

لما ارسل اهل العراق الى الامام الحسين بن علي رضي الله عنهما يدعونه للقدوم للعراق ليتولى الخلافة ، ووعدوه بالنصر على اعدائه حيث يجدونه احق بالخلافة من يزيد بن معاوية الذى تولى الخلافة بعد موت أبيه الذى اخذ له بيعة المسلمين عنوة قبل وفاته ...

ولما تأكد الحسين رضي الله عنه من كثرة انصاره بالعراق تحرك في عدد قليل من اقاربه واصحابه ، وكان من بين آل البيت الذين رافقوه شقيقته السيدة زينب بنت علي رضي الله عنهم اجمعين . وخوفا من ان يخذل اهل الكوفة الامام الحسين حاول كثير من اقاربه واصحابه رضي الله عنهم ان يثنوه عن عزمه وان يمنعوه من السفر الى العراق ، منهم : عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وابو سعيد الخدري يقول له ابن عباس : يا ابن عم انه قد ارجف الناس انك سائر الى العراق فبين لي ما انت صانع ... فيجيبه الامام الحسين : اني قد اجمعت المسير في احد يومي هذين ان شاء الله تعالى .. فيقول ابن عباس : ان كانوا قد دعوك اليهم بعد ان عزلوا اميرهم ، ونفوا عدوهم ووطأوا اكتاف بلادهم فسر اليهم ... وان لم يكونوا فعلوا فانهم اذن يدعونك لفتنة وقتال . وان اهل الكوفة لا عهد لهم واني اخشى عليك الهلاك اقم بهذا البلد حيث انت ، وان كنت لابد خارجا فاذهب الى اليمن فان به حصونا وشعابا ولابيك به شيعة .

فيرد الحسين قائلا : يا ابن عم .. اني لاعلم انك ناصح مشفق ولكني قد عزمت على المسير فيقول ابن عباس لولا ان يزري الناس بي وبك لتشبثت يدي في راسك فلا ادعك تذهب .. ولكن اذا كنت لابد سائرا فلا تسر باولادك فاني اخشى ان تقتل وهم ينظرون اليك كما قتل عثمان .

ولم يستطع احد ان يمنعه من الخروج من مكة الى العراق ، وبالرغم من وصول انباء غير سارة اليه وهو في الطريق وعلمه بمقتل رسوله وابن عمه مسلم بن عقيل الذى ارسله الى اهل الكوفة يدعوهم لنصرة الحسين ويتلمس مدى صدق دعوتهم له .. رغم كل ذلك سار الامام الحسين واهل بيته الطيبين الطاهرين الى العراق حتى وصلوا الى مشارفه فوجدوا خيلا كثيرا بقيادة الحر بن يزيد منعوهم من التقدم صوب الكوفة او العودة من حيث اتوا حتى ياتي امر ابن زياد والي الكوفة ، وجاء كتاب ابن زياد يقول للحر بن يزيد : اما بعد : فشدد على الحسين في المكان الذى يوافيك عنده كتابي ، ولا تنزله الا بالعراء ، في غير حصن وعلى غير ماء ، وقد امرت رسولي الا يفارقك حتى ياتيني بانفاذ امري والسلام .

وتلا الحر الكتاب ثم ناوله الحسين فتلاه ، ونفذ الحر طلب والي الكوفه فمنع الحسين ومن معه من الوصول الى الماء وحاصرهم في مكان مقفر موحش حيث نزل فيه الركب وهو كربلاء .

وارسل ابن زياد جيشا من اربعة الاف مقاتل بقيادة عمر بن سعد لقتال بضعة وسبعين بطلا مع الامام الحسين رضي الله عنه ... وعسكر جيش عمر بن سعد بالقرب من معسكر الحسين وبعث اليه يسأله عن سر قدومه فاخبره الحسين انه قدم بطلب اهل الكوفة ولما علم نكوصهم بعهدهم اراد العودة من حيث اتى فمنعه الحر بن يزيد فارسل قائد الجيش بذلك لابن زياد فطلب منه ان يعرض على الحسين مبايعة يزيد فابى وقال لا أجيب ابن زياد الى ذلك ابدا وان يكن الموت فمرحبا به ..!!!

وشدد ابن زياد على قائده وطلب منه قتال الحسين . وعندما أوشكت المعركة ان تنشب جمع الحسين اتباعه واصحابه في الليل وقال لهم بعد ان حمد الله واثنى عليه اما بعد : فاني لا أعرف أصحابا خيرا من اصحابي ولا اهل بيت ابر واوصل من اهل بيتي فجزاكم الله خيرا ، فقد بررتم واعنتم وانكم تعلمون ان القوم لا يريدون غيري وان يومي معهم غد .. واني قد اذنت لكم جميعا فانطلقوا في غير حرج ليس عليكم مني ذمام .. هذا هو الليل قد غشيكم فانطلقوا في سواده قبل ان يطلع النهار وانجوا بانفسكم ..

هذا الموقف الانساني النبيل من الامام الحسين رضي الله عنه قوبل بموقف آخر لا يقل عنه نبلا .. فعندما وجد ان المعركة خاسرة اراد الا يضحي بارواح اصحابه وان يقدم نفسه وحده فداء لعقيدته ودينه، ولكن اصحابه صمموا على الوقوف بجانبه وهم يعلمون انهم ملاقون الموت لا محالة .. رجال يطلبون الشهادة التى وعدهم الله بها ..

وقبيل بدء المعركة تقدم الحر بن يزيد الذى كان على رأس العصابة التى اوقفت الحسين اول الامر الى الامام الحسين يطلب التوبة لما فعل وينضم الى صفوفه مدافعا عنه حتى الموت ودارت معركة رهيبة غير متكافئة بين قوى البغي والعدوان والقلة المؤمنة الصامدة مع الامام الحسين فسقط من جيش ابن زياد كثير من القتلى ولكن تكاثر الرماة على اصحاب الحسين حتى استشهدوا ولم يبق منهم الا آل البيت فتقدم علي بن الحسين المعركة وهو شاب في

التاسعة عشر من عمره وقاتل قتالا شديدا وأبلى بلاء حسنا حتى أصابته طعنة رمح فوقع على الارض فتكاثرت عليه سيوف الاعداء وقتلته فيأمر الحسين بنقله الى فسطاس ، وما ان رأته السيدة زينب رضي الله عنها حتى علت زفرات أساها وانكبت على الاشلاء الطاهرة تغسلها بدموعها وشجنها واثر هذا المشهد فى سيد الشهداء الامام الحسين فتصبر أخته واخذ بيدها فى رفق الى خبائها وعاد هو للمعركة .. استشهد اصحابه ثم من كان معه من اهله واقاربه ولم يبق فى الميدان سواه يضرب بمنه ويضرب بسره ويتلقى الطعنات والضربات وهو صابر محتسب ، ومن يستطيع ان يقف هذا الموقف الا الحسين رضي الله عنه ..

لقد شهدت السيدة زينب رضي الله عنها مصرع آلها فى هذه المعركة وهي صابرة محتسبة.. كان معها فى خيمتها غلام صغير هو عبد الله بن الحسن لمح قاتلا يوجه سيفه الى الامام الحسين فصاح فيه : يا ابن الخبيثة اتقتل عمي فضربه ابن الخبيثة هذا بسيفه فسقط على الارض دون ان يقتل ونقل الى عمته السيدة زينب التي تولته بالعناية والرعاية .

لقد نظرت السيدة زينب من خدرها فوجدت اخاها وحيدا فى المعركة تحوطه الذئاب من كل جانب فخرجت مسرعة وصاحت فى قائد الجيش عمر بن سعد يا عمر .. ايقتل ابو عبد الله وانت تنظر .. فيطرق ابن سعد خزيا وندامة ويصرف وجهه عنها والدموع تملأ عينيه .. ويطلب الحسين منها ان تعود الى مكانها ثم ينادي فى القتلة حوله : أعلى قتلي تجتمعون الي لارجو الله ان يكرمني بهوانكم ، ثم ينتقم لي من حيث لا تشعرون . ويتكاثر القتلة على الامام فيقتلونه ..!!

واخذ قائد الجيش اهل الحسين رضوان الله عليهم الى ابن زياد ، فلما دخلت عليه السيدة زينب ومعها اهل بيت اخيها نظر اليها فاذا هي قوية صامدة صابرة فيسأل فى استنكار من هذه ؟ فلا تجيبه فلما كرر سؤاله ثلاث مرات ردت عنها احدى خادماتها قائلة هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن زياد : الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم ..

فردت عليه غاضبة : بل الحمد لله الذى اكرمنا بنبيه وطهرنا من الرجس تطهيرا ، وانما يفضح الله الفاسق ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا يا ابن زياد . فيعود يسألها : كيف رأيت صنع الله باهل بيتك ؟

فتجيبه الطاهرة الصامدة : كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينهم وبينك فتختصمون عنده يوم القيامة .

ولما لم يستطع ابن زياد اكمال الحديث معها لما وجد فيها من قوة وصلابة وعزة وشموخ ادار الحديث مع احد ابناء الحسين رضي الله عنهم وكان غلاما صغيرا هو علي بن الحسين الاصغر (علي زين العابدين) فسأله ابن زياد :

ـ من انت ؟

فأجابه سليل بيت النبوة : علي بن الحسين

فقال ابن زياد : « الم يقتل الله علي بن الحسين »

فأجابه فى اناة : كان لي اخ اكبر مني يسمى « عليا »قتله رجالك .. فرد عليه فى وقاحة بل قتله الله ...

فأجابه الغلام بفصاحة اهل النبوة يقول الله سبحانه وتعالى : « الله يتوفى الانفس حين موتها » « وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله » .

فتضايق ابن زياد من اجابة الغلام ونادى جلاديه وطلب ان يضربوا عنقه وهنا تجلى الموقف البطولي لعمته السيدة زينب رضي الله عنها اذ اعترضت طريق الجلاد القاتل وضمت ابن اخيها بين ذراعيها وصاحت بابن زياد اذن فاقتلني معه فقال ابن زياد متعجبا (ما للرحم اني اظنها ودت اني قتلتها معه. دعوه لما به) .

وكان للسيدة العظيمة القوية موقف عظيم يليق بأمثالها مع يزيد بن معاوية .. فعندما دخل آل البيت على يزيد وهو فى جمع من الناس نظر احد اهل الشام الى السيدة فاطمة بنت الحسين وكانت جارية وضيئة فقال ليزيد : « هب لي هذه » فارعدت واخذت بثياب عمتها .. فوقفت موقفا قويا كما وقفت مع اخيها عند ابن زياد وصرخت كذبت ولؤمت ... ما ذلك لك ولا له .

فتغيظ يزيد وقال : كذبت ان ذلك لي ـ ولو شئت لفعلت .

قالت : كلا والله ... ما جعل الله لك ذلك الا ان تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا ...

فاشتد غيظه وصاح بها: اياي تستقبلين بهذا؟ . انما خرج من الدين ابوك واخوك

قالت : بدين ابي واخي وجدي اهتديت انت وابوك وجدك ..

فلم يجد جوابا الا ان قال : بل كذبت يا عدوة الله .

فقالت رضوان الله عليها : انك امير مسلط .. تشتم ظالما ... وتقهر بسلطانك .. اظننت يا زيد ان بنا هوانا على الله وان بك عليه كرامة فشمخت بانفك حين رايت الدنيا مستوثقة لك ؟ الا ان الله ان امهلك فلانه يقول « ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ، ولهم عذاب مهين » لتردن على الله غدا يا يزيد وانت تود لو كنت ابكم اعمى ولتجدننا عليك مغرما حين لا تجد الا ما قدمت يداك تستصرخ بابن مرجانة ويستصرخ بك .. ولتعلمن يوم يحكم الله بيننا اينا شر مكانا واضعف جندا) .

هذا الموقف القوي من السيدة زينب رضي الله عنها اخرس يزيدا والجمه فحول الحديث عنها ورأى علي بن الحسين مغلولا فأمر بفك غله وقال له ايه يا ابن الحسين .. ابوك قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما رايت قال علي : « ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبراها ، ان ذلك على الله يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور » .. فتلا يزيد الاية « وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم » ثم زوى وجهه وترك خطابه .

هكذا كان اللقاء فى قصر الخلافة بين آل البيت ومغتصب الخلافة حتى الصغير من آل النبوة الجم يزيد حجرا فلم يستطع مجاراة الحديث معه او مع عمته فتركهم يدخلون الى بيته فقابلتهم نساؤه مقابلة حسنة وواسين السيدة زينب والسيدة فاطمة رضي الله عنهما ومن معهما وجعلن يسالهن عما سلبنه بكربلاء فيردون اليهن مثله وزيادة عليه .

ودعا يزيد النعمان بن بشير واليه على الكوفة الذى عزله لرفقه بدعاة الحسين هناك وكلفه ان يسير بآل البيت الى المدينة ويجهزهم بما يصلحهم ويقال ان يزيدا ودع علي زين العابدين وقال له : لعن الله ابن مرجانة ... اما والله لو اني صاحب ابيك ما سالني خصلة ابدا الا اعطيته اياها ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي . ولكن الله قضى ما رايت يا بني !!.. كاتبني من المدينة وانه الى كل حاجة تكون لك .

ولما عادت رضي الله عنها الى المدينة التف الناس حولها فخاف حاكمها عمر بن سعيد وكتب الى يزيد يقول ان وجود السيدة زينب رضي الله عنها بالمدينة مثير للعواطف مهيج للخواطر لانها فصيحة لبيبة اذا تكلمت ملكت على الناس اسماعهم واذا خطبت سحرت عقولهم والبابهم وربما طالبت بدم الحسين فيقع ما لا تحمد عقباه ولا يعلم مداه الا الله .

فلما وصل كتاب الوالي الى يزيد طلب منه ان يخيرها فى الاقامة بأي بلد الا المدينة فاختارت رضوان الله عليها مصر لما سمعته عن اهلها من حبهم لآل البيت وتعلقهم الشديد بهم وحضر معها من آل بيت النبوة السيدتان فاطمة وسكينة ابنتا الامام الحسين رضوان الله على الجميع .

ولما سمع والي مصر بمقدمها خف للقائها فى جمع من العلماء والاعيان والوجهاء فقابلها الوفد عند بلدة العباسية بالشرقية حيث وصل ركبها المبارك الميمون يحيطه الاكبار والاجلال والبركة ، وقوبلت رضي الله عنها بمصر احسن استقبال وانزلها الوالي مسلمة بن مخلد فى داره .

ولقد كان وصولها رضوان الله عليها الى مصر فى اول شعبان سنة احدى وستين من الهجرة .

وفاتها :

اقامت رضي الله عنها بمنزل الوالي لمدة سنة كانت لا ترى خلالها الا متعبدة متبتلة ثم وافتها المنية فى الرابع عشر من شهر رجب سنة اثنين وستين من الهجرة حيث انتقلت الى جوار ربها راضية مرضية ودفنت الى حيث كانت تقيم .. وهو المكان الموجود به ضريحها الطاهر الآن. رضي الله عنها ورحمها .

القاهرة ـ توفيق علي وهبه



ان القرآن الكريم والسنة المطهرة لم يرد فيهما (فيما علمت) نص قطعي الدلالة يمنع من محاولة الصعود الى القمر وما دام لم يوجد فى ذلك نص قطعي الدلالة يمنع من ذلك فهو ليس من العقيدة فى شيء لان الظنيات لا يستند لها فى العقائد وانما يحتج بها فى المسائل العملية من عبادات ومعاملات ومسألة الامكان والوجوب والاستحالة مسائل عقلية لا عمل تحتها ولا ينبني عليها حكم الا فى باب الاعتقاد والعقيدة كما قلنا لابد ان يكون دليلها قطعيا ولا يكفي فيها الظني .

والاستحالة اما بالشرع وهي ما اخبر الله باستحالته بآية قرآنية تنص على المعنى المراد ولا تحتمل غيره بوجه ، فمدلولها حينئذ قطعي يجب اعتقاده ويكفر من جحده ، او بحديث متواتر رواه من الصحابة عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب ورواه عنهم مثلهم من التابعين وهكذا فى جميع الطبقات حتى يصل الينا بهذه الصفة بنص كذلك على المعنى المراد ولا يحتمل غيره فهو حينئذ مثل الآية فى الحكم . واما الاجماع فلا يحتج به فى المعقولات كما لعلماء الاصول، واما ان يكون بحكم عقلي بحت سلمت مقدماته فى الظن فتكون نتيجته حينئذ قطعية كاستحالة الجمع بين الضدين واما بحكم عادي كاحراق النار ، فالاولان لا يتخلفان ابدا سرمدا والثالث هو الحكم العادي فهو قابل للتخلف فقد يتخلف لمعجزة مثلا كعدم احراق النار لسيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام او كرامة لبعض الصالحين كما يقع لبعضهم ، او لاجهزة علمية تغير مألوف الناس وتصير ما كان مستحيلا عادة معروفا مألوفا عندهم كالطيران فى الهواء والسفن البرية الجارية على يبس والراديو وغيرها من مخترعات العصر . وقد ورد فى القرآن الكريم : « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » . وقال : « وبنينا فوقكم سبعا شدادا » ، وقال : « الذى خلق سبع سماوات طباقا، ما ترى فى خلق الرحمان من تفاوت » الآية . . وقال: « وحفظناها من كل شيطان رجيم » الى غير ذلك من الآيات . . وقد ورد فى حديث الاسراء ان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرج به جبريل الى السماء الدنيا استفتح فقيل من انت ؟ فقال : جبريل . فقيل ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : وقد ارسل اليه . . ففتحت السماء وهكذا جرى فى السماوات السبع.

بين عالم الشهادة وعالم الغيب

فهذه الادلة تدل بجميعها فضلا عن مجموعها على ان السماء سقف كثيف غيبي لا يخرق محفوظ من الشياطين الذين هم اجسام روحانية لطيفة لا تنوء بأثقال الجسم، لها قدرة على التشكل والتنقلات من الاماكن الشاسعة فى طرفة عين فضلا عن الاجسام الكثيفة المقيدة بالحس وايضا فهي من عالم الغيب

الذى لا يمكن للعلماء الاطلاع عليه بأجهزتهم العلمية المحدودة القدرة التي لا تـدرك الارواح المجـردة ، فالسـماوات من عالم الغيب وسكانها وهم الملائكة من عالم الغيب والانسان محجوب البصر عن عالم الغيب كما انهم محجوبون اي بني البشر عن ملائكة الارض كالحفظة الذين يكتبون ما يصدر منهم ولا يرد علينا ما ورد في سورة الجن في قولـه تعالـى : « وانـا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا » الاية لان الشياطين اجسـام روحانية تدرك ما لا يدركـه البشر بحسـهم من الروحانيات فلذلك حميت مقاعد السمع ، فالمسـافة بين الارض والسـماء هي المسافـة بين عالم الشهادة وعالم الغيب ، وهي مسـافة لا تقطع بالتنقل والسير ولا يطلع عليها الا من اصطفاه الله من رسول ، واشد النوى ما لا تقربه النجب والقـرآن ورد باللسان العربي وفيه ما في اللغة العربية مـن الاساليب من كناية واستعارة وتعريض وغيرهـا ؛ والسماء وردت في اللغة العربية لمعان منها سقف البيت قال تعالى : « فليمدد بسـبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ » والسماء هنا سقف البيت اي فليختنق ومنها كل ما اظلـك فهو سماء قال تعالى : « وانزلنا من السماء ماء » النزول المطر من السماء بنص القرآن مع انه نازل من السماء الادنى ، قال تعالى : « والسحاب المسخـر بين السـماء والارض » الآية .. ومنها المطر ، قال زهير : عفتها الريح بعدك والسماء

وقال جرير :

اذا نزل السـماء بأرض قـوم
رعينـاه وان كانـوا غضابـا

وفسر البيضاوي السماء في قوله تعالى: «او كصيب من السماء » الآية بالسحاب الى غير ذلك من المعاني التي اشتركت في لفظ السماء فاكسبته اجمـالا وسياق الآية وتفسيرها كفيلان بتبيين ذلك الاجمال، وكون القمر فـي السـماء وتعيين موضعـه مـن السماوات لم اجد فيه نصا قطعيا على الوصف الذى ذكرنا آنفا كغيره من الكواكب وحديث الاسراء والمعراج لم يرد فيه شيء من ذلك فالسماء شرعا حقيقة في هذا السقف المحفوظ مجاز في غير ذلـك وفي اللغة حقيقة في العلو مجازا في ما سـوى ذلـك والحقيقة الشرعية لم يخالـف فيـها الا ابو بكـر الباقلاني وهي مقدمة على الحقيقة اللغوية الا انه :

تقديم ظني لا قطعي بحيث يجب العمل في الاعمال لا في الاعتقادات كسائر القضايا المحتملة لكثرة اختلاف الاصوليين في الترتيب بينها .

نعم هنالك ظواهر كقوله تعالى : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » الآية ومصابيح نكرة في سياق الاثبات لا تعم ولو وجدت بصيغة العموم فدلالة العام على افراده ظنية ومذهب القرافي فيها معلوم . وقوله تعالى : « وجعل القمر فيهن نورا » الآية . ويقول المعارض هنا ومن ايـن لنا بعـد ان سلمنا ان السماء لفظ مشترك ان الضمير في فيهن راجع على السماوات التي جعلت سقفا محفوظا بل من اين لنا أن جرم القمر موجـود في السمـاوات مـع احتمال ان الموجود فيها نوره دون جرمه ويمكن حمل الآية عليه ، فهذه الادلة ونحوها لا تعدو ان تكون ظواهر والظواهر لا تفيد القطع لان الاحتمـال المرجوح ببادىء الراي ربما يكون راجحا في الحقيقة لدليل آخر خفي على المعارض فلهذا يقال ان الصعود الى القمر لا يستلزم الصعود الى السماء وما دامت الكواكب تشاهد بعين الحس فهي من عالم الحس ولا غرابة ان يتوصل الانسان الى ما يشاهد من عالم الحس وان يدرك ببعض حواسه ما درك ببعضها وانما المستحيل ان يتوصل الانسان بأجهزته العلمية الى عالم الغيب والروحانيات كالسماوات والملائكة والعرش وغيرها .

وقد اختلف القدماء في الكنة الـدوار وقـال اكثرهم ان القمر في سماء الدنيا وهو اقربها الـى الارض وتبعهم في ذلك المفسـرون ورتبوهـا بقـول الناظـم :

زحل شرى مريخه من شمسه
فتزاهرت بعطـارد الاقمـار

قال النسفي : والجمهور على ان الفلك مـوج مكفوف تحت السماء تجـري فيه الشمس والقمر والنجوم .

وقال الالوسي في روح المعاني : وقال اكثـر المفسرين هو موج مكفوف تحت السماء تجري فيـه الشمس والقمـر .

وفي تفسير الطبري : حدثنا عبد الاعـلى قال حدثنا ابن ثورعن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو ابن العاص انه قال : ان الشمـس والقمـر

وجوههما قبل السماوات واقفيتهما قبل الارض .
وروي عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم انه قال ما نصه : الفلك الذى بين السماء والارض من مجاري النجوم والشمس والقمر وقرا « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا » الاية .. وقال : تلك البروج بين السماء والارض .

وفي فتح الباري شرح البخاري لامير المومنين في الحديث الحافظ بن حجر فى الجزء السادس منه عند الكلام على النجوم ما نصه : وذكر ابن دحية فى التنوير من طريق أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال : النجوم كلها معلقة كالقناديل من السماء الدنيا كتعليق القناديل فى المسجد .. الى كثير من الاقوال المتضاربة التى شحنت بها كتب التفسير وصعب تمييز الحق منها من غيره . وقال القاضي عياض فى الشفاء : ان دعوى الصعود الى السماء ردة .. وتبعه الشيخ خليل فى مختصره وقال بعض محشيه :لا وجه للتكفير به ، ولكن النقل متبع انظر الدسوقي وغيره وقال : القاري فى شرح الشفا او يصعد الى السماء ويدخل الجنة الخ .. وفيه ان هذا يقتضي الكذب لا التكفير كما لا يخفى قلت وكأنهم جعلوه من باب دعوى النبوءة ولا يبعد عندي ان يكون اخذا من اللازم ، ومعلوم ان لازم المذهب لا يعد مذهبا على المشهور ولكن المشهور ربما يبنى على الضعيف **وهناك آية يستدل بها من يريد ان يتكلف المنع من الصعود الى القمر كما يستدل بها بعضهم الآن على امكانه وهي قوله تعالى : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان» الآية .**

لا وجود للدليل القطعي

واود ان انقل هنا كلام المفسرين فى هذه الآية ليظهر انها ليس فيها دليل قطعي لما يريد الفريقان ان يحملاها عليه قال فى الجلالين :

تنفذوا تخرجوا من اقطار نواحي فانفذوا امر تعجيز ، لا تنفذون الا بسلطان بقوة ولا قوة لكم على ذلكم ، شواظ من نار هو لهيبها الخالص من الدخان او معه ، ونحاس اي دخان لا لهب فيه ، فلا تنتصران تمتنعان من ذلك بل يسوقكم الى المحشر وقال محشيه سليمان الجمل :هذا الخطاب يقال لها فى الآخرة ويرجع كونه فى الآخرة قوله تعالى : يرسل عليكما شواظ من نار فان هذا الارسال انما هو فى القيامة كما سياتي وهكذا قوله تعالى : « اذ السماء انشقت » قال فى الخازن والمعنى ان استطعتم ان تهربوا من الموت بالخروج من اقطار السماوات والارض فاهربوا منها وحيث ما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة ، والمعنى ان استطعتم ان تخرجوا من اقطار السماوات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه : ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكي ومن سمائي وارضي فافعلوا لا تنفذون الا بسلطان يعني لا تقدرون على النفوذ الا بقهر وغلبة واني لكم ذلك حيثما توجهتم كنتم فى ملكي وسلطاني وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه : ان استطعتم ان تعلموا ما فى السماوات والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان من الله تعالى ؛ وفى القرطبي يا معشر الجن والانس الآية ذكر ابن المبارك واخبرنا جرير عن الضحاك قال : اذا كان يوم القيامة يامر الله السماء الدنيا ان تنشق باهلها فتكون الملائكة على حافاتها حتى يامرهم الرب فينزلون الى الارض فيحيطون بالارض ومن فيها ، ثم يامر الله السماء التى تليها كذلك فيكونون صفا خلف ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فتنزل ملائكة الرفيق الاعلى فلا يأتون قطرا الا وجدوا صفوفا من الملائكة فذلك قوله تعالى « يا معشر الجن ... » الآية .

وقال الضحاك بينما الناس فى اسواقهم انفتحت السماء ونزلت الملائكة وهرب الانس والجن فتحدق بهم الملائكة فذلك قوله تعالى: « لا تنفذون الا بسلطان» ذكره النحاس وعنه ايضا ان معنى لا تنفذون الا بسلطان : لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم وقال قتادة لا تنفذون الا بملك وليس لكم ملك، وقيل لا تنفذون الا الى سلطاني فالباء بمعنى الى كقوله تعالى وقد احسن الي اي بي .

فانت ترى كلام المفسرين فى هذه الآية لا يمس مسالتنا من قريب ولا من بعيد فالعجب ممن يستدل بها على المنع من الصعود الى القمر واعجبك من ذلك الاستدلال بها على امكانه فلا يسوغ لنا ان نستقل بفهمنا فنسقط على الآيات والاحاديث (سقوط الندى ليلة لا ناه ولا زاجر) فنفسرها برأينا قبل الرجوع الى ما قال فيها المفسرون .

وهنا مسألة مهمة وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم انما بعث لتعليم الشرعيات لا لتعليم الهيئة والفلك والطبيعة ونحوها من العلوم الدنيوية وحديث الصحيح فى تأبير النخل دليل كاف لما قصدنا (وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عن تأبير النخل فلم يثمر ذلك العام فأمرهم بتأبيره وقال : انتم أعلم بدنياكم) .

المقصود هو الهداية

وقد سأل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ فنزلت « يسألونك عن الاهلة » الآية فهم سألوا عن اختلاف حال القمر وتبدله فأمره الله ان يجيبهم بأن الحكمة فى ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة كالحج تنبيها لهم على ان الاولى بهم ان لا يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم الا عن مسألة شرعية، وقال بعضهم انه لم يجبهم عن ذلك لانهم يصعب عليهم فهم دقائق علم الهيئة اورد ذلك السيوطي فى شرح عقود الجمان وهو من اجابة السائل بغير ما يترقب وهو المسمى فى علوم البلاغة بالاسلوب الحكيم ورجوع النبي صلى الله عليه وسلم الى راي الحباب بن المنذر فى مكان النزول يوم بدر معلوم .

والقرآن كتاب سماوي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمقصود منه اصالة هداية الناس الى الدين القويم من توحيد وعبادة ومعاملة يكفل لمعتنقه السعادة الدنيوية والاخروية وما ورد فيه من صفات الكون انما ورد مورد العظة والاستدلال على الخالق العظيم بهذا الخلق العظيم والقدرة الكاملة التى حيرت عقول البشرية وستحيرها ما دامت هناك بشرية ، نعم ان هذا الكتاب الذى لا تفنى عجائبه ولا تنتهى غرائبه فيه ما لا يعلمه الا الله من خبايا تلك العلوم وما يعقلها الا العالمون ، الا انها وردت بالتبع لا بالاصالة على حد دليل الاشارة المصطلح عليه وكم من مسألة لم تكتشف الا فى العصر الحديث وجدت الاشارة اليها فى القرآن منذ اربعة عشر قرنا . الا انها كما قلنا ذكرت على سبيل الاجمال لا على سبيل تفصيل الجزئيات جزئية فلا يحق لنا والحالة هذه ان نفسر القرآن بتلك النظريات العلمية المتطورة، كل آن المستمرة فى هدم وبناء وتصديق وتكذيب وان سلمت فانما هو تسليم موقت .

فيجب ان نصون هذا الكتاب المقدس والمعجزة الخالدة الكبرى عن عبث اصحاب النظريات الذين يكذبون انفسهم بانفسهم وينقضون ما ابرموا . كما اننا لا يجب ان نجمد على مالوفنا فننكر العلم واختراعاته من اصله ونسخر الآيات لغرضنا فالدين قد حثنا على التفكير فى الكون والاعتبار فى الخلق ولم يجعل بيننا وبين ما نستطيع اكتشافه من الكائنات حاجزا « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » فهذا هو قصد السبيل وكلا طرفيه اما افراط او تفريط وقد طرق هذا الموضوع ناصر السنة ابو اسحاق الشاطبي فى موضعين فى موافقاته وبين ان الصحيح فى تفسير قوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » . اللوح المحفوظ فانظره وانظر كتب التفسير .

ونختم هذه المقالة بكلام لحجة الاسلام الغزالي فى (تهافت الفلاسفة) عند تقسيمه لكلام الفلاسفة ونصه : القسم الثاني ما لا يصدم مذهبهم فيه اصلا من اصول الدين وليس من ضرورة تصديق الانبياء والرسل صلوات الله عليهم منازعتهم فيه كقولهم ان كسوف القمر عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الارض بينه وبين الشمس من حيث انه يقتبس نوره من الشمس والارض كرة والسماء محيط بها من الجوانب فاذا وقع القمر فى ظل الارض انقطع عنه نور الشمس ، وكقولهم أن الكسوف معناه وقوف جرم القمر بين الناظر وبين الشمس وذلك عند اجتماعهما فى العقدتين على دقيقة واحدة وهذا الفن ايضا لسنا نخوض فى ابطاله اذ لا يتعلق به غرض ومن ظن ان المناظر فى ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعف امره فان هذه الامور تقوم عليها براهين هندسية حسابية لا يبقى معها ريب فمن تطلع عليها وتحقق ادلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائها الى الانجلاء اذ اقيل له ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه وانما يستريب فى الشرع وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقة اكثر من ضرورة ممن يطعن فيه بطريقة وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل فان قيل فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والصلاة فكيف يلائم هذا ما

قالوه ، قلنا وليس فى هذا ما قالوه اذ ليس فيه الا نفي وقوع الكسوف لموت احد او لحياته والامر بالصلاة عنده والشرع الذى يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والطلوع من أين يبعد منه ان يأمر عند الكسوف بها استحبابا فان قيل فقد روى انه قال فى آخر الحديث : ولكن الله اذا تجلى للشيء خضع له فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلي قلنا هذه الزيادة لم يصح نقلها فيجب تكذيب ناقلها وانما المروى ما ذكرناه ولو كان صحيحا لكان تأويله اهون من مكابرة امور قطعية فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التى لا تنتهي فى الوضوح الى هذا الحد واعظم ما يفرح به الملحدة ان يصرح ناصر الشرع بأن هذا وامثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق ابطال الشرع ان كان شرطه امثال ذلك وهكذا كان البحث فى العالم عن كونه حادثا او قديما ثم اذا اثبت حدوده فسواء كان كرة او بسيطا او مثمنا او مسدسا وسواء كانت السماوات وما تحتها ثلاثة عشر طبقة كما قالوه او اقل او اكثر فنسبة النظر فيه الى البحث الالهي كنسبة النظر الى طبقات البصل وعدد حب الرمان فالمقصود كونها من فعل الله كيفما كانت .

موريطانيا ـ محمد فال ابن اباه الشنقيطي





- 7 -

- سنة احدى واربعين -

فيها احترق القصر الذى كان قد بناه المسترشد ، وكان فى نهاية الحسن ، وكان الخليفة المقتفى قد انتقل اليه بجواريه وحظاياه ليقيم به ثلاثة ايام ، فما هو الا ان ناموا واحترق عليهم القصر ، بسبب جارية اخذت فى يدها شمعة ، فعلق لهيبها ببعض الاخشاب ، فاحترق القصر ، وسلم الله الخليفة واهله . فاصبح وتصدق باشياء كثيرة ، واطلق المحابيس .

وفيها جلس ابن العبادي الواعظ ، فتكلم والسلطان مسعود حاضر ، وكان قد وضع على الناس مكسا فى البيع فاحشا . فقال يا سلطان العالم ، انت تطلق فى بعض الاحيان للمغنى اذا طربت ، قريبا مما وضعت على المسلمين من هذا المكس ، فهبني مغنيا وقد طربت ، فهبني هذا المكس شكرا لنعمة الله عليك ، واسقطه عن الناس . فاشار السلطان بيده : انى قد فعلت . فضج الناس بالدعاء له ، ونودي فى البلد باسقاطه . ففرح الناس، ولله الحمد والمنة .

وفيها قتل الاتابك عماد الدين زنكي بن آق سنقر . وكان حسن الصورة ، اسمر ، مليح العينين ، طويل القامة ، وليس بالطويل البائن .

وكانت سيرته من احسن سير الملوك ، وكان من اكثرها حزما وضبطا للامور ، وكانت رعيته فى امن شامل، يعجز القوي عن التعدي على الضعيف .

قال ابن الاثير: حدثني والدي قال: قدم الشهيد اتابك زنكي الينا بجزيرة ابن عمر فى بعض السنين ، وكان زمن الشتاء ، فنزل بالقلعة ، ونزل العسكر بالخيام ، وكان فى جملة امرائه عز الدين ابو بكر الدبيسي ، وهو من اكبر امرائه ، ومن ذوي الراي عنده ، فدخل الدبيسي البلد ، ونزل بدار انسان يهودي ، واخرجه منها ، فاستغاث اليهودي الى زنكي وهو راكب ، فسال عن حاله ، فاخبر به ، وكان الدبيسي واقفا الى جانب زنكي وليس فوقه احد . فلما سمع الاتابك ذلك الخبر نظر الى الدبيسي نظر مغضب ، ولم يكلمه كلمة واحدة ، فتاخر القهقرى ، ودخل البلد ، فاخرج خيامه وامر بنصبها ، ولم تكن الارض تحتمل وضع الخيام عليها ، لكثرة الوحل ، فجعل الفراشون التبن على الارض حتى نصبوا الخيام ، وخرج اليه من ساعته.

قال : وكان ينهى اصحابه عن اقتناء الاملاك . ويقول : مهما كانت البلاد لنا ، فأي حاجة لكم فى الاملاك ، فان الاقطاعات تغني عنها . وان خرجت البلاد عن ايدينا ، فان الاملاك تذهب معها ، ومتى صارت املاك لاصحاب السلطان ظلموا الرعية ، وتعدوا عليهم ، وغصبوا املاكهم .

وفيهـا لما قتل زنكي سار أسد الدين شيركوه من ساعته ، وقصد خيمة نور الديـن ، وقال له : أنا اعلم أن الوزير جمال الدين قد اخذ عسكر الموصل، وعزم على تقديم اخيك سيف الدين غازي وقصـده الموصـل ، وقد رايت ان اصيرك الى حلب ، وتجعلها كرسي مملكتك ، وتجتمـع فى خدمـتك عساكـر الشـام . ثم اخذه وسار فى خدمتـه الى حلب ، وسلمه قلعتها .

وفيهـا سار مجير الدين صاحب دمشـق فى عسكر الى بعلبك ، وحاصرها وبها نائب زنكي نجـم الدين ايوب والد السـلطان صلاح الديـن فسلمهـا صلحا له ، واخذ منه مالا ، وملكه قرايا من اعمـال دمشق ، وانتقل نجم الدين الى دمشـق ، وأقام بها . ولما بلغ ذلك نور الدين خاف ان يفسد عليه اسـد الدين ، ويميل الى صاحـب دمشـق ، لحصـول اخيه نجم الدين عنده ، ومال نور الدين الى مجير الدين ابي بكر ابن الداية حتى ولاه جميع امـوره ، وجميع مملكته ، فشق ذلك على اسد الدين .

وفيها حاصر عبد المؤمن مراكش ، وكان بهـا اسحاق بن علي بن يوسـف بن تاشفين ، فاستمر احد عشر شهرا ، ثم اخذها عنوة ، فذكر انه مات من أهلها ـ أيام الحصار بالجوع ـ ما ينيـف عن عشريـن ومائة الف . ولما دخلها عبد المؤمن ضـرب عنـق اسحاق المذكور فى عدة من القواد ، وقتل فى ذلك اليوم ما ينيف على سبعين الف رجل . كذا نقلـه الذهبي فى تاريخ الاسلام عن اليسـع بن حزم فى هذه السـنة .

وذكر الكتبي فى تاريخه فى السـنة التى بعدها ان عبد المومن استولى على مراكش بالسـيف ، وقتل من بها من المقاتلة ، ولم يتعرض للرعية ، واحضـر اليهود والنصـارى ، وقال لهم : انتم تزعمون ان بعد الخمـسمائة عام يظهر من يعضد شريعتكـم ، وقد انقضت المدة ، وانا اخيركـم بين ثـلاث : اما ان تسلموا ، وان تلحقوا بدار الحرب ، واما ان اضرب رقابكم . فاسلمت منهم طائفة ، ولحقت بدار الحرب اخرى ، واخرب الكنائس والبيع ، وردها مساجد ، وابطل الجزية ، وفعل ذلك فى جميع ولايتـه ، ثم فرق بيت المال وكنسـه ورشه ، وصلى فيه ، وامر الناس بالدخول اليه والصلاة فيه ، كما فعل امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وقصد حسن السـيرة ليعلم الناس انه لا يؤثر جمع المال، ولا يدخر شيئا . ثم اقام معالم الاسـلام والحدود على الوجه الشرعي مع السياسة الكاملة ، وقال : من ترك الصلاة ثلاثة ايام فاقتلوه ، وشدد فى الامور ، ولم يدع منكرا الا ازاله ، وكان يصلـي بالنـاس الصلوات الخمس ، ويقرا فى كل يوم سبـعا مـن القرآن بعد صلاة الصبح ، ويلبـس الصـوف ، ويصوم الاثنين والخميس .

وفيـها وردت الاخبار بان ابن جوسلين جمع الفرنج من كل ناحية ، وقصد مدينة الرها على غفلة بموافقة من النصارى المقيمين فيهـا ، فدخلهـا ، واستولى عليها ، وقتل من فيها من المسلمين ، فنهض نور الدين فى عسكره ومن انضم اليه من التركمان وغيرهم فى زهاء عشرة آلاف فـارس ، ووقفت الدواب فى الطرقات من شدة السـير ، ووافوا البلد وقد حصل ابن جوسلين واصحابه فيه ، فهجمـوا عليهم ، ووقع السيف فيهم ، وقتل من ارض الرها والنصارى من قتل ، وانهزم ابن جوسلين نفسـه ، ومحق السيـف كل من ظفـر بـه مـن النصـارى بالرها ، واستخلص من كان اسـر فيه من المسـلمين ، ونهب من الرها شيء كثير من المال والاثاث والسبى، وفى هذه المرة نهبت وخربت ، وخلت من اهلها ، ولم يبق بها الا القليل .

قال ابن الاثير : ومن عجيب ما جرى ان نور الدين ارسـل من غنائمها الى الامراء ، وارسل الى زين الدين على جملة من الجواري ، فحملن الى داره، ودخل لينظر اليهن، فخرج وقد اغتسـل وهو يضحك، فسئل عن ذلك ، فقال : لما فتحنا الرها مع زنكي كان فى جملة ما غنمت جارية ، فمالت نفسـي اليها ، فعزمت ان ابيت معها ، فسمعت منـادي الشهيـد وهو يأمر باعادة السبـى والغنائـم ، وكان مهيبـا مخوفا ، فلم اجسـر على اتيانها ، واطلقتها ، فلما كان الآن ارسـل الي نور الدين سهمي من الغنيمة وفيـه تلك الجارية ، فوطئتها خوفا من العود .

وفيهـا ترددت المراسـلات بين نور الدين وبين معين الدين انر ، الى ان استقرت الحال بينهما على اجمل صفة ، واحسن قضية . وتزوج نـور الديـن بابنة معين الدين ، وجهزت اليه الى حلب .

وفيهـا قل المطر جدا ، وقلت مياه الامطار . وانتشر جراد عظيم ، واصاب الناس داء فى حلوقهم ، فمات بذلك خلق كثير .

ـ سنـة اثنيـن واربعيـن ـ

فيهـا سار نور الدين محمود ففتح ارتاح وهي بقرب حلب ، واخذ ثلاث حصون صغـار للفرنـج ، فهابته الفرنج ، وعرفوا انه كبش نطاح مثل ابيه .

وفيهـا اظلم الجو ، ونزل غيث ساكب ، ثـم اظلمت الارض فى وقت العصر ظلاما شديدا ، وبقيت السماء فى عين الناظر اليها كصفرة الورس ، وكذلك الجبال واشجار الفوطة ، وكـل ما ينظـر اليه مـن حيوان وجماد ونبات ، ثم جاء فى اثر ذلك من الرعد العاصف ، والبرق الخاطف ، والهدات المزعجـة ، والرجفات المقرعة ما ارتاع لها الناس ، وبقي الامر على هذا الحال الى وقت العشاء الآخرة ، ثم سكن بقدرة الله تعالى ، واصبـح على الارض والاشجـار وسائر النبات غبار بين البياض والغبـرة . قلت : وقد شاهدت بالقاهـرة فى سنـة سـت وعشريـن وثمانمائة مثل هذا ، غير انه لم ينزل مطر ، ولم يحصل رعد ولا برق ، وانما حصلت ظلمة ، واحمرت السماء ، وتغير الجو تغيرا كثيرا ، وظهرت رائحة مثل رائحة الحريق ، وحصل للناس من ذلك خوف ، وتضرعوا الى الله تعالى بالدعاء ، واستمر هذا مـن بعد العصر الى الليل ، ثم أصبح على رخام المدارس والبلاط تراب اصفر ، ذكر بعض الناس انه من تراب برقة (ليبيا) من بلاد المغرب .

وفيهـا ولد ببعلبك الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب ، وقيل فى سنة فتح زنكي للرها .

وفيها اشتد الغلاء بافريقية ، فهلك بسببه اكثر الناس ، حتى خلت المنازل ، واقفرت المعاقل .

وفيهـا راى رجل فى المنام ـ فى شهر صفر ـ قائلا يقول : من زار احمد بن حنبل غفر له . قال ابن الجوزي : فلم يبق من خاص ولا عام الا زاره. قال : وعقدت يومئذ ثم مجلسا ، فاجتمع اليه الوف من الناس .

ـ سنـة ثـلاث واربعـيـن ـ

فيها نزل الفرنج على دمشق ، خرج ملك الالمان فى جيوش لا تحصى ، فاجتمع اليه ملوك الفرنـج التى بالساحل ، واجتمعـوا فى البيت المقـدس ، وصلوا صلاة الموت ، وعادوا الى عكا ، وفرقوا فى العسـاكر سبعمائة الف دينار ، ولم يظهروا انهـم يريدون دمشـق ، بل وروا بثغرها ، وهرب المسلمون بين ايديهم ، وجمعوا الغلال والاتبان فاحرقوها . وكان صاحب دمشـق مجير الدين آبق بن محمد بن بوري بن طغتكين ، ومدبر الامور معين الدين انـر والامر كله له ، ليس لمجير الدين منه شيء. فلما كان سادس ربيع الاول لم يشعر اهل دمشـق الا وملـك الالمان قد خيم على المزة ، وزحف على البلد بخيله ورجله ، وكان معه نحو ستيـن الـف راجـل ، وعشرة آلاف فارس ، وخرج اليهم معيـن الديـن ومجير الدين فى مائة الف راجل سوى الفرسان فى يوم السبت سادس ربيع الاول ، وتقاتلـوا قتـالا شـديدا ، واستشـهد من المسلمين فى هذا اليوم نحو مائتين ، منهم الفقيه الامـام يوسـف الفنـدلاوي شيخ المالكية عند النيرب قـرب الربـوة ، وكذلـك الزاهد عبد الرحمن الحلحولي قتلا فى مكان واحد ، وكان معين الدين قد راى الشيخ يوسف ، وقال له: يا شيخ انت معذور ، ونحن نكفيك ، وليس بك قوة على القتال . فقال : قد بعت واشترى ، فلا نقيله ، ولا نستقيله ، يعني قوله تعالى : « ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة ... الآية » . واستظهر الكفار على المسلميـن ، وشـرع الكفار فى قطع الاشجار والتحصن بها وهدوا القناطر ، وباتوا تلك الليلة على هذه الحال. وقد لحق الناس من الارتياع لهول ما شاهدوه ، والروع بما عاينوه مـا ضعفت به القلوب ، وحرجت معه الصدور ، وباكروا الظهور اليهم فى غد ذلك اليوم وهو الاحد ، وزحفوا اليهم ، ووقع الطراد بينهم ، واستظهـر المسلمـون عليهم ، واظهروا القتل والجراح فيهم ، وابلى الامير معين الدين فى حربهم بلاء حسنا فظهرت من شجاعته وصبره ما لم يشاهد فى غيره ، وقتل من الفرنـج خلائق ، واستشهد جماعة ، ولم تزل رحى الحرب دائرة بينهم الى ان اقبل الليل ، وعاد كل واحد منهم الى مكانه ، وبات الجند بازائهم ، واهل البلد على اسوارهم . ثم ان الفرنج تقدموا وخيموا بالميـدان الاخضر ، وضايقوا البلد حتى نزلوا على ابوابـه . وكان انر قد كاتب سيف الدين غازي ونور الديـن

ابني زنكي . فلما كان في اليوم الخامس وصل سيف الدين غازي في عشرين الفا ؛ فارسل غازي يقول لمعين الدين : قد حضرت بجند عظيم ، ولم اترك ببلادي من يحمل السلاح ، فان انا جئت ولقيت الفرنج وكانت علينا الهزيمة ، وليست دمشق لي ، ولا لي بها نائب لم يسلم منا احد ، وأخذت الفرنج دمشق وغيرها . فان احببت ان اقاتلهم فسلم البلد الى من اثق به ، وانا – واحلف لك ان كان النصر لنا – لا ادخل دمشق ، وارجع الى بلادي . فمطله معين الدين ، وبعث الى الفرنج الغرباء يقول لهم : ان ملك الشرق قد حضر . فان رحلتم والا سلمت دمشق اليه ، وحينئذ تندمون . وارسل الى فرنج الشام يقول لهم : باي عقل تساعدون هؤلاء الغرباء علينا وانتم تعلمون انهم ان ملكوا اخذوا ما بايديكم من البلاد الساحلية ، وانا اذا رايت الضعف عن حفظ البلد سلمته الى ابن زنكي ، وانتم تعلمون انه ان ملك لا يبقى لكم معه مقام بالشام ؛ فاجابوه الى التخلي عن ملك الالمان ، وبذل لهم حصن بانياس . فاجتمعوا بملك الالمان ، وخوفوه من عساكر الشرق ، وحسنوا له الرحيل ، وكان زمان الفاكهة ، فاكل الفرنج منها ، فانحت اجوافهم ، ومات منهم خلق كثير ، ومرض الباقون . ولما ضاق باهل دمشق الحال اخرجوا الاموال والصدقات على قدر احوالهم، واجتمع الناس في الجامع الرجال والنساء والصبيان، ونشروا مصحف عثمان رضي الله عنه ، وحثوا الرماد على رؤوسهم، وبكوا وتضرعوا الى الله ، فاستجاب الله تعالى لهم ، وكان مع ملك الالمان قسيس كبير طويل اللحية ، يقتدون به يسمى الياس ، فاصبح في اليوم العاشر من نزولهم على دمشق فركب حماره ، وعلق في عنقه صليبا ، وفي يده صليبين ، وجمع القساوسة بين يديه بالصلبان، وركب الملوك والخيالة والرجالة ، ولم يتخلف من الفرنج احد الا من يحفظ الخيام ، وقال لهم القسيس : قد وعدني المسيح اني افتح اليوم دمشق ، ولا يردني احد ، وقصدوا البلد ، ففتح المسلمون الابواب ، واستسلموا الموت ، وغاروا للاسلام ، وحملوا حملة رجل واحد ، وكان يوما لم ير في الجاهلية والاسلام مثله . وقصد واحد من احداث دمشق القسيس – لعنة الله عليه ، وهو في اول القوم – فضربه ، فابان راسه عن بدنه ، وقتل حماره ، فانهزم الفرنج لعنهم الله ، وقتل منهم اكثر من عشرة آلاف ، واحرقوا الصلبان وتبعوهم الى الخيام ، وحال بينهم الليل ، فاصبحوا وقد رحلوا ، ولم يبق لهم اثر ، وبعثوا الى معين الدين يطلبون منه بانياس ، فقال : انا وعدتكم اذا رحلتم ، وهذا فعل الله تعالى ، فقالوا : فنحن نعود الى دمشق ، ونقيم عليها ، ولا نرحل حتى ناخذها ، وكانوا قد احرقوا الربوة ، وهدوا الجواسق ، وقطعوا الاشجار، ودرسوا ظاهر دمشق ، وقالوا نقيم عليها . فراى معين الدين ان يفتدي دمشق ببانياس ، فاعطاهم اياها ، وبقيت في ايديهم حتى فتحها نور الدين ، وعاد سيف الدين غازي الى بلاده ، واستبشر الناس بهذه النعمة التي اسبغها الله عليهم ، واكثروا من الشكر له تعالى على ما اولاهم . وذكر الحافظ ابو القاسم بن عساكر – رحمه الله – في تاريخه ان الفقيه الفندلاوي رؤي في المنام ، فقيل له : اين انت ؟ قال في جنات عدن ، على سرر متقابلين . وقبره الان يزار بمقابر الباب الصغير من ناحية حائط المصلى ، وعليه بلاطة كبيرة منقورة ، فيها شرح حاله . قاله ابن الاثير .

وفيها وردت الاخبار في رجب من ناحية حلب بان نور الدين صاحبها كان قد توجه في عسكره الى ناحية الاعمال الافرنجية ، وقصد افامية ، وظفر بعدة من المعاقل والحصون الافرنجية، وبعدة وافرة من الفرنج ، وان صاحب انطاكية جمع الفرنج ، وقصده على حين غفلة منه ، فنال من عساكره واثقاله ، وانهزم بنفسه وعسكره ، وعاد الى حلب سالما في عسكره ، لم يفقد منه الا النفر اليسير بعد قتل جماعة وافرة من الفرنج . وذكر ابن ابي طي ان اسد الدين لما كان في نفسه على نور الدين لتقديم ابن الداية عليه لم ينصح يومئذ ، ومر به نور الدين فقال له : ما هذا الوقوف والغفلة في مثل هذا الوقت والمسلمون قد انكسروا !! فقال : يا خوند ايش تنفع نحن !! انما ينفع مجد الدين ابو بكر ، فهو صاحب الامر ، فاستدرك نور الدين بعد ذلك ، وطيب قلب اسد الدين ، والزم مجد الدين ان يعرف لاسد الدين حقه ، واصلح بينهما . قال : وقتل في هذه الكرة شاهنشاه بن ايوب اخو الملك الناصر صلاح الدين ، وهو والد عز الدين فرخشاه ، وتقي الدين عمر ، والست عذراء المنسوب اليها المدرسة العذراوية ، وقبره بالتربة النجمية جوار المدرسة الحسامية بمقبرة العونية ظاهر دمشق .

وفيها ابطل نور الدين من حلب الاذان بحي على خير العمل ، والتظاهر بسب الصحابة ، وانكر

ذلك انكارا شديدا ، وساعده على ذلك جماعة من اهل السنة . وعظم هذا الامر على الاسماعيلية واهل التشيع ، وضاقت له صدورهم ، وهاجوا وماجوا، ثم سكتوا واحجموا ، للخوف من السطوة النورية المشهورة ، والهيبة المخدورة .

ـ سنة اربع واربعين ـ

فيها جمع الفرنج من الساحل ليقصدوا بلد حلب ، فسار اليهم نور الدين بعساكره ، وجمع كثيرا من التركمان ، وكتب الى معين الدين انر يستنجده ، فبعث اليه الامير مجاهد الدين بزان بن مامين نائب صرخد في عساكر دمشق ، وجاءته عساكر اخيه سيف الدين ، وسار الى انطاكية ، فخرج اليه البرنس ، وكانت بينهم وقعة عظيمة ، وكسرهم نور الدين ، وقتل منهم ألفا وخمسمائة ، واسر مثلهم ، وقتل البرنس . وكان هذا اللعين من أبطال الفرنج المشهورين بالفروسية وشدة البأس ، مع اشتهار الهيبة ، وكثرة السطوة ، والتناهي في الشر . فاراح الله البلاد ، وكفى العباد منه ، وحمل راسه الى نور الدين ، وعاد الى حلب بالغنائم العظيمة والاسارى ، فبعث بعضها الى اخيه ، والى الخليفة ، والى دمشق ، وذل دين الصليب ، وظهر من نور الدين في هذه الوقعة من الشجاعة والصبر في الحرب على حداثة سنه ما تعجب منه الناس .

وفيها فتح نور الدين حصن افامية، وكان على اهل حماة وحمص منه ضرر عظيم ، وكانوا يشنون منه الغارات على البلاد ، وكان بينه وبين حماة مرحلة واحدة ، وهي حصن منيع على تل مرتفع عال ، ومن احسن القلاع وامنعها .

وفيها جاءت زلزلة عظيمة ، وماجت بغداد نحو عشر مرات ، وتقطع بحلوان جبل من الزلزلة ، وهلك عالم من التركمان .

وفيها مات خلق كثير بالبرسام ، ولا يتكلم المرضى به حتى يموتوا .

وفيها توفي سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل ، وكان عمره اربعا واربعين سنة ، وكان من احسن الناس صورة ، ودفن بالمدرسة التى انشأها بباطن الموصل ، وخلف ولدا ذكرا اخذه عمه نور الدين محمود ، فرباه واحسن اليه ، فلم تطل ايامه ، ومات شابا ولم يعقب . وكان سيف الدين كريما شجاعا اذا عزم وحزم ، وهو اول من حمل على راسه سنجق من الاتابكية اصحاب الاطراف ، فانه لم يكن فيهم من يفعله لاجل السلاطين السلجوقية . وهو اول من امر عسكره الا يركب احدهم الا والسيف في وسطه ، فلما امر هو بذلك اقتدى به غيره من اصحاب الاطراف . ودفن بمدرسة الاتابكية التى بناها ، ووقفها على الحنفية والشافعية بالموصل، وبنى بها ايضا خانقاه للصوفية، وتملك بعده الموصل اخوه قطب الدين مردود ، وتزوج امراة اخيه الذى مات ولم يدخل بها ، وهي ابنة حسام الدين غرتاش صاحب ماردين ، فولدت لقطب الدين اولاده الذين ملكوا بعده .

قال ابن الاثير : وكانت هذه الخاتون يحل لها أن تضع خمارها عند خمسة عشر ملكا من آبائها واجدادها واخوتها وبني اخوتها وازواجها واولادها وأولاد أولادها ، ثم ذكرهم ابن الاثير في كتابه ، وسماهم ، وذكر انها اشبهت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوج عمر بن عبد العزيز ، فانه كان لها ان تضع خمارها عند ثلاثة عشر خليفة ، وهم : معاوية رضي الله عنه الى آخر خلفاء بني امية سوى آخرهم وهو مروان بن محمد فانه ابن عم لها ليس لها بمحرم ، والباقي محارم لها .

قال صاحب الروضتين : وما تم له ذلك الا بعد ذكره أن امها عائشة بنت يزيد بن معاوية ، فمعاوية جد امها ، ويزيد جدها لامها ، ومعاوية بن يزيد خالها ، ومروان جدها لابيها ، وعبد الملك أبوها ، والوليد وسليمان وهشام ويزيد اخوتها ، وعمر بن عبد العزيز زوجها ، والوليد بن يزيد ، ويزيد بن الوليد ، وابراهيم بن الوليد اولاد اخوتها ، وهؤلاء كلهم خلفاء ، فاختل ما ذكره . والصواب في ذلك أن يقال : كان لفاطمة ان تضع خمارها عند عشرة من الخلفاء ، وهم مروان بن الحكم ونسله سوى مروان بن محمد . واما عائشة فالجميع محارم لها سوى عمر بن عبد العزيز ، ومروان بن محمد . بقي اثنا عشر خليفة : معاوية جدها ، ويزيد ابوها ، ومعاوية ابن يزيد اخوها ، ومروان حموها ، وعبد الملك زوجها، والوليد وسليمان وهشام اولاد زوجها ، ويزيد بن

عبد الملك ابنها ، والوليد بن يزيد ابن ابنها ، ويزيد ابن الوليد وابراهيم بن الوليد ابنا ابن زوجها . وما ذكره ابن الاثير من امر بنت حسام الدين قست الشام بنت أيوب اكثر منها محارم من الملوك ، يجتمع لها من ذلك اكثر من ثلاثين ملكا من اخوتها الاربعة : المعظم ، وصلاح الدين ، والعادل ، وسيف الاسلام ، ومن أولادهم واولاد اولادهم واولاد اخيها الاكبر شاهنشاه بن ايوب تقي الدين عمر وذريته اصحاب حماه ، وفرخشاه وابنه الامجد صاحب بعلبك . انتهى كلام الروضتين .

قال ابن الاثير : ولما ملك قطب الدين الموصل والبلاد الجزيرية كان اخوه نور الدين بحلب ، وهو اكبر من قطب الدين ، فكاتبه بعض الامراء ، وطلبوه اليهم ، فسار نور الدين من حلب فى سبعين فارسا من اكابر دولته ، منهم أسد الدين شيركوه ، ومجد الدين ابن الداية ، فسلم اليهم محمد بن المقدم سنجار . فلما سمع قطب الدين الخبر جمع عساكره، وارسلوا الى نور الدين ينكرون عليه اقدامه واخذه ما ليس له ، ويهددونه بقصده واخراجه من البلاد قهرا ان لم يرجع اختيارا . فأعاد الجواب : انني أنا الاكبر ، وانا احق ان ادبر امر اخي منكم ، وما جئت حتى كاتبني امراؤكم ، ويذكرون كراهيتهم لكم ، فخفت ان يحملهم بغضهم لكم على اخراج البلاد من ايدينا ، واما تهددكم اياي بالقتال فانا ما اقاتلكم الا بجندكم ، ولهذا جئتكم مجردا ، وهرب اليه جماعة من اجنادهم ، فخافوا ان يلقوه لئلا يؤلب عليهم باقي العسكر ، فدخل الامراء فى الصلح ، وقال جمال الدين الوزير : نحن نظهر للسلطان والخليفة أننا تبع نور الدين ، ونور الدين يظهر للفرنج انه تبع لنا ، ويهددهم بنا ، فمتى كاشفناه حاربناه. فان ظفر بنا طمع فينا السلطان ، وان ظفرنا به طمع فيه الفرنج ، ولنا بالشام حمص وقد صار له عندنا سنجار ، وهذه انفع لنا من تلك ، وتلك انفع له من هذه ، والراي ان نسلم اليه حمص وناخذ سنجار ، وهو فى ثغر بازاء الفرنج ، وتتعين مساعدته . فاتفق الجماعة على هذا الراي ، وسار جمال الدين الوزير الى نور الدين ، وابرم معه الامر ، وتسلم حمص ، وسلم سنجار الى اخيه ، وعاد نور الدين وأخذ ما كان بسنجار من الاموال ، واتفقت كلمتهم، واتحدت آراؤهم ، وكل واحد منهما لا يصدر الا عن امر اخيه .

وفيها اتصل الخبر بنور الدين بافساد الفرنج فى الاعمال الحورانية بالنهب والسلب والسبى، وان الارض اجدبت لانحباس الغيث ، وترحل الفلاحون ، فجاء نور الدين بجيشه الى بعلبك ليوقع بالفرنج، فاتفق عند وصوله الى بعلبك نزول الغيث، واستمر من يوم الثلاثاء الى مثله، فجرت الاودية،وزادت الانهار ، وامتلأت برك حوران ، فجد الناس بالدعاء، وقالوا : هذا ببركته وحسن نيته وسيرته ، ثم نزل بجسر الخشب المعروف بمنازل العساكر ، وراسل مجير الدين والرئيس مؤيد الدين ابن الصوفي يقول: انني ما قصدت بنزولي هنا طلبا لمحاربتكم ، وانما دعاني الى هذا الامر كثرة شكاية اهل حوران بان الفلاحين اخذت اموالهم ، وسبيت نساؤهم واطفالهم بيد الفرنج ، وعدم الناصر لهم ، ولا يسعني مع ما أعطاني الله تعالى — ولله الحمد — من الامتداد على نصرة المسلمين ، وجهاد المشركين ، وكثرة المال والرجال ان اقعد عنهم ولا انتصر لهم ، مع معرفتي بعجزكم عن حفظ اعمالكم ، والذب عنها ، والتقصير الذى دعاكم الى الاستصراخ بالفرنج على محاربتي ، وبذلكم لهم اموال الضعفاء والمساكين من الرعية ظلما لهم ، وتعديا عليهم ، وهذا ما لا يرضي الله ، ولا أحدا من المسلمين ، ولابد من المعونة بالف فارس، تجرد مع من يوثق بشجاعته من المقدمين لتخليص ثغر عسقلان وغزة ، فكان الجواب : ليس بيننا وبينك الا السيف ، فكثر تعجب نور الدين ، وانكر هذا ، وعزم على الزحف الى البلد ، فجاءت امطار عظيمة منعته من ذلك .

وفيها مات صاحب مصر الحافظ لدين الله عبد المجيد بن ابي القاسم بن المستنصر ، وقام بالامر بعده ولده الظافر .

القاهرة — د. عبده اسماعيل الطهطاوي



هناك اسباب دفعتنا الى ان نضع هذا البحث بين يدي القارىء العربي ، واهم تلك الاسباب هو ان القارىء وبالاحرى الشباب العربي أصبح لا يستسيغ أي قول الا اذا كان مصدر القول اجنبيا فتراه يرفض اى قول حتى ولو كان صادرا من الاسلام ، ونحن اذ نترجم هذا البحث ليس لاننا نشك فى اصالة الاسلام وكفاءته ... بل لنثبت قوة التعاليم الاسلامية ، بما يثبته هذا البحث من اعترافات ، وتقارير تؤكد بشكل غير مباشر على ما يتمتع به الاسلام من بعد نظر ... (المترجم)

انا لا ارغب في الزواج فى سن الثانية والعشرين .

كيف يمكنني أن أتزوج ؟

كيف يمكنني ان اعثر على مكان ما لاقامة العش الزوجي ؟ !

اذا انا تزوجت كيف يتاح لي بعدئذ ان استمر فى الدراسة المهنية لاحصل بعدها على عمل ... وخصوصا فى هذا العصر الذي تتطلب فيه الدراسة المهنية وقتا كبيرا ؟ حتما بلا معونة لا يمكنني ان افعل شيئا .. اليس كذلك ؟!

الاف من الشباب يعانون اليوم هذه التساؤلات ، والاحتمالات ..

لناخذ مثلا المستر هيل سميث ، وهو عامل فى احدى محطات البنزين ، براتب اسبوعي قدره (30) دولارا .. المستر هيل يقول : (سأشيخ قطعا ريثما يتوفر لي كل اسباب الزواج) ـ ويقصد بأنه اذا بقي على هذا الراتب الضئيل طبعا ـ ، تقول السيدة جين فوستر : (حقا لقد اصبح الزواج عملا ثقيل الكلفة ، بحيث لا يمكن لاحد ان يتحمله) .

ان فكرة : ان نهيىء ظروف الزواج المبكر لمئات الآلاف من الشباب والشابات العاجزين عن تحمل القيام باعباء الزواج ، ليست فكرة عاطفية فحسب ، بل انها قضية هامة تتعلق بانقاذ جيل الشباب من الحرمان ، ويتوقف عليها أمر الحفاظ على كيان العائلات بصورة عامة ، من خطر التيارات والموجات الجبارة والجارفة ، ونعني بها تيارات الانحلال الجنسي والخلقي ، وموجات الطلاق المتصاعدة باستمرار فى حياة الشعوب ..

اننا فى السنين ما قبل وبعد سن العشرين نعمد الى وضع الشباب فى ظروف من شانها ان تدفع الشباب الى التفكير فى الزواج بشكل جدي ، وبناء العش الزوجي . هذا ونحن نعلم ان الكثير من امثال

هيل سميث ـ المتقدم الذكر ـ وغيره قد اصبحوا بالغين من الناحية الجنسية والعاطفية وبان هناك قوى كثيرة وجبارة تدفعهم الى الزواج ، والى ان يصبحوا في وقت عاجل آباء وامهات .. فاننا نكل ما توجده من وسائل الاعلام والقصص الغرامية والافلام الجنسية نجرهم الى الرغبة في الزواج .. وعندئذ كاغلب الآباء والامهات نقول لابنتنا جهلا : (ماذا تقولين يا كاترين ؟! انت مجنونة ؟! الا تعلمين ان الزواج من شاب بمدخول 30 دولار اسبوعيا لا يكون سوى مهزلة ..) او ان نقول لابننا : (دع عنك يا جان .. لا تتحدث في هذا الامر اطلاقا ، حتى تنتهي من دورتك فانه ليس لك ان تتزوجها قبل ذلك ..)

بهذا الموقف نواجه ابناءنا فما هي النتائج ... النتائج والتناقضات الجنسية التي تتسبب من هذا الموقف حقا مخزية وخطرة الى درجة بالغة .. فهذه عيادات الاطباء النفسانيين تعج بالعشرات بل بالمئات ممن جرتهم الى العيادات فكرة ممارسة الجنس اللا مشروع .. قبل الزواج .. او انهم اصيبوا بانتكاسات مريرة في عواطفهم وطاقاتهم من برود جنس او غير ذلك ، نتيجة الانتظار الطويل ريثما تتوفر لهم فرص الزواج ...

للشاهد نذكر حالتين لشابين متزوجين ناخذهما من سجلات ـ الطبيب النفساني الدكتور جنت فوولز تلسن :

الحالة الاولى : تام وليلين احب احدهما الاخر .. ورغبا في الزواج والاقتران ولكن هذا الامر لم يكن ليتم بسهولة .. لان تام الذي كان مهندسا معماريا ، كان لم يزل يدرس في دورة تدريبية في الخارج .. ولم يكن يتقاضى آنذاك اكثر من 28 دولارا في الاسبوع ، فكان لا بد من الانتظار حتى يصبح كل شيء مناسبا ومهيئا ، وكان التاخير لا بد ان يستغرق مدة خمس سنوات او اكثر مما يحتم على تام وليلين ان يختارا احد موقفين :

1 ـ اما ان ينفذا مشروع زواجهما متجاهلين عرفا اجتماعيا سائدا (وهو الزواج بعد اكمال الدراسة)

2 ـ واما ان يدوسا بقدميهما كل عواطفهم ونداءات اجسامهم ، ويركنا في النهاية الى الحرمان الكامل من التمتع بالنسيم الزوجي .

ولكنهما اختارا الطريق الاول (ونعم ما فعلا) ، غير ان ليلين في الوقت الذي تم فيه زواجها بتام ، كان يقلقها شيء واحد وهو خوفها من (ان يكون تام قد رضي بالزواج منها بظن انه كان يتصور انه يجب ان يفعل ذلك ..) وكان تام من جانب آخر يعصره قلق مرير ناشيء من اعتقاده الخاطيء (بأن تكون ليلين قد تسلم نفسها لغيره بنفس السهولة التي سلمت بها نفسها له ..)

هذه الحالة ولدها العرف الخاطيء القاضيء بأن الزواج يجب ان لا يتم الا بعد الانتهاء من الحصول على (شهادة التخصص او الوظيفة ..) واذا ما تم قبل ذلك فانه لا يعتبر زواجا حقيقيا مستكملا لكل شروط الزواج الصحيح .. ولذلك فان هذا النوع من الزواج يستحق ان يكون عرضة للاوهام والشكوك ..

واما الحالة الثانية : فبطلاها آرثر ومارغريت اللذين اختارا الطريق الثاني وهو رفض الزواج مبكرا .. فانهما لم يكونا باسعد من السابقين . فان والدي مارغريت لم ياذنا لها بالزواج الا بعد التخرج من الجامعة والا بعد مرور سنة كاملة على الاقل على ممارستها للوظيفة ... علما بان آرثر ومارغريت كانا قد صبرا على ذلك منذ ان احب احدهما الاخر في التاسعة من عمرهما وحتى السنة الثالثة والعشرين ، ثم لما تزوجا بعد هذا السن راجعت مارغريت بعد سنتين بالضبط من الزواج عيادة الطبيب النفساني الدكتور تلسون ، وراحت تسرد له قصة حزينة تشكو فيها عن ما تلاقيها من صعوبات جنسية ومتاعب عائلية ، تقول الزوجة الشابة: (لقد امتنعنا قبل الزواج عن اي لقاء جسدي .. اذ كنا نشعر بأنه موقف صائب يجدي كثيرا في طرد كل الصعوبات .. والحقيقة مثل ذلك السلوك كان ولا يزال سلوكا زاهدا ولكننا رغم ذلك كنا نشعر بضرورته وكنا في نفس الوقت نشعر بفرح وغرور حين نرى ان حبنا لم يتجاوز حدود الحب ولم يتخذ لنفسه اي شكل جسمي) ، (وكان هذا الشعور ناشئا) عن ان الاثنين كان يعيشان في بيئة ملتزمة لا تقر مشروع الحب وتبادل العواطف ـ لما يسبب من أزمات ان لم ياخذ طريقه الى الزواج المشروع عاجلا ـ بل كانت تعتبر الحب قبل الزواج نوعا من الشذوذ الذي لا بد ان يلجم)

يقول الطبيب تلسن : ان هذا الطراز من الشعور والسلوك اثر على مستقبل هذين الزوجين اذ تأثرت حياتهما الزوجية فيما بعد ولم تتوفر لهما تلك السعادة التي كانا ينشداها ..

ان الكبت في الحالة الثانية هو الذي سبب في ان يصطبغ الزواج بالالم ، وعدم توفر السعادة . والهناء المطلوب . فعليه لا بد ان يتزوج الشاب والشابة فور

تعرفهما على الاخر ، بل وفور تحرك الحب في داخلهما .. وتململ الغريزة في كيانهما (وهذا مما تدب اليه الاسلام — المترجم —) .

الواقع اننا لو كنا نعطي لابنائنا الفرصة — فرصة الزواج — وهم في سن 20 و 22 لتمكنوا ان يجابهوا كل صعوبات الشباب الهائلة وان يتغلبوا عليها ..

يقول الدكتور جيمرف . بندر . مدير مؤسسة العلاقات الانسانية في نيويورك : (انه لو تم الــزواج عمليا في اقرب الاوقات لحصلنا على وفــاق روحــي وانسجام جنسي افضل .. علما بان اكثر الخلافــات التي من اجلها يراجع الازواج والزوجات مكتبي تتعلق في الاغلب بالاشخاص الذين تاخروا في زواجهــم . لذلك فانهم اما انهم كانوا يتعاطون الاعمال الجنسية قبل الزواج ويفرطون في ممارستها ، واما انهم كانوا قــد خضعوا للحرمان المطلق والكبت الجنسي طوال تلـك الفترة ..)

ان الافراط في العلاقات الجنسية هو بلا شك من الد اعداء (الحياة الجنسية) الناجحة ..

ان مجتمعنا الذي غرق في وحل الفساد الجنسي حتى القمة وان مشهد كل هذه الفتيات الـدوارات والامهات غير الشرعيات ينبغي ان يكون حافزنا للبحث عن علاج ...

في احدى الدوائر الرسمية في نيويورك التقيت بزوجين شابين كان عمر الزوجة (18 سنة وكان عمر الزوج (22) سنة الزوجة كانت تقول :

« ان هذا النوع من الزواج المبكر قد اتاح لنــا فرصة ذهبية لان نبلغ معا ، وان نكبر معا .. فلو تاخر زواجنا عن هذا الوقت بأربع او خمس سنوات لما كنا نظفر قطعا بهذا التفاهم الذي نحن عليه الان .. »

واما زوجها الشاب فكان يقول : « نحن معــا متزوجين نتمكن ان نعيش افضل مما اذا لم نكن متزوجين .. نحن الان قادرون على مواجهة المستقبل دون اي خوف .. انا الآن وقد تراني متزوجا ولي ولد في البيت وآخر في طريقه الى الحياة واثق من انني ساكــون لوطني ولحياتي الرجل المطلوب والرجل المتهيء .

ان لدي للمستقبل امال ومخططات ، وانني اعلم باني لو لم اكن متزوجا لكنت الان من احــد اولئـك العشرات والمئات من الشباب الذين يضيعون ساعات طوال من حياتهم في الازقة والشوارع .. ولما كنــت افكر اطلاقا في ان اجعل عملي اسرع واكثر .. »

قال لي احد جيراني وهو المستر بوال ملون الذي تزوج في الثلاثين من عمره ولم يمض على زواجه اكثر من عامين : (ان تاخر زواجي لم يكن سببه الدقة في اختيار الزوجة بل كان الحرب مرة والبطالة والافلاس مرة اخرى سبب هذا التاخير ..

ثم عندئذ نظر الى ولده الصغير الذي كان يحبو على الارض والذي كان في الشهر الثامن من عمره وقال: هذا هو المشكلة — واشار الى ولده — اذ عندما ابلغ الخمسين من عمري يكون ولدي هذا قد بلغ الخامسة او السادسة عشرة من عمره اي في الوقــت الــذي يستحسن للطفل ان يكون والده في سن اقل من هذا السن (اي في عمر الشباب) ليستطيعا ان يمنحــاه حيوية وانطلاقا اكثر .. — ثم مضى يقول متاسفا — كن على ثقة انه لو كنت مختارا في امري لكنت اتزوج قبل هذا الوقت بكثير) » .

وبعد هذا يبقى سؤال وهو : هل ان الزيجــات المبكرة التي تتم بين زوجين شابين تدوم طويلا ؟!

يتبين من خلال ملفات احدى المحاكم الكبــرى بنيويورك وباعتراف رئيسة المحكمة المسز كروس والتي تفصل المحكمة بواسطتها الالاف من المشاكل الزوجية المستعصية (ان الزيجات الفتية والتي في سن مبكر هي اكثر الزيجات استحكاما وبقاءا ...)

تقول المسز كروس :

(انني انصح الشباب دائما بأن يبكروا في الزواج .. ان فكرة الزواج تاجيل مشاريع الزواج ريثما يتم الحصول على عمل او مهنة افضل ، او فكرة تأجيــل الزواج ريثما يتم توفير رصيد مالي محترم في البنك فكرة وثنية .. لانها بصراحة تعني : عبادة المــال .. واما الامر المنطقي والمعقول حقا هو ان متاعب الزواج الاولية ينبغي ان لا تؤثر في الحياة العائلية وان لا تكون سببا في زعزعة الصرح الزوجي ، وانما بالعكس ينبغي ان تكسبه قوة ومتانة وتماسكا .. حقا ان الذي يهدد صرحنا الاجتماعي بشكل سافر وباستمرار هــو ان نتباطأ ونتاخر في تنفيذ مشاريع الزواج) .

من جهة اخرى لابد ان نأخذ بعض الاسباب التي تؤدي الى تاجيل الزواج بعين الاعتبار وهي قد تكــون مادية غالبا ... فما الذي يمكن فعله كعلاج مفيد لهذا المــرض ؟؟

الجواب في غاية البساطة وهو يمكن في اعــادة مبدأ قديم قدم الانسان وذلك المبدأ يتلخــص في ان

تساعد العوائل القادرة العوائل الجديدة الفتية في بناء صرحها العائلي .

في الايام السالفة وفي بعض البلدان لم يكن يتصور الفتى بانه يقدر على تحقيق مشروع زواجه ما لم يتلقى المساعدة بأن يعطى له على الاقل منزلا او بقرة او غنما او مزرعة .

الا ان هذا الوضع تغير الان كثيرا عما كان عليه اذ نشأت فكرة . ان الفتى والفتاة يجب ان لا يتزوجا الا بعد الحصول على استقلال كامل .. فان جميع مساعدات عام 1800 التي كان يبذلها الاباء والامهات لابنائهم الحديثي العهد بالزواج حتى يصبحوا قادرين على الوقوف على اقدامهم تلك المساعدات قد نسيت تماما مع الاسف .

يقول الدكتور بنيامين كرونتبرك الاجتماعي والمربي المعروف : (انه يتحتم علينا في المدن ان نساعد الازواج الشباب ماديا بأقصى ما يمكن حتى يستطيعوا من توفير السكن والمعيشة لهم ولعائلاتهم وان المساعدات العائلية ـ السالفة ـ يجب ان تعود كما كانت معروفة في القديم .. انه يجب ان نعيد النظر في العادة البائدة والقاضية بتزويد العرائس الجدد بالجهاز والاثاث ، ففي فرنسا التي فيها الوحدة العائلية اقوى ما عليها من اي بلد اخرى في العالم ـ على الظاهر ـ لا توجد عائلة ترسل بناتها الحديثات العهد بالزواج الى بيت ازواجها ما لم تزودنها بمبلغ من المال يضمن معيشتهن ومعيشة ازواجهن لسنة او سنتين على الاقل .. كذلك الاباء فانهم كانوا يرون من الواجب عليهم ان يخصصوا قسما من مزارعهم او محلاتهم بأبنائهم الحديثي العهد بالزواج بل يضعونه تحت تصرفهم غالبا ..)

في الاخير يجب ان نقول : بانه لا بد ان نعالج ايضا مسالة العلاقة بين الزواج والتعليم العالي .

ان الالاف من العوائل تراهم لا يبخلون في بذل المال على اولادهم اثناء دراستهم في الجامعات ولكنهم اذا ما سمعوا مرة ان ابنائهم يرغبون في الزواج تراهم لا يتورعون عن تهديدهم بقطع كل معونة مالية عنهم ومنع حتى القرش الواحد عنهم اذا ما هم اصروا في رغبتهم ظنا منهم بأن التعليم العالي يتنافى مع الزواج كل التنافي ... بينما تقول لنا آخر التقارير كيف ان التعليم العالي اصبح يتفق كثيرا مع الزواج ، في ظل القوانين والاوضاع الجامعية والاجتماعية الجديدة ..

ففي اكثر جامعاتنا اختار اكثر من ثلثي الطلبة الزواج والتاهل وهذه حقيقة واضحة وقائمة بأن الطلبة المتزوجين وخاصة الذين رزقوا باولاد يستفيدون من دراستهم اكثر مما يستفيد غير المتزوجين .. لان المتزوج ينتبه الى الدرس ويعطي الى معلمه سمعه وقلبه ، ويستنفذ كل طاقاته في حياته الدراسية اكثر وافضل من غيره ، (ونعني غير المتزوجين) ..

ففي جامعة ويسكونين تبين ان معدلات المتزوجين احسن بكثير من معدلات غير المتزوجين ، وهكذا فان معدلات المتزوجين ذوي الاولاد يكون افضل واعلى غالبا من معدلات المتزوجين والذين لم يرزقوا باولاد بعد .

ان المقالة الاخيرة التي ننقلها الان هي لرئيس جامعة آيووا (ان الزواج في اوساط الطلبة اثبت بأن له تاثيرا كبيرا .. فان الجامعي المتزوج يحاول دائما ان يظهر امام زوجته بمظهر رائع كما ان للجامعي المتزوج من تفرح له اذا اتى بمعدلات عالية وتخفف عنه وطأة النكسة وتقل الاخفاق اذا ما جرت الرياح بما لا تشتهي السفن ..

* + *

وبعد هذا هل يجوز لنا ان نقول للاسلام : انك خاطىء لانك تقر الزواج في عمر الشباب .. بعدما قال العلم كلمته .. اثبتت التقارير الصحيحة نجاح ودوام وافضلية وضرورة الزواج الباكر .

نعم ليس فقط لا يجوز لنا ان نعترض على الاسلام اقراره لمشروع الزواج المبكر بل لا بد ان ننحني امامه انحناء اجلال وتقدير لانه سبق العلم في هذا المضمار وكشف وبدون منظار وقبل اربعة عشر قرن ما اكتشفه العلم الان وبعد مرور اربعة عشر قرن وبالف منظار ومنظار وعلى ضوء الف تقرير وتقرير .

بيروت : جعفر الهادي

أبحاث ودراسات

افريقيا تصدر إحياء لغاتها القومية

بالاستاذ
قاسم الزهيري

في منتصف شهر ماي طلع بلاغ رسمي في الاذاعة السنغالية وصدر بالصحف اليومية بذكار جاء فيه : « اجتمع المجلس الوزاري يوم 11 ماي في قصر الجمهورية تحت رئاسة رئيس الدولة . ودرس المجلس ووافق على مشروع مرسوم يتعلق بكتابة اللغات القومية .. »

ان هذا البلاغ ، على ما هو عليه من ايجاز ، يعد حدثا بالغ الاهمية بالنسبة لافريقيا السوداء ، ان لم يكن يحمل في ثناياه بذور « ثورة » كما اشار الى ذلك احد المعلقين الصحفيين معقبا بقوله : « انها ثورة بالفعل تلك التي تقضي بادخال تعليم اللغات الوطنية في مدارسنا ، حيث ان تعليمها من الوجهة الوطنية الصرفة يرضي الشعور والاحساس بالعزة. ان افريقيا التي كانت قيمها الثقافية وحضارتها مثار الريبة منذ زمن طويل ، قد توجب عليها ان تعيد الاعتبار للغاتها التي هي وحدها الكفيلة بترجمة احاسيس النفس السوداء على ما بها من تشعب وفي ادق معانيها » .

ان الامر يتعلق باللغات الست التي هي اكثر تداولا في افريقيا السوداء ،او بالاحرى باللهجات التي لا تعرف لها كتابة مضبوطة ، وتنقل لحد الساعة بالسماع . وفي مقدمة هذه اللهجات « الولوف » وهي اكثر ذيوعا من غيرها ، ويفهمها اغلب السود . هذه اللهجات سوف تصبح حصة من الحصص التي تلقن بالمدارس على اختلاف اطوار التعليم ، وتدرس بالجامعة . ومعلوم انها لا تتوفر على حروف اصباغتها وعلى نحو او صرف مكتوب يحدد قواعدها. ولهذا ، فسوف تكتب بالحروف اللاتينية وتنكب الآن جماعة من الاختصاصيين لوضع قواعد النحو لكل واحدة من تلك اللهجات .

من المعلوم ان افريقيا السوداء في الوقت الحاضر جعلت من اللغتين الفرنسية والانجليزية لغتيهما الرسميتين بحسب المناطق ، مما ادى الى تقسيم الدول السوداء الحديثة العهد بالاستقلال الى دول ناطقة بالفرنسية واخرى ناطقة بالانجليزية ، مع ما ينجر عن هذا التقسيم من تباعد في الاتجاه والسلوك بل حتى في الزواج ! واذا كان الغزو الاستعماري في شكله المسلح قد انتهى او كاد في هذه الربوع ، فان الغزو الثقافي ما يزال مستحكما لدرجة لم يكن احد يحلم بان ترقى لغة او لهجة افريقية مهما كان ذيوعها ان تنافس الانجليزية او الفرنسية في معاهد التعليم . وانى لها ذلك وهي مسموعة لا مقروءة . وحين نودي بذلك لاول مرة منذ نحو ثلاثين سنة اعتبر مجرد اقتراحه «هرطقة»! اذ كيف يتصور ان تتساوى لغات « متوحشة .. همجية » مع لغتي فولتير وشكسبير ؟

ومرت السنوات تتلوها السنوات ، والفكرة مجرد حلم يعتلج في اذهان بعض رجال الفكر السود ممن كانوا يؤمنون بكيان افريقيا واصالة قيمها وحضارتها، مما اصطلحوا عليه بالزنجية او الشخصية

الافريقية . وكيف يتسنى لهذا الكيان ان يقوم دون ان يستند على لغة تعد اهم ركائز اي ثقافة مهما كان نوعها . لهذا بدأ التفكير جديا منذ ثلاث سنوات في السنغال باحياء اللغات الافريقية عن طريق الكتابة . وتعددت المشاريع والاقتراحات بواسطة المعهد الاساسي لافريقيا السوداء من جهة ، ومركز العلوم اللسنية التطبيقية من جهة ثانية ، شاركت في اعدادها مجموعة من الاختصاصيين في اللغات الافريقية . ثم عقدت اجتماعات على شتى المستويات الثقافية نذكر منها مؤتمر المعهد العالمي الافريقي بباماكو الذي وضع الصيغة النهائية لكتابة اللغات الافريقية بالحروف اللاتينية ، ولاول مرة ، حصل الاتفاق بين شقي افريقيا السوداء المتكلمين بالفرنسية والانجليزية على شكل موحد للكتابة . وقد اقر المعهد الاساسي لافريقيا السوداء بدكار هذا المشروع ، وترتب عن ذلك صدور مرسوم القانون الذي المعنا اليه والذي يتيح للفكرة ان تخرج الى مجال التطبيق.

وليس هنا مجال تفصيل القول في الطريقة التي اتبعت لكتابة اللهجات الافريقية ، ويكفي القول بان الاختصاصيين في العلوم اللسنية استفادوا من التجارب السابقة في مثل هذه الاحوال ، واخذوا بعين الاعتبار المشاريع التي قدمت اليهم من لدن المتضلعين في علم اللغات سواء في افريقيا الناطقة بالفرنسية او الناطقة بالانجليزية مع مراعاة عدة عوامل ليصبح تعليم اللغات الافريقية واتقان نحوها في المتناول . ولا زالوا منكبين في جامعة دكار ومعاهدها العلمية وغيرها من المعاهد الافريقية الاخرى في تحسين اسلوب الكتابة وتسييرها واستخلاص قواعد النحو والصرف المتعلقة باللغات الافريقية .

انطلاقا من هذا الاساس يود رجال الفكر في القارة السوداء بناء ثقافتهم الجديدة على اساس احياء لغاتهم القومية وبعثها وتعميقها . فالثقافة قبل ان تكون تفتحا على المؤثرات الاجنبية التي من شانها ان تثريها ، يجب ان ترجع الى تربتها الاصلية وتتغذى قبل كل شيء بما تحتويه من نسوغ . فهي اصالة قبل ان تكون اقتطافا واستيعابا . والمحافظة على الاصالة في المحافظة على اللغات القومية التي تعي وحدها ما للشعوب من تراث ثقافي ومقومات روحية وفكرية اساسية . والشواهد على بقاء كيان الشعوب ما بقيت لغاتها من الوفرة بحيث لاتدخل تحت حصر. وخاصة في القرن التاسع عشر حين كانت الشعوب الاوروبية المستضعفة تتمسك بلغاتها ضد الغزو الثقافي الذي كان يسير في ركاب الغزو العسكري. واذا كانت تلك الشعوب حافظت على ذاتيتها ، فلانها حافظت بالاولوية على لغاتها التي هي وعاء حضارتها. واحسن مثال على ذلك هو انبعاث الامة العربية بالرغم عما تعرضت له من زحوف خارجية وعوامل التأخر والتفكك عبر القرون . فرفعت الراس بعد انتكاس بفضل القرآن ولغة القرآن .

شعرت افريقيا السوداء — وفي مقدمتها السنغال — بالحاجة الى احياء لهجاتها القومية بعدما اخذت في بعث انسية جديدة تحت اسم «الزنجية» او «الشخصية الافريقية» . هذه تستند الى تلك ، وتتأثر بها وتؤثر فيها ، فتخرج بعطاء جديد تسهم به في حضارة العصر . والمتوقع ان يكون العطاء وفيرا بالنظر الى الاستكشافات التي اخذ العلماء في شتى ضروب المعرفة يحلونها ، وبعد قرار منظمة اليونسكو بتشكيل لجنة لوضع تاريخ عام للقارة الافريقية .

ولم يكن ذلك بالمستطاع لولا ان ليل الاستعمار قد ولى الى غير رجعة .

موريطانيا : قاسم الزهيري

أين يقف الإنسان ..؟

للاستاذ خليل الهنداوي

ما كان اعمق المعري حين قال :

والـذى حـارت البريـة فيـه
حيوان مستحدث من جمـاد

وفى الحق ان هذا الانسان كان ولا يزال موضوعا محيرا ، لا بنشأته وحدها ، بل بقدرته وعظمته . وهو الذى كان الغاية : غاية العناية الخفية ، وغاية العناية الظاهرة ، وهو كل شيء، بالرغم من انه شيء من اشياء هذه الطبيعة ، على حد قول ابن عربي الصوفي :

وتحسب انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر

فهذا الانسان وحده هو الذى كتب تاريخ الارض، ولولاه لكانت الارض قفرا يبابا ، وهو الذى خط تاريخ الحضارة التى نشأت ضئيلة ، ثم نمت ومشت وليدة الخطا ، ثم ركضت اشواطا فى رحاب هذا التقدم العجيب الذى جعل من الارض شبه طينة ، تصورها انامل الانسان كما يريد .

ولكن هذه الحضارة التى كانت محاطة بقيم تقليدية ، تحد من شططها ، وتجعلها مقدسة ، بدات الآن – لاسباب لا تحصى – تتزعزع وتنهار .

صار كل شيء يحاربها ويحاول تهديمها ، وفى رأس هذه الاشياء اتساع معرفتنا اتساعا عميقا جعل مفاهيم الاشياء تتبدل فى نظ : ، وكثيرا ما تجني المعرفة على صاحبها !

كان اليقين يمنحها ثباتا واستقرارا ، واليوم اصبح الشك يجعلها قيما مزعزعة .

كانت الطمانينة تسيطر على الانسانية واليوم غدا القلق والاضطراب يسيطران على الانسانية .

كان العقل يشرف على هذه القيم ، واليوم فقد العقل ثقته بنفسه ، وراح يدور فى دوامة فارغة ، يفتش عن بصيص من نور فى هذا الظلام .

وكان الضمير هو الوازع والمانع ، واليوم امسى الضمير سلعة من السلع التى تباع وتشرى .

اهو مقدمة الانهيار ؟ ام هو مقدمة التفتح على عالم جديد ، لقيم جديدة ، يريد ان يفهم الحياة فهما جديدا ؟

فى الحق ان الانسانية ، منذ اسلمت قيادها للمعرفة العلمية ، بدات تنحو نحوا ماديا ، صرفا فى تفسير الحياة، وتقييمها ... فالقيم يجب ان تكون مادية ، والاخلاق يجب ان تكون مادية ، والسعادة نفسها يجب أن تكون مادية !

ولكن هذا المنحى المادي الذى انزلقت اليه الانسانية ، بكل ما تستطيع من قوة ، هل استطاع ان يحقق لها الامن والسلام والطمانينة ؟

وهذه المخترعات المادية التى صار الانسان يرفه بها حياته ، ويختصر المسافات ويخوض الاعماق ، ويقهر الاجواء ، ويزيل بها الحواجز والعوائق ، هل زادت فى حريته ، وامنه ، ونعمته، وسعة تفكيره ؟

ان ما نراه ، وما نعيش فيه من قلق وخسوف يثبت لنا ان ما وجدناه ، لم يكن البديل عما فقدناه .

وكما قال احد مفكري العصر :

« لقد راى جيلنا على صعيد الفكر والعاطفة ، حدوث ظاهرات خارقة العادة ، وتحقيقات عجائب فجائية ، وخيبات امل البداهة بصورة همجية » .

وهكذا وجدنا انفسنا فجاة امام افكار، ومذاهب لا تحصى ، ومعتقدات وفلسفات متنافرة ، ومثل عليا متناقضة ، وازمات سياسية واقتصادية ، لا يكاد المختصون يعثرون لها عن حل ، حتى يقفوا فى أزمات اشد تعقيدا .

وهل اشد مما يبعث على السخر من موقف هؤلاء العلماء الغارقين فى تجاربهم ومخابرهم ، يحملون بيد وسائل التدمير الرهيبة ، وباليد الاخرى يحملون ما يحيطون به هذه الوسائل ؟

ما من احد يستطيع ان يقول : « ما الذي سيزول غدا ، وماذا الذى سيبقى من تراثنا على صعيد الانسانية ؟ » ولكن الذى يستطيع ان يقوله كل انسان :

« ان الملايين من الناس قد ماتوا من اجل تحقيق الحرية ، دون ان يستطيعوا ذلك ، والكثير قد هلكوا فى سبيل انقاذ الحضارة ، دون ان يقدروا»

وكما قال احدهم يصور هذا الكفاح اليائس :

« لقد اتضح عجز المعرفة عن كل شيء ، واصيب العلم بضربة مميتة فى مطامحه الاخلاقية، فكان تطبيقاته الشرسة قد القت عليه جلبابا من العار .

وتعسر انتصار المثل الاعلى ، بل اصيب بجراح عميقة ، واصبح مسئولا عن احلامه العابثة ، وخاب امل المذهب الواقعي ، وغلب على امره ، وتلطخ بالاخطاء والجرائم ، واختلطت المعتقدات فى الزمن ، والمفكرون شكوا ، ثم آمنوا ، ثم شكوا ، ولم يعودوا يعرفون كيف يستخدمون عقولهم » .

ولكن هذا ، هل معناه فقد الامل فى الانسان ؟

وبعبارة اصرح : هل مات الانسان ؟

اننا لا نريد ان نكون متشائمين بهذا المقدار ، فان هذا الانسان الذى حارت البرية فيه ، لا يزال يحمل معجزة وجوده وبقائه بيديه ، ومن الادلة على تمسكه بالامل انه راح يبحث عن وسائل النجاة فى كل مكان !

ولكن .. اين يجد هذه الوسائل ؟ اتراه يعود الى الملجأ فى ماضيه ، وتقاليده الموروثة ؟ ام تراه يحاول ان يسيطر على اهواء نفسه ، بالمقدار الذى سيطر به على الطبيعة ؟

اما العودة الى القديم فلا اظن ان الانسانية ترجع الى الوراء ، كالعجلة التى تستطيع ان تستدير لان سني حياتنا لم تعد تتحمل تطورات بطيئة كسني اسلافنا . بل هي انقلابات كبرى خاطفة ، يعيها الانسان فى حياته القصيرة ، كما تعيها اجيال فى حياتها الطويلة . ولان معرفتنا للطبيعة استطاعت ــ خلال جيل واحد ــ أن تستوعب ، وتتجاوز جميع المعارف الموروثة فى قديم العصور ، وتقدمنا الآلي اتاح لنا الاتصال بغيرنا من الشعوب اتصالا مباشرا ، وبما ان المعرفة لا يمكنها ان ترجع الى الوراء ، فهي تمنعنا ايضا من الرجوع الى الوراء .

واما الاصرار على الحاضر فليس ، هناك ، ما يشير بأنه الخير كله !

ولكن ، مع هذا ، يجب ان نعترف بأن الحالة تغيرت ، وها نحن نرى الانسان اليوم غارقا فى خضم من التشوش والاختلاط ، ونشاهد الغرائز تندفع بلا شكيمة ولا عقال ، فكأن نارا كانت تخبو تحت الرماد اضطرمت فجاة ، واحرق لهيبها الحضارة المكتسبة عبر التاريخ .

فهل هذه الظاهرة تدلنا على ان الانسان يندفع اليها مختارا ، يريدبها التهديم من أجل التهديم ؟

انا لا اظن ان الانسان يريد ذلك ، وليس هنالك انسان يريد ان يهدم بارادته سقف بيته على راسه.

واذا ، فأين هو الامل ؟

هنالك الامل الوحيد الذى لا تزال تؤمن به الانسانية ، تلمحه فيما نراه من دعوة الى السلام ، بين ركام الخرائب ، وسحب الحرائق والدخان ، وتحسه فى ضمائر بعض العلماء الذين يؤلمهم ان

يتحول العلم الى اداة تهديم ، وهم يريدونه اداة خير وبناء ، ونشهده فى سلوك بعض الساسة الذين يعذبهم ان يتورط بعضهم فى تبرير الاعتداء ، وقهر الحريات !

هذا هو الامل الباقي فى هذه الضمائر الحية لاستنقاذ الانسانية ، بعودتها الى تقديس القيم السالفة التى لم تنشا عبثا فى وضع العلائق البشرية ، واحترامها ، وتقديس المثل العليا التى لا يمكن أن تتبدل !

فالاديب مدعو الى الكلمة الطيبة التى لا تزرع الاحقاد والعداوات !

والفنان مدعو الى الشكل الذي يزود النفوس بالجمال ، وينقيها من البشاعة .

والمفكر مدعو الى تجديد ايمان الانسان بنفسه ، بعد ان شك فى نفسه .

والعالم مدعو الى ان يعتقد بان الآلة العمياء لا تستطيع ان تقود العين المبصرة !

كل ما حول الانسان يريد ان يسحقه ، ولكن علينا ان نقول : « لقد رفضنا ما كان يريده فينا الحيوان ، ونريد ان نجد الانسان دائما فى كل مكان وجدنا فيه ما يسحقه »

ومن هنا ينبثق مفهوم مستقبل الانسان ..!

ان من حسنات الانسان المحير انه لم يخلق مكتملا ، وهو دائما متفتح على المستقبل ، منطلق نحو الكمال . وبارادته وحدها يستطيع ان يختار لنفسه الطريق .

وبما اننا لابد لنا من ان نعيش فى عالم قد اتسع اتساعا مفرطا ، وفى بشرية قد تنوعت تنوعا مفرطا ، علينا ـ على الاقل ـ ان نتخذ شعارا لنا هذه الحكمة التى نستطيع بها ان نختار حياة ، وعملا وجمالا :

« عش لغيرك كما تعيش لنفسك ! وعش للانسانية كما تعيش لعشيرتك وامتك ! »

حلب ـ خليل الهنداوي





لقد سبقت لغتنا اللغات الاخرى فى وضع معاجم للمترادف ، الا انه لم يظهر فى العصر الحديث شيء من هذا النوع ليساير الحاجات المستجدة والمفاهيم المتطورة .

ولعل من العوامل التى اخرت ظهور معجم عصري للمترادف هو الصعوبة المزدوجة ذلك انه الى جانب مهمة قيد المترادفات ينبغي ايجاد طريقة عقلانية وعملية لترتيب هذه المفردات فى مستوى يضاهي معاجم المترادفات الغربية التى بلغت مستوى رفيعا .

وفى معالجة المفردات لا يصح الوقوف عند ما جمع منها فى الماضي او قصرها على الابواب التقليدية بل لا بد من احداث ابواب جديدة للوفاء بالمفاهيم المعاصرة والافادة فى الوقت نفسه من المعاني الجديدة التى اكتسبتها المفردات خلال العصور الاخيرة .

اما من ناحية المادة فقد اضاف الى المجموع الموروث ابوابا جديدة ترتكز للمفاهيم الحضارية الجديدة واغراض الحياة اليومية .

وتناول المعجم الافعال والاسماء وحروف المعنى والتعابير المأثورة وفى جميعها اضاف للمعاني التقليدية للمفردات المعاني اللاحقة حتى يومنا هذا غير مهمل الفاظ المولدة والدارجة التى ظفرت بقدر ملحوظ من التفات الكتاب .

وحسنة اخرى فى هذا المعجم الذى تزيد صفحاته عن الاربعمائة هو ادخال الالفاظ المغربية والمعاني المغربية للالفاظ .

وبهذا يمكن القول دون مبالغة ان هذا المعجم يمثل جهدا ناجحا او على الاقل يمثل محاولة صحيحة لعرض مترادفات العربية من العصر الجاهلي حتى ايامنا هذه ومن الخليج الى المحيط .

— ✻ —

يبدو من تصفح معجم المعاني الذى صدر فى بغداد هذا الشهر انه يسد الحاجة الملحة الى معجم للمترادف على مستوى عال .

فمن ناحية الترتيب عمد المؤلف الاستاذ **نجيب فرنجية** الى الطريقة الالفبائية فى ادراج مفردات المعجم من الالف الى الياء .

وكما يدل اسمه ففي كل حالة اشار المعجم الى المتوارد والنقيض فكان معجم مترادفات ومعجم نقائض .

ففى نهاية كل مجموعة من المترادفات أرجع القاريء الى الصيغ الاخرى للمفردة (جميل : جمال) والى المتوارد والنقيض .

ومما يلفت النظر حقا في ايراد مفردات مختلف المجموعات وضع المفردات المتوازية الرسس متجاورة الواحدة في جانب الاخرى بطريقة تسهل للغويين تتبع تطـور اللفظة .

ووضعت كل مجموعة من المترادفات في مكانها في الترتيب الالفبائي حسب بدايـة أول مفـردة في المجموعة .

ولتأمين الوصول للمفردات غير المـدونة بهـا المجموعات فقد ادرجت هذه المفـردات جميعهـا ، فرادى هذه المرة ، في اماكنها من الترتيب الالفبائـي المطلـــق .

— ✻ —

وفي كثير من المجموعات شرحـت المفـردات باظهار الفروق الدقيقة بينها بطريقة المقارنـة لكن في الحالات التي لا تتطلب الشـرح اكتفـي فيها بسـرد المفردات .

وقد اراد المؤلف ـ على ما يبـدو ـ التمسـك بالفعل والمصدر معا ، لكنه في بعض الحالات اجتزأ بأحدهما عن الآخر ، ولعل السـبب في هذا يعود الى الحرص على تخفيض حجم الكتاب .

ومن ناحية الشـكل فهو غير كامل لكنه على كل حال كاف لمنع الالتباس .

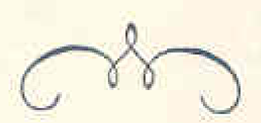
— ✻ —

يؤخذ على هذا المعجم غياب كثير من المفردات الفصـيحة المألوفة . وقد استدرك المؤلف بانه خلافا للمعجم العادي فان معجم المترادف غير استقصائي بطبيعته اي انـه غيـر مفـروض ان يضـم جميـع المترادفات . ومثل هذا القول مردود . صحيح ان اللغات الاجنبـية تعرف الكثير من معاجم المعاني غير المستقصية المقصود بها الاسـتعمـال اليومـي غيـر المتخصـص لكن ثمة في هذه اللغات معاجم معاني تكاد تكون شـاملة .

مهما يك فالذي اراه ان هذا المعجم يمثل خطوة راسخة في الطريق الصحيح

واذا رايته من الهلال نموه ايقنت ان سيصيـر بدرا كاملا .

العراق : الاستاذ ابو سعد





نوافذ: نظرة جديدة عن ابن قتيبة

للأستاذ محمد ازنيبر

يعد ابن قتيبة من كبار اساتذة الادب العربي ومن العلماء المبرزين في الثقافة الاسلامية ، بوجه عام . وقد جعله ابن خلدون ، كما هو معلوم ، رابع اربعة حينما اراد أن يعين كبار المؤلفين الذين تعد كتبهم مصادر اولية لتحصيل فنون الادب ، حسبما كان متعارفا في عصره ، بطبيعة الحال . وقد كنا نظن أننا نعرف الشيء الكثير عن ابن قتيبة لما اطلعنا على بعض تآليفه المهمة وعلى بعض المقالات والدراسات التي نشرت عنه سواء في الصحف والمجلات أو في مقدمة تآليفه المنشورة . لكن هذا الاعتقاد يظهر خطاه سريعا حينما نطلع على الرسالة القيمة التي وضعها عن هذا الاديب الكبير باللغة الفرنسية الاستاذ « جيرار لوكونت » .

ولربما كانت كلمة رسالة توحي بالضآلة وصغر الحجم . والواقع ان الامر يتعلق هنا بكتاب ضخم يتجاوز خمسمائة صفحة كلها كلام في موضوع ابن قتيبة وآثاره وافكاره . نعم ، ان مثل هذه الدراسة توحي لنا بأن ما نسميه أدب التراث ، ونعتقد أننا احطنا به واستقصينا جوانبه ، لا زال في حاجة الى عمل اكثر جدية واكثر تحريا وتدقيقا في المناهج ، بالاستناد الى المقاييس العلمية الصحيحة .

والمزية الاولى التي نلحظها في كتاب « لوكونت » هي أنه استقصى موضوعه غاية الاستقصاء مستجيبا في ذلك الى الضمير العلمي الذي يمشي مع الحقيقة الى نهايتها . فقضى سنوات عديدة ، تارة بالشرق وتارة بأوربا ، وهو يتصفح المخطوطات ويطالع كل ما الف عن ابن قتيبة وعصره وبيئته قديما وحديثا . فهو لا يتسرع ولا يتساهل في حكم او في تحليل ولا يكتب الا بعد أن يكون تروى في مدلولها ومحص الحجج التي تستند اليها ، بحيث انه من الصعب على قارئه أن يجد شيئا جديدا يضيفه اليه ، اللهم الا اذا شمر عن ساعده وتقدم الى ميدان البحث بمثابرة واخلاص .

وليس في نيتي ، الان ان اقدم خلاصة تامة عن الكتاب لان ذلك لا يتسع له الوقت ، ويكفي ان اشير بسرعة الى أهم الجوانب التي تناولها المؤلف . فهو يقدم لنا باديء ذي بدء نظرة شافية عن المصادر والمراجع المتعلقة بابن قتيبة وعصره ، ثم يحدثنا عن حياته ، محاولا ان يربط بين حلقاتها وان يجلو غوامضها حسبما تسمح به المصادر ، ثم ينتقل به الكلام الى التكوين الثقافي الذي حصل عليه ابن قتيبة ، فيعقد فصلا طويلا وقيما للاساتذة الذين تتلمذ عليهم ، مبينا قيمتهم ودرجتهم .

ويعرج بعد ذلك على موضوع الآثار التي خلفها ابن قتيبة فيفصل الكلام عنها ، حسب صحة نسبتها الى المؤلف . فالكتب التي نشرت والتي لا يشك في صحة نسبتها اليه هي : أدب الكاتب ، الانواء ، العرب ، الاشربة ، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، معاني الشعر ، المعارف ، المسائل والاجوبة ، الميسر والقداح ، الشعر والشعراء ، تفسير غريب القرآن ، تأويل مختلف الحديث ، تأويل

مشكل القرآن، عيون الاخبار. وهنالك كتابان لايزالان مخطوطين ولا يشك فى صحة نسبتهما وهما : كتاب غريب الحديث وكتاب اصلاح الغلط فى غريب الحديث لابى عبيد القاسم بن سلام . وهنالك طائفة اخرى من التآليف لا يقطع بصحة نسبتها ، وهنالك كتب من المؤكد انها منحولة للمؤلف وهي : الالفاظ المغربة بالالقاب المعربة ، الامامة والسياسة ، تلقين المتعلم ، وصية ، كتاب الوزراء . وكل هذه القوائم تحرى المؤلف فى تخريجها وتصحيحها ، مشيرا الى اماكن وجود المخطوطات ، على اختلافها .

بعد هذا ، نصل الى المصادر التي اعتمد عليها ابن قتيبة فى تآليفه . ويأتي فى أولها المصادر الفارسية والهندية ثم التآليف اليونانية والكتب المقدسة اليهودية والمسيحية وآثار الجاحظ وتآليف اللغويين والنحاة ، وكل هذا يبين اتساع الثقافة التي كان يعتمد عليها ابن قتيبة . ويخصص المؤلف بقية الكتاب لتحليل آراء ابن قتيبة فى شتى الميادين :

فى الدين ، فى رواية الحديث ، فى التفسير ، فى السياسة ، فى الفرق ، فى الشعوبية ، فى اللغات الاجنبية ، فى المدارس النحوية ، فى الشعر ، فى الادب .

تلك نظرة جد مختصرة عن هذا الكتاب الكبير . بقى على ان اعرض الان ، باجمال أيضا ، الى بعض الاستنتاجات الرئيسية التي توصل اليها « لوكونت » من خلال دراسته .

هنالك ، اولا ، صورة رسخت فى الاذهان عن ابن قتيبة وهي انه اديب ، لا غير . وانتشار مثل هذا الرأي يعزى لكون الآثار الادبية لابن قتيبة كانت هي اول ما نال العناية الاولى من حيث النشر . والواقع أن ابن قتيبة عالم ديني كذلك وحامل راي فى المسائل الكلامية والمذهبية ونباهته فى هذا الميدان لا تقل عن نباهته فى الادب . بل ان قيمته كعالم ديني جعلته يلعب دورا سياسيا فى اعلى مستوى . ونظرة شاملة الى تآليفه تبين ان اهتمامه بالمسائل الدينية والمذهبية تأتي قبل اهتمامه بشؤون الادب .

ولا غرو ، فقد وجد ابن قتيبة فى عصر كانت الاختيارات المذهبية على جانب كبير من الخطورة كما يشهد على ذلك المناقشات الحادة التي قامت بين فرق الشيعة المعتزلة والسنة والخوارج والقدرية والمرجئة الخ ... الشيء الذي اضطر الدولة العباسية والخليفة نفسه الى الخروج عن موقف الحياد بين المذاهب والى اختيار راي معين . وقد بلغ هذا الاتجاه منتهاه فى عهد الخليفة العقلاني ، المتشبع بالفلسفة ، المأمون الذي جعلت مجالسه بالمناظرات العلمية فى مسائل الدين وغيره . ومن المعلوم أن المامون سار قدما مع مذهب الاعتزال فى اختياره الاعتقادي واتخذ لنفسه بطانة من رجال المعتزلة وعلمائهم ، ونادى بمبدأ خلق القرآن وامتحن العلماء السنيين من جرائه ، فكانت فتنة كبيرة ترددت اصداؤها فى كتب التاريخ . واستمرت الدولة العباسية فى تبنيها لمذهب الاعتزال فى عهد الخليفتين المعتصم والواثق اللذين تعاقبا على الحكم بعد المأمون ، بحيث يمكن القول ان المذهب الرسمي للخلافة فى تلك الآونة كان هو الاعتزال .

لكن المذهب السني كان يتهيأ لرد فعل قوي وحاسم . فما صعد المتوكل الى كرسي الخلافة سنة 232 هـ ـ 847 م حتى فكر فى ان يتخلى عن المعتزلة وان يجعل من السنة المذهب الرسمي للدولة . واقترن هذا الاختيار بنوع من التشديد ، فطرد المعتزلة من ساحته واضطهد الشيعة ايضا ، والزم العلماء ان يلقوا فى المساجد دروسا يسفهون فيها آراء الفرق الاخرى من غير السنة ويندون بها . وترتب عن هذه التقلبات ان نبغ فى ذلك العصر عدد من الرجال الذين يعدون من ألمع الاسماء فى تاريخ المذهب السني مثل اسحاق ابن راهويه وابن حنبل والبخاري ومسلم وابى داود السجستاني والترمذي .

وكان من سياسة المتوكل والخلفاء الذين جاءوا بعده أن يشجعوا علماء السنة ويمكنوا لهم بين الخاصة والعامة . وقد كان ابن قتيبة احسن من يرشح لمثل هذا التشجيع . فقد كان تلميذا لابن راهويه ولابن حنبل . وهذا ما جعله يتقرب من المتوكل ومن دائرته وخاصة من وزيره عبيد الله بن خاقان الذي أهدى له ابن قتيبة كتابه أدب الكاتب . ويرجح « لوكونت » أن عددا من كتبه الفها باقتراح من دائرة المتوكل لمساندة سياسته الدينية ، مثل كتب « غريب الحديث » و « مشكل القرآن » و « غريب القرآن » . ولا شك ان هاته المساهمة التي قام بها ابن قتيبة فى الانتصار لمذهب السنة هي التي جعلته يعين باقتراح من عبيد الله بن خاقان قاضيا بمدينة الدينور . ويقول «لوكونت» فى هذا الصدد :

« من المؤكد ان ابن قتيبة ، بكيفية او باخرى ، وقف قلمه طيلة حياته على خدمة السنة . وبما ان

تضال هذا المذهب في صوره الاولى كان على يد ابن حنبل وتلامذته ، فلا غرابة أن تكون العقيدة التي يدعو اليها ابن قتيبة تسير في الاتجاه الحنبلي » .

ويتجلى هذا الاتجاه واضحا سواء في منهاج ابن قتيبة في تفسير القرآن او في نقده لرواية الحديث أو في معالجته لموضوع الفرق .

وهنالك موضوع ثان يتعرض له « لوكونت » في دراسته لابن قتيبة وهو موقف هذا الاخير من الشعوبية . ورغم كون ابن قتيبة من أصل فارسي ، فانه لم يظهر اي تحرج في الانتصار للعرب واعتبارهم أصحاب الاولوية في المجتمع الاسلامي . الا أن موقفه هذا فيه مرونة وتفصيل ، كما يدل على ذلك الجزء المنشور من كتاب العرب . فهو يرى أن فكرة الشعوبية تنبني ، قبل كل شيء ، على نوع من الحسد الذي يحرمه الدين ، الا انه يؤكد ، من جهة اخرى ، ان الشعوبية لا تعني تنافسا بين جنسين مختلفين ، بين العرب والفرس مثلا ، بل هي تعبر ، بالاحرى ، عن نوع من القلق الاجتماعي . انها رد فعل من طرف الرعاع والغوغاء واخلاط النبطيين والسواديين ضد العرب . أما اعيان الفرس ونبلاؤهم فانهم يعرفون حقوقهم وواجباتهم . ومعنى هذا ان الشعوبية تعبر عن فكرة طبقية ، قبل كل شيء . ومع ذلك ، فابن قتيبة يعتبر ان العرب لهم حق الاولوية في الميدان السياسي بالنسبة لغيرهم من الشعوب وان قريش بدورهم لهم أسبقية بالقياس الى غيرهم من العرب وهي نظرية تنتهي الى تأكيد أحقية العباسيين بالخلافة .

ولابن قتيبة كذلك آراء في النحو واللغة حاول ان يوفق فيها بين مدرستي البصرة والكوفة ، دون ان يستند في موقفه على مذهب واضح . فهو بصري في الاصول ، كوفي في الفروع .

ولا نحتاج الى الاطالة في رأيه عن الشعر الذي يعرفه كل من تصفح مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » ولكن الاستاذ « لوكونت » يرى ان ابن قتيبة لم يكن يعتبر الشعر غاية في نفسه ، بل هو مجرد وسيلة . ومما يقوله في هذا الصدد : « انه لا ينظر الى الشعر كنوع أدبي الا بصورة عرضية . بل هو مجموعة من الوثائق المختلفة منها التاريخي واللغوي وهو بالخصوص اقوى حجة للدفاع عن قضية وتغذية مناقشة ، اي انه اداة سياسية » .

ومن أهم الفصول في كتاب « لوكونت » هو ذلك الذي عقده عن ابن قتيبة والادب . وفيه يثير موضوعا طريفا اذ يتساءل عن الجمهور الذي كان يتوجه اليه ابن قتيبة بتآليفه الادبية . ان كتبه تهدف الى تبسيط المعرفة وتيسيرها لجميع القراء . ولكنه في الواقع ، كان يتوجه قبل كل شيء الى طائفتين من الناس : طائفة الامراء والاعيان وطائفة الكتاب . ومما لا شك فيه ان الكتاب كانوا آنذاك في حاجة الى تكوين خاص والى ثقافة من مستوى رفيع ، نظرا لما كان ينتظر منهم في مزاولة وظائفهم من اتقان الكتابة والتوفر على اساليب البلاغة والمعرفة بشعر العرب وأمثالهم واخبارهم . وقد عدد ابن قتيبة في « ادب الكاتب » العلوم التي لا بد منها لكل من يزاول مهمة في المجتمع . والادب ، فمفهومه العام ، كما يراه ابن قتيبة هو حامل لاخلاق وفضائل وهو نوع مما يسمى عند الغربيين بالانسانيات L'humanisme الا انها انسانيات دينية لكون من يتعاطى اليها يتلقى ثقافة وفي آن واحد يضع نفسه في خدمة مثل أعلى اخلاقي لاسعاد نفسه في الدنيا وللتعبير عن تمجيده للخالق .

هذه نبذة متواضعة عما يحتوي عليه كتاب « جيرار لوكونت » وهي كافية لترينا اهمية هذه الدراسة التي تثير عدة مشاكل مهمة وممتعة منها الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي والادبي ، ولتبين لنا ان دراسات من هذا النوع الرصين المتزن كفيلة بأن تكشف لنا الكثير مما نجهله حتى الان وأن تجعل من تراثنا الادبي وسيلة قوية وفعالة للاقتراب من ماضينا المنزوي في الظلال والتعرف على اسراره المطوية .

سلا : محمد ازنيبر



شاعر طريف المعنى ، لطيف المرمى ، سهل الاسلوب ، رقيق الحاشية ، لا يمس أحدا باساءة تؤذيه ، ولا تتحكم به عواطف المحاباة ، ولا تصرفه عن قول الحق شهرة أو نزوة ، تبدو عليه سيماء النجابة ، عصرته التجارب في سنه المبكرة ، وعالمه الغض ... تجمعني واياه غاية الادب الحر ، والاحساس بوحدة الفكر المشترك ، وواكبت مرحلة نضوجه ، فعرفت فيه الاخلاص للفكرة التي يتبناها .. وهو انسان ذو خلق نبيل وطبع أصيل .. كتلة من الشعور المتحفز ، والفكر المتوثب .. وهب نفسه للادب فراح يخدم الثقافة العربية خدمة كبيرة جديرة بالاعتزاز ...

لقد تمازجت في شعره أساليب النهج القديم في اقتفاء اثر القدامى من الشعراء في المنحى والاتجاه مع الانعطاف نحو القيم التعبيرية الجديدة من ايراد النزعة الحديثة في الصورة الحسية الماثلة امام الباصرة وهو ان اعتمد الشكل القديم في قصائده .. الا اننا نجد في شعره الجدة بكل معانيها ، والعناية الخاصة باللفظ والشكل والموسيقى ، والمحافظة على وتيرة واحدة في النظم مع طواعية الشعر له ، ذلك الشعر المتميز بصدق العاطفة ، والبعد عن التكلف ، واللغة الجيدة ، والاسلوب الرصين ، والتصدي لتيارات الحياة ومشكلاتها ..

وعلى الرغم من ان في شعره ميلا الى التقليد بالتزامه الشكل العمودي الموروث ... الا ان قوة المبنى وسلاسة المعنى تلوحان فيه ، وقد اتسم بتعدد اتجاهاته ، وتعمق مضامينه ، واصطباغه بصبغة انسانية ذات فكرة شاملة عن الحياة والانسان ، واحتدامه بالخلجات النفسية ، والمشاعر الحسية ، وازدحامه بالصور الحية المشحونة بالعواطف الجياشة والاحاسيس الملتهبة ، وعدم الانجراف وراء النزعة الانهزامية والانطوائية التي تشيع المرارة والخنوع والخيبة في النفوس .. وهو يلتقط افكاره من حقول الحياة ، ويستقي مادته من صميم الواقع ... فلا يفتعل الحوادث ، أو يختلق الصور ويحشرها حشرا لا مبرر له .. وان اول ما يلاحظ على شعره من ناحية الموضوع ان اغلبه يدور حول القضايا الاسلامية والعربية ويحمل في تضاعيفه بذور الثورة والتحرر وعناصر الانطلاق من قيود التبعية والاستعمار ....

الا انه مما لا جدال فيه ان الشاعر متى قال الشعر فقد اخرج نزعاته الخاصة في اطر معانيه ، وصب افكاره في صيغه اللفظية ... وعلى مقدار اهتمامه بأمر من الامور وتمثله له تتجلى مقوماته الفكرية والحضارية ... وان عمق ثقافته أو ضحالتها تبدو واضحة كل الوضوح في محاولاته الشعرية التي هي ارهاص لآرائه ونظراته وتطلعاته ...

وشاعرنا الذي نحن بصدده له طابع خاص يتميز به ، وأسلوب محدد يلتزم بخطوطه ... وينفرد بروحية التحليل الدقيق للفكرة المرتسمة على شاشة

مخيلته ، والتي يضعها في اطار العاطفة المتدفقـــة ... وقد تناول معظم الاغراض الشعرية واجاد فيهـــا ، وجسد فيها نزعاته المختلفة فجاء عمله الادبي مخلصا موجها موحيا .. اذ لم يكن الشعر عنده هواية ومتعة وانما هو اكثر من واجب .. ويمكن حصر تلك النزعات فـــــي :

النزعـــة الاسلاميـــــة :

لما كان معنى العقيدة في اللغة هو ما عقد عليه القلب والضمير او ما تدين به الانسان واعتقده لـــذا بات واجبا ان اسجل العقيدة الاسلامية ... وقد وضعت كلمة النزعة لتاتي منسجمة مع العنوان ليـس الا .. وشاعر قد تفهم روح الاســلام ، واحاط به عن ادراك، بعد مثابرته على مواصلة البحث والدرس في امهات الكتب الاسلامية .. فتكشفت له روعة المثل العليا التي تجسمت في مبادئه السامية التي مكنته من مناقشـــة الاراء التي تناهضه بروح بناءة قائمة على اساس من المنطق السليم ، والفهم الواعي .. فقد صار يتبين النهج ويستجلي الطريق وينهل من معين دينه الذي لا ينضب، ويحمل معاني افكاره ، ويفصح بما لا يترك ثغـــرة للريب عن عقيدته الراسخة التي يصر بوحي منها على تأدية رسالته الحياتية الخالدة ، وصيانة الشريعـــة الاسلامية من لوثة التلاعب والتحريف ... فهي القبس المنير للدنيا كلها ، وتشكل القاعدة الصلبة لانطلاقتـــه منها نحو ارساء اسس الحياة المثلى ...

لقد كان المجتمع العربي قبل ظهور الاسـلام قلقا متبلبلا .. فالاخلاق متفسخة ، والقيم ضائعة ، والافكار متضاربة ، والبشرية تائهة في دروب ملتوية ، هائمة على وجهها تلتمس اسباب الاستقرار ، وتنشد نشوة الاطمئنان بعد فقدان العدل الاجتماعي ، وانتشـــــار المفاهيم الخاطئة ، وضياع الحقوق المشروعة في لجج الظلم والاستبداد ...

وجاء الاسلام النموذج الرائد في تجربة الممارسات العلمية للاصلاح ، وفي مناهجه التثقيفي والعلاجي هو كيان البغي والفساد واقتلع جذور العبث والاستهتار، وغسل ما علق بجدران النفوس من ادران ، واكتسح ما تبلور في اغوارها من شوائـــب ، وامعــــن في الانقضاض على الباطل والضلال لصيانة المجتمـــع الانساني من التدني والانحطاط ووضع المرتكـــزات والضوابط التي تحكم السلوك الفردي ضمن المنطلقات الفكرية الصحيحة ليخلق الحياة من جديد ويجعل لها معنى ..

والشاعر لا يدخر جهدا في الذود عن حيـــاض الاسلام ، والعمل على ترسيخ مفاهيمه في الاذهـــان لخلق جيل واع لقضيته ، متمسك باخلاقه ، متفهـــم لواقعه ، مؤمن بدينه ووطنه ، مناوئ للتيـــــارات العائقة للتحرر التي تحاول اجهاض قيـم الديـــــن الاسلامي العظيم الآخذ بالامة الى حياة المساواة .. فهو نظام يحقق العدل وتكافؤ الفرص بين الناس ، وينمي الثقة بتراثنا ذي الافكار الاسلامية العميقة الجـــذور التي تمس المشاكل الجوهرية في الحياة الانسانية ، ولا تقف عند المسائل السطحية ، وتزيح غلالة الظلام عن وجه الكون الرازح تحت ركام من الاوهام ، وتجرف امامها سخائم الطبائع ، وتنير ظلمات الحياة ...

انها مهمة لابد من القيام بها .. مهمة مجابهـــة جنوح انسان العصر المتحدي لقيم الفضائل ، والتعلق باذيال الوهم والخيال ، والخروج عن مفاهيم الاسلام، والنكوص عن تعاليمه ، وتزييف الحقائق ، واهــدار المبادئ الاخلاقية الكريمة التي تقوم عليها اســـس الحياة الانسانية ...

وهو يؤمن بفعالية القوة التي تضمن تحقيـــق الاهداف ، وتسد الابواب امام المتربصين بمكاســـب الشعب ليلحقوا بها اكثر الاضرار ، ويرى ان الامجاد لا تبنى الا على الجماجم ، والرياض لا تخضوضر الا اذا سقيت بالدماء المهراقة حيث يقول :

آمنـت ان الديـــن لا رجعيـــة
ابـــدا ولا همجيـــة وتأخـــــر

الدين نبراس الوجود وســــره
وعدالـــة وتقـــدم وتحـــرر

اسلامنا فيه العقيـــدة منعـــة
ان العقيـــدة قـــوة لا تقهـــر

وعلى الجماجم تبتنى امجادنـــا
وعلى الدماء رياضنا تخضوضـــر

وليس غريبا ان يسعى الشاعر لابراز محاســـن الاسلام واستنباط اهدافه وجعله قاعدة اساسيـــة لضمان الحقوق والحريات والدواء الناجع للاعتلال الروحي، والقلق الفكري بعد ان ادرك المعاني الانسانية

التي تكمن فيه ... فهو دين تتجلى فيه أسمى معاني القيم التي تتسامى الى آفاق علوية متأصلة في اعماق الابدية ... انه دين تعاطف لا تنافر ، وتحابب لا تباغض، وتسامح لا تناحر ... يدفع البشرية خطوات كبيرة الى الامام في مجالات التقدم ..

وغني عن الذكر ان من كانت عقيدته الاسلام فانه لا يجري مع تيار الافكار الوافدة ، وانما يظل سائرا في دروب حياته على هدي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم القبس الوهاج الذي لا تنطفىء شعلته. فهو شعاع منير يستضاء به على مر العصور ...

وانتصارا لقيم العدالة التي جاءت بها الرسالة المحمدية السمحاء واحقاقا للحق ووضع الامور في نصابها فقد قال :

وشريعتي الاسلام خير عقيدة
تحمي الضعيف من القوي المعتدي

لسنا مع (التيار) نجري اننا
نمشي على هدي الرسول ونهتدي

ويجب ان يكون واضحا تماما انه لابد من العودة الى روح الدعوة المحمدية وصيانة مفاهيمها .. بعد ان اصبح جيلنا غارقا في خضم تيارات فكرية متباينة الاتجاهات والميول فقال :

يا راية القرآن رفي فوقنا
فلانت من نسج الاله الاوحد

ولانت مكنون الحياة وسرها
ولانت نبراس الوجود السرمدي

لعل اهم ما ينبغي ان نعرفه ان رسالة الاسلام تواكب التطور الحضاري ، وتساير التقدم العلمي ، وتدامج الحياة ولم تكن محدودة الاهداف ، ومقصورة على زمن معين ، او امة معينة ... لقد ادرك الشاعر مكامن العلة فتحمل مسؤوليته امام عقيدته التي يدين بها ... فراح يخاطب موكب الاسلام الهادر ليمنح العالم قبسة من قبساته الوضاءة يطوي بها الدجى المدلهم ، ويمزق حجب الظلام التي اسدلت على آفاقنا ، ويبعث ضوءه الوهاج في القلوب التي خبت انوارها وامست كالطلول الهامدة ...

انه يستفز المسلمين للثورة على كل ما يمسخ جلال القيم ويقتل جوهر الاسلام من اكل لحوم الابرياء ونهش الاعراض ، والضحك على الذقون ، والسير في ركاب الدجل والنفاق ... فقال :

يا موكب الاسلام هل من قبسة
تطوى الدجى من نورك المتوقد

غذ المسير فقد تجهم افقنا
وتسدلت حجب الظلام الاربد

وابعث ضياءك في القلوب فانها
قد اصبحت من قسوة كالجلمد

فاذا خبا نور القلوب فانها
تمسي كآثار الطلول الهمد

ان ارادة العقيدة اقوى من اي طغيان وان طلائع الهداية والحق والخير لا يمكن ان تنال منها قوى الظلام والباطل والشر .. فليرتفع لواء الاسلام خفاقا في اعالي الذرى بجهاد الشباب وابائه وتضحيته في سبيل المبدا من اجل ان تتحقق رسالته القومية والانسانية ، وتتبدل عتمة الحياة الى اشراقة دائمة ..

وفي شعور متدفق بالاحساس المرهف ، والعاطفة المحتدمة تجسدت الامال الكبيرة التي يعقدها الشاعر على شبابنا المناضل لاسترجاع مجد الاسلام الخالد الى ربوعنا كما كان في عهد الرسول وخلفائه الراشدين ويؤكد حرصه على تعميق الثقة في اوساط المجتمع فيقول :

يا فتية الاسلام هل من وثبة
للحق تهدر كالخضم المزبد

فتعيد للاسلام تالد مجده
أيام عهد الراشدين واحمد

ومن قصيدته بعنوان « ذكرى المولد » يعطي صورة حقيقية للواقع العملي الذي يعيشه المسلمون ... انه لواقع قاس عنيف الوطاة ... فقد اصبحوا بحالة يرثى لها حيث يتنازعون على اكتساب الحطام الفاني ويتطفلون على فتات المبادىء الخبيثة وتركوا هدي القرآن ... بعد ان تكالبت عليهم قوى الشر فكبلتهم بسلاسل غلاظ من الذل والهوان ... سيما امتنا العربية

التي اصابها الوهن ، وانتابها الخور .. وما هزيمة حزيران الا مثال حي للحقائق المؤلمة التي يحسها كل ذي بصر وبصيرة ...

ان الشاعر يهدف الى تغيير الواقع الفاسد ، ونشر التعاليم الاسلامية التي لا تنطمس معالمها ، ولا تزول آثارها ، والتي شغلت من شاعريته جانبا كبيرا يبعث على الاعتزاز بالنفس ، والاقبال على التمسك بالمبادىء السامية لبلوغ الهدف الذي ينشده ..

لقد قال مخاطبا الرسول العظيم وفي قوله يتجلى صدق الاحساس وروعة المعاني ، ومتانة التعبير .

يا سيد الدنيا ومنقذ أهلها
ادرك كرامتنا من العدوان

امم الفساد تالبت وتكالبت
والعرب تسبح في خضم هوان

والمسلمون بحالة يرثى لها
متنازعون على الحطام الفاني

يتطفلون على فتات (مبادىء)
خبثت وصدوا عن هدي الفرقان

دين التسامح والتقدم والعلى
دين اتى لسعادة الانسان

وفي الحق ان اهتمام الشاعر بالتعاليم الاسلامية وابرازها بشكل ملموس ، والدعوة الى وضعها موضع التطبيق اخذ يجلو ما ران على بصائر الناس من صدا الجهل .. الناس الذين ضربوا في متاهات الضلال .

وفي قصيدته « أغنية المجد » التي تنطق بشاعرية اصيلة يستجيب لداعي وجدانه وضميره ، ومنها نستبين رايه في حقيقة الواقع الاسلامي ، ونطل على الجانب الايجابي من تفكيره ... انه واثق كل الثقة بان راية الاسلام ستعلو في الذرى الشامخة ... وان الجماهير ستعيد حمى امتها .. ذلك الحمى القوى الذي كانت تخشاه الامم ... وان العيش الرغيد لا يتاتى الا بتطبيق نظام الاسلام .. ولابد من قيادة واعية تحطم معاقل الكفر والالحاد .. انها القيادة المحمدية ذات المثل الحي في التضحية ، والسجل الحافل بروائع النضال وجلال الفداء وعظمة التفاني ... انها قصيدة ذات طابع وطني مشفوع بشعور اسلامي مقدس حافل بالتعابير والمعاني الكبيرة ، زاخر بالتجربة التي يحياها بجوارحه وأعصابه ودمه اذ يقول :

ستعلو راية الاسلام فينا
وتخفق في الذرى فوق البنود

وترجع امة يخشى حماها
كما كانت — قديما — في العهود

فلا عيش يطيب بلا نظام
ولا حكم يدوم بلا حدود

ان دراسة الشاعر لسيرة النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فجرت ينابيع مشاعره ... تلك السيرة العبقة التي اصبحت اشراقة مضيئة في تاريخنا .. فقد حمل صاحبها رسالة الاسلام الخالدة الى الناس كافة بشيرا ونذيرا ونذر نفسه من اجلها ، فخاض غمار الحروب بقلب مفعم بحرارة الايمان ورباطة الجاش ، وقوة الجنان .. لم ينل منه بطش مناهض غاشم في سبيل القضية التي آمن بها ورسم بجهاده طريق الدفاع الدائم عن القيم العظيمة .. ذلك الجهاد المرير الذي ما تزال اصداؤه تملأ الاسماع والاذهان حتى يومنا هذا .. وعلى الرغم مما لقيه من عوائق وارزاء فما لان ولا استكان ، وظل ذلك البطل الذي لا يجارى ، والعرين الذي لا يقتحم .. يلقن اجيالنا المتعاقبة دروس التضحية والفداء ، ولم يكن يهدف اطماعا دنيوية ، وانما كان يبغي انقاذ البشرية من هاوية التخلف والضياع والتمزق ، وبناء حضارة انسانية مزدهرة في كل حقول الحياة المختلفة ... حتى اشرق اسمه كوكبا ساطعا في سماء الخالدين ، وسيبقى مشعلا للاحرار ومنارا للثوار ليواصلوا السير في دروب التضحية والاستشهاد وايقاد جذوة الثورة المستمرة بوجه الحكام المستبدين حتى يحققوا اهدافهم الوطنية ، ومطامحهم المشروعة .. ولا يبغون المجد لانفسهم ، وانما يبغون المجد لشعوبهم ..

ان الشاعر يجد لغة الكلام تعجز ، والبيان يسف ، واليراع يكل من التعبير عن شعوره نحو شخصية محمد صلى الله عليه وسلم التي يهيم بها وينقاد اليها ويسعى الى استلهام العزم والتصميم منها..

وفي قصيدته « من شعاع النبوة » التي انبعثت من قرارة وجدانه النابض بالشعور العميق والايمان المطلق يكشف عن حبه للرسول المجاهد وتلهفه لتتبع خطاه ، واقتفاء اثره .. انها نفحات قدسية حافلة بحسن التناسق في البناء والتركيب وتتسم بتدفق المعاني

الزاخرة برقة العاطفة وسهولة الالفاظ التي تكسو شعره بثوبها الشفاف الجميل .. فقد قال :

تمضي الدهور على خطاك وتعبر
وسناك يسطع في الوجود ويزهر

اشرقت والكون الرحيب مقيد
كسرى يدبر امره والقيصر

فاتيتنا بشريعة قدسية
اسنى من الفجر الجميل وانضر

وهدمت ركن الجاهلية بالهدى
ومضيت بالحق المبين تبشر

انقذت امة « يعرب » من هوة
عمياء قد كانت بها تتعثر

وهكذا برهن الشاعر على ان عقيدته ينبوع شعره ، وان انفعاله من انفعال امته ، وانه يستهدف المعنى الجماعي لا الفردي ، وان الحبل الذي يشده دوما الى الجماهير هو هذا المعنى الشامل المؤثر ..

النزعـــة الوطنيـــة :

اذا كان حب الوطن نزعة اصيلة في الانسان .. فان الشاعر اكثر من غيره حبا لوطنه ، وتعلقا به لانه مرهف الشعور ، دقيق الحس ، صادق العاطفة ... وقد شغف شاعرنا بحب الوطن ، وسباه جماله الفاتن وان كل انسان حر يشغله هوى الاوطان .. وقد رضع حبه منذ الطفولة فتمازجت أوشاجه بكيانه .. وما يزال يتذكر لهوه ومرحه في ظلال رياضه الوريقة ، وطيوفه الرفافة قد عشعشت في شغاف قلبه تثير في اعماقه فيضا من المشاعر المتدفقة .. وابياته الثلاثة في حب الوطن تنطوي على تجربة شعورية مثيرة تعطر اجواءنا بشذاه العبق .. انها شعور محتدم باوار العاطفة ، مشحونة بالاحساس الوطني فيقول :

حب المواطن شفني وسباني
والحر يشغله هوى الاوطان

فلقد رضعت ودادها منذ الصبا
فتمازجت أوشاجه بكياني

الهو وأمرح في ظلال رياضها
وطيوفها قد عشعشت بجناني

ان الشاعر يستوحي اكثر قصائده مما يختلج في صدره من نزعات وطنية في كل فكرة يتبناها او موضوع .. يتطرق اليه ، ويفصح عن كل ما في دخائل نفسه من عواطف جياشة ... وان حبه لوطنه قد ضاعف قدرته على الخلق والابداع ، وفتح له مجالا رحبا للاسهام الجاد في عملية التحول الثوري ، وتصعيد النضال وتعميقه لتحقيق طموح الجماهير ، وبناء علاقات انسانية راسخة بينها ..

وفي قصيدته « خلــود » يجعل المواطن اما حرة للانسان .. وان الابن يلجأ الى امه في اثناء الشدائد والمحن ... وانه لمن اللؤم ان نصد عنها في وقت المصائب والشقاء ، وسقتنا من مياهها العذبة، ونبخل ببذل الدماء دفاعا عن كرامتها المهانة ... واما الشاعر ذاته فهو يهوى الموت ذودا عن حياضها ، ويوصي ان يدفن في طيات تربتها لتغمره بعبيرها المعطاء .. وما اروع كلامه وهو يعبر عن احساساته الوطنية فينشد قائلا :

أم لنا هذي المواطن حرة
والام دوما مفزع الابناء

انصد عنها في المصائب والشقا
تلكم لعمري شيمة اللؤماء

فلكم سقتنا العذب من امواهها
واليوم نبخل دونها بدماء

اهوى اموت لاجلها وتضمني
طياتها بعبيرها المعطاء

ويدفعه حب الوطن للتغني بمحاسنه ، والافتتان بمواقع الجمال فيه ، والتملي من المنظر البهي ... اذ فيه مصادر جميلة تغذي مشاعره ، وتلهمه أروع القصائد ، وتمسح جراح قلبه ، وتترع نفسه بالنشوة التي لا تفنى ، وتسبغ البهجة على روحه الولهى ... كل هذا يتحسسه في اشراقة شمسه وغناء عنادله ، وافترار ازهاره ، وهبوب انسامه ويرفرف كالعصافير المرحة فوق السهول المخضرة والينابيع العذبة والانهار الجارية ... فيتدفق الشعر من اعماق روحه في كلمات ذات جرس موسيقي اخاذ يفيض بسلاسة التعبير واشراقة الفكرة ... انها صور شعرية تحفل بالابانة والوضوح ، وتزخر باصالة الشعر وقوته حيث اندفع بهذا الزخم من الوصف الرائع قائلا :

جنة الدنيا بـــــلادي	ليس يحلو لي سـواها
فبها الاحلام تجـري	ضاحكـات كـمـاها
وبها المـاء لجـين	يتغنـى في ثراهـــا
ما احيلى النخل فيها	باسقا يحمي حماهـا
وبها دجلة وسنـى	يناجـي ورؤاهــا
وطني روضة عـز	تتجلى بسناهـــا
ويضوع المجد منهـا	عبقا بين شـذاهـــا
هتف السحر وغنـى	لربوعي مـن رآهـا
مهد احلامي وانسـي	نسج الخلد رداهـا
يشرق الفجر وبينـي	نوره فوق ذراهـــا
فيسيل النور فيهـــا	دائما يطوي دجاها

النزعــة الواقعيـــة :

ان العمل الشعري يجب ان يكون صريحا وجريئا يصور كل شيء بصدق واخلاص ... وشاعرنا الــــذي ندرس محاولاته الشعرية الناجحة له شعر اجتماعـي يعكس صور الحياة بكل تناقضاتها ومظاهرها ، ويجسد واقع الانسانية المتردية في هاوية البؤس ، والمتقلبة على جمرات الشقاء ... انها صور شعرية حفلت بقدرته على التعبير ، وانطلقت من قلب مفعم بالالم الممض . ونفس ملتاعة بقسوة الحرمان .. وقد تفتحت عيناه على واقع مؤلم .. فترك ممارسته الذاتية والعاطفية ، وراح يعالج ما ينتاب مجتمعه من مشاكل وغوائل ، ويتفاعل مع الواقع المظلم وتأثيراته ، ويصور المآسي التي تطحن تحت رحاها تلك الطبقة الفقيرة المبتلاة بالعـــــذاب والجوع ... وقد ازدحمت في مخيلته الوان من الصـــور المستمدة من صلب الحياة والمعبرة عن احداث الواقع المرير التي لها دوافعها واسبابها الموضوعية التي يجب ان تبذل المساعي الحثيثة لازالتها .. وهو يعلم ان غنى الانسان من فقر اخيه الانسان ، وشبعه من جوعه ، وريه من ظمأه ... فرفع لواء الكلمة الملتزمة والهادفة ، وحمل سلاح القلم لرد عوادي الاملاق والضنك عـــن البؤساء المحرومين الذين اذلتهم الحاجة اللعينـــة ، واحالتهم الفاقة هياكل متهدمة حرية بالرثاء والعون ... وهو انما يقدم هذه الصور الحزينة ليعرض فقــدان المروءة من بني الانسان ... ولعل نور الرحمة تشرق في رحاب ضمائرهم براقا متألقا ..

وفي قصيدته « اليتيم » ذلك الانسان الكسير الفؤاد والخائب الآمال ، والذي مات والده فحرم من حنـــان الابوة ، واصبح هدفا للنكبات والطوى تبدو قـــدرة الشاعر الرائعة على اقتناص ما تلتقطه عيناه من مشاهد ..وان الملاحظة التي تستوقفني هي تحسسي بأن وراء هذه الابيات روحا شعرية طيبة تتسم بصدق الاحاسيس وحدة الانفعالات ، وتتضمن المعاني المؤثرة والحقيقية اذ يقـــول :

الدمع في عيونـــه تحجـــرا	والهـم في فـؤاده تفجـــرا
وشوقه الغرير قــد كففـــه	لبل الضنى وجمله تفـــورا
آماله تقطعـــت اوتارهـــا	ودمعه على الشؤون قد جرى
ونفسه تلاطمـت آلامهــــا	بزعزع من الاسى تحــدرا
فوجهه كقطعة من الدجـــى	تجهما ونـــوره تكـــورا
وقلبه لقد خبـا ضيـــاؤه	وشكله من الطـوى تعفـــرا
لقد ذوت مهجته تحســـرا	وعيشه من الضنى تكــدرا
كزهرة مات الشذا بثغرهـــا	فزهوها مع الشذا تبعثـــرا
واحسرتا يقضي اليتيم عمـــره	بفاقة مضيعـا بين الـــورى

انها صور حقيقية رسمتها ريشة شاعر مبـدع نلمس فيها قوة الوصف ، وحدة العاطفة ، وعمــق الفكرة التي تراود خياله ... صور تدفق فيها الالم المتقد ، وطغى عليها الشعور الملتهب ... صور اثرت علـــى احاسيسه تأثيرا بالغ الاهمية لما يعانيه اخوة لـــه معدمون ، تعاو مطارق الجوع متهاوية على رؤوسهم .. فيتقلبون على شوك وجيع من الفقر المدقع وتكويهم نار الطوى والسغب ... وقد استطاع ان ينجح في تصويـر لحظات الانفعال للتجربة الشعرية في قصيدته « الـى بائسة » لانه هو ذاته عاش تجربة الحرمان ، وانعكست رؤاه في نفسه .. فكانت صورة ماثلة لحقيقة آلامـــه واحزانه وانتقاد شعوره المتدفق بالكآبة شأنه في ذلـك ابناء بيئته الفقراء ...

انه لألم ممض يعصر قلبه الواجف ، وظلمة الحزن تملأ نفسه ويفيض شعره بلواعج زاخرة بالاشجان حين يقول :

البؤس ينطق قبل ان يتكلما
والوجه جمده الضنى فتجهما

دارت بطرف حولها مذعورة
ومضت تصعد طرفها نحو السما

ولهى تحشد همها فانينها
رعد يزمجر صارخا متضرما

والنفس تعصرها الشجون ملحة
فكأنها الفت لظى وجهنما

عبء تقول خلقتني فوق الثرى
فمتى اعود الى (الثرى) رب الحمى

فالحزن مزق خافقي بنيوبه
حتى خبت انواره وتهدما

فترقرقت عبراتها وتناثرت
كاسيرة وشؤو تهمي دما

والقلب يغمه الشجى متغلغلا
بين الشغاف النازفات تألما

قد كان كالبدر المنير توقدا
فخبا به ذاك الضياء واظلما

فالفقر ذل في الحياة وانه
عبء يزيد المعدمين تبرما

وهكذا ينتقل قلم هذا الشاعر الواعي ليرسم لنا صورا حية لامثال هذه النماذج من الناس التعساء .. ولا يكتفي بذلك فهو يلجأ الى ابراز التعاطف الذي يملأ قلبه على نماذج بشرية اخرى طحنتها الحياة ، فيمنحنا صورا صادقة لاهل الريف البسطاء ، مما تبرهن على الفهم العميق ، والملاحظة الذكية ، والدقة في تجسيد شخصيات الفلاحين ، وما يضطرب في نفوسهم من افكار ، وما يجيش في قلوبهم من عواطف ، وما يسود مجتمعهم من مظالم .. مع نقد للاوضاع الشاذة التي تكشف عن الاثار السيئة ، وما تتركه من أوصاب وشقاء وأسى بين سكان الارياف الجياع المضطهدين ...

ان اسلوبه الشعري يزخر بالنزعة الواقعية ، والاتجاه النقدي في الحياة .. حيث يتجلى فيه عمق أصالته في هذا الفن ، وقدرته على تحليل النفس البشرية والغوص فيها ليستمد منها المادة التي تلهمه لوضع قصائده الاجتماعية ..

وقصيدته « الفلاح » مرآة ارتسمت عليها حياة الفلاح المفعمة بصنوف الآلام والصبر على صولة الجوع الطاغية والطافحة بلوعة الاسى واللأى باشجانه التي اثرت الا تبرحه ... اذ يعيش في اجواء الاضطهاد والتعسف ويذيقه الاقطاعي سوء العذاب ويقصم ظهره بسوطه ويلهب الفقر جذوة احزانه ويعتصر الالم قلبه .. وملامح الضنى تطفو على وجهه ، وعنف التعاسة تنطق به ثيابه الرثة ، وشحوب وجنتيه ، ونحول جسمه ..

ان هذه القصيدة تمثل أصدق تمثيل نزعته الواقعية بعد ان وقع في تجربة الالم حتى قرارها السحيق فيرى الفلاح الذي تزدهر على يديه الحياة ، وتفيض بالنعمى ولكنه يظل فقيرا معدما .. ويعطر الدنيا بعبير الاماني .. ويبقى اليأس مستحوذا عليه ... وكم من واحة جدباء اعاد اليها اخضرارها ورونقها وجراح قلبه ما زالت ناغرات تثير فيه الالم الدفين ... وحينما يرتفع صوته بالغناء الحزين تصغي له الارض وتشاطره كآبته ... وتجري الحقول بجداول النعيم ... واما هو ففي خضم الشقاء يترنح .. فباله من شقي صابر يهب السعادة للناس ولكنه لا يجني لنفه غير اشواك الالم ، ويبني رواق الحياة المزدهر وما برحت الهموم تهد جسمه الذاوي ، وتهدم كيانه الهزيل ... فيقول :

تزهو الحياة على يديك وتبسم
وتفيض بالنعمى وانت المعدم

وتعطر الدنيا الرحيبة بالمنى
واليأس ينبض في حشاك ويسجم

كم واحة مهجورة انعشتها
وجراح قلبك ناغرات تؤلم

تصغي لك الارض الكئيبة حينما
تمشي على ربواتها وترنم

تجري حقولك بالنعيم وانت في
يم الشقاء مرنح ومهموم

لله درك من شقي صابر
تهب السعادة للانام وتألم

تبني الحياة على (نواك) رواقها
وتهد جسمك بالهموم وتهدم

واما الصور الرومانسية المرهفة التي تغذيها طبيعة الريف الشاعرية الجميلة ، واللوحات الفنية التي قدمها

فى ثنايا أشعاره لمشاهد القرى المختلفة ومناظرها المتباينة لما تجعل القارىء يقضي معها لحظات مليئة بالمتعة والفن الزاخر بالتعاطف الصادق ، والمسودة الحانية ...

وقصيدته (فى ظلال الريف) يعرض فيها مشاهد خلابة تنم عن التفتح لمباهج الطبيعة وتلاوينها المغربية وينساب فكره فى وضوح واشراق فيقول :

أشرق الفجر على (قريتنا)
فازاح النور عنها الدجنا

ورأى المحراث عضبا مرهفا
يقذف الرعب على جيش الخنى

فاذا بالمرج تبر خالص
ولجين الماء يجري فى القنا

واذا الصحراء عادت رفرفا
بعد جدب وجفاف وعنا

غرد الصداح فى اكمامها
فسبى اللحن ازاهير المنى

فاخلع الالام والبس ضاحكا
مطرف الامال تيها وهنا

واقبر الاوصاب فى لحد الهنا
واخنق الاحزان فى صدر الفنا

النزعة القومية :

ان الشاعر يجب أن يكون رائدا من رواد الحرف الخير وطليعة من طلائع العمل الثوري ، والقلم المناضل باباء وصمود ويحمل مسؤولية الدفاع عن حقوق شعبه والافصاح الكامل عن مطامح الجماهير ، واعطاء الكلمة مدلولها الحقيقي ووضعها فى المكان المناسب لتؤدي دورها التاريخي فى استشراق المستقبل ..

واما شاعرنا فان رؤياه الشعرية تلتحم دوما فى رؤية احداث امته ؛ وان ايمانه بعروبته لا يقتصر امرها على التمشدق بالالفاظ ، ورفع الشعارات ذات البريق اللماح .. وهو الشاعر الذي تغنى بامجاد العروبة بشعر عربي أصيل فى مادته ، عميق فى معناه ، قوي فى مبناه .. حيث كتب عددا من القصائد المهمة التي تدور كلها حول النزعة القومية التي اخذت كثيرا من اهتمامه، وصورت مشاعر مثيرة انطلقت من قلب مؤمن بقضايا امته العادلة التي تكشف عن امكانية الشاعر فى خوض غمارها ...

وقصيدته (كالشمس مجدك) التي يهديها الى المجاهدين العرب فى الجزائر يدور موضوعها على وحشية الاستعمار الفرنسي فى القطر الجزائري اذ ارتكب مختلف أنواع الفظائع والمذابح واستهتر بكرامة الشعب واذله ، وحاول طمس معالم شخصيته العربية فهب عن بكرة أبيه يريق دمه فى الذود عن شرف وطنه وانتزاع حريته بالحديد والنار وقدم مليون شهيد من ابنائه البررة ...

انها مشاعر الانسان تحسس بعاطفته الملتهبة ما يحاك فى ذلك الجزء الغالي من وطنه العربي الكبير من مؤامرات فاندفع يعرض هذه الصور بأسلوبه الواضح فيقول :

لا عضة القيد تثنيها ، ولا الرهق
عن نيل ما تبتغي ، كلا ولا الفرق

تبغي التحرر من قيد يكبلها
والعز فى وجهها كالنور مؤتلق

بوركت يا قلعة بالاسد شامخة
تردى العدو وموج اليأس يصطفق

قد جلجل الحق فى الآفاق واندلعت
نار البطولة من (اوراس) تندفق

هذي الدماء التي سالت مقدسة
فى الارض قد بان مزدانا بها الافق

شدى الجراح بعزم واهتكي حجبا
فان تجهم ليل يبسم الفلق

اختاه لا تياسي (صك) الفداء دم
حر طهور باشذاء الهدى عبق

كالشمس مجدك وضاح فلا تهني
لك الاباء ومنك الفخر يأتلق

وينطلق معبرا عن خلجاته ومشاعره المضطربة فيصف شجاعة المقاتل العربي فى الجزائر فى هذه الابيات الشعرية الرقيقة اللفظ ، والرشيقة العبارة ، والدقيقة المعنى فيقول :

ليس يلوي ظالم مغتصب
بكماة للندا قد عزموا

رضعوا ثدي الابا من حرة
وهمو للعز عين وفم

كحل المجد بهـــم مقلتــــه
ورنا مفتخـــرا يبتســـم

صرخ البغي بهم فارتعـــدوا
وابت امجادهـم والشيـم

ان يطـأ ذل لهـم مرتبعـــا
وطيوف الخلد فيـه حـوم

ركبوا الموت الى نيل العـلا ...
ليس يعروهم ونى او ســـأم

امة العرب تسامت شرفـــا
يفخر الدهر بهـا والامــم

ان الفهم الموضوعي للظروف العصيبة التي تمر بها امتنا العربية جعله يحس احساسا عميقا ومرهفا .. وانطلاقا من هذا الفهم الواعي الجاد راح يتابـــع باهتمام وتلهف الثورة العربية العارمة في عمان ويصف وحشية الإرهاب البريطاني وما يقوم به من اساليـب قمعية دامية ضد شعب آمن بالحرية فاخذ يسقــي شجرتها بالدماء الطاهرة لتورق وتزدهر ومن ثم ينعم في افيائها الوريفة بالاستقلال الناجز ، والسيـــادة الوطنية ...

ما ابدعها من مشاعر تهز كوامن الحماسة في النفوس وتوقظ الهمم التي خمدت وتجعل الانســان يؤمن بالحل الثوري لكل مشكلة ، والاعتماد علـــى الجماهير وطاقاتها الخلاقة ، وتهيب بالشباب التقدمي ليريق دماءه في الذود عن وطنه ...

ان قصيدته (يا ربى الاحرار ثـــوري) ذات المضمون الثوري لم تكن غير زمجرة الفداء والبطولة ونشيد الثار في شفاه الاحرار حيث قال :

يا جيوش الحق سيري وعلى الطغيان ثـوري
جردي عضب كفـــاح واقصمي ظهر ظهـور
واضرمي ثـورة حـق في سهـول ووعـــور
واسحقي كل دخيـــل وعميـــل واجيــــر
والبسي بـرد جهـاد خاطه وحـي الشعـور
يا عمان العرب هـذا وقت تقرير المصيـــر
فاقدحي زنـد قتـــال ونضـــال ونفيـــر
وارفعي بند المعالـي خافقا فـوق الاثيـــر

ونخلص الى نتيجة حتمية وهي ان الشعر يفقـد روعته ان لم يلتزم بقضايا الساعة ولعل اهم قضيـــة تواجه الامة العربية اليوم هي قضية فلسطين .. على انه والحق يقال ان شاعرنا قد ادى دوره ازاء مأســـاة فلسطين ، وتفاعل معها ... وان معالجته لها من خلال نتاجه الشعري قد جسد شخصية الفداء والبطولـة والتمسك بالارض ، ورفع عار الهزائم عن امتنا التي ذاقت مرارة التسلط والتمزق زمنا طويلا .. وان الامر اليوم بات من الخطورة البالغة بحيث اخذ يهدد مقومات كياننا ووجودنا تهديدا مباشرا يفرض علينا عمـــلا ايجابيا وسريعا وهو فتح الابواب علـــى اوســـع مصاريعها امام النضال الجماهيري ، واذكاء روحها الكفاحية الايجابية لتسديد الضربة القاضية الى صميم الكيان الاسرائيلي ...

ونحن العرب ابدا طلاب حرية ، وينبغي لنا ان نعرف كيف ندفع ثمنها وان قطرات الدم التي يحرقها الفدائي على ارض فلسطين انما هو الثمن الذي لا بديل له حيث يدفعه لاسترجاع ارضه المحتلة .. وفي هـذه الفترة الخطيرة من تاريخنا يترتب على الادباء كافـة تكريس طاقاتهم وتجنيد اقلامهم في تعبئة الجماهيـر ثوريا وفكريا ونفسيا لاستعادة الحق السليب ، وتحرير الارض المغتصبة ..

وشاعرنا وهو ينشد شعره في ذكرى المولـد النبوي الشريف لم يغفل مطلقا فلسطين التي يعيـش ماساتها ، ويتحسس ابعادها ويعي جيدا بواعـــث حملة الارهاب الاجرامية التي تقوم بها سلطـــات الاحتلال الصهيوني ضد شعبنا العربي في فلسطـين الذي يستبسل في القتال للتحرر من كل اشكال الظلم والتسلط والتحكم بمصائره فيقول :

هذي فلسطين الجريحة دمعـة
رقراقـة في مقلـة الازمــان

عاثت بها ايدي اليهود وقد طغى
فيها الفساد وموجة الطغيـان

قد دنسوا مسرى النبي ، وانما
هي قدسنا، هي مربض الشجعان

ارض الجدود الفاتحـين وانهـا
وطن المفاخر مهبط الاديــان

والحق ان لم تحتضنه مدافـــع
فصراخه ضرب من الهذيــان

فالمدفع الهدار ينطـــق معربـــا
وكانه قلـــم جـــرى ببيــــــان

وعلى الرغم من ان النصوص الشعرية التـــي نوردها هنا ، والتي تخص قضية فلسطين بالذات قد نظمت قبل نكسة الخامس من حزيران سنة 1967 الميلادية ولكنها فى نوعية مضمونها تصور واقعنـــا العربي الحاضر مما تدل على بعد نظر الشاعر وامكانية استيعابه للقضايا العربية لان المهمة الاساسيـــة للشعر هي ابراز عنصر الصدق الثوري .. وقد كرس جانبا كبيرا من شعره فى الهاب حماسة الجماهيـــر واتاحة الفرص لاداء دورها الايجابي فى ارواء تربـــة فلسطين بدمائها الزكية ، ودعم المنظمات الفدائيـــة الفلسطينية بالنفس والنفيس ودحر قوى الاستعمـــار والصهيونية .. فان الجماهير ذات المراس النضالـــي الطويل من خلال مفهوم الثورات التحررية نمـــت منطلقاتها ، وبقيت قواعدها تواصل مسيرتها الثورية، وتشق طريقها بفصائل المقاومة الاشداء وبروح من ثقة ايمانها بعدالة قضيتها ستحطم فى نهجها الثوري القيود، وتقضي بواقعية مفهومها على كل بوادر التفرقـــة فى صفوفها لتشدها اليها ، وتدك بوعيها الثوري كـــل الحواجز لتبلغ هدف ثورتها فى التحرير وفى ضوء التجربة النضالية المريرة تتضح مواقف الصمود وترتكـــز البطولات على أرضية الفداء ، وجدية العمل وصدق المواجهة مع العدو ...

وقد تحققت نبوءة الشاعر فقد بدا العمل الفدائي يعيد للمواطن العربي بارقة امل جديدة ، وثقة بالنفس ... فهو مصمم على مواصلة خوض المعركة ودفع تكاليفها الباهظة ، واختصار الزمن ، واستغلال كل الامكانيات والفرص وصولا الى الهدف المنشود ... فان نكســـة حزيران كانت نكسة الانظمة الحاكمة وليست نكسة الجماهير العازمة على انتزاع حقوقها مهما كان الثمن..

وكأن الشاعر فى غمرة الكارثة والمحنة حـــين يقـــول :

ثوري على الطغيان ثـــوري
واسعي الى الامل الكبيـــر

ثـــوري بالآلاف الضحايـــا
زاخـــرات كالبحـــــور

سيـــري بكـــل معـــزز
غال من الشعب الغيـــور

بوركت يا لحـــن الخلـــود
وغـــرة الدهـــر المنيـــر

ما زال روضـــك عابقـــا
بشذا الخمائل والزهـــور

تتنسم الدنيـــا الاريـــج
بروضك العبـــق النضيـــر

مهـــد النبـــوة والهـــدى
طال الثواء بـــلا (مصيـــر)

عـــاث اليهـــود (بقدسنـــا)
رهـــط الدعـــارة والفجـــور

اين الاســـود ذوو الحمـــى
فالقدس يشكـــو للغيـــور

وينن من جـــور العـــدى
ويذوب من وهج السعيـــر

ان الولايات المتحدة الامريكية والدول الدائرة فى فلكها تمضي قدما فى دعم الكيان الاسرائيلي بكل الوسائل والاشكال ، وتقف موقف العداء الصريح من قضايانـــا العادلة والاستمرار على ممارسة الضغط على الامـــة العربية وصد تيار المقاومة الجارف ، والتحرك ضده ، والتصدي له ، والمضي فى تنفيذ الخطة المرسومة لخنق روح الثورة الصاعدة ، ونحر ارادة الرفض للحـــل الاستسلامي ، وفرض الامر الواقع ، وترسيخ مظاهر النفوذ والتدخل الاستعماري ولكن الفشل الحتمي هـــو المصير المرتقب لكل هذه المخططات الاجرامية .. لانهـــا لا تقوى على الصمود امام زخم الثوار المتزايد .. فـــان تخطيطاتهم الثورية لم تكن عشوائية بحيث تزول لمجرد اعصار يعصف بها ..

انهم يناضلون بايمان وصبر لاحراز النصر المؤزر وان تعاظمت التضحيات ...

ومن خلال فهم موضوعي جاد وجد ان على عاتقه تقع مسؤولية المساهمة فى عملية التطوير الثـــوري وتغيير الواقع الفاسد الذي تعيشه أمتنا العربيـــة فى الوقت الحاضر ، فراح يؤكد مدى جديته فى بقائه مصرا على موقفه الثابت فى الدعوة الى اسناد النضال العربي المتصاعد ، وابراز الكيان الفلسطيني .. وتجاوز كل ما احدثته النكسة من رؤى قاتمة اطبقت على الافق العربي فى كل اجزاء وطننا الممزق .. وان حشد كل الطاقات فى تيار جماهيري هو الطريق العملي والثوري الوحيـــد لتحقيق الاهداف القومية اذ يقول :

وليس النصر يــدرك في كــلام
وليس الحق يزجى كالهبــات

وهذا القدس يصرخ كل حــين
فهل يجدي الصراخ مع الجنــاة

فلبوه بــأرواح غــوال
فان العز اغلى من حيــاة ...

انتركه يعبث بــه يهــود
فاين العزم يا اهــل التــراث

فما عز العروبة في هتــاف
وما نصر الشريعة في صــلاة

اذا ما القول تسنده فعــال
فلا خير بصيحات الدعــاة

ان الشاعر لا يغالط ولا يتلاعب بالالفاظ فهو يدرك منذ البداية ، وفي هذا الوقت العصيب بالذات ان لا مكان للمحاولات الرامية الى اقرار حل سلمي عــن طريق بذل الجهود السياسية فان ما يؤخذ بالقــوة لا يسترد الا بالقوة فهو لا يؤمن بالسلام ما دامت جراح القدس تنزف دما .. وان رفض الحلول السلمية تمنع قوات العدو الصهيوني من الحاق الهزيمة النفسية بنا بعد ان حققت هزيمتنا العسكرية فيصرخ قائلا :

هيهات تؤمن بالسلام عروبتــي
والقدس ينزف جرحه النغــار

لكن الفدائي الذي اظهر شخصية الفرد الفلسطيني بمظهر الرجل المحارب الذي استلب حقه المشــروع في ارضه فرفض كل المشاريع الاستسلامية والتصوفية ، ولم ينكص على عقبيه امام هول المعارك التي خاضها ، واظهر مدى تصميمه على انتزاع حريته ، وقدم عطاء سخيا من الضحايا والقرابين على مذبح الحرية ، فلا بد ان يحقق اهدافه في التحرير والعودة ولم يكن هذا اليوم ببعيد .. فقد بات قوة يعتد بها ، ونقطة تحول حاسمة في معركة العرب المصيرية برغم شراسة قوى العدوان والتسلط ... تحميه الجماهير العربية كدرع واق ممــا يحيق به من مؤامرات واخطار ...

ويهتف الشاعر من اعماقه قائلا :

اني لاكفر بالسلام وامتــي
ثكلى تنوح اسيرة بالاقيــد

اللاجئون أليس من ابنائهــا
هجروا الديار بحسرة وتنهــد

امسوا يجوبون القفار كئائــه
يطوي المفاوز عله ان يهتــدي

ليس السلام محققا ما نرتجي
بحياتنا من عزة او ســؤدد

فالحق تاخذه الكماة بعزمهــا
وتصد غارات العدو المفســد

ومكانة الضعفــاء في ايامنــا
كمكانة العبد المطيع لسيــد

ان رسالة الحرف الملتزم المنير تنبع من اعماق شاعر يعايش الجماهير ويواكب تطلعاتها ، ويعبر عن طموحاتها المشروعة .. والاقلام المؤمنة بغد افضل لامتنا المجاهدة تؤكد ادراكها الواعي لابعاد المعركة الفاصلــة ودور الجماهير في التحكم بنتائجها .. ولهذا فان الشاعر الذي يرفع شعار الكلمة المقاتلة يحاول دوما شد هذه الجماهير للمعركة ، والقضاء على رواسب الفكــر المتهرئة ومحاولة التشكيك بقدرات الامة العربيــة في توجيه ضربة مميتة الى المحتلين الاجانب .. فان للكلمة فعل الرصاصة حين تصوب الى صدور الغزاة الغاصبين

النــزعــة الانسانيــة :

ان الجهود الخيرة مرآة الناس الطيبين .. وكلما كان وقوف الشاعر مع العمل الانساني، مدركا لانسانيته كان أكثر من غيره خلودا على توالي الاجيال .. ومتى ما كان قلبه متفتحا للحب والخير ولكل ما هو جميــل في الحياة ، وايقن ان المشاعر الانسانية واحدة وان اختلفت تقاليد المجتمعات ، وتباينت عاداتها وفهم علاقــات البشر ، وسعى الى تقوية اواصرها ، وعمل علــى ترصين روابطها كلما سار في الطريق الصحيح للشعر الرفيع ، واصبح شعره اكثر تاثيرا ، وارحب افقــا ، واعظم شأنا حيث يغمر دنيا الانسانية الشاملة كــل الشمول ، والواسعة كل السعة من اجل اقامة مجتمع انساني خال من الاستغلال والظلم والجشع ، فيعيش اهله في رغد من العيش ...

وفي تقصينا لحقائق شاعرنا الفكرية وجدناه ذا طبع انساني ممتاز يعتبر الشعر وظيفة انسانية تتصــل باعماق الحياة ، ومطامح الانسان ...

وقصيدته (الى زنجي في أمريكا) ذات فكرة جيدة مسبوكة الكلمات وتتميز باسلوب مشبوب بالعاطفة . محتدم الشعور يفيض الما وحرقة على الانسانية المعذبة

في أمريكا .. باعتبار التمييز العنصري هناك معضلـــة مؤلمة من معضلات الحياة الاجتماعية .. فالانســـــان الاسـود قد تأزمت حياته وهو يعاني الاحتقار والهوان حيث له مطاعمه ومدارسـه ونواديه الخاصة به ، وسـدت في مجالات العمل الرحبة ، ولا تتوفر له غير الاعمال المرهقة لكسب القوت اليومي ، وفقد مقومات حياته الكريمة ولا ذنب له سوى ان بشرته سوداء ، وهـو سبب خارج عن ارادته ... وقد صدمت الشاعر هـــذه الحقيقة الصارخة التي كشفت عن نوايا الرجل الابيض الاميركي الحاقد على البشرية ، وعدم احترام حقوق الانسان ... ان هذه الاساليب التعسفية تشغل قلـب الشاعر وعقله ... فاخذ يدعو الى فكرة تحرير الانسان من اخيه الانسان وينادي بها ، وينتج شعرا واســـع الرحابة والشمول ، عميق الانسانية ، ويعبر عـــن المعنى الرائع الذي يدور في نفسه فيهدف الى غرض انساني نبيل ، ويصل بأفكاره الى النضج الكامـل في تجسيم الجوانب الانسانية للحياة ، والتي تمثل كـــل المعاني الراقية ، فيسهم في عملية التغيير الثـــوري للعلاقات في المجتمع الاميركي القائم على اســـــاس اضطهاد الملونين .. وما ابدعها من معان ، وما اروعها من الفاظ ، وما اسماها من رقة في المعنى ، وجمال في التركيب .. ان القصيدة وهي على هذا النمط في الاحساس والتصوير الفني والسلاسة البعيدة عن التعقيد لتعد بحق من اجمل قصائد شاعرنا واغناها بالاصالة والتدفـق والعمق ومن نتاج فكره الثاقب ، وحصيلة الدعوة الى اشاعة المحبة المتبادلة ، وخلق مفاهيم انسانيـــة ، ومشاركة حقيقة لمتطلبات الانسانية اينما كان ، ورد فعل عنيف للتنكيل البربري الذي يقاسيه الزنـوج في امريكا .. ومع هذه الاحتجاجات المنطلقة من قـرارة الاعماق ، والتي عكست آثارها على شعره انشد هذه الابيات المتسمة بوضوح العبارة ، وجزالة اللفظ فقال:

يقضي (التقدم) ان تعيش ذليلا
والقيد يلثم زندك المفتـــولا

تقضي (الحضارة) ان تعيش منكدا
كالمجرميـــن مكبـــلا تكبيـــلا

يقضي (التحرر) ان تساق الى الردى
وبأن تجر من الهوان ذيـولا

تقضي حياتك في السجون معذبـا
والسـوط يلهب جسمك المغلولا

هل في (السواد) معرة وجريمة
او لم تكن من (نطفة) مجبولا

هذي (الحضارة) قد غدت وحشية
والحق فيها قد غدا تضليـــلا

لقد جاءت هذه المقطوعة الشعرية عميقة الفكرة، واسعة الشمول ، شيقة الاسلوب ، رائعة البيان ، متحررة من تبعات المضمون التقليدي الجامد حيـــث خرج من اطاره الضيق الى أوسع منه وكانت بدايـة موفقة في طريق نتاجاته الشعرية النامية ، وهي تبشـر بازدهار شاعريته التي دخلت مراحل جديدة في التطور والبناء الشعري المتماسك والى كل ما يتطلع اليــه قلب مرهـــف ...

ولا شك ان الشعر كفن عمل صعب ، والوصـول الى عوالمه الخفية اصعب ، وقد وجدنا في هـــذه النماذج الشعرية الجيدة ادبا حقا ، وفنا خالصـــا في اختيار الالفاظ واستيعاب معانيها لوضعها في المحـــل المناسب كما ان موسيقاه الشعرية عذبة سهلة ولكنهـا عميقة تتلائم دائما مع الاحوال النفسية التي يعبر عنها...

ولما كانت الرومانسية تدعو الشاعر للعودة الـى نفسه بدلا من ان يظل خارجا عنها ، والشعور بالالـم وتمثله والهروب من مجابهة الواقع ... فقد وجدنـــا شاعرنا ملتزما اذ يحمله هذا الالتزام على التأمـل في قضايا أمته العربية التي تتطلب تظافر الجهود لحلها حلا جذريا ، وان صدق صلته بالحياة أمده بمعين لا ينضب من الافكار الخيرة التي يعمل على تعميقها في الوجدان العربي ضمن أطر تقدمية بناءة ...

انه يعيش أحداث الحياة المثيرة ، ويعبر عنهـــا تعبيرا واقعيا ، ولا يحاول العيش داخل قمقم الانطوائية ... وان الواقعية اثارت انتباهه الى نواح انسانية اوحت اليه بالافكار النبيلة التي تجاوبت اصداؤها بقـــوة في شعره ، وقيضت له عناصر الاستمرار على النمـــاء والتطور .. وحتى تجاربه العاطفية على قلتها فيها شيء كبير من الحدة والطرافة ... وهو من الداعين الى حرية الفكر الملتزم وانتهاج سياسة قومية متحررة ، والسعي لاقامة مجتمع العدل والكفاية ومن المؤمنين بالوحـــدة العربية وهي الاطار الثوري لارادة الجماهير المناضلة

ومن انجح الوسائل والسبل في التطبيق العملي للقضاء على دولة اسرائيل الباغية .

واما من ناحية الشكل فهو يحافظ على عمــــود القصيدة الشعري ، ويعني باللفظة عناية تنم عن معرفة تامة باسرار اللغة ومفرداتها ... !

وان مضامينه الشعرية الهادفة التي فيها نزعة لنقد اوضاع المجتمع فهي الاخرى تدل على اصالـــة في الموهبة ، ونضوج في فهم رسالة الشعر وتذوقه .. وحين تنصهر الموهبة في الشعور فهناك يكون الخلق والانشاء..

لقد خرج الشعر عن كونه شعر خلفاء وصالونات وعربدات خطابية تعتمد على الاستعارة البراقـــــة ؛ والتوغل في عبودية البلاغة التقليدية ، واصبح شعــــرا ينبض في فنون الحياة وممارستها ويتحرك من خـــلال الموقف الذي يقفه الشاعر كمقاتل شجاع في ميـــدان التحرر والانعتاق من كل اشكال الذل والاسترقـــاق ، وليس كمتفرج يتربع على التل ، ولا يواصل مسيرته الظافرة في الاتجاه الاصلاحي المدروس بعد ان اصبح الشعر فرضا حضاريا وواجبا حتميا للقيام بمعالجة مـــا يواجهه الانسان المعاصر من ازمات وتعقيدات ، وما تتعرض له الشعوب المحبة للحرية والاستقلال مـــن مؤامرات الدول الاستعمارية بقصد الاطاحة بأنظمتهـــا الثورية ، واحتلال بلادها ، واستثمار خيراتها ..

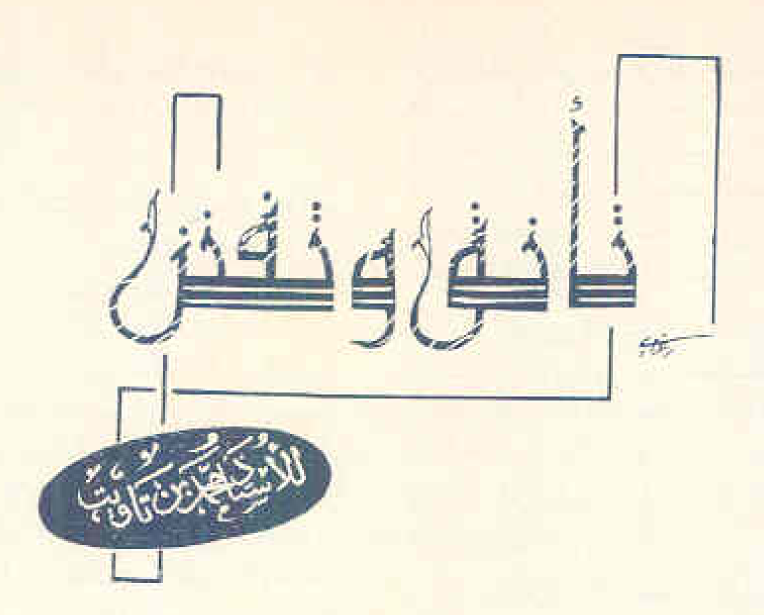
واخيرا ... ايها القارىء العزيز اما شاقك التعرف على هذا الشاعر الملتزم الذي يعد امثولة طيبة للعناصر المثقفة والمدركة لواجباتها الوطنية ، والذي صاغ من دمه شعرا ثوريا زاخرا بالحيوية والتدفق ، وسكب في انغام قيثارته عواطف انسانية تتحدى عوادي الانحراف والاستبداد ، وصنع من افكاره التقدمية مشاعل نيرة تمزق اسدال الليل المكفهر ، وتحمل معها تباشير فجر جديـــد ..!

انه كمواطن عربي مخلص قد وعى فؤاده ابعاد مسؤولياته التاريخية واستقطب تطلعات شعبــــــه وطموحات أمته ، فاتخذ من الكلمة التقدمية ، والحرف المكافح ادوات يتوسل بها لبلوغ الامال الشريفة .. ولابد للانســان ان يجني ثمرة مجهوداته في الحياة ...

وبعد هذا التطواف الطويل لقد آن الاوان للكشف عن اسم هذا الاديب العصامي الذي شاد مجده الادبي بسهره وكدحه ، وعرقه ... انه بكل بساطة وتواضع ، ومن غير تفاخر وتبجح الشاعر والباحث عبد اللــــه الجبوري ... !

بغداد ــ خضر عباس الصالحي





تذكرت فى هذه الايام ، وانا ادرس كتاب « دلائل الاعجاز » ، وانتهيت الى البيتين فيه :

اليوم يومان مد غيبت عن بصري
نفسي فداؤك ما ذنبي فاعتذر

امسي واصبح ، لا القاك ؟ واحزنا
لقد تأنق فى مكروهي القدر

تذكرت وانا اتكلم عن فعل « تانق » وموقعه الجميل فى العبارة ، ان صاحب الخصائص ، ابن جني قال : ان التانق مأخوذ من الناقة ، ولا شك ان الجمال فيها ، كما يشير اليه القرآن الكريم « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » ، فالتانق والتجمل واضح ما بينهما من علاقة او اتحاد .

وقد ابدلت فعل التانق ، بالتفنن ، حتى اتقرب بذلك الى معتاد الطلبة وغيرهم ، فتذكرت ايضا ، ما كان قد حدث لي فى هذا الاشتقاق ، منذ ربع قرن وانا مدرس بالمدارس المصرية .

وهنا استاذن ، واعتذر للقاريء الكريم ، اذا كنت ساخرج عن الموضوع ، وآتي بما لا علاقة له فى الصميم ، ولكنه على كل حال ، ترويح على النفس، نعم : النفس التى لغيري ولي على السواء ...

لقد دعيت سنة 1958 ، لانضم الى لجنة الامتحان ، بالمدرسة الثانوية ، بمصر الجديدة ، فكنا تسعة مدرسين للتصحيح ، وعلى راسنا رئيس قسم اللغة العربية ، الاستاذ محمد حسوبة .

فكنا ندخل المدرسة ، على الثامنة صباحا ، ولا نغادرها الا بعد الثامنة مساء ، ننهمك بينهما فى التصحيح ، ولا نفتر عنه ، الا عند تناول وجبة الغذاء ، التى كانت لا تتعدى جبنا وفول مدمس وطعمية ثم برتقال ونحوه، فاذا طعمنا ، تمدد كل واحد منا ، على الطاولة التى يصحح عليها ، فيستريح نصف ساعة ، لا اكثر ، ثم يستأنف عمله ، وقد ناداه الاستاذ حسوبة «يالله يا جماعه ...»

وهكذا كنا منهمكين فى العمل ، فى صمت تدخنه السجاير التي كان الاستاذ حسوبة يحرق منها يوميا ستين لفافة ، ولكننا مع هذا الصمت ، كنا نبيح لانفسنا ، ان نعلق على بعض الاحداث ، وكان اهمها الحرب العربية ، لمقاومة الصهيونية الغاشمة ، كانت تعليقات ، اذكر منها ، تهكم مدرس صعيدي ، كان يميل الى المذهب الفقهي المالكي ، كان يتهكم، على « ترومان » فيصفه بالغباء والخيانة، ومع هذا فاسمه «ترومان» Truman الرجل الحق؟

تعليقات عديدة بعضها من هذا القبيل ، وبعضها من قبيل آخر ، ينعكس على الداخل ، اذكر منه تعليق حسوبة على الفريق محمد حيدر باشا ، وزير الدفاع آنذاك ، كان الاستاذ حسوبة يستشيط غضبا فيقول : « يا اخوانا ، والله العظيم ، ان حيدر هذا ربطني فى سنبك فرسه ، لما حصلت ثورة تسع عشر ، فكان يجرجرني من القلعة الى ميدان العتبة (مسافة نحو 3 كيلومترات) وهو منطلق على فرسه، وانا اجاريه فى رباطي ، فاقع مرة على وجهي ، ثم

استقل لاغالب فى الجري ، فاقع مرة اخرى ، الى ان كدت افارق الحياة ، لما ألقي بي فى ميدان العتبة الخضراء » .

لقد كان هذا الكلام بالنسبة الي مفاجئا جدا ، فقد كنت احب الفريق حيدر ، لدماثة خلقه ولين عريكته ، كما بدا لي يوم اجتمعت معه ، على مائدة من موائد الافطار ، التى كان الملك فاروق، رحمه الله، يقيمها لمن وقع عليه الاختيار من الطلبة الشرقيين فقد جلسنا اربعة حول مائدتنا ، التى كانت تضم شاميا وسودانيا ومغربيا ومصريا ، هو الفريق حيدر، وفجأة ارتفعت الاصوات بالهتاف والتكبير ، على مجيء الملك فاروق ، فى نفر من حاشيته ، لمصافحة الطلبة ، واحدا فواحدا ، ونهض الاستاذ الصاوي شعلان ، فأنشد قصيدة عصماء ، كان لها وقعها الحسن فى نفوس الحاضرين .

والاستاذ الصاوي ، من النبهاء آنذاك ، كان الى جانب ثقافته العربية ، يدرس ــ وهو ضرير ــ الفارسية والتركية والالمانية ، فكنا حينما نغادر كلية الآداب ، « يجرني » معه الى اصلاحيات الاطفال ، فندخلها وتقفل علينا الابواب، وكأنها أبواب السجون، فنجلس فى ركن من حجرها ، حيث نطالع الالمانية ونراجع ما تلقينا من دروس فيها ، مساه الله بخير ، او رحمه ، ان كان قضى نحبه ، كان يقرأ مستعينا بلمس أصابعه للحروف البارزة ، وكان الشعر طيعا له ، ينظم ما يطلب منه وما لا يطلب ، فى سهولة ويســـر .

نعود الى المائدة ، فيحيي بعضنا البعض ، ويقع التعارف ، الذى يفتتحه الفريق ، مضيف « السراي » عابدين ، فيذكر كل منا اسمه وبلده ، ثم يسال الشامي ، وحضرتك من ؟ فيجيبه : لا تعرفني ؟ وهنا يتدخل السوداني ، فيقول : نعم ، حيدر باشا ، وكان الشامي ــ على النقيض مني ــ كثير الكلام، فقال للفريق : اريد ان ازور حضرتك،

فرد عليه : مرحبا ، هل تعرف عنواني ؟ انا مدير السجون .. وكان فعلا آنذاك مدير السجون .. فاستعاذ بالله ، صاحبنا الشامي ، وانطلقت الضحكات ، وكان المضيف لطيفا جدا متحدثا لبقا فى منتهى التواضع ، مما جعلني احبه ثم استغرب ، لما سمعت ، رحم الله الجميع .

وانتهى الامتحان ، ثم العطلة الصيفية ، واستأنفنا التدريس ، بالمدرسة المصرية للاقباط الكاثوليك ، وذات صباح ، قيل لي : « ان المفتش قد حضر » واذا به الاستاذ حسونة ، فاستقبلني بصفته الرسمية ، وكأنه ما كان له سابق معرفة طويلة بـي ...

وجرى التفتيش فى الدروس تلقى ، والدروس تحضر ، ودفاتر التمرينات والواجبات الانشائية وغيرها ، كما هو العادة المتبعة وفى موضوعات الانشاء ، وقع على كلمة « فنان » ، فقال لي : استبدل هذه الكلمة ، فان الفنان هو الحمار .. والاحسن استعمال كلمة « مفن » ــ كمكر ومفر ــ بدلها .

وكانت هذه الملاحظة مفاجئة لي ، ولكني اذعنت لقبولها ، ثم صرت استشير القاموس ، فوجدته ، كما قال « حمار » وحشي ... وكعادة فقهاء اللغة ، فى تعليلهم ، قالوا : انه سمي بذلك لتفننه فى مشيه .

والواقع ان التفنن : اتى من « الفنان » ، لا ان الفنان اتى من التفنن ، كما ان التانق اتى من الناقة، وليست الناقة آتية من التانق ، كما يشهد بذلك الاستيناس بالتطور الطبيعي فى اللغة .

والنتيجة ان تانق تحل محل تفنن ، كما يصح العكس ، وان التانق من الناقة ، والتفنن من الفنان، حمار الوحش .

تطوان ــ محمد بن تاويت



حينما اتينا على قصة الخليفة العربي هارون الرشيد ، وما هو شائع عن اتصاله بالامبراطور الالماني شارلمان عن طريق تبادل الهدايا والسفراء ، واوضحنا بان هذه القصة لا ترقى الى مستوى الحقيقة التاريخية ، لاسيما وان المؤرخين العرب في ذلك العصر لم يشيروا اليها فيما كتبوه من قريب او بعيد ، الا ان ذلك لا يعني بان المسلمين والالمان لم يكونوا يلتقون ابدا في تلك الايام . فلقد عثرت في كتاب نفح الطيب للمقري ، على خبر يتعلق بوجود لقاء اكيد بين الخليفة الاندلسي عبد الرحمن الناصر وبين « رسول من قبل الالمان » .

ولكن المقري لم يترك لنا في موسوعته الضخمة عن تاريخ الاندلس ، التفاصيل التي تلقي ضوءا على طبيعة هذا اللقاء ، واسماء الاشخاص الذين اوفدتهم المانيا الى بلاط الخليفة الناصر ، بيد ان المؤرخ المصري المعاصر الاستاذ محمد عبد الله عنان تولى بنفسه الاشارة الى هذه التفاصيل في مقالة له نشرتها مجلة الرسالة المصرية سنة 1353 هـ (1938 م) تحت عنوان « سفارة المانية الى بلاط قرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر » .

وفي هذه المقالة يذكر الاستاذ عنان انه : في سنة 344 هـ (956 م) وفدت على الناصر سفارة من « اوتو الكبير » امبراطور المانيا وكان يومئذ من اعظم امراء النصارى كما كان الناصر اعظم امراء الاسلام . وكان بين الملكين العظيمين علائق ومراسلات منتظمة وكانت سفارة « اوتو » ذات مغزى خاص.. وكان سفيره الى الخليفة حبرا من اكابر الاحبار وهو « يوحنا » اسقف « غورتسي » ... وبعث الناصر الى الامبراطور سفيرا واختار لهذه السفارة قسا من رعاياه النصارى اتباعا لتقليد جرى عليه الخلفاء في معظم سفاراتهم الى القصور النصرانية.

ويتابع الاستاذ عنان حديثه قائلا :

ولسنا نعرف نتائج هذه السفارة ، لان يوحنا لم يحدثنا عن ذلك في روايته في تاريخ حياته «فيتا» الا ان الرواية الكنسية تحدثنا عما افضى به الخليفة الناصر الى يوحنا من الملاحظات السياسية والادارية .

ونحن نحب ان نتخذ من هذه الحادثة دليلا على قدم الروابط التي عرفتها العلاقات الاسلامية الالمانية وهي روابط تكررت اكثر من مرة حتى انتهت اخيرا الى صلات تقليدية ثابتة بين المسؤولين المسلمين وبين المسؤولين الالمان .

الامير شكيب ارسلان يروي قصة هذا اللقاء

وفيما يلي تفاصيل هذا اللقاء المثير كما رواها الامير شكيب ارسلان في كتابه عن غزوات العرب في اوروبا :

اوتـون وخليفـة قرطبـة

« كان المسلمون يجولـون فى جميـع انحـاء سويـسرا بلا معارض ، كأنهـم فى ديارانهـم وقـد تقدموا الى ان صاروا على ابواب « سان غال » على ضفاف بحيرة كونستنز وكانوا يعتدون على الرهبان الذين كانوا هناك . فلا يخرج منهم احد الا رشقوه بسهم . وكانوا قد الفوا سكنى الجبال والسير فى الاوعار حتى ان احد الكتاب المعاصريـن قـال انهـم صاروا اشبه بالمعزى فى خفـة اقدامهـم وسهولـة سيرهم فى جروف الجبال .

وكانوا قد بنوا ابراجا فى اماكن متعددة ، يقال ان آثارها لا تزال موجودة . وكانـوا قـد الحقـوا اضرارا لا تحصى بالمسيحيين ، وذكر مؤرخ ديـر « سان غال » فى كتاب داخل مجموعة برتز ، انه كان يوجد رئيس للدير المذكور اسمه « فالتون » قد جمع عصابة من الرجال الاشداء وسلحهم بالحـراب والفؤوس وهاجم هؤلاء البرابرة فجاة فقتل اكثرهم ومن نجا منهم قبض عليه . وساقـوا الاسـرى الى الدير فأبى هؤلاء ان يأكلوا او يشربوا فماتوا جوعا .

وفى اثناء ذلـك تغلب الالمـان على «المجار» . وكسروا شوكتهم ، فنشقت سويسرا نسيم الفرج . ولكن البروفانس والدوفيني وجانبا من جبال الالب بقيت تحت طائلة العرب الذين كـانت تـرد اليهـم الامدادات من البحر . وكانت هذه البلاد لا تستريح ما داموا فيها . وكان الرجل العامل المدبر اذ ذاك ، بين ملوك اوروبة ، واوتون ملك جرمانية الذى لقب فيما بعد بالامبراطور ، والذى استحقت له خلالـه المجيدة لقب « الكبير » فدخل « اوتون » فى علاقات مع خليفة قرطبة الذى كان اشبه بالحامي لمستعمرة «فراكسينيه العربية » فعزم اوتون لاجل الدفاع عن حقوق النصرانية ان يبعث بسفارة الى الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وكان قد جاء الى « اوتـون » من عبد الرحمن كتاب لا يخلو من عبارات فيها غـض من الدين المسيحي بحيث اعتمد « اوتون » بخاصة ان يجعل فى سفارته الى قرطبة عالما لاهوتيا يمكنـه الاعتماد عليه فى الاخذ والرد مع العلماء المسلميـن فوقع الاختيار على راهب من دير « غورز » بقـرب متس كان يقال له « جان » وكان بلغ من تضلعه فى علم اللاهوت انه حاول اقناع الخليفة بالتنصر .

زمـن هـذه السفـارة بين خليفـة المسلميـن وامبراطـور الالمـان

وقد كانت هـذه السفـارة فى سنـة 956 م والمؤرخون من المسلمين ومن النصارى متفقون على ما بلغته قرطبة لذلك العهد من العظمة والمجد ، فقد كانت فيها العلوم والمعارف والصنائع والفنـون والسياسة والكياسة قد ادركت الامـد الاقصى فى وقتها ، وكانت اوربا المسيحية مدهوشـة بعظمـة قرطبة وكان عبد الرحمن مقصد الجميع من ملـوك العصـر ، وكان يراسله البابا وامبراطور القسطنطينية وملوك اسبانيا وفرنسا والمانيا وبـلاد الصقالبـة . وكان ملوك المسيحيين ، بحسب قول مؤرخي العرب يبسطون ايدي الخضوع للخليفة ، ويعدون شرفـا عظيما لهم ان يرسل الخليفة يده لسفرائهم ليقبلوها، وذلك لجلالة قدره فى اعينهـم ولطـف منزلتـه فى انفسهم .

حفاوة الناصـر بضيوفـه من سفـراء ملـوك النـصـارى

وكان عبد الرحمن الناصر عندما تقدم عليـه وفود هؤلاء الملوك لاسيما وفد ملك الروم يبالغ فى الاحتفال بهم ويتكلف الكلف الثقال ويأمر باستقبالهم بالعساكر والاعوان وباظهار جميع عظمـة الخلافـة فكانوا يفرشـون لهم الشوارع التى يمرون بها بفاخر البسط والديباج وكانت الالوف من حرس الخليفـة الخاص ، وامامهم الامراء وعظماء الدولة يصطفون على الجانبين ومنهم بطانة تحيط بعرش الخليـفة ، وبعد ذلك يقوم الائمة ويخطبون فى الحفل بما يناسب المقام من وصـف عز الاسلام واظهار مناقب الامام ثم يتلوهم الشعراء بالقصائد الطنانـة التـى تزيـد من ابتهاج الحاضرين وحماسة السامعين .

سفـارة الراهـب جـان

تحدث عن هذه السفارة احـد تلاميـذ الراهب نفسه فقال :

سافر الراهب جان ومعه راهب ثان لا غير ، وكانت الهدايا التى لا بد من اصطحابها هي من مال الدير الذى ينتسب اليه الراهب، فسار الراهب على قدميه ماشيا الى « فيين » على نهر الرون ، ومنهـا ركب فى النهر الى البحر وركب فيه الى برشلونـة

التي كانت اذ ذاك تابعة لمملكة فرنسا وانما كانت اول مدينة تخص الخليفة من الثغور هي « طرطوشة » (عن المسعودي في مروج الذهب وهذا كان معاصرا لعبد الرحمن الناصر) .

فلما وصل السفراء من قبل ملك الفرنجة الى « طرطوشة » واذن لهم عاملها بالمسير الى قرطبة تقدموا في البلاد وقطعوا جانبا عظيما من جزيرة الاندلس ، وهم في ضيافة العرب بالمعهود من كرمهم فوصلوا الى قرطبة ، لم يتكلفوا انفاق درهم واحد ، وهناك استقبلوا برا وترحيبا وانزلوا في محل على مسافة ميلين من قصر الخليفة .

ثم ان الخليفة علم بمهمة الراهب وما هو مكلف تبليغه من قبل ملك فرنسة ، فاراد ان يتجنب المباحثات الدينية ، وقال انه لم يكن لائقا بمقام اثنين مثل الخليفة والملك ان يدخلا في مجادلات كهذه وانه لا يسع الخليفة ان يسمع كلاما فيه نيل من الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يجوز له ذلك بحسب الشريعة .

واقترح الخليفة ان يعد كتابه الى الملك اوتون كأنه لم يكن .

الخليفة يحاول تلطيف الجو والسفير الراهب يركب راسه بتحريض من ملك فرنسا

ولكن جميع هذه الملاحظات لم يقبلها الراهب ، واصر على رايه . وجاء مطران قرطبة ينصحه بترك هذا العناد ، فاخشن له الجواب واخذ يقرعه على هوادته وتساهله وتساهل جماعته في امر الدين المسيحي . وكيف انهم قد رضوا يختنان اولادهم وبالامتناع عن اكل لحم الخنزير مسايرة للمسلمين .

الخليفة الناصر يتغير على السفير المتعنت

ولما علم الخليفة بتصلب هذا الراهب وانه راكب راسه لا ينثني عن عزمه ابى ان يقبله وارسل اليه قائلا انه كان بعث الى الملك « اوتون » احد الاساقفة سفيرا عنه فانتظره ثلاث سنوات ، ولذلك فهو يريد ان يمسك سفير « اوتون » لديه لا ثلاث سنوات فقط بل تسع سنوات لانه يرى نفسه اكبر من « اوتون » بثلاث مرات ، فاجاب الراهب بانه لا يقدر ان يخرج عن الاوامر التي بين يديه من « اوتون » وتقرر عند ذلك ان يرسل الخليفة رسولا من قبله يسأله عما اذا كان ما يزال مصمما على رايه في

كيفية سفارة الراهب واخذ الخليفة ينتدب للرسالة الى « اوتون » من عنده من يصلح لذلك . فكان المسلمون يستعفون من تلك السفارة لان المعلوم ان على المسلمين واجبات دينية يصعب عليهم القيام بها في بلاد النصارى ، من اجل ذلك كان اكثر سفراء ملوك المسلمين الى ملوك النصارى مسيحيين ، وكثيرا ما كانوا اساقفة او قسيسين .

سفير الخليفة عبد الرحمن الناصر الى اوتون

ففي تلك النوبة انتدب لهذه السفارة رجل مسيحي اسمه « رسيموندس » كوفيء فيما بعد على المهمة التي قام بها بجعله اسقفا وكان يحسن اللاتينية والعربية معا ، ويظن بعضهم ان الاسقف رسيموندس هذا هو نفس رمندس الذي كان مطرانا اسبانيوليا وكانت بينه وبين المؤرخ « ليتبرند » علاقة ومودة وقد جعل هذا تاريخه باسمه .

الخليفة يعود فيحسن وفادة الراهب

وفي تلك المدة كان « اوتون » مشغولا باطفاء فتنة اثارها عليه ابنه وصهره ، فلما وصل السفير الاسبانيولي من قبل الخليفة اجابه الملك الى كل ما اقترحه ، وقفل الرسول الى قرطبة وقد دبر الامور كما شاء الخليفة ، ورضي الخليفة بعدها ان يستقبل الراهب وكان الخليفة يعلم تقشف الراهب ومذهبه في لبس الخشن وبعده عن مظاهر الابهة فبعث اليه انه يريد ان يستقبله كسفير من قبل الملك ، وانه لابد له اجلالا لقدر مرسله من قبول جنة السفارة وانه ينبغي له ان يدخل على الخليفة بملابس لائقة .

الراهب يصر على مظاهر التقشف

فاجابه الراهب بانه لا يجد لباسا ابهى ولا افخر من ثوب رهبانيته ، فظن الخليفة انه قد يكون الراهب عاجزا عن شراء الملابس اللازمة ، فبعث اليه بعشر اقات فضة ، وكانت الاقة التي عشر اوقية . ولكن الراهب تصدق بهذه الفضة على الفقراء ، فارسل اليه الخليفة قائلا انه يستقبله ويحتفل به ولو كان لابسا كيس خيش .

وصف الاستقبال الرسمي للراهب السفير

وفي اليوم المعين للاستقبال اصطفت العساكر على الجانبين ، ووقف العبيد الصقالبة قابضين على

الحراب ، ووقف آخرون بالقسي ، وكانت هناك الفرسان تلعب في الميدان وفي هذه الحالة دخل الراهب السفير وقد فرشت امامه مداخل القصر بالبسط والديباج ، فما زال يتقدم الى ان وصل الى البهو الذى فيه الخليفة ، فوجد الخليفة جالسا على سرير الخلافة متربعا على عادة الشرقيين ، فعند وصوله اليه اعطاه يده من باطنها تمييزا له عن غيره فقبلها الراهب ، ثم امر له بالجلوس ، وبعد المراسم المعتادة في المجاملة شرع الخليفة يتكلم عن الملك « اوتون » وما بلغه من المقام السامي بين الملوك واثنى عليه مزيد الثناء .

الخليفة ينتقد بعض تصرفات اوتون

ثم انه لما كان عبد الرحمن قد بلغه كون ابن الملك « اوتون » ثار على أبيه ، انحى بشيء من اللائمة على الملك قائلا : انه لا ينبغي للملوك ان تقبل اقل انتقاص من سلطتها ولا ترعى في ذلك عاطفة ، اشارة الى شيء وقع من قبل مع عبد الرحمن نفسه ، فانه عصى عليه احد اولاده فانتهى الامر بأن امر بقتله .

موضـــوع السفـــارة

ثم دار الكلام عن موضوع الرسالة التي جاء بها الراهب سفيرا ، فمؤرخو العرب ، او بالاقل المؤرخون الذين عرفناهم ، لم يكونوا يذكرون شيئا عن قضية احتلال العرب لسواحل «بروفنس» وشنهم الغارات الى الداخل ، مما يدل على انهم لم يكونوا يأبهون لهذه الحادثة (ذكر هذه الحادثة الاصطخري وابن حوقل) ـ انتهى كلام الامير شكيب .

وراي المؤرخيـــن بهـــا

راي المؤرخ (ليوتيرند) الذى عاش في ذلك العصر ، يؤكد أن تلك المستعمرة العربية في جبال الألب كانت تحت حماية الخليفة نفسه .

راى تلميذ الراهب السفير : اما هذا فيقول ان موضوع تلك السفارة لم يكن سوى التوسط لدى الخليفة لوضع حد لغارات العرب في فرنسا وايطاليا .

مصير رسالة أوتون الى عبد الرحمن الناصر

ان جميع الذين اشاروا الى هذه السفارة بين العاهلين العربي الاندلسي والغربي الالماني قالوا بأن الرسالة التى بعث بها اوتون الى الناصر لم يعثر عليها كاملة حتى هذا التاريخ ، والنا لنرجو أن يتاح لها باحث يهتم بها ويعمل على لم شتاتها لتظفر المكتبة التاريخية للعلاقات العربية الالمانية بشاهد حي على ما كان يشد هذه العلاقات بعضها الى بعض من اواصر المجاملة التى تدل على مدى احترام كل منهما للآخر، فيكون الماضي وسيلة تدعم الحاضر بكل ما فيه من نوايا الخير والتفاهم .

وان كتب الاوروبيين الذين رحلوا الى بلاد الشرق العربي في عهد المماليك ، مليئة بحكايات المبعوثين الذين كانت ترسلهم المانيا وغيرها من الدول النصرانية في اوروبا الى القاهرة ، لمعالجة مشاكل تجار النصارى الذين كانوا يتعرضون للمصادرة والاعتقال بين حين وآخر بسبب تدخلهم فيما لا يعنيهم اثناء وجودهم في بلاد المسلمين . ومن يطمع في متابعة هذا الموضوع فاننا نحيله الى ما كتبه الرحالة المذكورون في هذا الصدد اثناء حديثهم عن الملك الظاهر بيبرس البندقداري وكذلك السلطان قانصوه الغوري الذى انتهت به دولة المماليك في الشرق .

الملك الكامل وفريدريك الثاني

وكتب التاريخ : قد انطوت صفحات كثيرة منها على اخبار العلاقات الوثيقة التي كانت قائمة بين السلطان الايوبي الملك الكامل ناصر الدين بن محمد وبين ملك المان وفارس اوروبا في حروبها الصليبية في الشرق « الانبرور » فريدريك الثاني ، وهي العلاقات التي لم يرض عنها لا النصارى ولا المسلمون في ذلك الحين ، لانها ادت الى الهدنة بين المتقاتلين بينما كان كل من هؤلاء واولئك يريدون كل شيء او لا شيء .

ففي الثامن عشر من فبراير سنة 1229 م مد الشرق للغرب يده مصافحا .. وامام هرمان سالتزا وتوما الاكويني قال السلطان الكامل باسم المسلمين:

« اقسم بالله والقرآن ، وبقلب ونية سليمة ان انفذ كل ما اتفقنا عليه وان لا احنث بقسمي » .

وفي الساعة نفسها اقسم فريديريك الثاني باسم النصارى بين يدي الامير فخر الدين ابن الشيخ يمين احترامه للاتفاق مؤكدا قسمه بقوله :

« انه سيأكل لحم يده اليسرى ، ان هو حنث بهذا القسم العظيم .. »

لقد كان الاتفاق الكامل مع فريديريك جديرا بأن يقضب حملة السيوف من الفريقين المتحاربين ولكنه على كل حال كان الفرصة الوحيدة التي اتيحت في تاريخ البشرية لاتحاد الشرق مع الغرب على اساس من الثقة والاحترام المتبادل .

ومن ذلك الحين اخذت الاتصالات المستمرة بين المسلمين وبين أوروبا تتجه لان تتخذ صفة العلاقات السياسية الدائمة ، لاسيما بعد ان استقر الحكم الاسلامي في يد آل عثمان وكانت هذه العلاقات تتركز وتتأكد يوما بعد يوم الى ان اصبحت تقليدا متبعا حتى يومنا هذا .

الاتصال الدبلوماسي بين المسلمين والالمان في العصور المتاخرة

بقيت اسطمبول من أوسط القرن الخامس عشر حتى اوائل القرن العشرين حاضرة الاسلام وعاصمة الخلافة والباب العالي للمسلمين في صلتهم بالغرب المسيحي .. فكان من الطبيعي ان تقيم المانيا عبر الدولة العثمانية علاقاتها القنصلية مع الشرق العربي ، وكانت دمشق المكان الذي عاشته الصداقة العربية الالمانية على يد القنصل البروسي المستشرق يوهان فيتشتاين (1815 – 1905)

فلقد كان هذا القنصل من ابرز الالمان الذين اكتسبوا مودة العرب واحترامهم في العصور المتاخرة .

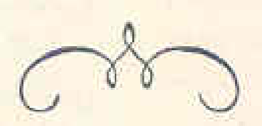
اول قنصل الماني في الشرق العربي

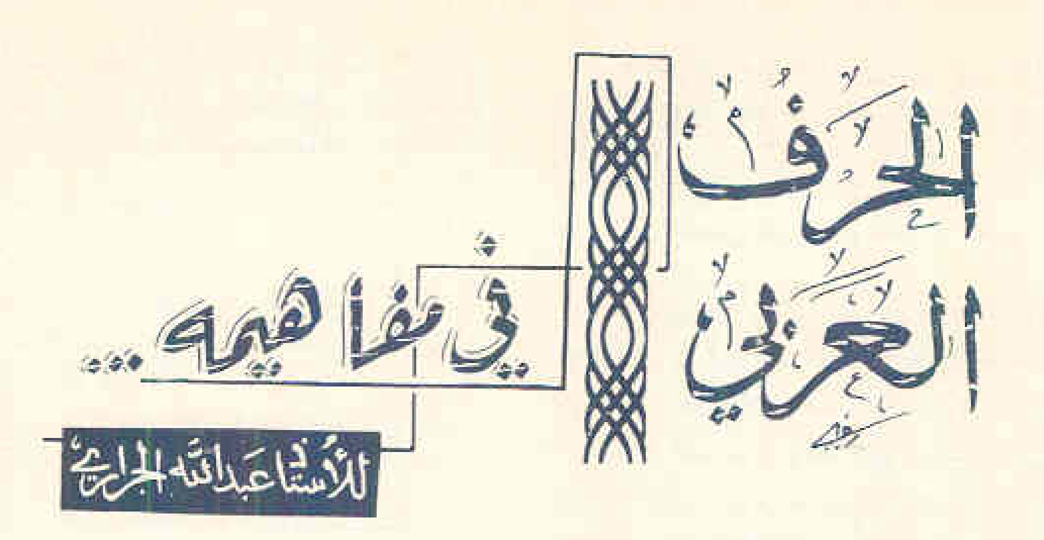
بدأ يوهان فيتشتاين استاذا جامعيا لتدريس اللغة العربية في أول الامر ثم عين قنصلا لالمانيا في دمشق ، وهو اول قنصل الماني في هذه المدينة الاسلامية الكبرى ، وقد ادى فيتشتاين خدمات انسانية جليلة اثناء الصراع الذي دار بين النصارى والدروز سنة 1860 في جبل لبنان ، اذ بينما كان الانكليز يثيرون الدروز والفرنسيون يحرضون الموارنة سعيا وراء خلق ظروف ملائمة لهما للتدخل في الشرق الادنى ، كان قنصل بروسيا يقصر جهوده في ذلك الوقت على تخفيف حدة الشقاء بين الناس .

العلاقات الدبلوماسية الراهنة بين المسلمين والالمان

والجدير بالذكر ان المانيا في الحاضر ، مرتبطة بعلاقات ديلوماسية مع جميع الدول الاسلامية تقريبا ما عدا دولة « موريتانيا » التي نشأت حديثا في صحراء شمال افريقيا الغربية .

بيروت – طه الولي





- 3 -

ما زال الحديث يدور حول ــ الحرف العربي في مفاهيمه فعندما يتأمل الانسان الصوت الخارج من الحلق ، وتهيئة آلاته ــ وينعم النظر في الكلام وانتظامه، والحروف وادواتها ومقاطعها واجراسها ــ يدرك الحكمة الباهرة والمنطبعة في هواء ساذج ينطلق من الجوف منسلكا في انبوبة الحنجرة حتى ينتهي الى الحلق واللسان ، والشفتين والاسنان ، هناك يحدث مقاطع ونهايات واجراس يسمع له عند كل مقطع ونهاية جرس واضح منفصل عن الآخر يحدث بسببه الحرف . لذا فهو صوت واحد ساذج يجري في قصبة واحدة لينتهي الى مقاطع وحدود تسمع له منها تسعة وعشرون حرفا ــ عليها يدور الكلام كله ــ امرا ونهيا ؛ خبرا واستخبارا ؛ نظما ونثرا ، خطبا ومواعظ ، ــ وبالتالي ــ فصول ينشأ عنها المضحك والمبكي والمؤيس والمطمع ، والمخيف والمرجي ، والمسلي والمحزن ، والقابض للنفس والمنشط ، والمسقم الصحيح ، والمبرىء السقيم ، كما منه ما يزيل النعم ؛ ويجل النقم ، وما يستدفع به البلاء ، ويستجلب به النعماء ، وتستمال به القلوب ، ويؤلف به بين المتباغضين، ويوالي به بين المتعادين ــ ومنه ما كان على الضد .

وواضح ان يكون من هذا القبيل ــ الكلمة التي لا يلقي لها صاحبها بالا يهوى بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب ، ذلك ما يجعلنا نؤمن اكثر بعظمة الله وبديع صنعه ــ في انشاء ذلك ــ من هواء ساذج يخرج من الصدر لا يدري ما يراد به ، ولا ابن ينتهي ، ولا ابن مستقره . هذا الى ما في ذلك من اختلاف الالسنة واللغات التي لا يحصيها الا الله ــ (1) .

ويتجلى هذا المعنى بأجلى مظهر ــ ما اجتمع الناس من بلاد شتى فياخذ كل منهم يتحدث بلسانه ــ هناك تسمع لغات مختلفة ، وكلاما منتظما في تاليف وتنسيق بديعين ــ وقتا لا يدري كل منهم مقول الاخر ــ واللسان الذي هو جارحة واحد شكلا ومنظرا ــ والحلق كالاضراس والشفتين هي الاخرى كذلك ــ والكلام مختلف متفاوت أكبر تفاوت .

وما آية ذلك الا كآية الارض التي تسقى بماء واحد ، وتخرج من انواع النبات والازهار والحبوب والثمار انواعا متباينة . يقول الله جلت عظمته : « ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ، ان في ذلك لآيات للعالمين » (2) ، ويقول : « وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » (3) .

لنرجع مرة اخرى ولننظر في الحنجرة كيف هي ــ كالانبوب لخروج الصوت ، واللسان والشفتين

1) واليوم حصرها الاخصائيون في اللغات واللسنيات في : 000 3 لغة .
2) الآية ــ 22 ــ سورة الروم .
3) الآية ــ 4 ــ سورة الرعد .

والاسنان ـ لصياغة الحروف والنغمات ـ الا ترى ان من سقطت اسنانه لم يقم الحروف التي تخرج منها ومن اللسان ، ومن فقدت شفته لا يستطيع طبعا اقامة الباء والميم ، حيث يصبح اعلم او افلج او هما جميعا

(ايقنت انني
انا الميم والايام افلج اعلم)

كما ان من عرضت له آفة في حلقه هو كذلك لا يمكنه النطق بحروف الحلق . ومن هذا المنطلق اندفع علماء الجراحة والتشريح فشبهوا مخرج الصوت بالمزمار (4) ، والرئة ـ بالزق الذي ينفخ فيه من اسفل ليدخله الريح ، والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت من الحنجرة ـ بالاكف التي تقبض على الزق حتى يخرج الهواء في القصب ، والشفتين والاسنان التي تصوغ الصوت حروفا ونغما ـ بالاصابع التي تختلف على المزمار فتصوغه الحانا . والمقاطع التي اليها الصوت ـ بالابخاش التي في القصبة (5) حتى قيل ، أن المزمار انما اتخذ على مثال ذلك من الانسان ـ فاذا ما وقع الاندهاش والتعجب من الصناعة التي تسيرها اكف البشر حتى تنشأ منها تلك الاصوات ـ فما احرى الانسان بطول التعجب من الصناعة الالهية التي كونت تلك الحروف والاصوات من اللحم والدم ، والعروق والعظام ـ وبا بعد ما بينهما . . . !

بيد ان المالوف والمعتاد لا يقع عند النفوس موقع التعجب فاذا رايت ما لا نسبة له اليه اصلا الا انه غريب عندها ـ تلقته بالتعجب ـ واخيرا فمن تأمل اختلاف تلك النغمات وتباين هذه الاصوات والميز بينهما مع تشابه الحناجر والحلوق ، والالسنة ، والشفاة والاسنان ، تيقن اكثر بعظمة الصانع المبدع جلت قدرته .

علاوة على ما في هذه الالات من مقاصد ومنافع اخرى لها غير منفعة الكلام فهذه الحنجرة نجد لها مسلك النسيم البارد الذي يروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع ، وهذا اللسان هو كذلك له منفعة الذوق والميز بين الطعوم واشكالها والوانها وادراك اللذات المختلفة مع اعانته على اساغة الطعام ولوكه حتى يسهل مسلكه في الحلق ـ وفي الاسنان منافع اخرى غير ما ذكر وهكذا دواليك .

(وفي كل شيء له آية
تدل على انه واحد)

الرباط : عبد الله الجراري

---

4) ألمعنا الى هذا المعنى في القسم الاول من المقال المنشور بالعدد : 1 ـ 2 من دعوة الحق ص 138 ـ السنة (14) .

5) الابخاش ـ عبارة عن الثقب .



قصة المسلمين فى اسبانيا :

لما تفرق شمل العرب فى اسبانيا بعد انهيار الدولة الاموية ، وصال عليهم الاسبان وتولى كبر ذلك دولتا اراغون وقشتالة خفت دول البربر أصحاب مراكش لنجدتهم ، واجتازت الحدود تباعا: المرابطون والموحدون والمرينيون . فكانت الواحدة تلو الاخرى تدفع هجمات الاعداء ، وتعيد للمسلمين كرامتهم .

ورغم ما كان يتخلل ذلك من تنازع على السلطة بين هؤلاء البربر وبين العرب فقد ظل الاسلام عزيزا فى تلك الديار الى وفاة السلطان يعقوب المريني . لقد اعترضت هذا السلطان مصاعب كثيرة فى شمالي افريقية اثارها عليه بعض الطامعين من قومه البربر فذللها بحكمته او قوته، ثم مني باسبانيا بمشاكل مثلها فى الخطورة اثارها عليه بنو الاحمر اصحاب غرناطة فتغلب عليها ايضا ، وانصب بعد ذلك كالسيل الجارف على الملك سانش الاسباني فانتصر عليه (684 هـ 1285 م) ، واضطره للتوقيع على شروط من شأنها ان تعيد للمسلمين كرامتهم . غير ان وفاة هذا السلطان فى ذلك العام كانت نقطة انطلاق لانشقاق جديد وقع فيه المسلمون فى شبه جزيرة ايبيريا ، وافضى فى آخر الامر الى جلائهم عنها . وليس مرد ذلك الى ان خلفاءه كانوا لا يتمتعون بمثل كفاءته فحسب ، بل لما قام بينهم وبين بني الاحمر اصحاب غرناطة من خصام كان يحمل هؤلاء ، فى بعض الاوقات ، على الاتفاق مع الملك سانش . على ان هذا الصراع بين المسلمين ساعد الاسبان على التقدم تباعا فى بلادهم حتى حصروهم فى غرناطة وما حولها عند ساحل البحر .

وكان فردناند الخامس ، المعروف بالكاثوليكي، ملك اراغون ، يوالي الضغط على غرناطة . وما ان تزوج بايزابيل ملكة قشتالة واتحد بذلك عرشاهما حتى أتيح له أن يقضي القضاء المبرم على بني الاحمر فسلمت اليه غرناطة فى سنة (897 هـ ـ 1492 م) على شروط مدارها احتفاظ المسلمين هناك بحريتهم الدينية وكرامتهم الاجتماعية .

ولكن الملك فرديناند لم يلبث الا قليلا حتى نكث بما قطعه لهم من العهود . ولم يمض على سقوط غرناطة الا ست سنوات حتى اجبرهم على التنصر، وشدد فى معاقبة الذين استمروا يقيمون منهم الشعائر الاسلامية سرا . وبلغ من ظلمه انه كان يعذب هؤلاء اشد العذاب ، ولا يتورع عن احراق بعضهم ، هذا فضلا عن تعقبه الذين لجأوا منهم الى بعض الجبال منفذا فى ذلك احكام مجلس التفتيش هذا المجلس الذى انشىء سنة 1481 ثم لم يكن ضربة قاضية على المسلمين واليهود فحسب ، بل شملت مظالمه المسيحيين الاحرار افرادا وجماعات .

وجرى خلفاء فردناند مجراه فى اضطهاد المسلمين الى ان اجلوا البقية الباقية منهم فى مطلع القرن السابع عشر .

ما هو عذر الترك في التخلي عن اخوانهم المنكوبين والتعاقد مع الافرنج ؟

تلك هي قصة مسلمي اسبانيا في نكبتهم الكبرى . وهذه القصة عاصرت آل عثمان فابتدأ الفصل الاول منها اثناء قيام سلطنتهم في الاناضول، وانتهى بزوال دولة غرناطة بعد تسع وثلاثين سنة على دخول قسطنطينية في حوزة السلطنة ، واما الفصول التالية التي تستعرض العذاب الذي كان المتخلفون في اسبانيا عرضة له ، والتي تشير الى حملهم المسلمين على ان يختاروا بين التنصر أم الجلاء فقد وقعت خلال حكم السلاطين بايزيد الثاني وياوز سليم وسليمان القانوني وسليم الثاني ومراد الثالث ومحمد الثالث وذلك في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ابان ما كان العثمانيون في اول وآخر هذين القرنين من اسياد العالم ، وكانوا في وسطهما اسياد العالم الوحيدين . وهم ما كان بوسعهم حينئذ ان يدفعوا الغائلة عن المسلمين فحسب ، بل كان بوسعهم ان يحتفظوا بأسبانيا للمسلمين ، فضلا عن استطاعتهم انقاذهم من ذلك الاضطهاد العظيم .

ان هذه القصة المؤلمة وما خلفها من عواقب كثيرا ما تبعث على التساؤل : « لماذا تخلى آل عثمان ، أبان قوتهم الجبارة ، عن ابناء دينهم في الغرب على حين انهم ظهروا ، في اللحظة الاولى من قيام دولتهم ، بمظهر المتعصبين للاسلام المجاهدين في سبيله ، وذلك في عصر جاء خلفا للحملات الصليبية على الشرق ، وعاصر الحملات الصليبية في الغرب، وكانت اجواؤه مليئة بالتعصب للدين عند المسلمين والمسيحيين على السواء .؟ »

والواقع ان لبني عثمان عذرهم قبل السلطان محمد الفاتح لما اصابهم من الاحداث الداخلية التي قضت الى انقراض سلطتهم بالغزوة التيمورلنكية ، وحملتهم، من بعد، على لم شعثهم واعادة دولتهم ، هذا فضلا عما خلف ذلك من انكسار عظيم اصابهم في حرب النمسا ايام مراد الثاني (1421 — 1451 م)

ولكن ما عذرهم بعد ان استتب لهم الامر في عهد ابنه محمد الفاتح (1451 — 1481) هذا السلطان الذي ما ان ادرك امنيته من القسطنطينية سنة 1453م حتى راح يسترسل في الفتوحات ، فأخضع نهائيا ممالك الافلاق والصرب والبوسنة والهرسك والألبان في أوربا ، كما استولى على سلطنة قرمان في الجانب الاسيوي بالاناضول ، وذلك اثناء ما كانت دولة بني الاحمر بالاندلس تشرف على الاحتضار ؟.

واذا انتحلنا لمحمد الفاتح عذرا ما ، فما عذر ابنه بايزيد الثاني « 1481 — 1512 » الذي عاصر فردناند المسمى بالكاثوليكي (1474 — 1516) وكانت تصل اليه انباء مظالم مجلس التفتيش وسومه المسلمين سوء العذاب ، فضلا عن اجبارهم على التنصر ، وحرق من يقوم منهم سرا بممارسة الشعائر الدينية ؟ .

وما عذره وقد وصلت اليه الوفود من مسلمي الاندلس مستجيرة ولكنه بدلا من انقاذ اخوانه المستجيرين به انصرف الى محاربة مماليك مصر المسلمين ، والى غزو قبرص، والاستيلاء على سواحل المورة في اليونان ؟ .

اجل هذه غرناطة عاصمة بني الاحمر ، التي كانت آخر ملجأ لمسلمي اسبانيا ، امست على شفا جرف هار ، ولم يبق لها امل الا بنجدة تأتيها من آل عثمان اولئك الذين اصبحوا بقوتهم المتفوقة سادة البر والبحر .

وهذا ابو عبد الله آخر ملوك غرناطة يبعث سنة 892 هـ 1487 م رسولا الى السلطان بايزيد الثاني يلتمس منه النجدة على فردناند ولكن السلطان وضع اصابعه في اذنيه ، ولم يستجب لاي نداء !

هل صحيح بان السلطان ساق اسطوله لنجدة مسلمي الاندلس ؟

اذا استثنينا ما قاله صاحبا كتاب العالم L'univers, Joanintvangaver بأن السلطان استجاب لنداء الاندلس وساق اسطولا لنجدتها بقيادة رجل من حاشيته اسمه جمال ، اذا استثنينا هذا الخبر فانا لا نجد في كتب التاريخ ما يشير الى هذا الاسطول او الى التنويه لنجدة قدمها السلطان لمسلمي الاندلس مما يجعلنا نشك في صحة هذا الخبر .

وربما كان يعود هذا الاغضاء عن مسلمي الاندلس الى الحرب التي نشبت وقتئذ بين السلطان بايزيد ومماليك مصر الشراكسة تلك الحرب التي

استمرت عدة سنوات ، وصرفت ايضا ملك مصر عن الاستجابة للاندلسيين الذين استنجدوا به ايضا. غير ان هذا العذر هو اقبح من ذنب لان كـلا مـن العثمانيين ومماليك مصر انصرفوا الى التقاتل بدلا من ان يجدوا فى انفسهم حافزا لانقاذ الاندلس . وانقاذها من سوء المصير .

او ربما كانت الثورات التى نشبت فى المجر عقب وفاة مليكها ماتياس كورفن فى سنة (897 هـ ــ 1482 م) هي التى شغلت السلطان عن اخوانه بالاندلس ، اذ خيل له ان الفرصة سانحة للاستيلاء على بلغراد التى عجز عن فتحها سلفه تاركا دولة بني الاحمر تقع فريسة بين انياب الاعداء .

على انا اذا افترضنا وجود مبرر ما للسلطان بايزيد المشار اليه لانصرافه عن نجدة غرناطة اثناء احتضارها فماذا عسانا نجد من المعذرة لياوز سليم (1512 ــ 1520 م) الذى كان يسمع انباء اجبار المسلمين على التنصر والتنكيل بهم وذلك بعد سقوط ملجئهم الاخير فى تلك الديار ، فما عذر ، وهو الذى كان يرى الدنيا صغيرة لان يحكمها اكثر من عاهل واحد ؟ .

اننا لا نجد لهم عذرا اذ تحول عنهم الى حروب كان يشنها على اخوانه المسلمين فى بلاد فارس ومصر وبلاد الشام . وفوق ذلك فهو لم يتورع عن ختم ايامه بعقد معاهدة مع اسبانيا ضاربا صفحا عن كل ما يرتكب بالمسلمين من المنكرات. وكانت تلك اولى المعاهدات التى عقدت بين السلطنة واسبانيا .

ثم عاصر السلطان سليمان القانوني (1520 ــ 1566) فيليب الثاني بن شارلكان ، وهو الذى سجلت ايامه اعظم مظالم ارتكبها مجلس التفتيش .. وكان رعاياه المسلمون خلال ذلك يتطلعون بفارغ صبر الى آل عثمان الذين جمعوا ، فى ذلك الحين ، بين السلطتين السياسية والروحية ، كما جمعوا بين السيادتين البرية والبحرية .

وكان من حقهم ان يتطلعوا الى السلطان سليمان القانوني وهم يرونه قد استجاب فى الامس القريب الى نداء فرنسوا الاول ملك فرنسا حينما وقع اسيرا فى قبضة شارلكان ، فانقذه من الاسر ، وحرر بلاده من ذلك الامبراطور الذى كاد يكون تاجه تاجا اوربا قاطبة .

بيزنطة المهزومة تثار لنفسها من المتغلبين عليها :

ولكن سليمان رغم انتصاره على شارلكان، الذى كانت اسبانيا جزءا من البلاد الخاضعة له ، لم يحفل بمصير المسلمين هناك . وما نرى سببا لذلك التغاضي الا ان يكون قيام آل عثمان على انقاض البيزنطيين قد انتزع من قلوبهم ما كان عند آبائهم من قبل من الحدب على الاسلام والمسلمين ، خصوصا بعد ان اصبحت امهات وزوجات كثيرين منهم اوروبيات .

وعلى هذا الافتراض تكون بيزنطة التى كان لتسرب المبادىء الاسلامية الى اوساطها الدينية اثر كبير فى خلافاتها الداخلية تلك الاختلافات التى قضت على امبراطوريتها ، تكون قد ثارت لنفسها اذ اضفت روحها على آل عثمان الى حد انها جعلتهم لا يبالون باخوانهم مسلمي اسبانيا ابان نكبتهم الكبرى. واما المساجد الكثيرة التى لا تزال قائمة فى عاصمة الدولة وغيرها التى تنوه بمآثرهم الدينية فما كان تنافسهم فى تشييدها الا قصد اكتساب عطف الشعب وكذلك يقال بالنسبة للحروب التى كانوا يواصلونها فى اوروبا الشرقية بعد فتح القسطنطينية فهي حروب وان ظلت تتسم بالطابع الديني عندهم وعند الافرنج الا انها ، فى الواقع ، كانت ترجع الى اسباب سياسية ، قبل كل شيء آخر ، ولاسيما بالنسبة لآل عثمان .

بلى ان القسطنطينية التى استولوا عليها سياسيا قد استطاعت ان تستولي عليهم من الناحية الاخلاقية فتجعل مصيرهم من ثم كمصير الامبراطورية البيزنطية من حيث الانهيار .

ولقد كان من المؤسف ان الخلافة انتقلت الى آل عثمان حينما صار هؤلاء لا يشعرون مع الاسلام، ولا يابهون لنصرة المسلمين فامسى لقب الخليفة عندهم (حامي حمى الدين) لقبا اجوفا ليس فيه ذرة من الحقيقة .

ولا بدع وهذا السلطان سليم الثاني (1566 ــ 1574) الذى خلف والده سليمان على ملك عظيم ، والذى قضى حياته فى احضان المحظيات بين الكأس والطاس حتى لقب عند الافرنج بالسكير ، ها هو يفضل فتح قبرص على انقاذ المسلمين من جور مجلس التفتيش والقيمين عليه . ذلك لان سميه اليهودي وصف له خمر هذه الجزيرة فما تردد فى الحملة

عليها ، ثم ما تردد فى اقامة هذا اليهودي واليا عليها ليختار له أفخر خمورها .

وقد علق المؤرخ الالماني ليوبولد رنكي على هذا بقوله :

« لما صارت السلطنة الى سليم الثاني عرض عليه القيام باحدى حملتين تتفقا كلتاهما مع الخطة البحرية التى اختطها من قبل محمد الفاتح . وكانت وجهة الاولى منهما موجهة ضد اسبانيا عدوة الاسلام الاولى ، ووجهة الثانية شطر قبرص الجزيرة التى كانت تابعة للبندقية ، فأهمل السلطان اولاهما رغم ما كان يقدر لتلك الحملة من النجاح الاكيد من جراء ثورة كان المسلمون قد اضرموها هناك ، وكانوا يبلغون نحوا من خمسة وثمانين الف عيلة طالما ارسلوا الرسل الى عاصمة آل عثمان يستنجدون بهم ، واختار الثانية التى جرت عليه المتاعب » .

وقد بين المؤلف الخطا فى هذا الاختيار بقوله :

« فلو هوجمت اسبانيا لما تجرات البندقية على الدخول فى الحرب ضد السلطنة لما بينهما من بعد التخوم ، فضلا عن ضعفها بالنسبة لتركيا . ولكن مهاجمة السلطنة لقبرص اعتبرته البندقية تعرضا مباشرا لها مما حمل فيليب الثاني ملك اسبانيا ، الذى كان يتوجس خيفة من تركيا ويتوقع خطرها ، مما حمله على ان يكتسب هذه الفرصة للقضاء على العمارة العثمانية، فسارع الى ضم اسطوله الى اساطيل البندقية والفاتيكان ومالطة والسافوا . وكانت العاقبة وقوع معركة ليبانتيه Lypenté البحرية تلك المعركة التى انكسرت فيها تركيا ، وافضت الى خسرانها من بعد سيادتها البحرية ، بالاضافة الى خسرانها قوتها المعنوية » .

وكان من عواقب ذلك ان اسبانيا ما ان ارتاح بالها من الخطر العثماني الذى كانت تحاذره حتى بادرت الى اجلاء المسلمين من بلادها وذلك فى عام (1017 هـ — 1608 م) فضلا عن اليهود ، الا من تنصر من الفريقين ، او تظاهر بالتنصر .

ذلك كله كان يحمل العرب خاصة والمسلمين عامة الذين لا يزالون يتحسرون على الفردوس المفقود يحملهم على توجيههم اللوم الى سلاطين آل عثمان بسبب تخلفهم عن نجدة اخوانهم هناك ، بينما كانت تركيا تتمتع بقوة تسمح لهم باسداء المعونة لهم ، وحينما كانت تستأثر بالخلافة وتحمل تبعاتها .

والى هذا فاذا ذكرت اندلس القرن العشرين وتساءل العرب والمسلمون عن سبب موقف الجمهورية التركية الى حين من فلسطين المنكوبة واهلها المشردين جاز لهم ان يعتبوا ايضا ويقولوا « ما اشبه الليلة بالبارحة » .

بيروت — محمد جميل بيهم



في الادب العربي القديم فصول من الماديات ، لا يجوز ان تسجف عنا فصوله الانسية والروحية .

وان بعض تلك الفصول امكن التقاطه مما هو معروف من مطبوعات المصادر ، بيد ان بعضها الآخر ما يزال خبيء المجهول من المخطوطات . ولكن يزكي الظن بما نترقبه منها هذا النزر المتفر من شعر المعاني الانسية والروحية في المطبوع من التراث .

وواضح من الاشارة الى الادب العربي القديم اننا لا نخص عصرا واحدا منه، وانما نقصد ما كان من الشعر في العصور الاسلامية جميعها . وفي العصر الجاهلي كذلك . فلم يخل الشعر في عصر من هذه العصور جميعها من الاهتمام بعرض الدنيا كما لم يخل من تصوير مثل الحياة الروحية كذلك . والجانبان معا في متناول المستقطب لشعر احدهما ، فان في مظانهما : المجاميع الشعرية وموسوعات الادب ، ما لا مندوحة عنه في سائر الآداب .

وليس يخاف ان الشعر الجاهلي كان يعتمد وحدة المعنى في وحدة البيت ، ولذلك كان من النادر ان نقابل منه موضوعا موحد المعنى ، في القصيدة المفردة لدى الشاعر ، يخصها باحد الوجهين اللذين اشرنا لهما في شعره . ولذلك كان تعدد الصور الشعرية يتتالى في القصيدة الواحدة . ومن القصيدة الواحدة نفسها يمكن التقاط البيت الذي يعني بعرض الدنيا وبصنوه الذي يهدف الى ابراز مثل اعلى .

وهذا النوع من المزج بين الرؤى في العمل الفني الواحد لم يكن دليلا على قصور الابداع لدى الشاعر الجاهلي ، بقدر ما كان تعبيرا ناطقا عن بيئة تمتزج فيها الماديات بالمعنويات فعلا الى حد يصعب معه الفصل بينهما في حياة الشاعر كما يصعب على من يتعاطى الشعر في بيئته ان يخص كلا منهما على حدة بالرواية الخاصة ، او بالعمل الفني المفرد . ولذا كان تقييمنا لما ابدعته البيئات المخالفة لبيئتنا في مجال فن القول يستدعي المقارنة ويمهل ارسال الاحكام بلا روية .

وان الباحث قد يصل بعد ذلك – ان لم يسرع النظر – الى اشتات من الابيات الشعرية واضحة الرؤيا ، وغايتها تصوير المثل لدى الشاعر بعيدا عن زائف الدنيا ، قريبا من المعاني الانسية والروحية .

فمن تلك المعاني – مثلا – ما يصور به الشاعر مفهومه للعلاقة التي تربطه بالجماعة البشرية حيث يحيا بين افرادها . وهي معان تتجلى في الايثار ، وحب الحرية والذود عن الشرف، ومؤانسة الصديق وبر الوالدين والحنو على الاولاد . ونظرا لقلة المحصول ، وضنك الحياة الاقتصادية فقد كان للكرم قيمة اجتماعية ربما بلغ اهتمام الشاعر بها في بيئته ما يحملنا على اعتبارها – بالنسبة اليه – احساسا انسانيا في مستوى الفداء ، ولاسيما حينما يعبر الشاعر عن ممارسته له بالفعل .

وقد طفح الشعر الجاهلي بتصوير هذه المثل و الابيات المتناثرة بين قصائده وربما فى القصيدة الواحدة بكاملها . كالشعر الذى تقرؤه لامية بن ابي الصلت ولعدي بن زيد العبادي ولحاتم الطائي .

وفى الشعر الجاهلي صور انسية قوية الاحساس بأثر الطبيعة الصحراوية ، يتناثر التعبير عنها فى مختلف القصائد الجاهلية ولقد تركت البقرة البرية اثرها العميق فى قصيدة لبيد المعلقة ، فاستحوذت منها على سبعة عشر بيتا تنطق برهافة الشعور لدى الجاهلي ، متنقلا بها فى خيال خلاق بين ثلة من المشاهد المتباينة . وقد تركت طبيعة الصحراء فى شعر الحطيئة وشعر امرىء القيس ما تنطق به قصائدهما صادقة الرؤيا واضحة الهدف . ويروي الاصمعي من هذه المعاني فى الشعر الجاهلي شعرا لسيدات تتغنى فيه احداهن بوفائها للذي لن تعوضه من سواه . تقول الشاعرة :

كنا كغصنين من بان غذاؤهما
ماء الجداول فى روضات جنات

فاجتث صاحبها من جنب صاحبه
دهر يكر بفرحات وترحات

وكان عاهدني ان خانني زمن
الا يقارب انثى بعد موتاتي

وكنت عاهدته ايضا فعاجله
ريب المنون قريبا مذ سنيات

فاصرف عتابك عمن ليس يصرفه
عن الوفاء له خلب التحيات

ولسنا نود الان عرض سائر القيم والمثل التى حفل بها الشعر الجاهلي ، فذلك ما خصت له كتب تاريخ الادب فصولا معينة وانما هنالك فى الشعر الجاهلي جانب ما يزال القول فيه ضيقا ونعني به ما كان يتصور به الشاعر الجاهلي فهمه للعلاقة التى تربطه بوصفه كائنا مفكرا بواجب الوجود ، بالله جل جلاله . وهو موضوع شائك يحيط به كثير من الغموض ، من جملة اسباب غموضه ان الشعر الجاهلي ضاع اكثره (وما انتهى منه الينا الا اقله) كما قال ابو عمرو بن العلاء : وان الشعر كان « علم قوم لم يكن لهم علم اصح منه » فجاء الاسلام ، فتشاغلت العرب بالجهاد وقد هلك منهم من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا اقل ذلك ، وذهب عنهم من الشعر اكثره كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقال رضي الله عنه : « لقد هدم الله امر الجاهلية بما جاء به الاسلام » .

ولذا كان الاقتصار على التواتر من الشعر الجاهلي مصدرا لا يفي بالغاية كلها منه ولا مما عساه يلتقط من التراث الخبيء ، فالمتواتر والخبيء معا سوف يظلان قاصرين فى منهج البحث لا يكتملان الا بالاستفادة مما ورد فى القرآن الكريم من آيات بينات تخص هذا الجانب من رؤى العرب قبل الاسلام .

وليس يهم نسبة تلك المعاني الانسية فى الشعر الجاهلي الى نحلة او ملة شاعت قبل الاسلام ، بقدر ما يهم معرفة مدى انسية تلك المعاني فى واقع آدابهم . فسواء اكانت ابتكارا لديهم ام اتباعا منهم فانهم قد تبنوها على كل حال ووسعها آدابهم الذى عكس نفسيتهم ورؤاهم ، وتبعا لذلك فان التعرض لراي الاب شيخو اليسوعي في مقارناته لمعاني الشعر الجاهلي بما يومن به ويجده اصولا لها فى النصرانية ليس مما يعنينا . فقد ذهب فى كتابه شعراء النصرانية الى ان ما بايدينا من معاني الشعر الجاهلي الروحية يرجع جميعه الى التربية النصرانية فعد من النصارى امرا القيس والنابغة وطرفة وفى هذا الحكم شطط لا سند له من واقع انتشار النصرانية فى بلاد العرب ، ولا من طبيعة المأثور فى شعر هؤلاء وسواهم . فقد كان لبيئة الصحراوي تأثير على تفكيره وطبيعة احاسيسة مما حمل بعضهم على الشعور بالتبعية لقوة اعلى بفطرة ظامئة الى الحقيقة تدعو حينا الى حدس بالسببية وحينا الى زهد .

ولقد صور الشعر الجاهلي مثل ايمان قومه ارهاصا لهم من الله لتتمخض رسالته عن كلمته العليا فى بعثة الرسول عليه افضل الصلاة والسلام .

ولم تكن ثمة فى الوثن قوى يخيل ان البدائي قد وجدها فعبده . وانما كانت الاوثان مظهرا ماديا عبد الجاهليون من ورائه واجب الوجود جل جلاله. وتلك قوى خفية كان ذوو الخيال المحدود يعجزون عن تصورها وبذلك كان يتسرب الى هذا الخيال البدائي بأن قوة من رب العالمين قد حلت فى المعبود. ولولاها فى زعم الواهمين ما كان لهم ان يعبدوا من دون الله شيئا .

وقد استطاعت صفوة من الناس بينهم عدد من الشعراء ان تهتدي الى عبادة الله فاسندت اليه مطلق التصرف . ومن هؤلاء الشعراء على سبيل المثال : افنون التغلبي وزهير والاعشى وحاتم الطائي وذو الاصبع العدواني وعبيد بن الابرص والممزق العبدي وسواهم . وشعر هؤلاء مبثوث في مختلف مظان الشعر والادب العربية جملة، ولابي اسحاق النحوي ابراهيم بن عبد الله النجيرمي من رجال القرن الرابع كتيب في الايمان التي كان الجاهليون يحلفون بها ، وهي تشير الى ان الغاية من كل ما يعبدونه واجب الوجود الله جل جلاله وقد اقسم أوس بن حجر :

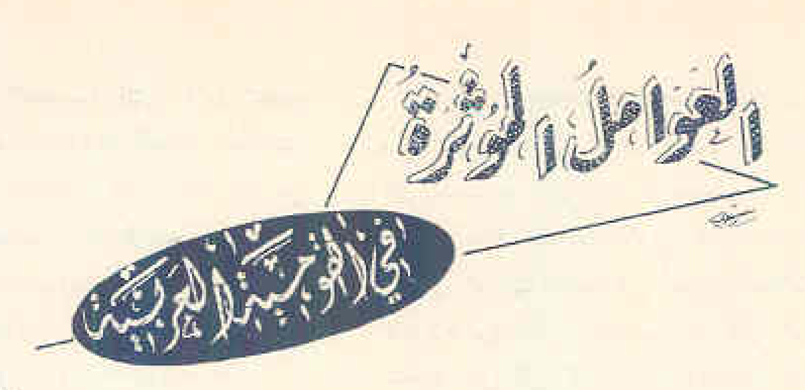
باللات والعزى ومن دان دينها
وبالله ان الله منهن أكبر

ولدينا من القرآن الكريم ما يحدد معنى عبادتهم للاوثان ، فقد جاء في تفسير الطبري عند شرح لفظي اللات والعزى قوله « اللات هي من الله الحقت فيه التاء فانثت كما قيل عمرو للذكر وعمرة للانثى وعباس وعباسة . فكذلك سمى المشركون أوثانهم باسماء الله تعالى فقالوا اللات ـ: من الله والعزى ـ: من العزيز ... » ثم يقول الطبري « وهذا المعنى عندي ارجح ، وكان بعض نحوي الكوفة يقفون على اللات بهاء » وفي القرآن الكريم رد على هؤلاء المشركين بقوله تعالى : « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في اسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون » .

والشعر على كل حال انعكاس لحضارة امة بين بدايته ونهايته مراحل متعددة من التطور . ولا فكاك لمن يرتبطون بأمتهم من ان يكون لها عليهم مسؤولية بنفس القدر الذى لهم عليها ، وسمو المعاني او دناءتها في الشعر والادب بعامة موكول الى البيئة وطبيعة تفاعل الشاعر معها ، وبيئة العصر الجاهلي من دون شك ليست بيئة لنا ولن تروي نهمنا ولكنها مع ذلك لا تخلو من ميزة حمدت لذويها بالقياس الى منطق تفكيرهم وطاقة رؤاهم .

الرباط ـ جعفر الكتاني





للأستاذ حسن أحمد الحجوي

ان حركة القومية العربية ظاهرة تاريخية خلقتها النهضة الفكرية التي ظهرت في المشرق العربي في منتصف القرن التاسع عشر ، وساعد على نموها احساس العرب بالوعي القومي من اجل تخلصهم من كل سيطرة اجنبية . ولقد تطورت مظاهر القومية العربية بتطور اشكال الاعتداء الغربي وبقضية فلسطين كما تبلور وجود القومية في الحركات التحريرية التي نشأت تحت تأثير القوى المضادة لها .

ومنذ ازمة يونيه 1967 اصبحت حركة القومية العربية رهينة بمصير الثورة الفلسطينية وبالحوار الايديولوجي الذي يتسم به الآن الفكر السياسي المعاصر للامة العربية : فهناك ما يسمى بمذهب « الارتكازية الاسلامية » ، وهناك الاشتراكية « الناصرية » او كما يسميها الاختصاصيون « البراكماتية (Pragmatisme) وهناك الاشتراكية الماركسية وهناك الراديكالية اليسارية الناشئة عن ثورة فلسطين . وبالاضافة الى ذلك، هناك هم الدول العربية في الخروج من التخلف والتخلص من جميع اشكاله : وهذه كلها عوامل تطبع الوضع الحالي للقومية العربية وتؤثر في مصيرها .

وفي خضم هذه المؤثرات الحديثة ، يجب ان لا ننسى ان هناك الواقع العربي ، واقع اللغة والدين، الذي ظل يشكل على ممر العصور اقوى قاعدة تقوم عليها الامة العربية ... وبعد ، فما هو مرتكز الواقع العربي ؟ وما هي مقوماته التاريخية ؟ تلك المقومات التي تكون المؤثرات الاساسية في مجال القومية العربية .

الواقع العربي :

هناك عاملان تحكما في نشأة القومية العربية ولا زالا يتحكمان في مصيرها ويطبعان مجرى الفكر السياسي للامة العربية : اولهما اللغة وثانيهما الدين.

فاللغة العربية من اللغات القليلة في العالم التي ظلت تحتفظ بكيانها ومقوماتها الاساسية منذ العهد القبلي الى القرن العشرين . لذا كانت ولا زالت الوسيلة الطبيعية لنقل انواع الثقافات المستقرة في البلاد التي غزتها الحضارة العربية الاسلامية، مما ادى في الرقعة من العالم الاسلامي التي استقرت فيها اللغة العربية الى وحدة في التعبير والتفكير ، ومهد السبيل لوحدة الانتساب ، لكن عامل اللغة لم يكن وحده فاصلا في اخراج «الهيكل العربي» من حيز الجماعات الى حيز الامة ذات الشخصية والمقومات الذاتية .

ذلك لان الرقعة العربية قبل مجيء الاسلام كانت تنحصر في نطاق القبائل التي كانت تتنقل بين الفرات ونجد والحجاز واليمن وحضرموت ، وكانت اللغة العربية رغم تعدد لهجاتها تكون بين مختلف القبائل نوعا من العصبية لم يبلغ درجة الشعور بالقومية وذلك بسبب انعدام عنصر السلطة المركزية (1) التي هي ركن اساسي في تكوين

(1) لقد قامت في القرن الثالث الميلادي دولة عربية صغيرة في (تدمر) بسوريا حققت لها مجدا لم يكتب له البقاء طويلا ، ولكن هذه الدولة كانت خارج جزيرة العرب ، وقد ظل العرب في الجزيرة يعيشون على وتيرة واحدة في صحرائهم جيلا بعد جيل ويرسلون سفنهم للتجارة وقد تنصر بعض العرب واعتنق بعضهم اليهودية ، لكن الغالبية ظلت تعبد الاصنام التي بلغ عددها 360 صنما (لمحات من تاريخ العالم ـ البنديت جواهر لال نهرو)

القوميات : وحتى النعرة العصبية التي كانت تجمع القبائل العربية لم تكن لها حدودها المعينة وذاتيتها « الوطنية » لكون السلطة الحاكمة كانت متفرقة بين اسر متعددة لا تجمعها العصبية ولا تؤثر فيها نعرة « الانتساب » الا بقدر ما تفرضه المصالح المشتركة او تمليه الاتجاهات المتشابهة ، ومن ثم فلم يستطع عنصر اللغة وحده ان يخلق « قومية عربية » .

اما العامل الثاني فهو الدين الاسلامي الذي كون الحبل والميثاق وهيأ اللقاح لتقوية الرابطة بين فئات العرب الذين يعيشون في اقطار مختلفة ويشتركون في اللغة والثقافة والتقاليد . والاسلام هو الذي اعطى للعروبة محركها ، واساس حضارتها ومناهج ثقافتها واساليب تفكيرها . فبالتحام قوتي اللغة والدين كان حتما على العروبة ان تنطلق من قلب الجزيرة لتكتسح مناطق اخرى ، وهكذا تكون عالم عربي داخل العالم الاسلامي ، فعندما ظهر الاسلام اندفعت قوته من الجزيرة العربية وعن طريق استيطان العنصر العربي في اقطار غير عربية انتشرت اللغة العربية وتخطت بفضل قوة الاسلام حواجز كثيرة .

ومن ثم حدث في نفوس العرب انقلاب حضاري وسياسي واكتمل لديهم عنصر السلطة المركزية الذي كان ينقصهم لتكوين « قوميتهم » . الا ان القومية العربية عند نشأتها الاولى ظلت عارية عن كل مظهر خارجي اذ انها ذابت في محور الخلافة وفي تعاليم الاسلام روحيا وسياسيا « لان الروح الاسلامية متغلبة على كل الاعتبارات المخالفة (2) »

وبفضل هذا المزيج الراسخ استطاعت اللغة العربية ان تتخطى حدود بلادها الاصلية لتستوطن في عدة اقطار من البلاد التي ضمها الاسلام لحظيرته ولتصبح اداة لتحقيق وحدة التعبير ووحدة الثقافة في كثير من الامم والشعوب ممن استعرب سكانها — لا نقول لمجرد انتشار الاسلام فيها لان الاسلام استطاع ان يتسع الى عالم اوسع مما اتسعت اليه العروبة ، بل ايضا لاسباب حضارية ومؤثرات بيلوجية وجغرافية لها علاقة بتطور الاجناس وتكوين الامم مما لا مجال للدخول في شرحه في هذا الموضوع الذي حصرناه في مدلول « الواقع العربي » (3)

---

(2) الاستاذ علال الفاسي — « الشرق العربي يبحث عن نفسه » جريدة العلم 1958 .

(3) هناك سؤال يتبادر الى الذهن : ما هو السر في النجاح السريع الذي لقيه الاسلام في اقطار افريقيا الشمالية ما بين البحر الاحمر والمحيط الاطلسي ، وفي التاييد الذي حظي به من طرف السكان والذي ادى الى طمس آثار المسيحية البزنتية او اللاتينية في هذه الاقطار ؟
هناك عدة عوامل (...) لكن العامل القاطع الذي لم تلق عليه الاضواء الكافية لحد الآن ، هو تشابه الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في تلك الاقطار وفي الجزيرة العربية التي هي منبع الاسلام (...) فاذا ما نظرنا الى الرقعة التي اتسع اليها الاسلام في بدايته ، يلفت نظرنا تكافؤ الطبائع الجغرافية والبشرية اذ نجد في كل منطقة من تلك المناطق نفس التوازن بين الاراضي الصحراوية والارض الخصبة مع ما يتخللها من جبال هنا وهناك ويوصل بينها من مراقق تساعد على العبور ، كما نجد نفس التعايش بين القبائل من رحالة ومستقرة ، المرتبطة فيما بينها بروابط الدم ، وبين جملة من المدن والواحات والموانيء والاسوق حيث تهيمن بورجوازية نشيطة وتجعل منها مراكز للتجارة ، وفي نفس الآن مقار لاشعاع ديني وثقافي وسياسي . فهذا التشابه العميق بين البيئتين يفسر في نظرنا سرعة انتشار الاسلام في بلدان تشبعت بالمسيحية لفترات متفاوتة في القدم ، **كما يفسر انتشار اللغة العربية واستقرارها** بها وكذا سرعة امتزاج القبائل العربية بالقبائل المحلية التي لم تلبث ان استعربت تحت تاثير الاستيطان العربي . (البير عياش — « المغرب» ص 27 — 28)
— ونحن لا نورد هنا رأي لاستاذ عياش وناخذ به الا بقدر ما يلقي الضوء على العوامل « البيئوية » التي ادت الى انتشار اللغة العربية باقطار شمال افريقيا من البحر الاحمر الى المحيط الاطلسي واستعراب سكان تلك الاقطار دون غيرها من باقي الرقع الغير العربية التي اتسع اليها العالم الاسلامي —

فاذا استثنينا بلاد ما وراء الخليج الفارسي ، امكن التاكيد بأن اللغة العربية والحضارة العربية احلتنا محل اللغات والحضارات القديمة التي كانت تعاصرها ، ونعني على الخصوص اقطار شمال افريقيا من شاطيء البحر الاحمر الى شاطيء المحيط الاطلسي حيث كتب للغة العربية وللحضارة العربية ان تستقر بصفة نهائية وهكذا فقد ادى امتزاج العنصر العربي بقوة الاسلام - باضافة عوامل تاريخية اخرى - الى اتساع العروبة لتستقر خارج بلادها الاصلية،وبذلك استطاعت اللغةالعربية ان تتخطى رقعة البلاد التي يسكنها العرب لتغزو اقطارا اخرى ، ومن ثم اصبح مدلول العروبة يحتضن جامعة لغوية وثقافية ، وانتسابا حضاريا وفكريا ، اكثر مما يعني جنسا او عنصرا (4) . وذلك هو الواقع العربي

واذا ما حاولنا البحث من مدى العلاقات والتجارب بين الثقافة التي حملها الاسلام والعروبة من جهة والثقافات المحلية التي كانت توجد من جهة اخرى بالبلاد التي استعرب سكانها فيما بعد ، تأكد لنا ان بعض الثقافات المحلية استطاعت ان تحتفظ بطابعها الخاص في حظيرة الثقافة العربية الكبرى وذلك بقدر ما ظلت الشعوب الحاملة لها متمتعة بنوع من الذاتية « وبوجود قومي » بارز من خلال العصور ، ومثال ذلك نجده في مصر وفي مغربنا حيث ظلت ثقافتنا وحضارتنا العربية مطبوعتين بطابع التقاليد الاطلسية .

ومن ثم فلم يكن للحملات الاجنبية التي تداعت على النخب المثقفة في تلك البلاد اثر على الاصل القار لتلك «الثقافة الوطنية» ولم تكن الهزات التي احدثتها الثقافة العربية في التفكير والاحساس لتفقد احدا في تلك البلاد الشعور بالوجود وبالذاتية ، فضلا عن الارتباط الوطيد بالثقافة العربية الام .

فهذه ظاهرة كان من اللازم ابرازها لتفسير ما بات معروفا عن بلاد الكنانة وعن المغرب من احتلالهما مكان الصدارة منذ اقدم العصور في العالم العربي في مجال البحث الفكري والسعي القومي ورفض محاولات الغزو من حيث جاءت وتغلغل حركات التحرير ... مما يفسر الجوانب التي تتصل بقيام النهضة العربية وبالمناداة القومية العربية في مصر ، وبالثورة المسلحة التي شنها الامير عبد الكريم الخطابي في ريف المغرب ضد الاحتلال الاوربي ثم الكفاح الذي خاضه شعب شمال افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي بقيادة زعمائه الوطنيين وبدعامة وزعامة المغفور له محمد الخامس سياسيا وروحيا ثم فعليا .

فعلى اساس التحام عنصري العروبة والاسلام، وانتشار اللغة العربية في بلاد غير عربية واستقرارها بها ثقافيا وسياسيا ، وعلى قاعدة قوة الرابطة اللغوية والدينية قام الواقع العربي واستطاع ان يبقى قويا ، محتفظا بكيانه وبمقوماته رغم الحملات التي تداعت عليه من الشرق ومن الغرب ورغم الهزات العنيفة التي افقدت الاسلام وحدته السياسية وقوته العسكرية ، لم تنقص شيئا من قوته الروحية ومن طاقة صموده وحيويته الفائقة مما جعله يظل محركا اساسيا للطاقة العربية ، في النهوض من كبواتها ورغبتها في استعادة حريتها ومجدها .

(4) لا شك ان عددا من رجال الفكر والعلم والفن ممن ذاع صيتهم في تاريخ العالم العربي لم يكونوا كلهم من اصل عربي ، ولكن ذلك لم يكن هو المهم . فهل نحن نعتقد جديا ان كل من نطلق عليهم اسم يونانيين كانوا كلهم من دم افريقي ؟.. لا اخال احدا يدعي ذلك ما دام من بينهم الليديون Lydiens والكاريون Cariens والماسيدونيون Macédoniens والسوريون . فكل هؤلاء نسند لهم صفة يونانيين لانهم كانوا يتكلمون ويكتبون ويفكرون بلغة وفكر يوناني ، وقديما قال الحكيم ايزوكراط Isocrate « يجب ان نسمي يونانيين جميع اولائك الذين يساهمون في ثقافتنا ، لا اولئك الذين يقاسموننا الجنس » .
— وعليه فالشان في العباقرة الذين انجبتهم الثقافة والحضارة العربية في عصورها الزاهرة مثل الخوارزمي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون،ان نعتبرهم عربا رغم الفوارق الجنسية التي تفرقهم في الاصل وذلك لمجرد انهم كانوا يفكرون «عربيا». فيصح لنا من غير جدل ان نطلق على العصر الذي عاشوا فيه « العصر المتوسط العربي » على غرار ما نسميه « بالعصر القديم اليوناني » الذي قبله . (ماكس فالتيجو - « المعجزة العربية » - تقريظ لويس ماسينيون)
Max Vimtéjoux : « Le Miracle Arabe », préface de Louis Massignon

فعندما سحقت قوة العثمانيين العسكرية كل الطاقات السامية واخضعت لحكمها الجبار فئات العرب من الخليج الفارسي الى تلمسان ، لم يهل القرن السابع عشر حتى اختفت معالم الحضارة العربية وكاد شعاع الثقافة ينطفيء في بغداد ودمشق والقاهرة وتونس (5) تحت الحكم العثماني .

لذا كان من الطبيعي ان يتناول الباحث على صعيد واحد ما يدين به الاسلام للعرب وما للاسلام من فضل على العروبة ، ولهذا فسيبقى عاملا الدين واللغة يتحكمان في مصير القومية العربية وفي مجرى الفكر السياسي المعاصر للامة العربية وما راح يدعو اليه هذا الفكر من نبذ كل سيطرة اجنبية ومن تحرر اجتماعي وسياسي واقتصادي .

وطبعا فعندما ظهرت الحركات التحريرية في العالم العربي قامت كلها تبني دعوتها في تخليص الشخص العربي من ربقة الاستعباد والفقر والجهل ، على مبادىء حقوق الانسان بالطبع وايضا على ما للعرب من حق في النهوض من كبوتهم واسترجاع مجدهم الداثر نظرا لما تميزت به الامة العربية في الماضي القريب بالنسبة للتاريخ ، من تقدم حضاري وتسامح ديني وفضل على النهضة العلمية الحديثة.

وبذلك لم تكن الدعوة الى القومية العربية ، كما يتصورها بعض الاوربيين وكثير من دعاة الصهيونية « حركة عنصرية او رجعية تهدف الى امتداد التطاحن الديني » بل على العكس من ذلك ، فانها حركة تسير في المجرى التاريخي الطبيعي لتاخذ مكانها بين الحركات القومية التي بنت دولا مستقلة متميزة (6) .

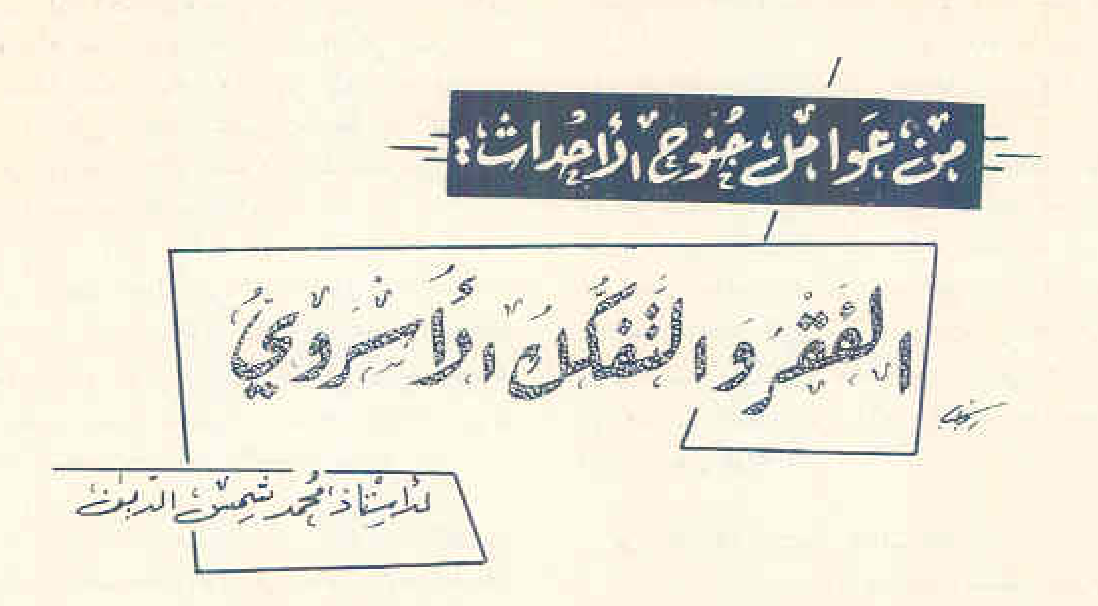
ــ يتبع ــ

طنجة ـ حسن احمد الحجوي

---

(5) في العهد العثماني كان التعليم ضعيفا وكان العلم كشمس على مغيب لفناء غالب رجاله ولتلاشي الكتب ، وكان الاعتناء بنشر الثقافة ضئيلا وكان عدد المدرسين بجامع الزيتونة ثمانية فقط..
(حمد بن عامر ــ تونس عبر التاريخ ــ)

(6) جاك بولين ــ مع القومية العربية ــ



يركز العلماء والباحثون الاجتماعيون على عنصرين هامين يفعلان فعلهما في انحراف الاحداث وشدهم الى مهاوي الجنوح هما الفقر والتفكك الاسروي .

اولا ـ عامل الفقر

لا مشاحة في ان العامل الاقتصادي يسهم في التأثير على سلوك الشخص وتكوين اتجاهاته وشخصيته بصورة اجمالية ويلعب بالتالي دورا « اساسيا » في حياة الاسرة ومدى استقرارها وتماسكها ، ذلك ان الوضع الاقتصادي السيء المترجم بالفقر المدقع او الدخل المنخفض يؤثر في ترابط الاسرة ويعرض افرادها لمزيد من التجارب المؤلمة ، وقد ابدت الاحصاءات ان اسر الاحداث الجانحين اكثر الاسر انخفاضا في المستوى الاقتصادي وان الاجرام يشتد ويتعاظم اثناء الازمات الاقتصادية حيث تعم البطالة وتقل الاعمال ، لان من الثابت ان الفقر اذا لازم انسانا جعله يعيش عيشة قلة وحرمان ويحيا حياة ملؤها البؤس والمنغصات فيبادر الى النضال ومجابهة الصعاب طلبا للرزق الحلال او ينحرف به الطريق الى مهاوي الجريمة فيسرق ويعتدي .

وبالاجمال فان الحياة المستقرة اقتصاديا لا يظهر فيها الا النادر من حالات جنوح الاحداث وهذا يدل بوضوح على ان الحدث الذي يسلك سلوكا مضادا لمجتمعه ليس هو اساس العلة في اكثر الحالات . .

وعدا عن ذلك فان الفقر بحد ذاته « يضعف الشخصية ويورث الخوف والقلق من المستقبل والحقد على المجتمع ويدفع بعضهم الى كراهية الدولة ويولد روح ازدراء بالقانون ظنا منهم عن خطأ او عن صواب ان الدولة لا تعنى الا بالاغنياء وان القانون لم يوضع الا لحماية الاثرياء في حين يشكل الفقراء عامة الشعب واكثرية السكان » . وقد جاء في بعض الاحصاءات ان 90 ٪ من الجانحين الاحداث ينتسبون الى أسر فقيرة او شديدة الفقر .

ثانيا ـ عامل التفكك الاسروي

تشكل الاسرة مدرسة الطفل الاولى التي تتعهده وبقدر ما ترعاه وتخطط له المسلك السليم بقدر ما تستقيم حياته عندما يشب عن الطوق ويدخل دنيا المستقبل ولعلنا لا نخطيء اذا قررنا حقيقة واقعة هي ان الاسرة السيئة الحال تمت بصلة وثيقة الى عالم جنوح الاحداث خاصة تلك الاسر التي طغى عليها الانحلال وعدم الاستقرار .

اما مظاهر التفكك الاسروي فتتجلى في حالات كثيرة منها :

1 ـ وفاة احد الزوجين او كليهما او طلاق احدهما وحالة تعدد الزوجات ، فالولد في مثل هذه الاحوال ينتابه شعور بالحرمان من المحبة والعطف فينطلق هائما على وجهه يلتمس تخفيفا عما الم به ويتلاقى في وسط رفاق السوء حيث يتعرض لكافة التجارب والخبرات القاسية المؤلمة .

2 ـ ضعف الصلة بين الحدث ووالديه : وهذا الضعف يتضح عندما يفضل الوالدان بعض اولادهما على البعض الآخر الامر الذي يخلق روح الحسد والغيرة عنده فيثور مضطربا وتنتابه حالات نزق وعصبية وتشتد لديه ميول الانتقام .

3 ـ ضعف التوجيه المنزلي : يؤكد العالم الكبير برت ان اهم عامل يؤثر في جنوح الاحداث هو ضعف التوجيه المنزلي وجهل الام وهنا لابد من المرور سريعا بقضية الاهمال وعدم المبالاة فرب العائلة الذي يختفي من حياة الاسرة هربا من مواجهة مطالبها ومسؤولياتها التي لا يستطيع تحملها تبعا لقلة دخلها ، يخلف ابناءه وقد اكتسبوا العادات السيئة واندمجوا في محيط الساقطين .

4 ـ القسوة في المعاملة : تتارجح معاملة الآباء لاطفالهم بين الشدة والعنف من جهة ، والتسامح واللين من جهة ثانية ومنهم من يجمع بين الاتجاهين ومنهم من يترك لوليده الحبل على غاربه كما قدمنا ، وقد توصل علماء النفس والتربية الى اعتبار ان جميع تلك الاساليب خاطئة وغير ذات جدوى ، وان خير اسلوب لمعاملة الصغير هو معاملته بفهم صحيح قدر الامكان والتركيز على قيادته بوعي وبصيرة .

5 ـ الانحلال الخلقي : وهو بدوره مظهر من مظاهر تفكك الاسرة وقد يكون نتيجة للفقر كالاب الذي تدفعه الحاجة الى سلوك الجريمة من سرقة او اتجار بالمخدرات او ... الخ .. وكالام التي تدفعها الحاجة الى البغاء ، فماذا ينتظر من الطفل الذي يعيش في مثل هذا الجو المتحل غير الاندفاع في مهاوي الفساد !.. واين من هذا ما يصبو اليه الشاعر في قوله :

هي الاخلاق تنبت كالنبات
اذا سقيت بماء المكرمات

وفي قوله :

الام مدرسة اذا اعددتها
اعددت شعبا طيب الاعراق

تلك هي باختصار عوامل الفقر والتفكك الاسروي المؤثرة في جنوح الاحداث وفي ضوئها نستنتج ان علينا ان نحارب في هذه المتاهة ليس المظاهر السطحية بل الاسباب الاساسية حتى نرسي في مجتمعنا قواعد الطمأنينة والامن والمحبة .

لبنان ـ محمد شمس الدين



للأستاذ: عبد القادر زمامه

-23-

336 ـ قام زيد ...!

قال مالك ...!

وجدت في ديوان ابي جعفر احمد بن عبد الله ابن ابي هريرة المعروف بالاعمى التطيلي المتوفى سنة 525 هـ قصيدة يمدح بها القاضي احمد ... احد بني العشرة اعيان مدينة سلا .. جاء فيها .. ص 90 ـ 91 من الديوان .

ايا رحمة للشعر اقوت ربوعه
على انها للمكرمات مناسك

وللشعراء اليوم ثلت عروشهم
فلا الفخر مختال ولا العز تامك

اذا ابتدر الناس الحظوظ واشرقت
مطالب قوم وهي سود حوالك

رايتهم لو كان عندك مدفع
كما كدت خلف الرئال الترائك

فيا دولة الضيم اجملي او تجاملي
فقد اصبحت تلك القرى والعرائك

ويا «قام زيد» اعرضي اوتعارضي
فقد حال دون المنى «قال مالك»

337 ـ امير المسلمين يستفتي في الاشعرية..!

وجدت في الجزء الاول من المجلد الرابع من مجلة المخطوطات العربية ص 73 مقالا عن كتاب مسائل ابن رشد (الجد) .. الموجود في المكتبة الوطنية بباريز ..

« سؤال أمير المسلمين رضي الله عنه للقاضي أبي الوليد بن رشيد رضي الله عنه ...! ما يقول الفقيه القاضي الاجل الاوحد ابو الوليد وصل الله توفيقه وتسديده ، ونهج الى كل صالحة طريقه ..! في الشيخ ابي الحسن الاشعري .. ! وابي اسحق الاسفرايني .! وابي بكر الباقلاني ..! وابي الوليد الباجي ..! ونظرائهم ، ممن ينتحل علم الكلام ، ويتكلم في اصول الديانات ويصنف الرد على اهل الاهواء .. ! اهم ائمة رشاد وهداية .. ! ام هم قادة حيرة وعماية ..؟

اجاب ابن رشد :

« هم ائمة خير ..! وممن يجب بهم الاقتداء.. »

338 ـ كرة ارضية للروداني ...!

وجدت في ترجمة محمد بن سليمان الروداني دفين دمشق سنة 1095 هـ هذا النص من الصفوة ص 197

« ومن بدائعه انه ابتدع آلة نافعة فى علمي التوقيت والهيئة لم يهتد اليها احد ..! وهي كرة مستديرة الشكل ، منعمة الصنع ، مفشاة ببياض الوجه ..! المموه بدهن الكتان يحسبها الناظر بيضة من عسجد لاشراقها ..! مسطرة كلها دوائر ورسوم ..! قد ركبت عليها اخرى مجوفة . منقسمة نصفين .. فيها تخاريم ، وتجاويف ، لدوائر البروج وغيرها مستديرة كالتي تحتها مصقولة مصبوغة بلون اخضر ..! فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها منظر رائق ..!

وهي تغني عن كل آلة في فن التوقيت والهيئة مع سهولتها ، لكون الاشياء فيها محسوسة ..! والدوائر المتوهمة مشاهدة .. وتخدم لسائر البلاد على اختلاف اعراضها واطوالها ...!! »

339 ـ الحجرية ...!!

وجدت فى كناشة احد العلماء الثقات الذين عاشوا اوائل هذا القرن ..!

« وكان من العادات المعروفة عند تأخر نزول المطر فى فاس .. ان يجتمع مهاجرو مدينة تلمسان. فى ضريح ابي الحسن ابن حرزهم بعد ان يجمعوا سبعين الف حصاة ..! ويغسلوها بالماء ..! ثم ياخذون فى تلاوة الآية الكريمة : « وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد » على عدد الحصيات التى جمعوها ..! وكلما انهوا مائة دعوا دعاء خاصا .. ويسمون ذلك الحجرية ..!!

ثم يجمعون الحصيات فى قفف ويخرجون بها حفاة الى قنطرة سبو .. وهناك يرمونها .. رافعين اصواتهم بالدعاء والاستغفار ..!!»

340 ـ الهيثم الاشبيلي ..!

وجدت في مخطوطة كتاب « الوافي » للقاضي العروضي ابي البقاء صالح بن ابي الحسن يزيد بن صالح ، المعروف باسم صالح بن شريف الرندي المتوفى سنة 684 هـ .

« وكان فى عصرنا الهيثم الاشبيلي احد الاعاجيب فى هذا الشأن ..! كان يمتحن فيقترح عليه رسالة وشعر وموشحة فى اي نوع قصد ..! فكان يملي الثلاث على ثلاثة ..!! لا يتوقف ولا يجف لاحد منهم قلم ..!!

وجدتني الشيخ ابو علي القصري بسبتة رحمه الله . قال : اجتاز علينا قصر كتامة . وهو يريد الحضرة ، فاتينا اليه ، وسلمنا عليه . وقلنا له يا شيخ بلغنا عنك كيت وكيت ..! فقال ان شئتم ..! فاقترحنا عليه رسالة ، وموشحة ، وشعرا .. فوجدناه كما قيل ..! وانشدني الشعر الذى املاه عليهم وكان اوله :

من انبت الورد خلال البهر
وعمم الليل ضياء النهار ..!

وخط سين الدر من فوقه
صاد عقيقا.. تحت لام العذار..!

341 ـ مسجد اهل الخواطر ...!

وجدت فى ترجمة ابي العباس اللوزي .. من مرآة المحاسن ص 235 .. ومن الصفوة ص 29

« وكان اولا من أهل الخواطر .. ! وهم طائفة من الفقراء يعرفون بهذا الاسم ..! طريقتهم معرفة الخواطر ، والكلام عليها ، وعرضها على الشيخ ..! فكلامهم دائر على قولهم : قال لي خاطري كذا ..! ثم يميزون فى تلك الخواطر .. وادركناهم يجتمعون بمسجد فى حومة برزخ فى عدوة الاندلس من فاس ..! يعرف ذلك المسجد بهم ..! »

342 ـ نكبة ابي العباس المنجور ..!

وجدت فى الترجمة التى كتبها ابن القاضي للامير السعدي محمد بن عبد القادر بن محمد المهدي ... ! من درة الحجال ج 1 ص 252 .

« وسجن شيخنا ابو العباس المنجور لصاحبته اياه ..! فلم يسرح من سجنه حتى اشترط عليه نقلته الى مراكش المحروسة ..! فهذا السبب فى رواحه اليها ..! وسكناه بها مدة .. !»

343 ـ سبحان من ولى القضاء (يخامرا) ..!

وجدت فى كتاب قضاة قرطبة لابي عبد الله محمد بن حارث الخشني ص 83 . ط القاهرة 1373 هـ :

« ولي يخامر القضاء ، فعامل الناس بخلق صعب ..! ومذهب وعر ..! وصلابة جاوزت المقدار ..! فلم يحتمل العامة ذلك ، فتسلطت عليه الالسن ..! وكثرت فيه المقالة ، وانبرى له رجل من شعراء قرطبة فى ذلك الزمان وهو المعروف بالغزال. فكان يهجوه .. ويصفه بالبله والجهل ..! ومن بعض ما ذكره فيه قوله :

فسبحان من اعطاك بطشا قوة ..!
وسبحان من ولى القضاء يخامرا .. »

344 ـ يكاد الطرف يشربه مدامة ..!

وجدت من شعر الفقيه الاديب عبد الرحمن الشرفي .. المتوفى سنة 1304 هـ

فؤاد غير ملتذ بكاس
تناوله العمامة للعمامة

ولكن من يدي ظبي مليح
يكاد الطرف يشربه مدامة

345 ـ الا تمنيه ... !

وجدت فى الغيث المسجم للصفدي ج 2 ص 6
« انشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمري..!

يا كاتم الشوق ان الدمع مبديه
حتى يعيد زمان الوصل مبديه ..!

اصبو الى البان لما بان ساكنه
تعللا بليالي وصلنا فيه ..!

عصر مضى ..! وجلابيب الصبا قشب
لم يبق من طيبه الا تمنيه ..! »

346 ـ ولا ترضين اليوم سفك دمي ..!

وجدت من شعر الشاعر عبد الرفيع الايراري المتوفي شابا سنة 1322 هـ بفاس

الله فى عاشق اقضى الغرام به
لما تشاهد من نهك ومن سقم

انت الحبيب الذى قلبي اصيب به
فارحم..! ولا ترضين اليوم سفك دمي

347 ـ مختصر خليل خمس عشر مرة ..!!

وجدت فى ترجمة الشيخ مبارك بن علي التارختي ... المتوفى سنة 980 هـ .. من السلوة ج 3 ص 290 . وهو من اشياخ ابن القاضي ذكره فى درة الحجال ج 2 ص 323 :

« كان نافذا فى تدريس مختصر خليل ..! مقتصرا عل حل الفاظه .. لا يزيد على ذلك الا القليل ..! فكان يختمه فى اسرع وقت ..! حتى ان ابا المحاسن والحميدي ، سمعا عليه بجامع سبيوس من فاس مختصر خليل خمس عشرة مرة فى مدة من خمس سنين .. !! »

348 ـ ترزق بالجهل ..!

وجدت المؤرخ الواعية القاضي ابا العباس احمد ابن امحمد الخياط ابن ابراهيم الدكالي فى كتابه : سلسلة الذهب المنقود فى ذكر الاعلام من الاسلاف والجدود ... ينشد لاثير الدين ابي حيان النحوي هذين البيتين :

وعاش بدعوى العلم ناس وما لهم
من العلم حظ لا بعقل ولا نقل

فيا عجبا للجبر يحرم رزقه
بعلم ..! وللاغمار ترزق بالجهل..!

349 ـ شغف ابي العباس المقري بالاخبار ..!

وجدت فى المحاضرات لابي علي اليوسي ص 58 .

« وحدثني (ابو عبد الله محمد الحاج الدلائي) ان ابا العباس (المقري) كان ايام مقامه بمصر قد اتخذ رجلا عنده بنفقته وكسوته وما يحتاج ..! على ان يكون كلما اصبح ذهب يقتري البلد اسواقا ومساجد ورحابا وازقة وكلما راى من امر وقع .. او سمع .. يريحه عليه بالليل ..! فيقصه عليه..! قلت : وهذا اعتناء بالاخبار والنوادر والتواريخ ..»

350 ـ وان كرهت ام محمد ..!

وجدت فى كتاب طبقات علماء افريقية وتونس لابي العرب محمد بن احمد بن تميم القيرواني ط . تونس سنة 1968 م

« وجدثني ابو عياش ابن موسى .. ان ابن ابي كريمة كبر حتى كان يحمل ..! وصار لا يدفئه شيء ..! في الليل فقيل له : لو انك اشتريت جارية خلاسية (سمراء) تدنو منك ... ! لاستدفأت ..! فأمر أصحابه فاشتروها له .. فلما باتت معه تنشط اليها .. الشيخ ..!! فسخن له ماء يتطهر به ..! ففارت بها ام محمد امرأته ...!! فأمر أصحابه ببيعها..! فباعوها..! فلمابات وحده وجد البردفقال: اشتروها لي ....!!! فقالوا نخاف ان تكره ذلك ام محمد يعنون زوجته ..! فقال :

— اشتروها لي وان كرهت ام محمد ...!!! »

351 — ابي القاضي ...!
وابي الطيب القادري ..!

وجدت في كتاب « محمد عثمان باشا داي الجزائر » لمؤلفه الاستاذ الشهير السيد احمد توفيق المدني ص 81 ...

— اسم المؤرخ احمد بن القاضي مؤلف جذوة الاقتباس وغيرها .. ضمن قائمة العلماء الذين كانوا بالجزائر على العهد التركي ..!! كما وجدت في كتاب « الجزائر » لنفس المؤلف .. المطبوع سنة 1350 هـ .

— اسم محمد بن الطيب القادري مؤلف نشر المثاني .. ضمن قائمة علماء الجزائر الذين كانوا في ذلك العهد ايضا ..!!

وهذا سبق قلم ..! غريب ..! وقع فيه الاستاذ الجليل ..!

352 — وصلتك في الطين مقلوبة ...!!

وجدت عند ابن عاصم في كتابه الممتع : حديقة الازاهر ..! ص 79 .

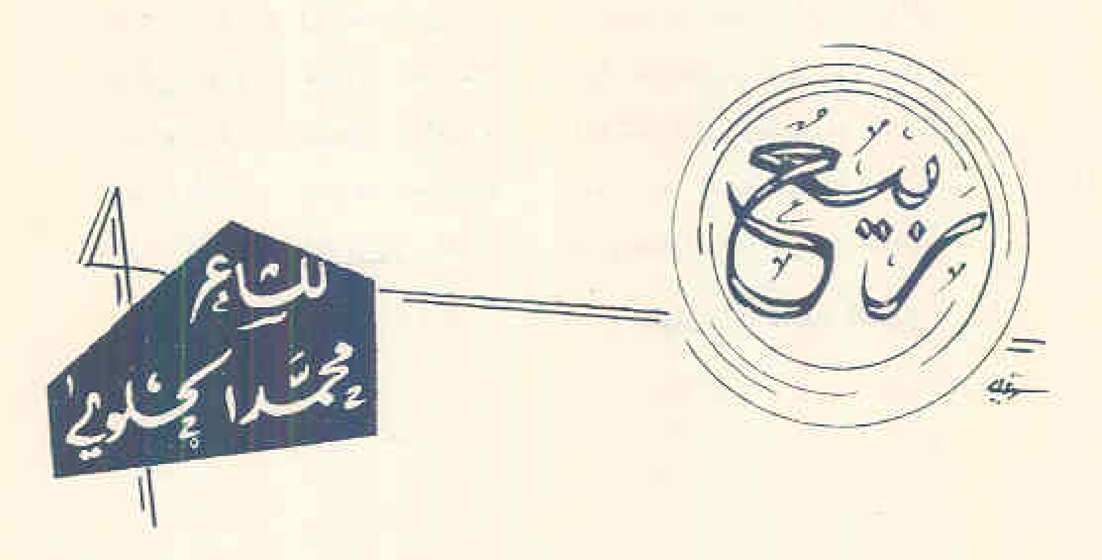
— واعطى ابن قرمان مؤدبه . يطبخ له الخبز .. وكان الطين ..! فوقع الخبز في الطين ..! فرجع الى المؤدب فقال له : يا سيدي ما تقول في المشرات .. ؟ فقال : يا ولدي : انها مكتوبة ...! فقال ابن قرمان على الفور ... :

— يا سيدي : « وصلتك في الطين مقلوبة ..!! »

فاس — عبد القادر زمامه



ديوان المجلة



آذار هل في روابي المغرب وجلا عرائسه بأبهى موكب !

فتحت يداه خزائن الارض التى كشفت روائعها بشكل معجب

وتبرجت خضر المروج غريقة في الوشي ترفل في ربيع مذهب

من كل زهر نائم لم تنفتح ازهاره او ناهض متوثب

ما بين اصفر في ملامح عاشق صب واحمر بالجمال مخضب

رشف الفراش ثغوره في لهفة وشكا اليه صنيع فصل مجدب

والطير تعزف لحنها مخمورة في عش ورد او بواد مخصب

نسيت اعاصير الشتاء وفتكها بفراخها وبعشها المتخرب

واستقبلت ميلاد عمر حافل بالحب والفن الذي لم يوهب

انى اتجهت رايت فيضا من سنى وشممت عطرا مثله لم يسكب

وسبحت ملء الروح في ارجوحة نورية ولثمت وجه الكوكب

وسمعت موسيقى الطبيعة جدولا او بلبلا يشجي بلحن مطرب

احبب به نغما بلا عود ولا وتر يجلجل من مغن مرعب !

كم بين رائعة جلت جمالها متصنعا وروائع لم تجلب !

لوحات فن ابدعتها ريشة ازلية لم تنكسر او تنضب

عميت عيون الناس عن اشراقها وهي التى آياتها لم تحجب

وتلمسوا الفن الرخيص محنطا	متطلعين له وراء الغيهب

مرحى بوجهك يا جميل ولا خلت	منك الحياة ومن شذاك الطيب

— * —

وافى الربيع كما نراه خمائلا	ومفاتنا طول المدى لم تغرب

وهناك في الاغوار في القدس التى	انتهكت بها اقداس عيسى والنبي

اخواني الاحرار يصلون العدى	نارا تذكرهم بنخوة يعرب

ازهارهم فوق الصدور مدافع	وقذائف مثل القضاء المختبي

فرياض اخواني هناك معارك	حمراء لم تشبه خمائل مغربي

فمتى يحل ربيع اخواني هنا	لك وتختفي وجه الزمان المجدب ؟؟

تطوان : محمد الطوي





رأتك تحقق أوطارها … وتبرز للكون انوارها

فحركت الدف منشدة … بديع الاغاني ومختارها

واضحت بعيدك نشوى القلوب … تفرد فى الكون اشعارها

كسوت البلاد فتيب الحياة … ومزقت يا ملك اظمارها

جمال صنيعك صيرها … تفوق الجنان ونوارها

وارقصها عهدك المستطاب … وتوج بالعز امصارها

فعمت جوانبها فرحة … تهز القلوب واوتارها

وغرد بالحب فيها الهزار … يقبل فى الروض ازهارها

وطاب الثناء ولذ الغناء … وحركت اليد قيثارها

وذات سوار على غنجها … تقبل بالورد مزمارها

وكم ظهرت فى سماء الفنون … نجوم تمزق استارها

وكم مرقص قد زها بفصون … تميس وتدهش نظارها

وكم غادة نقرت مزهرا … تشنف بالدر سمارها

وكم زغردت ببديع الولاء … عنادل تكشف اسرارها

هو الحب انطقها بالبديع … ففنت بعيدك اشعارها

وابصرت النور مخترقا … نجود البلاد واغوارها

ومن ذا الذى فى الورى يستطيع … جحود الشموس وانكارها

وهبت المواطن ما تبتغي … وحققت يا ملك أوطارها

فعانق مازيغها يعربا … وعانق مازيغ عمارها

وشيدت فيها السدود العظام … ترد المياه وتيارها

وصيرتها بالجهود الكبار … مواطن تفتن زوارها

وتدهش من قد أتى سائحا … يشاهد في الفن آثارها

يدب عليها لجين المعين … ينمق بالزهر أقطارها

ويشدو الكنار على أيكها … فيطرب بالشدو أبرارها

هوتك النفوس ولو قدرت … أضافت لعمرك أعمارها

فعش يا مليك الحمى للعلى … تقود البلاد وأحرارها

فاس ـ محمد بن علي العلوي



تحية الحب

تحية الحب يا ارض البطولات ... تحية الشوق من مهد النبوات

من جانب المسجد الاقصى وصخرته ... من غوطة الشام من عرق القرابات

من أرز لبنان ارز الرب أحمنها ... الى الرباط على بعد المسافات

ما فرقت بيننا الابعاد شاسعة ... او مزقتنا ليالي دهرنا العاتي

فقبل قبل الزمان استمسكت ونمت ... وشائج بعربيات الاخوات

ووحدتنا على القرآن آصرة ... ذابت على عزمها كل اعتبارات

— ✻ —

البربر

فلو تغلغلت فى التاريخ مرتجعا ... الى عصور قديمات قديمات

رايت فى المغرب الاقصى يعاربة ... من الجزيرة موجات لموجات

حطت على الاطلس المرموق وارتبعت ... فى جانبيه وصافت فى الثنيات

برته بر الودود السمح فانطلقت ... على لسان الدنا احلى لفيات

واصبح البر من تكراره علما ... واصبح الشعب مشهور المبرات

فاي فخر يضاهي فخر اولنا ... خلقا تنزل من عالي السماوات

الفنيقيون

وحط فى شاطىء الاحلام مركبنا ... ففى «سلا» بعض آثار اللقاءات

لم يرس ضيفا غريبا عن منابتها ... فان فنيقيا احدى الشقيقات

امجاد قرطاجة امجاد مشرقها ... وها يتبال شامي السجيات

— ☼ —

ادريس الاول

العرب فى المشرق الدانى ومغربه ... اهل واخوان صدق فى الملمات

اهداكم الشرق ادريس الهدى فزكت ... على يديه ترانيم المروءات

أعاد للدين والفصحى مكانهما ... ووطد الملك من بعد اضطرابات

ابناء بنت النبي الفذ ما فتئوا ... المكرمات على ماض على آت

الله زكاهم قدما وطهرهم ... فمن يفاخر ابناء الطهورات

— ☼ —

محمد الخامس

ومن تنازل عن دنيا برمتها ... سوى ابى الحسن الزاكى الابوات

وعاش للشعب يحميه بمهجته ... وعرشه وبنيه من ظلامات

يومان ما عشت لا انساهما ابدا ... كانا على الشرق من اقصى المصيبات

يوم تزحزح عن عرش به ومضى ... ويوم فاض ولم يقض اللبانات

او عاش حتى راى فى الشرق نكبتنا ... لرد عن شرقنا بعض الاهانات

— ☼ —

الحسن الثاني

اذا العرين تخلى عنه سيده ... فان فى الشبل آمالا عتيدات

واسى فلسطين فى ابان محنتها ... المال والرأي من بعض المواساة

حييت يا بلد الابطال من بلد ... مجاهد فى لياليه الطويلات

كم ثائر فيك آبي الذل متصلت ... مكافح صامت نذر الشكايات

تبارك الله من شعب ومن ملك ... كأنه آية فى تاج آيات

الرباط : د. ممدوح حقي



حمل النور فى يديـه ونـادى أسلموا لله العلي المقادا
الرسالات عصرها عـاد ، والرو ح الامين الفداة بالحق عـادا
انتهى عهد من ظلام ، وعهـد جاء يهدي الى الاله العبـادا
ليلة النـور بالملائـك والـرو ح ، وبالوحي ، احيت الأمـادا
انه الفجر جاء بالدين ، والقر آن يوحى، والغيث يحيي النجادا
اذن اللـه للسمـاء فلبـت ولجبريـل ان يقـود فقـادا
فالحيارى مستبشرون ، وسادا ت قريش ظنوا (تبيرا) حـادا
لا ، ولكنها النبـوة يا قـو م ، وليل الاصنام يا قوم بـادا
أيها المبطلون لا باطـل اليـو م ، ولا شرك ، لا ونى ، لا رقادا
جاءكم وحي من هدى وكتـاب فيه نـور من ربكم : يتهـادى

— ※ —

انزل الوحي واصطفاه رسـولا هاديا من قد حـرر الاجيـادا
بلغ القرآن الحكيـم عن اللـ ـه ، واوفى بعهده ، وأفـادا
فتح الدهر رفعـة وسمـوا وجـلالا وحكمـة وسـدادا
واضاء الدنيا فصارت به نـو را وهديا وفرحـة ورشـادا
عربـي مطـهـر ونـبـي قد اعز العصـور والآمـادا
مكة الطهر منتمـاه ، وصارت طيبة الخيـر بعـده مرتـادا
(احمد) العدل والنهى احمد الا ـسلام من قد بنى الفخار وشادا

هو دين العقول تدعو الى اللـــ ... ـه، والى الحق والرجال الشدادا
فتحوا الدنيا كي تضيء بنور للـــ ... ـــه، كي تحيا، والذرى والوهادا
حكموا العالم الكبيـر شعوبـا ... دولا ، ارضا ، انفسا ، وبلادا
امم تطوى ، يا لمعجـزة اللـــ ... ـــه ، ويا للعرب اعتلوا قـوادا
وحضارات سلمـت لهم الامـــ ... ـر ، ودانت كبرى الجيوش انقيادا
الحياة انتمت اليهم ، وملك الـ ... ـمشرقين انتمى اليهم اسيـادا
وبطولاتهم عدت مضـرب الامـ ... ـثال ، والتاريخ احتووا آسادا

— * —

كرموا قومي المسلمون .. تجارا ... واصـولا وهمـة واعتقـادا
ولهم كل ما ارادوا .. وطابـوا ... خلقا ، عزما صارما ، وفـؤادا
قد تناهت فضائل الخيـر فيهم ... وسموا في دنياهمـو اجـوادا
اصبحوا والدنيا تشيد بهم ، والـ ... ـناس يرنون نحوهم زهـادا
واظل الورى حضارتهـم تحـ ... ـكي الدراري والنجوم اتقادا
لم يروا مثل عدلهم ابدا عـد ... لا ، ولا مثل جندهم اجنـادا

— * —

يا نبي المجد (احمد) قد كساكم ... من هداه ، ودينـه ، ابـرادا
حلـل النـور تستعيـر ذكـاء ... من سناها ضياءهـا الوقـادا
امل بعـد الله انتـم وجنـد ... وبكل سوف نشهـد الاعيـادا
ونعيد الايام والمجـد والقـو ... ة ، نبني ، ونرفـع الاطـوادا
صنع العجز ما نراه بنا ، والذ ... ل ، والفقر ، والاسى ، وتمادا
فكفانا ما قد مضـى ، عبـرات ... ودموعا ، وحسـرة ، وسهـادا
يا بني الاسلام العظيم ، اعيدوا ... عهد آبائكـم عـلا وامتـدادا
رمقتكم عين الزمـان تحيـ ... ـكم ، تحيي الجدود والاحفادا
ترمق التاريخ الكبير ، لتحبـو ... ه عطاء ، وحكمـة ، وجهـادا
فابذلوا الجهد والكفاح ، واعطوا ... للهدى ، لله القدير ، القيـادا
واتخذوا النجم والجلال غلابـا ... واقتـدارا وقـوة وجـلادا
للتقى ، للنهى ، وللخير ، للفو ... ز ، وللصالحات نبني العمـادا
كلنا نخطو للنضـال جماعـا ... ت ، ونمشي الى المنى آحـادا
فخطانا الى العـلاء ، ونسعى ... فوق كل التحديـات اعتـدادا

والى النصر ، للحياة ، وبالفر ... قان ، احبابا تفتدي ، اشهادا
معنا الله ، من يكن معه اللـ ... ـه يصل للمنى ، ونال المرادا
علم الله ان شرعته الوحـ ... ي ، وان القرآن يحيي الجمادا
فاجعلوه لكم اماما ، وحظا ... وسلاحا وقوة وزنادا
دينكم دينكم هو النور ، صونو ... ه بآماقكم سنى مستزادا
لن يضل الساري، وضوء كتاب اللـ ... ـه أضحى لكم ضياء وزادا
هو آمالنا وميلادنا اكـ ... ـرم به كل لحظة ميلادا

— * —

قد بدانا ، ونشهد الله انا ... قد بدانا ، ولتشهد الاجدادا
وسنخطو الى الامام ، ونخطو ... وسنبني ، ونصنع الامجادا
عيدنا (القدس) سوف تشهدنا في ... ظلها ، سوف تشهد الاعيادا
ايها الاقصى، لا تلم، قدعقدناالعز ... م ، لبيك داعيا ومنادى
عشت حرا طول الزمان ، وحرا ... سوف تحيا، وخالد النصر عادا
اذن الفجر بالضياء ، وداعي الـ ... ـعدل يدعو ، لا يسام الانشادا
وستاتي يرموك اخرى، ستاتي ... لتذل الاعداء والحسادا
انه النصر سوف يصنعه اللـ ... ـه ، ويبني لنا ، ويعلي العمادا

الرياض ـ محمد عبد المنعم خفاجى



يا لائمي ! ان الهوى احساس — فدع الملام فانه وسواس
ما حيلتي وانا قنيص حبالة — لم تنقطع لحبيكها امراس ؟
فاذا اتيت «جلبز» فاذكر نائيا — فتنته عن « حمرائه » « مكناس »
ملكت فؤاده فاستراح مخيما — متمتعا ايامه اعراس
يرعى خرودا سحرها لا يتقى — يغرى بها فكانه عساس
بممتعها مترفها فاذا انا — محبوسها تقتادني احراس
لما رايت بهاءها ذا سطوة — صدقت ما كانت تقول الناس
وذكرت « اسماعيل » في سلطانه — وعلمت انه بارع نبراس
ارسى قواعد ملكه في بقعة — هي جنة جذابة ميعاس (1)
فبني واحكم — كيف شاء — مآثرا — شهدت لها برجاحة آساس
من كل شاهقة ، وكل ممرد — كالـد فيه تفتحت اقواس
متماس كالصخر، طود شامخ — يعيى به متلمس جساس
آوى وحاط قباب ملك قاهر — تخضل في جناتها اغراس
خضع الزمان مقبلا عتباتها — وبها اقام العز والايناس
وعلى سرير المجد ليث مرهب — متوفز متحفز هماس
له من جلاله هيبة يعنو لها — دان وقاص ، فتكها هراس
وجحافل عد الجراد كانها — جن تطير بجمعهم افراس
كالبرق ان هبوا ومثل صواعق — ونمور غاب هاجها جواس

---

(1) الميعاس : الارض اللينة البكر

يتضرمون ضراوة عنـــد الوغـــى ويشوقهم من لحنهـــا هسهـــاس

فيها لهم عـــادات اســـد كلمـــا حمي الوطيس وضاعت الاتـــراس

ان كبروا خلت الرعـــود تصاصلت فالهـــول منه تحقـــق الايجـــاس

واذا عدوا ابصرت صخرا صاعقا ينقـــض منه غضافـــر فـــراس

ما للعـــدى منهـــم وقـــاء مانـــع فالمحق منهم للعـــدى لحـــاس

من أطلس الاحرار ، من صحرائنا طلعـــوا ، فلا لـــؤم ولا ادنـــاس

غر ميامـــين النقائـــب خلـــص فكأنما هم فى الدجـــى اقبـــاس

من نـــل «مازيغ» و«يعرب» سلهم حسب بفخـــره تائـــه ميـــاس

قرعوا صفاة الدهر حتى سرهـــم فالناس هم، وسواهم النسنـــاس

احسابهـــم محميـــة بسيوفهـــم وسيوفهم فيهـــن قـــر البـــاس

دين السلام لهم شعـــار خالـــد والله أكبر خمرهـــم والطـــاس

اهتزت الدنيـــا لهـــم ، وتعطـــرت بفخارهم ، وتذهبـــت اطـــراس

واستبشرت بهم الحياة ، ورحبت لمـــا تجلـــت منهـــم الآراس

طلعوا على الدنيا بخير رسالـــة هم حزبها ، والجند ، والحـــراس

بالنور والحـــق المبيـــن تايـــدت وتغلبت ، وزكت لهـــم انفـــاس

فاسأل ـ اذا لاقيت ـ عنهم «طارقا» فله بهم يـــوم الجهـــاد مـــراس

فى موقف خلف العباب قد انبروا بعزائـــم مـــا عاقهـــن ايـــاس

فتغلغلوا بين العـــدى فـــى مائـــج جـــراره بهـــديـــره رجـــاس

وكأنما هم فيـــه هامـــة سابـــح قد خاضـــه لم يثنـــه الابـــلاس

صنعوا على تلك الربى بسوقهـــم اعجوبـــة ابحـــارها مـــاس

واعادهـــا تاريخنـــا فتجـــددت ونأى لها صيت ، وجـــد لبـــاس

« زلاقة » عرفت ليوسف يومها : يوما بعمر الدهر صـــار يقـــاس

و«الارك» للمنصـــور تشهـــد انه بطـــل ، وان صفاتـــه المقيـــاس

نهر «المخـــازن» قد راى ما سره لما اتـــت بقضيضهـــا اجنـــاس

فتفنن « السعدي » فى تشتيتهم وغدت لهم فى نهرنـــا ارمـــاس

* — *

واذا ذكرت «ابن الشريف» تواترت حسناته يحـــدو بهـــا ايـــاس

فذكرت «طنجة» والثغور وقد نضا عنها سيـــاء جـــره انجـــاس

فقد انتزى وعدا عليهـــا واغـــل متســـلل مترصـــد خـــلاس

فأتـــاه «اسماعيـــل» فى جـــراره وهو الغضوب المضـــرم المهـــراس

فاذا الثغور لاهلها مردودة — والمعتدون لهم هناك خناس
واذا « ابو النصر » العظيم يعيدها — عذراء لم تحلم بها اخلاس
قد زفها علوية ممشوقة — ومهيرة يغلو بها انفاس
عربية محروسة آباؤها — صيد اشاوس ، عزمهم مراس
صون الحمى دين لهم متقدس — فلهم بفرضه همة وحماس
من مهمه الصحراء هب ابوهم — فتزحزحت لهبوبهم انكاس
جاء «الرشيد» فادهشت جولاته — ومضى وشيكا ذلك القباس
وقد استوى نسر المعالي بعده — لا حائم يلقاه او غطاس
شق الجواء بعزمة ما عاقها — ذئب ولا متصدر عرناس
قطوى تخوم الارض تحت لوائه — وتنورت بضيائه اغلاس
سيف اقر الدهر فيه قضاءه — للريب حده مقطع ملطاس
اسم يهابك من نطقت امامه — بحروفه ، وبكمه الاخراس
عجبا لاسماعيل في عليائه — فكأنه في قومه هجاس
« مكناس » حجته ، وعلق فخاره — لا تمتري في فضلها اكياس
ما بين ادريسين احكم اسها — «زرهون» يحرسها، وتكلا فاس
سمراء تسبيني بسحر جمالها — «حمراء» فيها للفؤاد كناس
والنخل السائيه زيتون بها — فكأنما في البلدتين جناس
وعلى «ابي فكران» رافت فتنة — اضحت تشم وتجتنى وتباس
طاع الربيع بها! فاهدى جنة — سعداءها في ظلها جلاس

* — *

ماء تدلى فيه عشب ناعم — والزهر حوله باسم نواس
والايك مخضر الذوائب باسق — والطير صداح له اجراس
وتحاومت زمر الفراش ورفرفت — فوق المروج ، لوفدها اكراس
وظباء مكناس تكاد عيونها — تصمي وفي اجفانهن نعاس
سمر لحبات القلوب جواذب — ولهن سحر في الحجى قماس
يا لائمي هلا دنوت لكي ترى — لوما يشول بوزنه القسطاس
اني رايت وما رايت محاسنا — ومآثرا آثارهن نفاس
انصف وخل ملامة مملولة — واذا ابيت فهذه « مكناس »

* — *

واليك يا حسن الزمان ونوره — عصماء ما فيها قذى ونحاس

جاءتك فى عيد الشباب تحية ... وتهانئا دهقت لهن كئاس

غنت بمجد أبوة لك ، مجدهم ... كثرت جواهره ، وانت الماس

فاسلم ، وعش بين القلوب محببا ... وولي عهدك للعلاء رئاس

يرعاكما حفظ الاله ولطفه ... وتضاء فى ارجائنا أغباس

ببقائكم روح البلاد محوطة ... وبه يذاد عن الحمى افلاس

وبمثل همتك العظيمة تعتلي ... دول ، ويرسى عزها ويساس

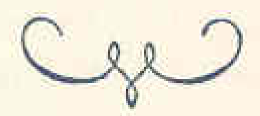
ما اسرة قد اطلعتك والجبت ... الا ونبعة عرقها مكباس

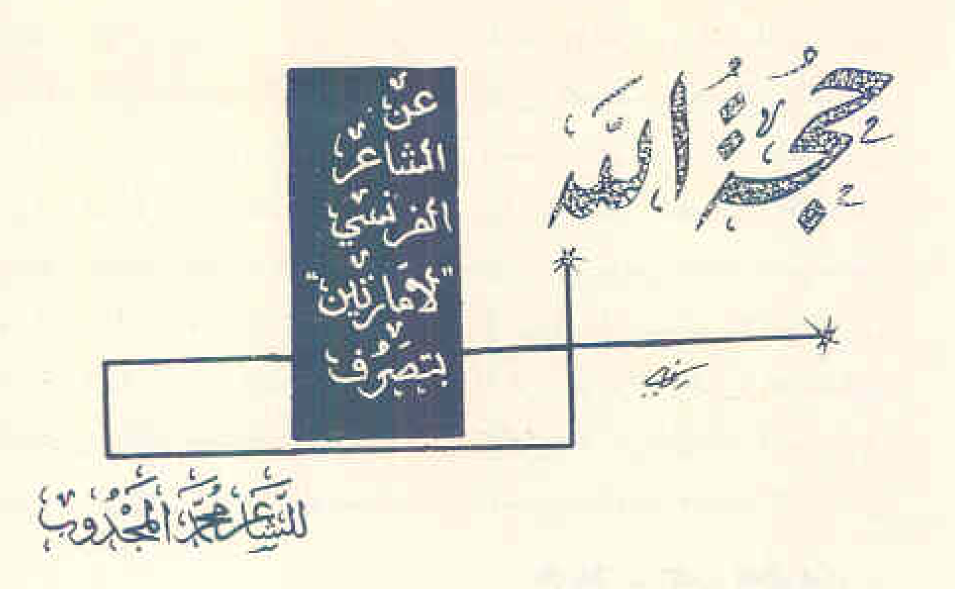
شرف الأرومة فيك ابدى سره ... لا غرو أن وافاك ما تجتاس

طابت بدولتك الحياة واعجبت ... وتفهقت برحيقها اعساس

بوركت من بطل ، فداك نفوسنا ... ولمن يناويء عزنا اتعاس

الرباط ـ المدني الحمراوي





قل للذي عشق الحقيقة فهو فيها الدهر هائم
في عالم الاسلام مبتدا الحقائق والخواتم
تلك الاعاجيب الكبار من الخوارق والعظائم
لم يعرف التاريخ قط   نظيرها قبل ابن هاشم
بالنزر من عمر الزما   ن وبالجليل من العزائم
قد شيدت ما لم يطف   من قبلها بخيال حالم
لا بدع فهي ثمار دين (محمد) فخر العوالم
فجر من الحق المبين   بدا وليل الكفر قاتم
هدم الضلال واهله   وبنى الفضائل والمكارم
واضاء درب الخلق نحو الحق فانجلت المعالم
هيهات ما وطىء الثرى   كمحمد بان وهادم
لا تقرنن به عظيما .. ان فعلت فانت ظالم
اين الغيار من اللآلىء والبغاث من الضراغم !
هو حجة الله التي   لم يعش عنها غير آثم
هو قمة العليا وانف الجاحد المغرور راغم
فعليه صلى الله ما   صدحت على الايك الحمائم
وعلى صحابته مصابيح   الهداية والملاحم

المدينة المنورة ــ محمد المجذوب



هل ينطق البحر شعرا ، او يحاوله ... فما يقول لنا بحر اذا نطقا ؟

يقول : اني ملح الارض ، واهبها ... على شواطيء الايمان والقلقا

سويتها بي ، فاختاروا بسيطتها ... فكان قربي لهم زادا ومنطلقا

وسعت اقوامها ان ضاق واسعها ... او شح موردها لم ادخر رمقا

وقد تحملتهم بالفلك ان ركبوا ... ظهري تصاغرت حتى يبلغوا الافقا

الموج شوقي فماذا فى تطلعه ... الى السماء اذا ما خافق خفقا ؟

سر اذا بت فيه الليل أرقني ... فهل فشا ، أو سمعتم منه مختلقا ؟

اشكو واصرخ فى سجن يساورني ... مدا وجزرا ، واحيا فيه مختنقا

اني حبيس هنا ،اني لمنتظر ... ان اصعد القمم الشماء مستبقا

وما اللآلىء فى جوفي سوى امل ... طويته ، فاغنموا منه اذا ائتلقا

تحركت بي حيتان فقلت لها ... عودي الى القاع حلما فيه قد غرقا

حتام اضرب هذا الشط محتدما ... وتارة الثم الانسام والشفقا ؟

بنيت عالمي الجبار منفردا ... حتى اذا تم ثار الفكر وانعتقا

الست اكبر شيء ؟ غير ان يدي ... مغلولة ، وفؤادي غاص منسحقا

تلك الذرى قد اطلت ، وهي شاهقة ، ... ما لي اكابد منها الغيظ والحنقا ؟

يا قمة وقفت حيرى على كتف ... من الشموخ تشع الوحي والألقا

الست مثلك فى سر الجلال اذا ... علا أو امتد ، مزهوا ومتسقا !

ماذا وقوفك يا اخت الجبال ، وقد ... مرت دهور تسوق الضوء والغسقا !

هل هزت الريح عطفا منــك او امــلا ... او زحزح المجد رايــا منك او خلقــا

يا معقلا قابعــا فى الجــو ، منتزعــا ... من الوجود ، عليل النفــس ، منفلقــا

اني لارحب صدرا ، والنــدى خلقــي ... وهل يعيش لغير الخيــر من خلقــا ؟

سمــا الفــرور باكــوام ملفــقــة ... من الحجارة ، لا تــدرى لهــا طرقــا

وسالت الروح مــاء حيــن فجرهــا ... نبــع الحقيقــة فياضــا ومندفقــا

انا الخلود ، انا المعنى الــذى نشــات ... منه الطبيعــة فى الانــواع مفترقــا

بالماء والملــح صــار النــاس مجتمعــا ... وبالتعمــق لاذ العقــل ان صدقــا

سليم الرافعي





للشاعر أحمد بن شقرون

بيـن التراجـم والتاريـخ والادب ... وشائج وعرى موصولـة السبـب

فان تحدثت عن ماض ، هرعت الى ... فن، يسوق الى ضرب من الضرب(1)

فعاد من باد « حيا فى البيان وفى ... روائع الادب المسبـوك فى الخطب

بروحـه ، وباخـلاق مفصلـة ... وبالمدارك فى الاقـوال والكتـب

بنفسـه ، وباعمـال مخلـدة ... و«مذهب»، جل عن وصفي ومرتقبي

بعقالـه ، وباحكـام محـررة ... وهمة ، احكمت مستعصي الطنب

— * —

فنحن ان برقت اقلامنـا بسنـى ... على التراجم لم نستوح من حقـب

وانما دقة فى الوصـف تشغلنـا ... فيزدهي الوصف فى اردانه القشب

وبالامام « امام الراي » تعضـده ... امامة النقل معـزوا لخير نبـي

بـدار هجـرة القـى الامـام لـه ... قلبا ، فخيم فيها ساجـد الركـب

— * —

قالوا تربث فى بطن التـى ولـدت ... من السنين ثلاثا ناضـج العصـب

وفى المنـورة الفيـحـاء كـان لـه ... وضع بـ « ذي مروة منها اطل صبي

حيث الطبيعـة فى تيـه بموكبهـا ... وحيـث تزخـر دنياهـا بمشـرب

مدينة المصطفـى للمومنيـن غـدت ... وللامام مقاما ماسـى الحصب (2)

الاصبحي ، وملـك العلـم ديدنـه ... فكان مالـك فقـه زاخـر الشعب

من اصله يمن قبل الحجاز ، ومـن ... صميم قحطانهم فى بلدة «الحرب»(3)

(1) الضـرب بفتح الراء : العسل الابيض المصفى

(2) الحصب : الحجارة والحصى المراد التربـة الطيبة .

(3) بلدة على طريق حاج صنعاء .

والعلم قال رسول الله عن يمن … وحكمة منه نجنيها بلا نصب
ومالك شب فذا في معارفه … ومقتدى به فى مستقرا العرب
وحجة الله فينا كلما عرضت … قضية كان فيها مرجع الطلب
ان شارك الناس فى فضل فمركزه … فوق البليغ ، وفوق العالم الدرب
فعاش فى الناس انسانا اخا ثقة … بعلمه ، وذكيا جد ملتهب
من حيث خص بفهم جد منبلج … وبالمعاني التي جادت بمنسكب
وكان خدن بناة الدين من زمن … شادوا وسادوا فداسوا عائق الكرب
وبث فى الناس روح الدين يغمرها … من الحضارة انوار ، ولم تغب
فى كل قطر له ظل يقيم به … من اقتفى اثرا للماهر الحدب
وفى المدينة ان فاهوا بعالمها … لم يعن غير امام فاز بالقصب
ان يضرب الناس اكباد الجمال له … لقطف معرفة ، او نيل مطلب
فليس اعلم منه بالحلال ، وفى … ترك الحرام ، وفى الاحكام والقرب

— * —

ان كان يسكن دارا بالكراء فما … دنيا بباقية يوما لذي نشب
تضورت بنته جوعا فقال لهم … تحركون رحى تلهي عن السغب
وتكتم السر عن جار نصاقبه … لغاية اليسر بعد العسر والتعب
وحول الله حالا عن تقشفه … الى يسار مبيد ازمة الجشب (4)
مدينة المصطفى مهد العلوم لها … تجلة من امام جاء بالعجب
فلم يلح مالك يوما بساحتها … على حصان ، حفاظا منه للادب
عن جده قد روى علما ومعرفة … سلالة العلم لم تبخل بمحتجب
والام تجهد فى التوجيه يحفزها … الى العلوم هيام بالفتى الطرب
وروضة المصطفى كانت مثابته … فيها تفنن عن قوم ذوي رطب
وجنة الله فينا : بين منبره … وقبره ، فدع التسويف واقترب
ومن يكن علمه من روضة عبقت … بالطيب ، طاب لشرقي ومغترب
يختص اندلس — فقها — ومغربنا … وقطر افريقيا ، بالمذهب الذهبي
كان الامام مقيما بالمدينة لا … يغيب عنها لغير الحج منذربي (5)
وفى الحديث اماما حافظا حفلت … لنا موطؤه بالتبر فى العلب

---

(4) الجشب : شظف العيش .
(5) منذربي فى المدينة المنورة اي نشا .

وقائدا « مذهبا » تلقى مداركه ... من الذرائع سدا واضح النصب
لمورد الحكم آنا مقصد حسن ... وتارة منعقد الحكم بالسبب

— * —

ومالك قد بنى احكام مذهبه ... على احتجاج بما فى طيبة الرغب (6)
وكلما علقت حوباؤه بجنى ... وواحد من حديث جد فى الطلب
ولم يبال بأيام يجود بها ... وبالليالى تليها فى رضى الارب
وبالامير : أمير المؤمنين على ... اهل الحديث دعوه سامي اللقب
فى سنة ، وحديث كان خافقه ... مرفرفا ، وبسبق فاز ، لم يخب
والعلوم تصدى ، والاجارة فى ... كف ، وفى قلبه المملي ضياء نبي
ولم يصل بعد ثاني العقد من عمر ... زكا بفضل حديث المرسل العربي
والمحدثات لديه شر مبتدع ... وسنة المصطفى خير مكتسب
من ابعد الناس عن خوض والزمهم ... لسنة المصطفى ، والسادة النجب
وعقرب لسعته ، وهو منهمك ... يحدث الناس ، لم يقطع ، ولم يثب
والشافعي امام وهو معترف ... يقول : مالك نجم ثاقب النهب
وللامام مزايا قام مذهبه ... بنشرها كبخور طيب الحطب
وبالحديث اذا هم الامام ، فمن ... بعد اغتسال، وطيب، واحترام نبي
ان شاب فى صون دين الله من دخل ... حتى الثمانين، فهو – الدهر – لم يشب
ولم يزل مجده بالخلد مقترنا ... ولم يزل ذكره فى ملتقى الشهب
ولم يزل علما فى العلم جاء به ... من المدينة عن فحل ومنتخب
مفضلا عملا فيها على خبر ... عن واحد ثقة ، لم يعز الكذب
وشارعا مذهبا خصبا لاقضية ... منوعات ، من البيئات والحقب
افاده من حياة الناس قاطبة ... عن الحجيج : حجيج العالم العربي
فجاء مذهبه يرنو لمنفعة ... ويدفع الضر عمن لاذ بالحجب (7)
ومن صميم حياة قام شامخه ... ومن طبائع الناس فيها جاء بالنخب

— ◆ —

كان الامام يداري الناس متقيا ... شراء ونصفهم انصاف ذي حسب
قال الامام وجدت الناس قاطبة ... يقل انصافهم فى كل مطلب
فلم ازل مرخيا حبلي اذا جذبوا ... ولم ازل باذلا للحب فى صبب
والخوف من خالق طبع له ، فلذا ... يقول : ادري، ولا ادري، كمقتضب

---

(6) الرغب : بفتح الغين : المرغوب فيه .
(7) أي حجب المذهب .

عن اربعين سؤالا جاد متئدا ... ببعض اجوبة خوفا من اللهب

وقال فى الجل: لا ادري. وملحظه ... تمسك بالجلي المحكم السبب

قد خط الف حديث ثم اتبعه ... الفا الى مائة منها كمحتطب

وتابع الجهد مشغوفا واردفه ... بالجهد، دون تشكي من اذى التعب

ولم يزل فى اقتناء العلم ينخله ... ويطرد الدس عنه من ذوي الصخب

حتى تصدر راسا للكبار وقد ... كانوا شيوخا له ، فى منتهى الغلب

— ※ —

واجتاز محنة ضرب بالسياط فما ... خارت عزيمته من حملة الشغب

ولم يزل رغم تعذيب بفتوه بما ... يراه حقا ، فلم ينكل ؛ ولم يهب

السن قد كبرت، والظهر منفطر ... من ضرب محتدم، فى ثورة الغضب

وكل ذلك فى ذات الاله ، له ... ثواب معتصم بالحق محتسب

ان غاب عن مسجد عاما وتاليه ... لتسعة ، فلربح دائم الوصب

وكل ذي مبدا فى الحق يربطه ... الى الديانة ايمان بمنقلب

— ※ —

قال الامام لمن يقفو مخالفه : ... نقل المخالف مرفوض فلا تجب

قال الامام وهذا العلم دينكم ... عمن تتالونه كونوا على اهب

قال الامام لذي الفتيا اذا عرضت ... اعرض على الرشد نفا اوعلى لهب

وانظر خلاصك فى الاخرى وكن حذرا ... قبل الاجابة تسلم من اذى العطب

قال الامام مهيبا بالقضاة الى ... ذوي المعارف من اقطابنا الشهب

ردوا الى العلماء الغر نازلة ... وشاوروهم تفوزوا–الدهر – بالارب

قال الامام فرزق فيه مشتبه ... خير اذا قيس بالمتن ذي الرهب (8)

قال الامام مجيبا من يسائله ... عن نفسه كيف اضحت من اذى الشجب

عمري يبيد، وذنبي زائد، وانا ... لرحمة الله ارجو عند منقلبي

— ※ —

كانت فنادقه (9) لما قضى تبجا ... من الاضابر بل سيلا من الكتب

والطرح ديدنه للقول ان عرضت ... له شكوك فغامت قيمة الرتب

وفى البقيع يوارى الشهم محتميا ... بالمصطفى ، وبفضل الله بعد حبي

فاس – الحاج احمد ابن شقرون

---

(8) الرهب : الخوف – اي بالمتن الخائف من ضياع ما بيده اذا جاد منه

(9) الفنادق : كلمة من الدخيل معناها صحيفة الحساب .



اعيذ النبي وفي حماه ... غزاة الشر تعبث في رباه
اعيذ والعروبة في شتات ... وفي عار تذل به الجباه
اعيذ (والفدا) اضحى عدوا ... يقاتله (القريب) ومن وراه
فويل ثم ويل ثم ويل ... لقوم في بوادي الجهل تاهوا
عروبتهم هتاف بالنوادي ... وشقشقة ترددها الشفاه
رسول الله ان العرب هانوا ... رضوا العيش الذليل ومستواه
لقد امست عروبتهم مكاء ... وساروا خلف « من تبت يداه »
لقد خنعوا وذلوا واستكانوا ... لسلطان اليهود ومشتهاه
رضوا من وحيك الا على التغني ... واما نوره نبذوا هداه
وصوت الوحي يقرعهم جميعا ... وهم عمي وصم عن نداه
يقولون اجتمعنا واتفقنا ... واما الفعل فالناعي نعاه
فكم من قمة حشدوا اليها ... لمؤتمر يظلهم لواه
فاين قتالهم (صفا) وزحفا ... واين لواؤهم حتى نراه
نسوا تاريخهم اصلا وفرعا ... ومجدا للعلا بلغوا ذراه
نسوا يوما لخيبر من (علي) ... وضربة ذي الفقار ومادحاه
نسوا (اليرموك) والتاريخ يزهو ... « بخالدهم » وما صنعت يداه
نسوا (حطين) يا حطين عودي ... بروح « صلاحنا » ويما اتاه
لقد صلى صلاة الفجر جمعا ... ونادى جنده للزحف « يا هو »

فاين اليوم قادتنا أقاموا ... صلاة صلاحهم وبها دعاه

رسول العزة العلياء تشكو ... رؤسا بالعروبة قد تباهوا

مشوا خلف الغريب بلا حساب ... فقيدهم والزمهم هواه

فذابوا في سياسته فذاقوا ... عذاب الخزي تشويهم لظاه

أضاعوا مجدهم دينا ودنيا ... ومن اخلاقهم غضب الاله

فكيف يقام عيد في حماهم ... « واقصى » قدسهم يبكي ثراه

ومن اوطانهم سلبت بقاع ... بها « موشي » يهز لهم عصاه

نبي الله قد خلدت دينا ... عزيزا لا يبدل عن ارتضاه

فقال شبابنا هذا قديم ... وهذا الدين قد ولى صباه

فخروا من علاهم تحت نير ... مذل يعلم المولى مداه

الا يا ويح يعرب قد تناءت ... عن الشرع الحكيم ومحتواه

فهلا يا رسول الله تدعو ... لربك عل بمنحنا رضاه

فانت حبيبه يا خير داع ... وربك ليس يرحمنا سواه

رسول الله عيدك في فؤادي ... وفي سمعي وفي بصري ضياه

مفتي البقاع : الشيخ حسين شمس الدين



في حفل تابين سماحة الامام الشيخ الفاضل ابن عاشور رحمه الله بمناسبة مرور سنة على وفاته

مالي ، وللشعر ، والاكباد تنفطر ؟ … وللرثاء .. ولا يرثي لنا القدر ؟

الجرح اعمق .. ان تاسوه قافية … والقرح أعرق ، أن يمحى له اثر

والخطب افدح ان تبكيه ملحمة … ورب خطب بكى من هوله الحجر !

ما لليالي .. نصافيها .. فتنفضنا ؟ … وللمسرات .. في اعطافها الكدر ؟

اللحوادث ، وتر في مرابعنا … ام للكوارث ، في اوطاننا وكر ؟

ام اننا في جحيم ... كلما نضجت … منا جلود ... تولى امرها سقر ؟

نعلل النفس باليسرى .. فيكسفنا … هذا الزمان .. وتخزينا به العبر

وكم صبرنا .. فيشكو الصبر ضنتنا … ويعجب الصبر منا ، كيف نصطبر !

وقلت – رباه – بعد العسر ميسرة … الى م اليسر – يارباه – ننتظر ؟

فهل خفرنا ذماما .. فالتقمت له ؟ … وهل ضمائرنا بالخطب تزدجر ؟

هبنا اسانا .. اما طمانت مسرفنا … من رحمة الله .. لا يأس ولا ضجر

ولم تزل صفة الغفران قائمة … ما دام في الارض من يعصي فتغتفر !

يا من شجاهم من الدنيا حلاوتها … وفي الثمالة من كاساتها الصبر

ومطمئنين ، اغراهم بمرتعها … طيب المقام ... وايام الدنا سفر

وسادرين مع الاحلام .. خدرهم … صفو الليالي .. وما يصفو بها السحر

وعاشقين من الرقطاء ملمسها … وفي لعاب الافاعي .. يكمن الضرر

وصاعدين على الاجداث .. في دمن … اغراهم من خراب الدمنة الزهر

و (ام دفر) عجوز .. لا ينهنهها ... عن الفعاره .. افلاس ولا كبر

والزمان .. وان سرت بواكره ... حينا ... بوادر .. لا تبقي ولا تذر

فكم بلوت الدنا .. علما وتجربة ... فهالني من دناي الخبر والخبر

وكم وثقت بما تخفي ظواهرها! ... و (بالعيون التي في طرفها حور)

لئن خدعت بها حينا .. فلا عجب ... ما كنت (اول سار ، غره قمر)

نظل فيها الاماني .. وهي ساخرة ... ونبسط العيش .. والاعمار تختصر

وما علمنا ، باننا في مواكبها ... نحو الفنا .. زمر ، في اثرها زمر

وما علمنا ، باننا في احبتنا ... نمشي .. وتعبث في اقدارنا الغير

والموت .. يعلم ـ كالصراف عملته ... يختار معدنها الانقى ويختبر

والراحلون كثير ... في قوافلنا ... وليس يندب الا من له خطر

— ※ —

يا عارجا لسماء ... لا تفاق بها ... وصاعدا لرحاب .. ما بها تكر

وسامقا .. شهد الافلاك حائرة ... فشاقه في السموات العلى السمر

وفاضلا .. لم تزل تسمو فضائله ... فراح في اثرها يسمو ويبتكر

لو انباتنا الليالي ... عن تصرفها ... كنا صرفناك ... اولا اننا بشر !

الفت مؤتمر الاسلام تحضره ... هل في السموات للاسلام مؤتمر ؟

ولست ادري .. ودنيا الدرس تجمعنا ... وفيض علمك في الآفاق ينهمر

افاضل انت ؟ ام صورت مدرسة ... تمشي على الارض .. في اعماقها الدرر؟

ام انت من كلمات العلم معجزة ... من صنع (طاهر) تسمو طوعها الفكر؟

ام من صميم اصول الدين فلسفة ... يدعم النص في تشريعها النظر ؟

ام حجة العبقريات .. التي انطلقت ... من مغرب .. لم يزل ينمو ويزدهر؟

كم فيه ، وحدت للعرفان مجتمعا ... اهدافه للمعالي .. ليس تنحصر

وفي الحضارة، علم كم وثقت به ... ما دام بالدين والاخلاق ينصهر

والعلم حق مشاع .. لا حدود له ... وليس في العلم مناع ومحتكر

والخالدون .. وان تطوى حياتهم ... لا ينطوي لهم ـ طول المدى ـ عمر

يا راحلا .. لم تزل فينا مآثره ... ايان حلق .. لا يفنى لها اثر

مذ شاع نعيك فينا .. ارتاع مغربنا ... وضاق في الشرق صدر .. كاد ينفلق

البرق يخفق .. والاسلاك نابضة ... والقلب يرجف، والحبات تنتثر

ويسمع (الحسن الثاني) فيذهله ... وقع المصاب .. وما قد زور القدر

مشاعر (الحسن الثاني) لراحلنا ... علوية .. ليس يفنى ذكرها العطر

وفى الجزائـــر اكبـــاد ملوعـــة ... خفت لتونس حبرى .. هالها الخبر

واوقدت رسلها (ليبيا) معزيـــة ... وللفقيد (بايبيا) الخرد العـذر

تنازعتك الحنايا ، والاكـف معـا ... لمن ترى ؟ كتب التوفيق والظفر ؟

واودعتك ترابا .. عشت تفرسه ... علما وفضلا .. فزكى غرسك الثمر

— ❋ —

نم مطمئنا .. كفى الخضراء مفخرة ... ان العلا بك ، والخضراء تفتخـــر

واسأل الهـك ، فى ابنـاء ملتـه ... فقد احاط بهم ، من وزرهم وزر !

وقل لاحمد .. هل ترضيك محنتنا ... الى م ، نحن ، الى الاعماق ننحدر

وقبلة الله ، تشكو ظلم غاصبهـا ... والقدس يعبث فيه الغادر الاشـر

فاثار لحرمة بيت ، ديس مقدســه ... واغضب لنكبة ارض ، حفها الخطر

كم ذا وعدت بنصر !! فاعجلن بـه ... (فالفتح) ظـل لوعـد الله ينتظـر

وكم نصرناك .. فانصرنا فواحدة ... منا باخرى .. متى يارب ننتصر!؟(1)

مهـدي زكريـاء

---

(1) من قبيل الدلال الصوفي



دعوت سميعـــا قريبـــا مجيبـــا ... ودمعي على الخد بـــات سكيبـــا
اجر الخطايا ورائـــي جبامـــا ... واسالـــه خاشعـــا ان يتـــوبـــا
وليست نظافـــة ثوبـــي تهـــم ... اذا لم يكن ثوب قلبـــي قشيبـــا
انوء بحملـــي فلســـت اطيـــق ... خلاصا ، ولست اطيق الهروبـــا
ونفسك سجنك يا صاح ، مهمـــا ... تخلصت منها استطعت الوثوبـــا
وليـــس المهنـــد فـــي غمـــده ... كمثل المهنـــد صـــار خضيبـــا
وصحـــراء نفسك فيهـــا ابتـــلاء ... فهيا لتسكـــن ربعـــا خصيبـــا
وكل امرىء في الحيـــاة خيـــال ... فقد عاش فيها يعانـــي الغروبـــا
ومـــات كـــان لم يكـــن ابـــدا ... علـــى قدميـــه يـــدب دبيبـــا
وليـــس لمنتقـــد ان يعيـــب ... اذا كان في كـــل شـــيء معيبـــا
وان البساطـــة اصـــل الهنـــاء ... وعيـــش التطـــاول كان عصيبـــا
ولابـــد من فتـــرات النـــزول ... لمن كان يهـــوى العـــلا والركوبـــا
ولم يكن المجـــد سهـــل المنـــال ... تخض من صعاب الحياة ضروبـــا
وبالصـــدق تزدهـــر الحسنـــات ... وصبح الحقيقة يخزي الكذوبـــا
وفي الوزن تتضـــح الدرجـــات ... لمن كان في الصالحـــات دؤوبـــا
فيطفو الخفيف ، وتشهد ان الـــ ... جواهر في الغوص تهوى الرسوبا
وشتان ما بين شـــاب نضيـــر ، ... وبين عجـــوز يقاســـي المشيبـــا
وشتان ما بيـــن صـــاف زلال ، ... وبين شـــراب يكـــون مشوبـــا

تـذوب القلـوب بخشيتهـا ،   وهيهـات في قسـوة ان تذوبـا

على النار تنصهـر الشهـوات ،   وتغدو النجـاة سرابـا صبيبـا

وبيس الذي جـد في سعيـه   كمثل الذي عـاش غـرا لعوبـا

ولا الفظ وهو غليـظ الجنـان   كمثل الذي كان سمحـا اديبـا

اذا ابتسم المرء او قال خيـرا ،   يظل حبيبا ، ويمسـي كسوبـا

فماذا ينال الحسـود ؟ ومـاذا   سيربح من عاش دوما غضوبـا ؛

فأسالك اللهم حسـن الطبـاع ،   لتفتح لي فـي النجـاة دروبـا

الهـي عـرفت فـؤادي بهـاك   لكيـلا اعيـش عديمـا كئيبـا

وفي الشوق راقت جمار ، وفـاح   شذى العود ، حين تزيد شبوبـا

وفي خمرة الحب احلى انتشـاء ،   بعيد الجلاء ، وينفي الشحوبـا

وفي عرصات الوصـال نسيـم   يروق عطـاء ، ويحلـو هبوبـا

تهـون المقاييـس في ربعهـا   فننسى الجواز ، وننسى الوجوبا؛

فـلا شـيء الا فـؤاد يـدق   فيروي اشتياقا ويحكـي وجيبـا

* * *

وفي المتقـارب بحـر اقتـراب   لمعنى يربـي الاديـب النجيبـا

نظمـت به خلجـات الضميـر   وفي الامر سر يهـز الشعوبـا

الهي انت اليقيـن الصحيـح ،   فجنب فؤادي السـؤال المريبـا

اليك ابتهالي ، فقـرب فـؤادي   اليك الهي ، وكـن لـي مثيبـا

فآيك شرقـا وغربـا نراهـا   تعم الشمال وتحيـي الجنوبـا

اذا الكون ضاق بعبـد مضـام ،   فحبك كـان المـلاذ الرحيبـا

تجـول المطامـع جولتـهـا   وتفـرغ بالتـرهـات الجيوبـا

ولكـن للحـق صـولتـه ،   فلابـد في قصـده ان يصيبـا

* * *

الهـي يـا عالمـا بالجـراح   لقد كنت في كل حـال طبيبـا

فياذا الجلال ، وكـل الكمـال ،   وعين الجمال ، بهرت اللبيبـا !

رجعت اليـك ابـث شكاتـي   فانت الذي قد سترت العيوبـا

وامري اليك ، فانت الخبيـر ،   ولا رب غيرك يـدري الغيوبـا

وفي عثرات وقـفت خجـولا ،   وانت الذي قد محـوت الذنوبـا

تطيب صلاتـي اليـك الهـي   ليهنـأ عيشـي بهـا ويطيبـا

وفي صلة العبد بالـرب سـر   يزيل السجـوف بها والزروبـا

فغفرانك اللهم للعبيد ان ... اتاك حقيرا فقيرا غريبا

تعذب بالعدل من اذنبوا ... وقد كنت فيهم شهيدا حسيبا

وترحم بالفضل من شئت منـ ... ـهم ، وكنت على كل شيء رقيبا

لقد كنت فى غفلة وشرود ... فلم ادر سرا خطيرا رهيبا

وانت الذى قد سترت القبيح ... واظهرت هذا الجميل العجيبا

فأنت البيان بنطق الخطيب ... ولطفك فينا يبيد الخطوبا

وانت شروق الصباح الجديد ... فلست ارى لسناك غروبا

وروحي بفضلك ظلت كغصن ... مدى الدهر يبقى طروبا رطيبا

وعينك كوثرها قد روى ... عطاشا ، فليست تعاني النضوبا

ومنك الهي يدنو الخلاص ، ... وانت الذي قد جلوت الكروبا

اذا ما العدى كشروا عن نيوب ، ... فانت الذى صرت تطفى اللهيبا

نفضت يدي من عباد ضعاف ... وجئتك يا من تنير القلوبا

لاسجد بين يديك ، فحاشا ... رجائي يا سيدي أن يخيبا

لك الملك وحدك فى الكائنات ، ... وحكمك كان حكيما مصيبا

وانت السلام ، وانت الامان ، ... اذا ما العصاة اثاروا الحروبا

* * *

الهي يا باهر المعجزات ... ويا من تدفق نورا وطيبا

ويا كنز روحي ، ويا عدتي ... ومن كان برا حنينا قريبا

اغثني ، وكن لي معينا ظهيرا ... عسى أن انال رضاك نصيبا

اذا ما الاحبة فروا وصدوا ... فانت الذى كنت دوما حبيبا

وانت الكريم الجواد الرؤوف ، ... وفى مهجتي حاضر لن تغيبا

ومن انت خصصته برضاك ، ... فمرحى له ، ثم بشرى وطوبى !

الرباط ـ محمد بن محمد العلمي



دراسات مغربية



الفصيح المهجور في اللسان المغربي الدارج

للأستاذ محمد الحلوي

اذا كانت اللغات التى اصطنعها البشر للتخاطب والتفاهم ظاهرة اجتماعية واكبت الانسان فى جميع اطواره ، فان من المؤكد انها خضعت لنفس التقلبات التى مرت على الانسان الذى اصطنعها واستقبلت كل المؤثرات التى كانت لها عميق الاثر فى حياته وتكييف تفكيره وحضارته .. واذا كانت امة الضاد قد تأثرت الى حد كبير بما مر بها من هزات عنيفة خرجت منها سالمة منتصرة لم تفقد كيانها ولا عدمت شخصيتها فان الامر شديد الاختلاف بالقياس الى لغتها التى كانت بدورها مشدودة الى عجلة الاحداث غير بعيدة عن تياراتها ومضاعفاتها . فقد عجزت العربية فى غمرة الصراع الذى خاضه أبناؤها من اجل تأمين حياتهم وتشييد حضارتهم ، ان تقاوم غزو الكلمات الدخيلة التى تسربت اليها او ان تقوم من رطانة الالسنة المتعثرة او المستعجمة .

لقد وجدت نفسها بعد انطلاقها من مهدها وجها لوجه امام شعوب ولغات وحضارات انصهرت جميعها فى بوتقة واحدة وانضوت كلها تحت لواء الاسلام لبناء حضارة مشتركة . فلم تستطع ان تفرض على نفسها عزلة تحفظ لها سلامتها وتضمن لها صفاءها ، وكيف وقد ترجمت بها كتب اليونان واصبحت لغة الفكر فى عصر اتسعت فيه رقعة المملكة الاسلامية وامتدت ابعادها وامتزج فيها ابناؤها بالثقافات والشعوب التى فتحوها . كيف تستطيع لغة انصبت فى محيطها هذه الثقافات وتحركت بها ملايين الالسنة من شعوب لم تكن العربية لها لغة — ان تحصن نفسها ضد تيارات التحريف والتشويه الذى تحول فى لغات اخرى الى ابادة وافناء ..

لم يكن بد اذن من ان تستسلم العربية للواقع الذى يفرض عليها حكمه لم يكن بد من ان تفتح صدرها وهي كارهة لتحتضن فى كل جيل كلمات غريبة تتسرب اليها لا تخضع لقواعدها ولا تستمد من اصولها .. من هنا بدات تظهر الارهاصات الاولى لنشوء لسان آخر ناشز عن اصول العربية حينا ومخارجها حينا آخر ، وبدا الاهتمام بالاعراب يضعف وانتشرت لوثة الاعجام تنقل العدوى من الهجناء الى السنة النبلاء من بني هاشم وبني امية . فسأل الحجاج رجلا كم عطاءك ؟ فقال الرجل الفين فقال الحجاج ويلك كم عطاؤك ؟ فقال الفان. فقال الحجاج : ولماذا لحنت اولا ؟.. فقال الرجل لحن الامير فلحنت فلما اعرب أعربت .. وقال رجل للقاضي مات ابانا وترك لنا بنون .. وسمع اعرابي فى السوق فارسيا يلحن الى جانبه فقال : سبحان الله يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح !

وهكذا كانت بداية اللحن وتفشيه انزلاقا وانحدارا الى العبث بجوهر اللفظ وتحريفه واستعماله احيانا فى غير ما وضع فيه ليدل عليه ، فنشطت حركة المعاجم وهب علماء اللغة بدافع الغيرة على لغة

القرآن يجمعونها وينقحونها فكانت جهودهم في ذلك حميدة مشكورة ..

ومع ان الجهود التي بذلت لتقويم الالسنة والحفاظ على اصالة العربية وقداستها ظلت متواصلة الا ان الفساد الذي استشرى في كيانها كان اقوى من ان تتحكم فيه قواعد مسطرة او ضوابط مقررة . وكان المولود الذي تمخضت عنه العربية في ظل هذه التيارات التي منيت بها هي هذه اللغة الدارجة التي فرضت نفسها فاصبحت لغة الحياة والعمل والمنزل ووسيلة التخاطب السهلة بين مختلف الطبقات

وبانقراض اجيال العربية الاولى وتمازج العرب باخلاط الشعوب التي فتحوها او جاوروها بدات تتسع الهوة بين الفصحى واللسان الدارج اتساعا تزايد مع اتساع الحضارة وتفتح آفاقها حتى تنكرت احداهما للاخرى وكادت تتبرا منها والشان في هذه اللغات الدارجة لا يكاد يختلف في المغرب او في غيره من بلدان العربية الاخرى الا اختلافا يرجع الى اعتبارات محلية او حضارية .. وابرز ظاهرة تبدو للباحث في اللسان المغربي الدارج هي ارتفاع نسبة الفصيح فيه واتفاق مخارجه التي تنم عن اصله وتدلك على عربيته ، وتختلف هذه النسبة نفسها بين اجزاء الوطن ففي الحاضرة تعيش كلمات عربية لا تحيا في البادية بينما تعيش في البادية كلمات لا مكان لها في الحاضرة ويتبع ذلك احيانا استنكاف الحضري من كلمات اخيه البدوي واستهجانه لخشونتها وحدة نبراتها نظير استخفاف البدوي بكلمات الحضري وتأففه من ليونتها .. امام ذلك كله لغة العلم والثقافة التي لا تحيا الا في الكتب والاوراق والتي يجهل ابناؤها ما تختزنه العامية من تراث لغوي لا تختزنه المعاجم التي يعتمدونها .

وقد وجدت نفسي من زمن بعيد شديد الانتباه الى كل كلمة تنفرج عنها شفة فلاح او عامل من عوام الشعب ولشد ما اندهش عندما ادرك ان كثيرا من كلماتهم الشعبية التي يتندر عليهم بها عربية صميمة حافظوا عليها واخلصوا لها اخلاصهم لتقاليدهم .. سمعت قرويا ذات يوم وهو يطرد كلبا من باب خيمته فيقول : خس خس وهي نفسها الكلمة العربية اخسا . وطلبت مني بائعة قروية قدمت الي وعاء من زبد ان اروزه بيدي وهي تقصد اختبار ثقله ووزنه ، وهي نفسها الكلمة العربية ، التي عرفتها في سينية البحتري :

لا ترزني مزاولا لاختباري
عند هذه البلوى فتنكر مسي

ومن ثم اخذت احصيد هذه الكلمات وامتحن عربيتها فاذا هي في متانة لغة الاصمعي وابن حيان ، وليس ينقص من قيمتها ان يضعها كتابنا بين القوسين استحياء من ايرادها واعتذارا عن استعمالها فليس ذلك الا جهلا منهم بعربيتها وترفعا منهم عن شعبيتها .. ومن الانصاف ان نرد لهذه الكلمات المغمورة اعتباراتها لتاخذ مكانها في ميادين الفكر والثقافة الى جنب اخواتها .

وان على الذين يقترحون استعمال العامية في المسرح ويتنبأون مستقبلا بحلولها محل الفصحى في الكتابة والتعبير ان يكلفوا انفسهم قليلا من البحث في العامية ليكتشفوا انها تختزن رصيدا مهجورا من الفصيح وان الرجوع الى العامية واستعمالها قد يكون معناه احياء ما دفنه الزمن في طياته من كلمات الفصحى التي يتضايقون منها فيصبح هروبهم من الفصحى في الوقت نفسه رجوعا وعودة اليها . ان الكلمة مهما كانت جنسيتها لا تبلى ولا تموت انها فقط تختفي حقبة من احقاب تاريخها لتظهر مرة اخرى في ثوبها او في زي جديد من ازيائها . انها تعاني نفس الصراع الذي يعانيه افراد الانسانية . يصرع القوي منها الضعيف ويغمر الجديد منها القديم . وما هجرته النخبة المثقفة وتحاشت استعماله فيما تكتب وما تنتج لن يكون حكما بالموت على هذه الكلمات. انها حية باقية تتوارثها الاجيال كما تورث التقاليد والعادات .

واحب ان انبه الى ان كثيرا من الكلمات في عاميتنا يحار الباحث في تحليلها وردها الى اصل عربي سليم من كثرة ما توارد عليها من تحريفات شوهت خلقتها وابعدتها عن منابعها الاولى فهل تستطيع ان تجد تفسيرا لمثل هذه الكلمات :

(بصاب) التي نستعملها للتمني والتي تعيش خاصة على السنة النساء . وكلمة (طاب طريق) التطوانية التي تستعمل في معنى السرعة والاستعجال. وكلمة (ويدا) التطوانية ايضا بمعنى لا ابالي . وكثيرات غيرها مما نفهم معناه ولا ندرك اسرار تركيبه ..

وقد آن الوقت لاضع بين يدي القاريء نماذج من هذه الكلمات التى نعتقد لحد الساعة سوقيتها وشعبيتها اسوقها تباعا غير ملتزم فيها ذكر المعاجم ولا الاستئناس بالشواهد وفى وسع من ارتاب فى شيء منها ان يبدا البحث بنفسه ليطمئن فليس اسهل على الانسان من ان يفتح كتاب لغة فى غير جهد ولا عناء ..

مزيـــان :

ليست هذه الكلمة بربرية كما يظن انها عربية صميمة يستعملها ساكن السهل والجبل عندنا فى استحسان الشيء ووصفه بالحسن فهو دائما يقول : عمل مزيان ومنزل مزيان اي حسن جميل وقد زيدت فى الكلمة الميم التى لا تجدها فى الاصل العربي وهو **زيان** اي حسن والزيادة او النقص ف الكلمة العامية هي السمة الاولى التى تبعدها عن اصلها العربي وتخالف بينها وبينه ..

الـــزردة :

وهي فى لسان قومنا المادبة والطعام يدعى اليه الناس وهو استعمال عربي وان جهله الناس فكلمة زرد او ازدرد معناها ابتلع وكلمة الزردة معناها عربية الاكلة وهذا ما يقصده بالضبط اخونا العامي الذي يقول (الزردة فى بغداد قريبة اذا توجد) وعليه فلا غضاضة اذا ما استعمل كتابنا يوما مثل هذا التعبير (دعانا فلان الى زردة بمناسبة شفائه) لان الزردة هي الاكلة ولا يعيبها الا انها شعبية !

نـــده :

يستعمل العامي هذه الكلمة فى زجر دابته وحثها على السير تسمعه دائما وهو يهيب بصاحبه : انده انده وهو لفظ عربي سليم ما يزال يحتفظ باشراقه لاتصاله القوي بحياة الانسان التى تعتمد فى الغالب على الدابة . وفى حديث ابن عمر : لو تعلق قاتل عمر باستار الكعبة ما ندهته اي زجرته ..

الملاغـــة !

يكاد هذا اللفظ يكون اكثر الالفاظ دورانا على السنة الشعبيين تسمعها اذنك فى كل مكان ومن كل انسان فتملغ معه كلمة يعني بها العامي انه مازحه وداعبه وهو باللفظ ما تحدده المعاجم تحديدا لا يختلف فى شيء عن المعنى العامي اذ تقول : مالغه بالكلام مازحه بكلام مخل بالادب وتملغ فى كلامه تساقه والملوغة الحمق والفحش فى الكلام ..

بالزعـــط :

عندما يتهدد الرجل الشعبي صاحبه او يعاتبه على شيء ، يجيب هذا الاخير فى غير مبالاة ولا اكتراث بالزعط اي فعلت ما فعلته بالزعط او آخذ ما آخذه منك بالزعط ولم يخطر ببالي يوما ان هذه الكلمة التى نتقزز منها ونشم رائحة البداءة هي كلمة عربية اختفت من القصيدة والكتاب وبقيت حية على السنة العوام فما هو هذا الزعط ؟ انه الضغط والخنق وهو ما يقصده الاستعمال العامي اي برغم انفه وبكل قوة وعنف .

شـــاف :

وكلمة شاف الشيء اي ابصره استعمال عامي كذلك يترفع عنه المثقف واهما انه غير عربي سليم ولكنه سيغير رايه عندما يتحقق انه عربي وان تحاماه وترفع عنه .. فقد استعملت الكلمة عربية فيما يلي : شاف النحاس صقله وجلاه ومنه المثل العربي : شوف النحاس يظهر النحاسا واشاف عليه اشرف واطل ، وتشوف من السطح نظر واليه تطلع . واشتاف اليه نظر . والصقل والتطلع والنظر كلها معان متقاربة تؤول الى كشف الشيء ورؤيته

بزمنـــه :

وهذه كلمة اخرى تلتقي عندها عامة الالسنة فى اوساطنا قريبة فى معناها من سابقتها : (بالزعط) انها كلمة البز او الابتزاز التى نعرفها جميعا والتى هي الاخذ قسرا واغتصابا ما يزال يحتفظ بها اللسان العامي كما يحتفظ بغيرها وهو كذلك يعني بها انها اخذ الشيء بغير ترض ولا استعطاف وانما هو غلاب وابتزاز ، حكى الكسائي : لن يأخذه ابدا بزة مني وقريب من هذا اللفظ البزبزى ..

العافيـــة :

ومن منا لا يعرف العافية فى حياته اليومية او يستعملها انها ليست الصحة والمعافاة من الامراض

ولكنها النار التي نعرفها اختار لها العامي عندنا افظع اوصافها واروع نعوتها انها عنده العافية التي تعفي وتدير كل شيء وهي من عفت الريح الديار محتها وطمست آثارها ..

المســـوس :

تستعمل هذه الكلمة في اللسان العامي مشددة السين للشراب الذي نقصت فيه مادة السكر او الطعام الذي قلت فيه الملح فهو مســوس ينقصه القدر الضروري ليكون مقبولا .. وهو كذلك في الاستعمال العربي الفصيح هو الماء بين العذب والملح، بفارق خفيف هو تخفيف السين وعدم تضعيفها . قال ذو الاصبع العدواني :

او كنت مــاء كنــت لا
عذب المــذاق ولا مسوســا

ملحا بعيد القعـــر قـــد
قلت حجارته الفــؤوسا

شلـــل :

يستعمل العامي عندنا هذه الكلمة استعمالين : في غسل اليد غسلا خفيفا حينما يقول : شلل يدك . وفي خياطة الثوب الاولى وهي بالطبع خياطة مبدئية خفيفة وهذا هو المعنى الفصيح للكلمة : شل الثوب يشله خاطه خياطة خفيفة .

خنـــز :

ومن الشائع استعمال العامي لهذه الكلمة في اللحم اذا انتــن وتغيــرت رائحتــه وهـي كذلـك فصيحة ومستقيمة غير محرفة عن اصلها العربـي ففي اللسان : خنز اللحم يخنز خنزا وخنوزا اذا انتن فهو خنز بكسر الوسط واسكانه وخناز كحزام المراة المنتنة . وفي الحديث لولا بنو اسرائيـل ما انتـن اللحم ولا خنز الطعام كانوا يرفعون طعامهم لغدهم .

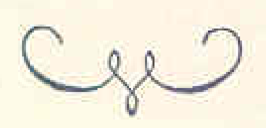
نقـــز :

والنقاز في لسان العامة : القفز والوثب وهو عربي سليم هجرته الاقلام كما هجرت غيــره مـن فصيح العربية فقد ورد معنى المادة هكذا : نقـز الظبي وثب صعدا فهو ناقز ونقـزت الصبـي امـه ارقصتــه ..

السبـــاط :

تنطلق هذه الكلمة في اللســان الــدارج عـلى الحذاء الافرنجي وتلتقي في المعنى مع كلمة (سباطو) الاسبانية . وهي في رايي اجتهاد لغوي وتصرف تفتق عند ذهن العامة فقد سمعوا بالسباطـة التي هـي الكناسة والازبال عربية . ولما كان الحذاء وقاية من هذه السباطات والكناسات صاغ له بحكم وظيفتـه لفظ السباط . وفي الحديث : ان رسول الله (ص) اتى سباطة قوم فبال فيها قائما ثم توضأ ومسح على خفيــه ..

تطوان ـ محمد الحلوي





- 4 -

في بغداد ـ ثانية

عاد ابن العربي الى بغداد ، ـ بعد ان ادى فريضة الحج ـ ليواصل نشاطه العلمي والسياسي ، وعلينا ان نقول كلمة في كلا الجانبين :

الجانب العلمي :

كانت المدة التي قضاها ابو بكر بالقدس في الدرس والتحصيل ، كافية لان تجعله في مستوى عال من الفهم والمعرفة ، والنضج الفكري ، وعلى استعداد تام ليخوض الجولة الاخيرة في هذا الميدان . « .. وكان من صنع الله الجميل بي ، توفيقه الى الاقامة بأرض الشام ، في بقعة مباركة ، وبين العلماء ، حتى صار ذلك درجا للقاء المحققين ، الذين ينتقدون ما حصلت ، ويفسرون ما اجملت ، ويوضحون ما ابهمت ، ويكملون ما نقصت ، وصار ما حصل عندي من تلك المقدمات ، استعدادات لقبول الحقائق فيها ، وتقييد الشارد من معانيها ، وصار ذلك كمن يدخل المعدن ، فيجمع النضار برغامه ، ويحمله الى دار السبك لتخليصه ..(1) »

شيوخه ببغداد

كان على ابن العربي ـ وهو الشاب الطموح ـ ان يتعرف على كبار علماء بغداد ، ومشايخها البارزين ، ويقتبس من علومهم ومعارفهم ، فهو رغم انه مالكي المذهب ، فقد تتلمذ لكثير من فقهاء الشافعية وبعض الحنابلة ، وقد ذكرت سابقا ، طائفة من الشيوخ الذين لقيهم ابن العربي ، اول دخوله الى بغداد ، او رافقهم الى الحج ، فسمع منهم هناك (2)

ومن اوائل اساتذته الذين طال اتصاله بهم ، وكان لذلك اثره في حياته ، ابو بكر محمد بن احمد بن الحسين بن عمر الشاشي ، رئيس الشافعية ، درس بالنظامية وسواها من مدارس بغداد ، وكان يلقب بالجنيد لدينه وورعه ، وعلمه وزهده ، (ت 507 هـ) (3) .

ومن تواضعه ـ رحمه الله ـ انه كان كثيرا ما ينشد في مجالسه :

خلت الديار فسدت غير مسود
ومن العناء تفردي بالسؤدد

---

(1) انظر قانون التاويل ، (143 ـ 1) .
(2) انظر القسم الثالث من هذا البحث .
(3) انظر وفيات الاعيان 3 / 356 ، وطبقات السبكي 4 / 57 ـ 61 ، وشذرات الذهب 4 / 16 ـ 17 ، والنجوم الزاهرة 5 / 206 .

ويضع المنديل على عينيه ويبكي ! (4) كان عالما منتجا ، ومؤلفا مثمرا ، الف باسم المستظهر كتابه «حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء»، والعمدة، وهو كالشرح له ، وسواهما ، من المؤلفات المعتمدة في المذهب الشافعي ، والشاشي من الفقهاء القلائل ، الذين طبقوا المنهج العلمي في دراستهم للمذاهب الفقهية ، دون تحيز او تعصب ، « .. سمعته وهو ينتصر لمذهب ابي حنيفة في مجلس النظر ، يقول : يقال في اللغة العربية : لا تقرب كذا ــ بفتح الراء ــ اي لا تتلبس بالفعل ، واذا كان بضم الراء ، كان معناه لا تدن من الموضع.. » (5)

وابن العربي معجب كل الاعجاب باستاذه الشاشي، يراه فوق كل الشيوخ ، ويلمحه بدرا ساطعا ، وشهابا ثاقبا ، يضيء كل جوانب المعرفة ، وينفذ الى الاعماق : « .. واختصصت بفخر الاسلام ابي بكر الشاشي ، فقيه الوقت وامامه ، وطلعت لي شمس المعارف ، فقلت : الله أكبر ، هذا هو المطلوب الذي كنت احمد ، والوقت الذي كنت ارقب وارصد ! فدرست وقيدت ، و (شفيت) وارتويت ، وسمعت ووعيت .. » (6)

وكان الفتى ذا ميل طبيعي الى النقد والبحث، والفحص والتمحيص ، ينتقد كل شيء ، ويرفض ــ بكل قوة ــ ما لا يقبله عقله، او لا يستسيغه ذوقه، ولو كان صادرا ممن كان ! وكان الشيخ يعرف ذلك من تلميذه ، فيفسح له المجال : يلمح له الى الحقيقة، ويرشده ان اخطا الدليل او اغفله ، « .. كنت ارى بمدينة السلام يوم الجمعة ، كل احد يحضر بحصيره ونمرته، فيفرشها في جامع الخليفة، فاذا دخل الناس الى الصلاة تحاموها ، حتى يأتي صاحبها فيصلي عليها ، فانكرت ذلك ، وقلت لشيخنا فخر الاسلام ابي بكر الشاشي : او يوطن احد المسجد وطنا ، او يتخذ منه مسكنا ؟ قال : لا ، ولكن اذا وضع احد مصلاه ، كان أحق بذلك الموضع، لقول النبي (ص) « منى مناخ من سبق » (7) .

اتصالـــه بالغزالـــي

ومن الشيوخ الذين يعتز ابن العربي بهم ، ويفاخر ــ شامخا انفه بالاخذ عنهم ــ أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ (8) ، وكان لقاؤه له برباط ابي سعيد بمدينة السلام ، في جمادى الآخرة ، سنة (490 هـ) ، بعد عودته من السياحة التي انعزل فيها عن عالم الناس ، وتجرد للتفكير والعبادة : « .. فاوضت أبا حامد الغزالي حين لقائي له بمدينة السلام ، في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين واربعمائة ، وكان قد راض نفسه بالطريقة الصوفية، من وقت تجرد الغزالي ، من سنة (9) ست وثمانين واربعمائة (486 هـ) الى ذلك الوقت ، نحوا من خمسة اعوام (10) ، وتجرد لها ، واصطحب مع العزلة ، ونبذ كل فرقة .. » (11).

ولا يخفي ابن العربي فرحه بهذا اللقاء ، وابتهاجه بهذه الامنية التي طالما اشتاق اليها ، ولندعه يحدثنا باسلوبه الخاص ، وهو ينم عن شعور عميق . واحساس بعيد ، وهو امر لا تسعه الا دنيا الخيال : « .. حتى ورد علينا دانشمند (12) ، برباط ابي سعيد ، بازاء المدرسة النظامية ، معرضا عن الدنيا ، مقبلا على الله تعالى ، فمشينا اليه ،

---

(4) انظر وفيات الاعيان 3 / 356 .
(5) النفح 2 / 36 ــ تحقيق احسان عباس .
(6) قانون التأويل ، (143 ــ أ)
(7) انظر العارضة ، 4 / 111 ــ 112 .
(8) انظر ترجمته في وفيات الاعيان ، 3 / 353 ، وطبقات السبكي ، 4 / 101 ، وشذرات الذهب 4 / 10 ، والوافي بالوفيات 1 / 277 ، ومفتاح السعادة 2 / 191 .
(9) وهو ما في النسخ المصححة في كتاب «المنقذ من الضلال» للغزالي، وفي بعض النسخ: سنة (488)ــ وعليه اقتصر صاحب وفيات الاعيان ، وتبعه على ذلك كثير من القدامى والمحدثين .
(10) وهذا لا ينافي ما ذكره الغزالي في كتابه « المنقذ من الضلال » ــ ص 72 ــ من انه « واظب على العزلة والخلوة قريبا من عشر سنين ..» لان ذلك باعتبار مجموع المدة التي عاشها الغزالي في عزلته ، وابن العربي انما لقيه اثناء ذلك ، كما هو صريح كلامه .
(11) انظر العواصم من القواصم 1 / 20 ــ طبع عبد الحميد البادسي بالجزائر .
(12) دانشمند : الحكيم العلامة ، او العارف ويعني به الغزالي .

وعرضنا امنيتنا عليه ، وقلت له : انت ضالتنا التى كنا ننشد ، وامامنا الذى به نسترشد ، فلقينا لقاء المعرفة ، وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة .. فانه كان رجلا ، اذا عاينته ، رايت حالا ظاهرا ، واذا عاملته وجدت بحرا زاخرا ، وكلما اختبرت ، احتبرت ، فقصدت رباطه ، ولزمت بساطه ، واغتنمت خلوته ونشاطه ، وكانما فرغ لي ، لابلغ منه امني ، وابلح مكانه ، فكتب لي لقاه ، فى الصباح والمساء ، والظهيرة والعشاء ، كان فى بزته او بذلته ، وانا مستقل فى السؤال ، عالم حيث تؤكل كتف الاستدلال ، والقيته حفيا فى التعليم ، وفيا بعهدة التكريم ..» (13)

وقد فتح ابو حامد صدره لهذا الفتى الغريب ، وخصه — دون من سواه — بالتكريم والتقريب ، وكشف له عن آفاق ، لم يكن تعلق بحلم بها ، وباح اليه بسره المكنون ، وكانه توسم فيه انه من السالكين المهتدين . « .. فلما طلع لي ذلك النور ، وتجلى ما كان تشاني من الديجور ، — قلت : هذا مطلوبي حقا ، هذا بامانة الله منتهى السالكين ، وغاية الطالبين .. » (14)

ظل الفتى الى جانب شيخه ، يغترف من بحره ، ويقتبس من انواره ، ويتردد اليه فى خلواته وجلواته ، نحو عامين كاملين ، فسمع عليه كتبه ، واستكشف عقيدته ومذهبه : « .. قرات عليه جماعة من كتبه ، وسمعت كتابه الذى سماه «الاحياء لعلوم الدين» فسالته سؤال المسترشد عن عقيدته، المستكشف عن طريقته : لاقف من سر تلك الرموز التي اوما اليها فى كتبه ، على موقف تام المعرفة ، وطفق يجاوبني مجاوبة الناهج لطريق التسديد للمريد ، فقال لي من لفظه ، وكتب لي بخطه ..» (15)

ولم يكتف ابو بكر بما كان يتلقيه فى مجلس شيخه من سؤال ، وما يدور من حوله ، بل حرر مجموعة اسئلة ، كانت تختلج فى صدره ، وتجيش بها نفسه ، مما تحدث عنه الفلاسفة المتكلمون ، ولم يشفوا فيها القليل ، فقدمها الى استاذه يستجليه حقيقتها ، ويستكشف وجه الصوب فيها ، وكان من بين هذه الاسئلة :

هل الروح أجزاء نورانية بعدد المخلوقات ، او جوهر روحاني ، يلقي الى كل جسد من شعاعه ، كما تلقيه الشمس الى من لم يحجب عنها ؟..

ويجيبه الشيخ بفيض من العلم ، ولكنه يوصيه — بادىء ذي بدء — :

1 — ان لا يطمع فى الاجابة عن كل ما يعترض فى نفسه ، لان ذلك طمع فى غير مطمع ، وان يتلو قوله تعالى : « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

2 — ان لا يكذب برهان العقل ، فان العقل لا يكذب ، اذ به عرفنا الشرع .

3 — ان يكف من تعيين التاويل حين تعرض الاحتمال ، فان الحكم على مراد الله ومراد رسوله (ص) — بالظن والتخمين — خطر .. » (16)

ورغم أن ابن العربي ، معتز باستاذه الغزالي ، كامام من ائمة الاسلام ، وكفحل من فحول الفلاسفة، فقد رد عليه كثيرا من آرائه ، وانتقد طائفة من كتبه : « .. يعلم الله ، وتشهد لي كتبي ومسائلي وكلامي مع الفرق ، باني جد بصير باغراض القوم ومقاصدهم ، فان معلمي كان فحلا من فحولهم ، عظيما من عظمائهم .. وتالله ، اني كنت محتشما له، غير راض عنه ، وقد رددت عليه فيما امكن ، واحتشمت جانبه فيما تيسر .. » (17)

وكان مما رده عليه قوله — فى الروح — : « انها عبارة عن بخار لطيف ، انضجته حرارة القلب، تنبعث منه الى سائر الاطراف بواسطة الشرايين ، فتنتهي الى الدماغ ورطوبته .. » (18) . فالروح — بهذا المعنى — غير النفس . يقول ابن العربي : « .. ولقد عجبت من حكاية الطوسي ، ولقد تاملته، وقد فارقته ، تامل الراغب له ، المجتهد فى بيانه ،

---

(13) قانون التاويل (143 — أ)

(14) قانون التاويل ، (142 — 143)

(15) العواصم من القواصم ، 1 / 20 .

(16) يوجد بالخزانة العامة بالرباط ، مخطوطة صغيرة فى 17 ورقة ، جاء فى اولها : « هذه اجوبة اسئلة ابن العربي ، اذ سال شيخه الامام حجة الاسلام ابا حامد الغزالي » .

(17) قانون التاويل (165)

(18) انظر مخطوطة الرباط.

فما وجدت له في الثبوت قدما ، ولا استمر على التحقيق القاصد امما ..» (19)

وانتقد عليه قولته المشهورة : « ليس في الامكان ، ابدع مما كان » ، قال قال شيخنا ابو حامد قولا عظيما ، انتقده عليه اهل العراق ، وهو بشهادة الله ـ موضع انتقاد . قال : ليس في القدرة ابدع من هذا العالم في الاتقان والحكمة ، ولو كان في القدرة ابدع منه وادخره ، لكان ذلك منافيا للجود .. وزاد بقول : ونحن وان كنا قطرة من بحره ، فانا لا نرد عليه الا بقوله .. فسبحان من اكمل لشيخنا هذا فواضل الخلائق ، ثم صرف به عن هذه الواضحة في الطرائق .. » (20)

ويذكر ابن العربي ، ان شيخه الغزالي ، اشار عليه ذات مرة ، بالاعراض عن بعض مؤلفاته ، ولكن فضول الشباب ، ـ واحب شيء ما منع ـ دفعه الى الاطلاع عليها ، والنظر فيها ، « .. ثم نظرت في كتاب «معيار العلوم» فاستحسنته . وجئت اليه وعنى كمي كراسة منه ، فقال لي ما معك ؟ فاستحييت ، ودفعته اليه ، فقراه مليا ، وانا اسارقه النظر ، واربض عرقا ، ثم دفعه الي وقال : « كتاب حسن » ، ولكن لا تغتر بمخالفتنا فيه .. » (21) .

وقد تحققت فراسة الشيخ ، فسرعان ما تغير راي تلميذه في هذا الكتاب ، وانقلب استحسانه ذما ، وهاجمه مهاجمة عنيفة ، وقال فيه : « انه ادخل فيه اغراضا صوفية ، فيها غلو وافراط ، وتطاول على الشرع وانبساط ..» (22)

وابن العربي عاش مع استاذه : كتلميذ ومريد في آن واحد ، ويحدثنا في هذا الصدد فيذكر انه سال شيخه عن اسم الله الاعظم ؟ وما اكثر ما كان المريدون يرددون هذا السؤال ؟! فكان جواب الشيخ: انه قولك : الله لا اله الا هو الحي القيوم ، قال ابو بكر : ولو كان هذا صحيحا ، لكانت سورة البقرة ، اعظم سورة في القرآن ، لان ذلك فيها ، ولشركتها آل عمران في ذلك ، ولتقدمتا على فاتحة الكتاب ، ولكن لما تقدمت فاتحة الكتاب، دل ذلك على ضعف هذا الكلام ، قال : وانما عول ابو حامد على حديث ينسب الى النبي (ص) انه قال : اسم الله الاعظم في آية الكرسي ، ولم يصح ، بل هو موضوع..» (23) .
هذا ، وتذكر بعض الروايات ، ان ابن العربي لقي الغزالي مرة اخرى بصحاري الشام ، وبيده عكازة ، وعليه مرقعة ، وعلى عاتقه ركوة ، فسلم عليه، وقال له : يا امام : اليس تدريس العلم ببغداد ، خيرا من هذا ؟! قال فنظر الي شزرا ، وقال : لما طلع بدر السعادة في فلك الارادة ، وجنحت شمس الوصول، الى مغارب الاصول :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل
وعدت الى تصحيح اول منزل

ونادت بي الاشواق مهلا فهذه
منازل من تهوى رويدك فانزل

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد
لغزلي نساجا ، فكسرت مغزلي (24)

ولا ندري مدى صحة هذه الرواية ، وآثار الصنعة بادية عليها ؟! اما من حيث الزمان فيجوز ذلك ، وقد مر ابن العربي ببادية الشام ، في طريقه الى الاسكندرية ، اواخر سنة (491 هـ) (25) ، ولكن لا ندري هل كان الغزالي وقتئذ ، لا يزال في

---

(19) قانون التاويل، (152)
(20) انظر مقدمة الاستاذ الامام محمد الخضر حسين ، شيخ الازهر ، لاحدى طبعات الاحياء .
(21) قانون التاويل ، (179) .
(22) العواصم من القواصم 1 / 84
(23) انظر العارضة ، 13 / 34 .
(24) وقد اوردها محب الدين الخطيب في مقدمة العواصم ، ص 20 ، والشيال في كتابه عن الطرطوشي ، ص 30 ـ كرواية مسلمة لا شبهة فيها ، واستبعد الدكتور حسين مؤنس ، لقاء ابن العربي للغزالي ببادية الشام ، ولا ندري ما وجه استبعاده ، ما دام يقول بان الغزالي عاد مرة اخرى الى الشام ، وخرج سائحا الى بيت المقدس ..! انظر صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، م 11 ـ 12 ، ص 120 وما بعدها .
(25) انظر النفح 2 / 28 . والاحكام 2 / 56 ، وفهرسة ابن خير ، ص 418 .

سردابه برباط ابي سعيد (26) بدار السلام، وهو فى شبه عزلة ، ام عاد الى سياحته الشاقة ، لتصحيح اول منزل ـ كما يقول ؟! ـ

وممن تتلمذ لهم ابن العربي ـ وهم الصفوة المختارة من ائمة هذا العصر ـ ابو القاسم اسماعيل ابن عبد الملك الحاكمي الطوسي ، من تلاميذ امام الحرمين ، رافق الغزالي فى رحلاته الى العراق والشام ، وكان شريكا له فى الدرس ، وكان الغزالي يكرمه غاية الاكرام ، ويقدمه على نفسه، (ت 529 هـ) (27) . ويذكره ابن العربي بدانشمند الاكبر (28) فرقا بينه وبين الغزالي دانشمند الاصغر ، اورده فى كتابه « اعيان الاعيان » ، وقال فى حقه : شيخ الشيوخ ، وصاحب اللباب فى العلم والرسوخ ..» (29) .

وابو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، المعروف بابن الطيوري ، المحدث الصحيح الاصول ، الواسع العلم ، (ت 500 هـ) (30) ، سمع عليه بالكرخ (31) ، ويفضله ابن العربي على من سواه ، فى ضبط الرواية ، وسعة الافق : « .. الا اني رايت ابا الحسين ، احلى فى القلب ، واعلى فى العين ..» (32)

وابو بكر محمد بن طرخان ، التركي البغدادي ، العالم المحدث ، الزاهد الورع ، سمع عليه بمنزله ببغداد ، وكان مستجاب الدعاء ، (ت 513 هـ) (33)

وابو زكرياء يحيى بن علي التبريزي ، شيخ بغداد فى الادب ، سمع عليه كثيرا ، وقرا عليه جل مؤلفاته . (ت 502 هـ) (34) .

والعلامة المسند ، ابو الحسين احمد بن عبد القادر بن محمد اليوسفي ، من الثقات جليل القدر، روى عن ابن شاذان وطبقته ، (ت 492 هـ) (35)
والحافظ ابو محمد جعفر بن احمد بن السراج الحنبلي ، مقرىء بغداد ، عالم أديب ، وشاعر متفنن ، من اشهر مؤلفاته « مصارع العشاق » (ت 500 هـ) (36).

والشيخ الراوية ابو طاهر عبد الرحمن بن احمد بن عبد القادر بن يوسف البغدادي ، راوي سنن الدارقطني ، وكان رئيسا ، من كبار المحدثين . (ت 511 هـ) (37) .

والحافظ ابو عامر محمد بن سعدون الميورقي، استوطن بغداد ، وكان ظاهري المذهب ، (ت 524 هـ) (38) . قال ابن العربي : « وهو انبل من لقيت » (39) .

والشيخ الورع الزاهد ، ابو الحسين محمد ابن ابي يعلى بن الفراء الحنبلي ، من اسرة عريقة فى

---

(26) انظر العارضة 8 / 27 ـ 28 .
(27) الطبقات ، 4 / 204
(28) انظر العارضة 12 / 226
(29) قانون التأويل ، (143 ـ ب)
(30) انظر المنتظم لابن الجوزي 9 /154 ، وابن حجر لسان الميزان ، 5 / 9 .
(31) انظر العارضة 3 / 243 ، وفهرسة ابي خير، ص 490 ، و 160
(32) العارضة ، 1 / 7 .
(33) طبقات السبكي ، 4 / 70 ، وشذرات الذهب 4 / 14 ، وانظر العارضة 3 / 285 ، و 8 / 124. وفهرسة ابن خير ص 69 ، و 162 ، و 341،و374 ، و 414 .
(34) وفيات الاعيان 5 / 238 ، ومفتاح السعادة 1 / 175 ، وبغية الوعاة ص 413 . وانظر الاحكام 2 / 188 ، وفهرسة ابن خير ص 441 و ص416 .
(35) تذكرة الحفاظ 4 / 1230 ، وشذرات الذهب3 / 397 . وانظر العارضة 13 / 137 وفهرسة ابن خير ص 276 ، وص 284 .
(36) وفيات الاعيان 1 / 309، والنجوم الزاهرة5 / 193 ، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب 1 / 1293 ، وبغية الوعاة ص 211 . وانظر فهرسة ابن خير ص 60 ، و 186 و 226 .
(37) النجوم الزاهرة 5 / 214 ، وشذرات الذهب 4 / 31 . وانظر العارضة 1 / 7 ، وفهرسة ابن خير ص 117
(38) انظر الذهبي العبر 4 / 70 ، والصلة ص 534 ، والنفح 2 / 138
(39) قانون التأويل (142 ـ أ)

العلم والفضل ، وكان بارعا في معرفة المذهب والاصول والخلاف . (ت 527 هـ) (40)

في شيوخ آخرين .

ومن اساتذته الزائرين :

القاضي ابو المطهر الاصبهاني ، لقيه حين وفد على بغداد حاجا سنة (490 هـ) ، وسمع عليه حديث أم زرع بزيادات ، قد لا توجد عند غيره (41) .

ولم يقتصر ابن العربي في سماعه على عاصمة الخلافة بغداد ، بل تجول في انحاء العراق ، فزار البصرة والكوفة ، والكرخ ، والموصل ، وسواها ، وسمع على كثيرين .

وقد ضمنهم فهرسة شيوخه (42) ، وذكر الافراد في كتابه « اعيان الاعيان » (43) وخص معجمه الصغير (44) بواحد واربعين شيخا ، خرج لكل واحد منهم حديثا .

وكان الى ذلك ، يتردد على المجالس العلمية العامة ، التي تعقد في دور الوزراء وعلية القوم (45) ، ويشارك في محاضراتها ومناظراتها .. « .. كنت بمجلس الوزير العادل ابن جهير (46) ، فقرا القارىء « تحيتهم يوم يلقونه سلام » ، وكنت في الصف الثاني من الحلقة بظهر ابي الوفاء علي بن عقيل (ت 513) (47) امام الحنابلة بمدينة السلام ، وكان معتزلي الاصول ، فلما سمعت الآية ، قلت لصاحب لي كان يجلس على يساري : هذه الآية دليل على رؤية الله في الآخرة : فان العرب لا تقول : لقيت فلانا الا اذا رآه ، فصرف وجهه ابو الوفاء مسرعا الينا ، وقال ينتصر لمذهب الاعتزال ، في ان الله تعالى لا يرى في الآخرة : فقد قال الله تعالى : « فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه » (48) ، وعندك ان المنافقين يرون الله تعالى في الآخرة .. » (49) .

قـراء بغـداد :

ولا ينسى ابن العربي ، ان يذكر اتصاله بقراء بغداد ، وتأثره بقراءتهم وحسن تلاوتهم : « .. وسمعت بمدينة السلام ، شيخ القراء البصريين يقرا بدار الخلافة هذه الآية : « والسماء ذات البروج » وكأني ما سمعتها قط ، حتى اذا بلغ الى قوله تعالى : « فعال لما يريد » ارتجت له جوانب القصر ، وكأن الابواب قد سقطت .! وزاد يقول : والقلوب تخشع الصوت الحسن ، كما تخضع للوجه الحسن ، وما تتأثر به القلوب في التقوى ، فهو اعظم في الاجر ، واقرب الى لين القلوب وذهاب القسوة .. »

مـن ورع العلمـاء :

ويذكر ابن العربي ان من اشياخه ، من ارتقى في مقام الزهد والورع ، الى مرتبة سامية ، « .. فما ادخر قط شيئا لغد ، ولا نظر بمؤخر عينه الى احد ، ولا ربد على الدنيا بيده ..» (50) ومن ورعهم ، انهم كانوا اذا سمعوا الخطيب يوم الجمعة ، يدعو لاهل الدنيا ، قاموا فصلوا ، وربما تكلموا في مسائل من العلم ، ولا يصغون اليه ، لانه ــ في نظرهم ــ لغو لاسيما وبعض الخطباء يكذبون ،

(40) النجوم الزاهرة 5 / 251 ، شذرات الذهب 4 / 82 . وانظر العارضة 4 / 242 وفهرسة ابن خير ص 164 .
(41) قانون التاويل (142 ــ ا) ، وانظر العارضة 3 / 273 .
(42) انظر فهرسة ابن خير ، ص 437 ، وذكر انه قراه على مؤلفه .
(43) انظر قانون التاويل (142 ــ ا)
(44) انظر فهرسة ابن خير ص 166 قال قراته على شيخنا ابن العربي .
(45) ويذكر ابن العربي انه كان يحضر مجلس قاضي القضاة ابي الحسن الدينائي ، بجامع المنصور بمدينة السلام ، انظر العارضة 5 / 266 .
(46) كان لابن العربي عند هذا الوزير رتبة ، على ما سنذكره بعد .
(47) انظر ترجمته في ذيل ابن رجب على طبقات الحنابلة 1 / 142 ــ 163
(48) قال ابن العربي : وقد شرحنا وجه الآية في كتاب (المشكلين) ، انظر النفح 2 / 40
(49) انظر النفح 2 / 39 .
(50) انظر الاحكام 2 / 38

فالاشتغال عنهم واجب ، والاعراض في مثل هذه المواقف ضروري اكيد .. » (51) .

وكان الشيخ الواعظ الصوفي ابو عطاء ، يقول لتلاميذه بمدينة السلام – وهو يعلمهم حكمة العلم – « ان الكلب المعلم ، يقل في السلاسل ، ليعمل بمقتضى عامه ، والكلب الجاهل ، يترك وشهواته . ولن ينال ذلك الا بالصبر ..» (52)

خنثى من المغرب :

ومن غرائب ما يذكره ابن العربي في حديثه عن الحركة الفكرية ببغداد ، واتصال المغرب بالشرق – انه شاهد خنثى من بلاد المغرب ، تدرس على الامام الغزالي ، لها لحية وثديان ، وعندها جارية .. قال: « .. ومع طول الصحبة ، عقلني الحياء ، عن سؤاله، وبودي اليوم ، أن لو كاشفته عن حاله ..» (53)

حدثني أبي عن أبيه :

وفي صدد حديثه عن شغف القوم بالرواية ، وتفننهم في اساليب الاسانيد – يذكر من صيغ التحديث – قولهم : حدثني أبي عن ابيه ، الى رسول الله (ص) . قال مالك في تفسير قوله تعالى : « وانه لذكر لك ولقومك » – قول الرجل حدثني ابي عن ابيه .. قال ابن العربي : ولم اجد هذه الرتبة الا عند بني التميمي ببغداد ، فانهم يقولون : حدثني ابي عن ابيه الى رسول الله (ص) ، وبذلك شرفت اقدارهم ، وعظم الناس شأنهم ، وتهممت الخلافة بهم (54) .. »

منهج الدراسة :

وبالرجوع الى ما اوردناه من اخبار اولئك الشيوخ ، نعرف انهم اساتذة المنهج النقلي ، وهو دعامة ما درسه ابن العربي من علوم وفنون ، ويمكن تلخيصه في طريقتين :

1 – التلقي من فم الشيخ

2 – كتابة ما ينسب للشيخ من علم في كتاب اولا .. ثم قراءة الكتاب على الشيخ وهو يسمع ، وقد يختصر ذلك بأن يجيز الشيخ الطالب في ان يروى ما في كتاب الشيخ دون أن يقرأ عليه ..

ولا غرو ان يجمع ابن العربي ، بين الطريقتين ، ويغترف بكلتا اليدين ، فهو قد سمع كثيرا ، ودون كثيراً .. وحمل اجازات علمية من أساتذة كبار ، وفيها تقدير لعلمه وكفاءته ، وسنعرض لذلك بشيء من التفصيل في مناسبة اخرى .

اما المواد التي درسها ، والكتب التي قراها ، فيطول بنا القول لو اردنا ان نتحدث عنها ، وقد اورد ابن خير فقط في فهرسته ، أزيد من مائة كتاب ، ما بين تفسير وحديث ، وفقه واصول ولغة وادب ، وتاريخ وسير ، وفلسفة وتصوف .. قراها او سمعها كلها بجامعة بغداد ، دون ما سمعه في غيرها من المراكز العلمية في الشرق والغرب الاسلاميين ، وقد نعرض لها في موضع آخر من هذا البحث .

ونكتفي – هنا – بهذه الكلمة التي اوردها في مقدمة كتابه (قانون التاويل) وهي تمس فقط جانبا من جوانب التشريع الاسلامي ، فيقول : « .. قرات من كتب التفسير كثيرا ، ووعيت من حديث الرسول عيونا، كتفسير الثعلبي (55) ونسخه الطرطوشي فزاد فيه ونقص، فجاء تاليفا له (56)، وكتاب الماوردي (57)

---

(51) العارضة 8 / 302

(52) الاحكام 2 / 218 .

(53) العارضة 8 / 178

(54) الاحكام 2 / 222

(55) يعني « الكشف والبيان ، في تفسير القرآن » لابي اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي (ت 427 هـ) ، وهو الذي لخصه ابو بكر الطرطوشي ، انظر الرسالة المستطرفة ص 78 . وفي بعض النسخ من قانون التاويل (الثعالبي) وهو تصحيف .

(56) انظر فهرسة ابن خير ص 59 .

(57) « العيون والنكت » – في تفسير القرآن – لابي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت 450 هـ) انظر طبقات السبكي 3 / 303

ومختصر الطبري (58) ، وكتاب ابن فورك (59)، وهو اقلها حجما ، واكثرها علما ، وابدعها تحقيقا ، وهو ملامح (60) كتاب (المختـزن) ، الذي جمعـه في التفسير الشيخ ابو الحسـن (61) في خمسمائـة مجلد (62) ، وكتاب النقاش (63) ، وفيه حشـو كبير (64)، ومن كتب المخالفين كثيرا ، ومن المسانيد جما غفيرا . واكثر ما قرات للمخالفيـن ، كتـاب عبد الجبار الهمداني (65) ، الذي سماه بـ (المحيط) مائة سفر ، وكتاب الرماني (66) عشر مجلـدات ، وفاوضت فيه علماء المخالفين والمؤالفيـن ، واهـل السنة والمبتدعين ، فاستفدت من أهـل السنـة ، وجادلت ـ بالتي هي احسن ـ اهل البدعة .

واقنيـت عظيمـا من الزمـان ، فـي طريقـة الصوفيين، ولقيت رجالاتهم من تلك البلاد اجمعين .

وما كنت اسـمع بأحد يشار اليه بالاصابع، أو تثنى عليه الخناصر ، او تصيخ الى ذكره الآذان، او ترفع الى منظرته الاحداق ، الا رحلت اليه قصيا ، او دخلت اليه قريا .. » (67) .

وكان يقول : كنت احفظ بالعراق ، في كل يوم سبع عشرة ورقة .. وعندي مسائل الفية ، درست في كل يوم مسالـة الـف مـرة ، بعـد ان حفظتها .. » (68) .

واذا كان ابن العربي قد انهى مهمته العلميـة او كاد ، ووفق فيها التوفيق كله ، فهنـاك مهمة اخرى تنتظره ، ولا ندري مدى حظه منها ..؟

وليكن ذلك موضوع حديثنا القادم بحول الله.

تطوان ـ سعيد اعراب

---

(58) « جامع البيان في تفسير القرآن » لابي جعفرمحمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ) . انظر تذكرة الحفاظ ، 2 / 351 .

(59) هو ابو عبد الله محمد بن الحسن بن فورك (ت406 هـ) . بلغت تصانيفه في اصول الفقه ، واصول الدين ، ومعاني القرآن ، نحوا من المائة . انظر طبقات السبكي 3 / 52 ـ 56 .

(60) ملامح : مشابه .

(61) يعني به ابا الحسن الاشعري (ت 324 هـ) ، انظر في ترجمته طبقات الشافعية 2 / 245

(62) وذكر المقريزي أن هذا التفسير في سبعين مجلدا ، انظر الخطط 2 / 359 .

(63) هو ابو بكر محمد بن الحسن النقاش (ت 351هـ) ، ويحمل تفسيره عنوان « شفاء الصدور » انظر الرسالة المستطرفة ص 77 .

(64) بل فيه موضوعات ومناكير ، انظر الرسـالـة المستطرفة ص 48 .

(65) هو ابو الحسين عبد الجبار بن احمد الهمداني، شيخ المعتزلة ، انظر طبقات السبكي 3 / 219 .

(66) هو ابو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت 484 هـ) انظر وفيات الاعيـان 1 / 133 ، ومفتـاح السعادة 1 / 142 .

(67) قانون التأويل (144 آ)

(68) بغية الملتمس ص 83 .



علي باي العباسي بالمغرب

للأستاذ عبد القادر الخلادي

ولد ببرشلونة ، واسمه الحقيقي : باديا كاستيو لبليش (Badia Castillo y Lebtich) فهو اذن اسباني المولد والجنسية .

لا يعرف عن نشأته وتكوينه الا انه كان من طلبة جامعة بلنسية (Valencia) وانه كان ذا المام صالح بعلوم الرياضيات والفيزياء والفلك والطبيعيات . كما كان يتكلم ، بالاضافة الى الاسبانية ، عدة لغات كالفرنسية والايطالية والانجليزية وحتى اللغة العربية التى تعلمها بمدريد .

بلغ باديا سن الرجولة فى اوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، وكانت اذ ذاك الدول الغربية ، ومنها انجلترا وهولاندا واسبانيا وفرنسا ، تسعى سعيا حثيثا فى ضبط الوسائل التى تتيح لها تثبيت اقدامها فى المناطق الشرقية والافريقية لترويج تجارتها ، وتنمية مواردها وفتح مجالات العمل لرجالها ، فاشتاقت نفسه للاسفار ، وتاقت للمغامرات ، فاقترح على حكومته ان يقوم برحلة اكتشافية علمية ، وسياسية ، خلال الاصقاع الافريقية ، وبوجه خاص ، فى المغرب الاقصى .

وقف بجانبه السيد كودوي الفارس دي فاريا (Godoy Alfarez de Faria) وزير الملك شارل الرابع ، فزوده بما يتوقف عليه من مال وادوات لينجز مشروعه . وكان من الاهداف التى وكل اليه تحقيقها ، الاتصال بعاهل المغرب ، مولاي سليمان ، ليلتمس منه أن يجعل تحت نفوذ اسبانيا ، مرسيين من المراسي المغربية التى على المحيط الاطلسي ، وان يمنحها امتيازات تجارية خاصة مقابل وعد دولته بمساندته للقضاء على خصومه والمنشقين عنه .

واوعز لباديا ، من جهة اخرى ، ان يحاول ، فى حالة ما اذا لم يجد « تفهما » لدى مولاي سليمان ، التقرب من « انشط المنافسين له ليعرض عليه مساعدة اسبانيا ، ويحكم معه خطة الاستيلاء على العرش ، والقبض على مقاليد الحكم » .

بدا « باديا » يضرب اخماسا فى اسداس لاعداد الوسائل التى تمكنه من النجاح فى المهمة الخطيرة المنوطة به ، فقر رايه على ان يغير « هويته » وعلى ان يسمي نفسه « علي باي العباسي » منتسبا الى شخص «من مواليدمخليته الخصبة»، عثمان باي التاجر الحلبي الشهير ، وسليل خلفاء الدولة العباسية ، وادعى ان اباه هو الذى ارسله من حلب الى اسبانيا لينهل من المعارف الاوربية ما يعود بالنفع على مواطنيه وابناء ملته ، وهكذا اتخذ لنفسه ناموسا توهم « عباسيته » النسب الشريف ، وتبرر « حلبيته » عدم تمكنه من الطلاقة فى التكلم باللهجة المغربية العامية .

قصد باديء ذي بدء لندن ليوسع آفاق ثقافته وينمي معلوماته اللغوية ، وهناك اخذ يرتدي الملابس



علــي باى العباســي

العربية بعد ان اختتن واعفى لحيته ؛ ثم انتقل الى باريز حيث بدا يتردد على وزارة العلاقات الخارجية، ومعهد الابحاث العلمية ، فتقدم لبعض المسؤولين بالاسم الذى اختاره لنفسه واعرب لهم عن عزمه على القيام برحلة استكشافية فى المغرب وعن استعداده لافادتهم بما يتوقفون عليه من « معلومات » عن ذلك القطر ؛ من غير ان يطلعهم ، بطبيعة الحال ، على المهمة السرية التى كلفته حكومته بانجازها هناك .

فلما اطلع طاليران (1) (Talleyrand) على مشروعه شجعه ماديا ومعنويا وكتب لقيي (Guillet) ممثل الدولة الفرنسية بطنجة اذ ذاك، ليوصيه خيرا بعلي باي ، ويامره بان يجعل فى متناول يده كل ما ييسر له المقام بالمغرب . ويقال ان كل ذلك تم بموافقة بونبرت (Bonaparte) وهكذا استطاع ذلك المغامر الجريء ان يفلت من «مخلاتين» وان يخفي حقيقة امره حتى على فوشي (Fouché) اشد رجال الشرطة الفرنسية يقظة، واشدهم بطشا بكل من تحوم حولهم الظنون . رجع علي باي الى مدريد ، فزوده قودوي بتعليماته الاخيرة وبمبالغ مالية ذات شان ، كما حمله هدية قيمة لمولاي سليمان ، ورسائل لقناصل الدول الاسبانية (بافريقيا وآسيا) يحثهم فيها على رعايته بعين الرضا ، واعانته على القيام برحلته (العلمية) .

وصل علي باي مرفا طنجة فى 29 يونيه 1803، فى مشهد مؤنس اذ كان معه عدة احمال وجواليق، فانفتحت امامه الابواب ، وابتسمت له الوجوه ، ولهجت الالسن بالثناء عليه اذ كان سخي اليد مواظبا على تادية صلواته بالمسجد ، وكان يطعم كل يوم اثني عشر مسكينا ، ويقال انه بنى « سقايات » سبلها لصالح سكان البلد .

استقبله مولاي سليمان عندما زار طنجة ، فى شهر اكتوبر 1803 ، فقبل علي باي يده ، وقدم له الهدية المشار اليها اعلاه ، وكانت تشتمل على انواع من البنادق والبواريد للحرب والصيد ، وعلى قطع حريرية وحلي وعطر ، ومظل ملكي جد جميل .

فعبر له الملك عن رضاه ، وغمره بعطفه ، فتيسر له التجول بالمدينة وضواحيها ، والشروع فى انجاز مهمته العلمية ، اذ اخذ يسجل ، بدون ادنى تستر ، ملاحظاته حول ظواهر جوية وفلكية ويجمع عينات نباتية ومعدنية وغيرها .

غادر مولاي سليمان طنجة فى 12 اكتوبر ، وفى 25 منه رحل عنها علي باي فى خفارة كوكبة من الفرسان كان الملك جعلهم رهن اشارته . فحل بالقصر الكبير ، ثم بمكناس ، ففاس فالرباط ، فالدار البيضاء ، الى ان القى عصا الترحال بمراكش فى 25 مارس 1804، وكان الملك يستعد لزيارة الصويرة واقليم سوس لتثبيت الامن ونشر السلام .

كان الملك مدة اقامته بمراكش ، يكرم فيه الرجل العالم الصالح ، ويستقبله بليس ويغمره بالهدايا ، اذ اعطاه دارا واسعة بمراكش ، وضيعة ذات أشجار مثمرة باحوازها ، وخوله جاريتين الا انه، حسب ما ورد فى كتابه ، ابدى رغبته عنهما معتذرا بكونه نذر الا يتزوج الا بعد اداء فريضة الحج .

مكث بمراكش نحو السنة ، وحاول مرارا ان يستدرج الملك الى عقد اتفاق مع اسبانيا لتحصل

---

(1) سياسي فرنسي (1757 — 1338) جمع بين الذكاء والطموح وعدم المروءة ، خدم جميع النظم التى عرفها وخانها كلها .

على الامتيازات التجارية المذكورة غير ان محاولاته باءت بالفشل ، فعزم ، وهو في مهمة مخزنية بالصويرة ، على مد اليد لشيخين من ناحية تزروالت ليشقا عصا الطاعة على الملك ، وكاتب قودوى في الموضوع ، بواسطة ممثل اسبانيا بالصويرة : فاستنفرت حوالي العشرة آلاف جندي ، واعدت ، بالمراسي القريبة من السواحل المغربية ، المراكب الكافية لحمل الرجال والعتاد قصد النزول بثغر الصويرة ، والاستيلاء على جنوب البلاد في الوقت الملائم ، فعم الانشراح والتفاؤل الحكومة الاسبانية ، وامتلأ قلب (علي باي) غرورا وزهوا بحيث كانت عودته من الصويرة الى مراكش عودة القائد المظفر ، ممتطيا متن جواد مطهم ، وشامخا بأنفه تحت مظل (ملكي) وحوله جماعة من الاتباع والخول يعملون ويرتحلون في أبهة واحتفال !!

لم يلبث تهوره وسوء تصرفه ان لفت اليه انظار نواب الدول الاجنبية وبالخصوص نائب انجلترا، وان اثار حوله شكوك رجال الدولة ، فكثرت التساؤلات عن حقيقة امره ، وتنوقلت الاراجيف عن مطويات احواله ، فتيقن خواص الملك ، ولاسيما الصدر الاعظم ، ، السيد محمد السلاوي ، من خبث نيته ، واحس نائب انجلترا بسوء مقصده الا ان علي باي ادرك ، بذكائه المرهف ، حرج موقفه ، فاعلم قودوى بما اخذ يخالج خلده من مخاوف ، وطلب ان يؤجل ما كان عزم عليه من هجوم مسلح على التراب المغربي .

وفي شهر فبراير 1805 استاذن الملك في التوجه الى الاراضي المقدسة لتادية فريضة الحج فلم يبد له مولاي سليمان اي تنكر بل استحسن رايه ، الا انه اقترح عليه ان يؤخر الحج الى السنة التالية ، وعرض عليه ان يتراس سرية وان يقصد بها مدينة مليلية ليحاصرها .

شكر علي باي الملك على ثقته الا انه التمس من جديد الاذن بمغادرة المغرب لتادية فريضة الحج والح الحاحا لانه كان توصل من قودوى برسالة يحثه فيها على اثارة فتنة بجبال بني يزناسن ليشغل الملك من حصار مليلية .

اذن له الملك آخر الامر بالتوجه الى الجزائر ، فرحل عن مراكش في شهر مارس 1805 وقصد المغرب الشرقي رفقة جماعة من المغاربة ، متمهلا في سيره ، مسجلا في ذاكرته ما تراه عيناه الفاحصتان وما تسمعه اذناه المرهفتان .

فمر بفاس ، ثم بتازة الى ان بلغ وجدة حيث تعذر عليه استئناف رحلته نحو الجزائر نظرا لتاجج نار الفتن بناحية تلمسان .

ابلغه اذ ذاك عامل وجدة بوجوب البقاء داخل البلدة لئلا يتعرض للهلاك الا انه تشمر للقيام بمهمته في بني يزناسن ، واستطاع ان يتصل ببعض اعيان تلك الناحية .

فلما علم العامل بذلك شدد عليه الحراسة ، ثم سلمه لكوكبة من الفرسان كان وجههم مولاي سليمان لوجدة ليرافقوه الى فاس في امن وسلام ، اذ كانت الفتن والاضطرابات متاججة في الانجاد والاغوار التي بين نهر ملوية ومدينة تازة ، وكان من المتوقع الا ينجو عابرها من طعنة هادفة او رصاصة طائشة .

لما استقر علي باي بفاس تبين له ان مولاي سليمان اخذ يشك في سلامة طويته وفي صفاء اغراضه وان لم يكن بدا يعد يرتاب في صدق ايمانه ، ولذا لم يستغرب الطريقة التي أبعد بها عن المغرب : لقد اخرج من فاس تحت حراسة شديدة ، وقصد به مدينة العرائش حيث فرق بينه وبين زوجته وخدمه وارغم على الصعود الى مركب طرابلسي لم يلبث ان اقلع قاصدا مرسى طرابلس الغرب وذلك في شهر اكتوبر 1805 .

بهذه الطريقة تمت مغامرات ذلك الجاسوس الجريء بالمملكة المغربية، انه استطاع ان يخفي مكره وان يدنس المساجد ويلعب على عدة حبال ، ثم يفلت بجلده ساخرا مستهزئا .

ومع هذا لم تقف مكايده في هذه المرحلة بل ما كاد يضع قدميه بطرابلس حتى فكر في استئناف مغامراته وعملياته الجاسوسية ، فتمكن ، حسب ما سجله في كتاب له ، من الحج الى البقاع المقدسة سنة 1807 ومن زيارة مصر والشام وفلسطين وتركيا . كما تمكن من القيام بعدة خدمات لصالح نابليون بونبرت في مصر والشام .. وفي الاخير عرض خدماته على لويس الثامن عشر ..

ومات ببادية الشام في قلعة البلقاء قرب الزرقاء في مستهل شهر شتنبر 1818



صورة التمثال بطنجة

ترك علي باي « بل باديا كاستيو » عدة تقارير منها اثنان قدمهما لديوان نابليون العسكري ، لخص في احداهما مراحل تجولاته ؛ وبين في الثاني ما قام به من خدمات لصالح فرنسا خلال مقامه الطويل بالبلاد الاسلامية ، كما ترك كتابا ؛ طبع بباريز سنة 1814 في ثلاثة اجزاء عنوانه : « رحلاتي بافريقيا وآسيا ».

ان الادوار التى لعبها هذا الجاسوس الاسباني بالمغرب والبلاد الاسلامية كانت مظهرا من مظاهر التجارب الاولى فى ميدان الجاسوسية الدولية التى اصبح لها اليوم ؛ فى كل دولة ، خبراء اخصائيون فى التلبيك والتلبيس ؛ متيقظون فى استخدام الوسائل السرية ، وبات لها فى كل مجال من المجالات السياسية ابطال مدربون على ركوب الاخطار واستمراء التضحية ، غايتهم الفل من شوكة الاعداء والوقاية من مكائدهم يلبسون لكل حال لبوسها ولا يرعون فى سبيل انجاح مهمتهم الا ولا ذمة (1) .

ملحق :

حقائق طريفة

انني لم اجد ، فيما تصفحت من كتب التاريخ المغربي المؤلفة باللغة العربية ، ذكرا لهذا الجاسوس، ولا لاحد من امثاله الكثيرين الذين توالوا على المغرب في مختلف العصور ، وخصوصا منذ ان فقد المسلمون الاندلس ، ومنذ ان اتجهت انظار الدول الغربية الى خيرات البلاد الاسلامية ، ورغبت فى الاستحواذ عليها .

وعندما اتممت تحرير هذا المقال ، قدر لي أن ازور مدينة طنجة وان اتذاكر مع جماعة من الاصدقاء بذلك الثغر ، فى موضوع « علي باي العباسي » واذا باحدهم يفاجئني بقوله : « يوجد بطنجة تمثال لشخص يسمى « علي باي العباسي » !! فركبت مع اثنين منهم فى سيارة وقصدنا موقع التمثال بحي بني مكادة للتيقن من أمره . وما أن مررنا ببعض الازقة القريبة من سوق ذلك الحي حتى وصلنا الى ساحة صغيرة شبه مهملة ووقعت انظارنا على تمثال حجري عظيم ، لرجل ذي زي شرقي وعمامة كبيرة ، مقام فوق قاعدة مربعة الشكل ، تعلو عن الارض بنحو المتر ونصف ، كتب عليها بحروف لاتينية بارزة « علي باي العباسي » وعلى جانبين منها لوحتان من الحديد تمثل الاولى البحر المتوسط والبلدان التى حوله لرسم الطريق الواصلة بين أهم العواصم التى زارها ذلك الرحالة المغامر بالمغرب ، وطرابلس ومصر والشام الخ ... ونقش على الثانية رسم شخص مولاي سليمان ممتطيا جوادا وقد وقف امامه «علي باي العباسي» ليقدم له .. (هدايا..؟) حسب ما ورد فى عبارة كتبت عليها وعبثت الايام بجزء منها .

سألت بعض الشبان من الساكنين بحي بني مكادة ، وبعض الكهول من ذوي الخبرة والاطلاع ، عن تاريخ اقامة ذلك التمثال ، وعن هوية صاحبه فلم اظفر بما يشفي القليل ، الى أن اخبرني بعض الاصدقاء بانه سبق له ان قرا ، منذ نحو السنة ، كلمة عن تمثال « على باي العباسي » فى جريدة لوجرنال ذي طنجي (Le Journal de Tanger)

---

(1) المراجع :

(1) « Napoléon et l'Islam », par le général Spillman - Paris, 1969.
(2) « La Petite Histoire du Maroc » (seconde série), par J. Caillé - Casablanca, 1952.

اتصلت بمسؤول بادارة الجريدة ، فناولني ، جازاه الله خيرا ، العدد المطلوب ، (العدد رقم 1511 بتاريخ السبت 21 مارس 1970) . فالقيت نظرة على محتوياته واذا على الصفحة الاولى صورة للتمثال وفوقها هذا العنوان « من هو علي باي ؟ » وعلى الصفحة الاخيرة المقال المذكور .

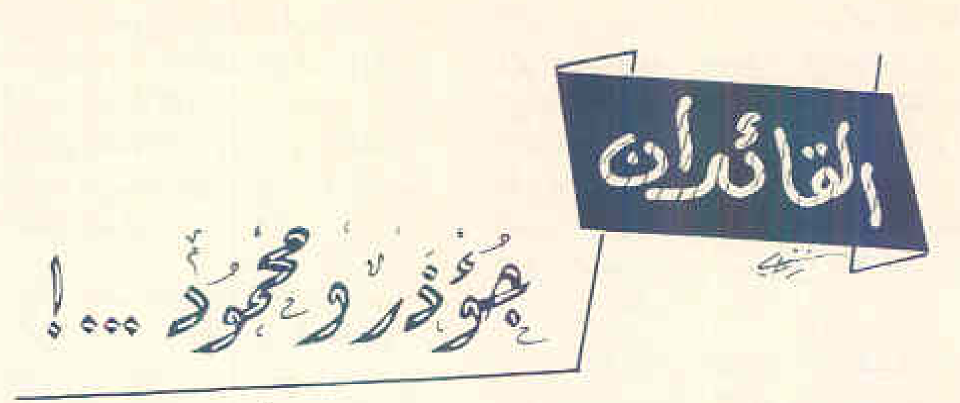
كان اطرف ما استفدت من ذلك المقال ان التمثال اقيم بامر فرع « البنك العقاري التجاري » الاسباني في الفترة التي كان يسهر على تسييره بطنجة السيد José Andreu واظن ان ذلك كان في السنوات الاولى من العقد الخامس لهذا القرن ، اي في السنوات التي اختفى بطنجة ظل نظام الحكم الدولي ، واصبحت اسبانيا هي الحاكمة بامرها هناك !!

واستفدت ايضا من المقال المذكور الذي كان بمثابة ملحق لمقال نشر اذ ذاك في جريدة «لوموند» الفرنسية حول احد مراجع هذا البحث ، وهو كتاب الجنرال سيبامان ، انه ظهر بطنجة ، سنة 1943 ، كتاب عن حياة «علي باي» نشرته دار Luis Miracle ذكر فيه مؤلفه Augusto Casas ان « علي باي » اتى للمغرب ليؤلف جيشا من المتطوعين لانقاذ الاندلس من نير الفرنسيين الذين كانوا ، في ذلك الوقت ، مسيطرين عليها ، الا انه لم ينجح لان المغاربة كانوا يومئذ فقدوا الروح الدينية التي كانت تذكي الحماس في نفوس اسلافهم زمان موسى ابن نصير وطارق بن زياد ! »

هكذا يكتب التاريخ !! لا شك ان صاحب الكتاب ادلى بهذا الراي شماتة بفرنسا التي كانت انهزمت شر انهزام امام الجيوش الالمانية ، وليوهم المغاربة ان « علي باي » كان من المحبين للاندلس وللمسلمين !! ويبدو انه ادلى به لينسي الدافع الحقيقي الذي حدا بالبنك العقاري لاقامة ذلك التمثال ، الا وهو الاعتراف بالجميل لمغامر استمرا الاخطار واستسهل الصعاب ليقدم لبلاده مستعمرة تجعل منها موردا لمؤنتها وسياجا لصد منافسيها .

الرباط ـ عبد القادر الخلادي





للأستاذ عبد القادر زمامة

اشتهر اثناء الحملات الكبرى على السودان بمعناه العام ، ايام دولة المنصور الذهبي ، قائدان اخذ اسمهما مكانة مرموقة من شعر الشعراء الذين سجلوا فى قصائدهم صدى تلك الحملات ..! كما اخذ حيزا ملحوظا من اقوال المؤرخين الذين كتبوا فى هذا الموضوع .. !

ويتساءل الباحث عن هذين القائدين ، ويريد ان يعرف سيرتهما ، وترجمتهما ، ومصيرهما ، بعد تلك المجهودات المضنية التى بذلاها داخل القارة السوداء ، فى عصر لم يكن يعرف من وسائل التنقل الا الدواب ، والارجل فى البر .. والا السفن الشراعية والقوارب والفلك فى النهر والبحر ..!

فابن القاضي ، وهو مؤرخ دولة المنصور ذكر فى كتابه درة الحجال .. جؤذرا .. ومحمودا ..! فقال عن الاول ج 1 ص 125 :

« جؤذر القائد .. احد قواد المخدوم ، وهو الذى افتتح السودان سنة 999 هـ .. »

وقال عن الثاني ج 1 ص 313 :

« محمود بن علي زرقون احد مماليك المخدوم ابي العباس المنصور .. احد قواد الرماة له بسالة وشجاعة وحسن سياسة وفضل . وهو احد الموجهين لفتح السودان ..! وهو على الاسطول هناك .. مما يسافر فى بحر النيل الفتح من لم يدخل تحت الطاعة منهم .. وبعثه المخدوم بعد الفتح لما بلغه ان البلاد عظيمة جدا متسعة مفتقرة الى رؤساء متعددين .. فبعثه مع محمد بن ابي بركة احد عبيده ايده الله .. حي من اهل العصر .. »

ويذكرهما ابو فارس الفشتالي فى مناهل الصفا عدة مرات لكنه يخص ذلك فى سطور فيقول ص 162 :

« ثم الفتيان الخاصان ..! المقدمان على سائر الموالي بأبواب الخلافة العلية ابو الثناء محمود صاحب خزائن الدار وقائد جيش الموالي المعلوجي من عساكر النار المعروف بجيش الانكشارية وصاحب فتح ممالك السودان الفتح الثاني ..! ثم جؤذر قريعه فى الحظوة والمكانة وقائد جيش الاندلس ، وصاحب فتح الاقطار السودانية الفتح الاول والمخصوص بمزيد الاستعمال فى الولاية وتقليد الخراج والجباية .. »

ونلاحظ ان ابن القاضي والفشتالي لم يذكرا صلة ولا قرابة بين القائدين ...!

ويذكر لنا الفشتالي ايضا شخصية اخرى من قواد المنصور واخيه المعتصم ..! ولا صلة له بفتح الاندلس ..! واسمه (محمد بن زرقون) وقد فتك به المنصور مع النفر الاربعة من القواد الذين اتهمهم بالخلاف عليه ..! وقتلهم ..! بعد رجوعه من معركة وادي المخازن كما يظهر ذلك من كلام الفشتالي فى المصدر المذكور ص 22 وليس هذا الذى ذكره الفشتالي هو الذى ترجم له ابن القاضي ج 1 ص 313 ...!!

ولا حاجة بنا هنا الى ذكر الاخبار المتعلقة باسناد قيادة الحملة الاولى الى جؤذر ..! ثم عزله عن القيادة وابقائه هناك ..! واسناد القيادة الى محمود .. فان ذلك شهير فى كتب المؤرخين ..!

لكننا فى حاجة الى ان نعرف مصير القائدين..!

وان نعرف ما وقع من التباس في بعض اقوال المؤرخين ... ويهمنا هنا ان نعرف ان المؤرخ عبد الرحمن السعدي مؤلف كتاب تاريخ السودان الذى انهاه سنة 1065 هـ قد شاهد حملات السودان ..! وعرف قوادها ... وكتب ذلك فى مؤلفه المذكور.. وذكر حقائق واخبارا مدققة افادتنا جيدا عن مصير القائدين الكبيرين ..!

فقد تتبع حركات محمود بن زرقون منذ تولى القيادة خلفا لجؤذر الى ان تم له تمهيد البلاد وارسال جماعة من اهل تمبكتو الى مراكش فيهم الشيخ احمد بابا المعروف بالسوداني .. الى ان سخط المنصور .. وارسل قائده المعروف باسم منصور بن عبد الرحمن الى السودان بقصد القبض على محمد بن زرقون وقتله واهانته ..!! على حد تعبير المؤرخ السعدي ...! **بسبب ما ابلغه عنه م تعديات وشطط فى معاملة الناس ..!**

ويزيدنا المؤرخ السعدي : ان ابا فارس نجل المنصور – وكان ابن زرقون خديما له – طير الاخبار الى ابن زرقون ليأخذ اهبته كي لا يقع في قبضة منصور بن عبد الرحمن ..! فخاض ابن زرقون غمار معركة مع جيش « الكفار » كما يقول السعدي .. فى شبه عملية انتحارية ..! تمت فى سواد الليل ... سقط فيها صريعا ..! وحز راسه .. وارسل الى لاسكيانوح .. وذلك سنة 1003 هـ .. وهكذا يفيدنا المؤرخ السوداني عن مصير هذا القائد فى كتابه ص 175 – 176 . المطبوع سنة 1898 م بمدينة انجي .

وكما افادنا المؤرخ السعدي عن مصير محمود ابن زرقون بانه افادنا ايضا عن مصير جؤذر .. الذى يسميه جودار ...! فيذكر لنا ان المنصور استدعى جؤذرا من السودان سنة 1007 بعد سنوات من العمل المتواصل الشاق هناك .. ص 181 ويظهر ن المنصور كان يقدر قائده ويعرف مقدرته واخلاصه فلم نر انه نكبه ... او اهانه ..! وانما رأينا السعدي يذكر ص 203 ان المنصور لما قبض على ولده الثائر عليه المامون الملقب بالشيخ امر الباشا جؤذار ان يذهب به الى مكناس ويسجنه فيها ..!

كما يذكر لنا ان جؤذرا حضر وفاة المنصور الذهبي ...! سنة 1012 هـ وكتمها الى ان وصل الى مراكش ونفذ وصية المنصور .. ببيعة أبي فارس نجله ...!

ويبدا الصراع بين ابناء المنصور ... ويشاء القدر ان يذهب جؤذر ضحية من ضحايا هذا الصراع فقد فتك به الامير الصغير عبد الله بن المامون ... الذى كان خليفة لابيه بمراكش .. مع جماعة من قواد جده المنصور الذهبي ...!! ص 204 وذلك سنة 1014 هـ بالتقريب ..!!

ولا نودع هذين القائدين دون ان نشير الى نقطة اثارت انتباهنا منذ زمن طويل ..! وهي :

ان بعض المؤرخين يجعلون جؤذرا اخا لمحمود ..! وهكذا جاء نص الاستقصاء ج 5 ص 123 حين ذكر عزل جؤذر ... وتولية محمود فقال :

« ولما بلغ المنصور خبر الصلح قام وقعد وقوم عسكرا خفيفا وبعث به مع مملوكه الآخر محمود باشا وهو اخو جؤذر ..! وقلده امر العساكر كلها ..! »

ثم ذكر فى نفس الصفحة ان محمودا امر اخاه جؤذرا ان يقيم فى مدينة (كاغو) بعد العمليات التى وقعت اثر وصول محمود الى منطقة الصراع فى السودان ..!

والمؤرخ الفرنسي المعاصر – طراس – يذكر لنا فى كتابه عن تاريخ المغرب نفس الفكرة ..! ويفيدنا بمعلومات مفيدة عن اصل جؤذر واخيه محمود باشا .. ونشأتهما فى « لاس كويفاس » على مقربة من مدينة غرناطة ..! فى اسرة كاثوليكية ..!

ثم التحقا بمراكش لطموحهما ورغبتهما فى الحياة العسكرية ..! وحظيا عند المنصور حيث اسكنهما هناك – كما يقول طراس – قصرين من مخلفات الموحدين والمرينيين ..!!

وبطبيعة الحال تبقى هنا عدة علامات للاستفهام عن هذين القائدين .. والكيفية التى تم بها وصولهما الى مراكش ..! والمعتقد الذى كان لهما وهما يقودان جيشا مسلحا ..! وغير ذلك من الاستفهامات التى لا نجد لها جوابا شافيا فى المصادر التى بين ايدينا ..!!

فاس – عبد القادر زمامه

الخلدونية

ومذهب الإمام مالك

للأستاذ محسن السائح

يقول ابن خلدون في مقدمته في الفصل السابع من الباب السادس من الكتاب الاول المتعلق بالعلوم واصنافها والتعليم وطرقه « واما مالك رحمه الله فاختص بمذهبه اهل المغرب والاندلس ، وان كان يوجد في غيرهم الا انهم لم يقلدوا غيره الا في القليل ، بما ان رحلتهم كانت غالبا الى الحجاز وهو منتهى سفرهم ، والمدينة يومئذ دار علم ومنها خرج الى العراق ، ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا عن الاخذ عن علماء المدينة وشيخهم وامامهم مالك وشيوخه من قبله ، وتلاميذه من بعده فرجع اليه اهل المغرب والاندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته ... وايضا فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والاندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لاهل العراق ، فكانوا الى اهل الحجاز اميل لمناسبة البداوة ؛ ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم ولم يأخذه تفنيخ الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب ولما صار مذهب الامام مالك علما مخصوصا عند اهل مذهبه ولم يكن لهم سبيل الى الاجتهاد والقياس فاحتاجوا الى تنظير المسائل في الالحاق وتفريقها عند الاشتباه بعد الاستناد الى الاصول المقررة من مذاهب امامهم ، وصار ذلك كله يحتاج الى ملكة راسخة يقتد ربها على ذلك النوع من التنظير او التفرقة واتباع مذهب امامهم فيهما ما استطاعوا وهذه الملكة هي علم الفقه ؛ لهذا العهد واهل المغرب جميعا مقلدون لمالك رحمه الله » .

واذا فابن خلدون يرى لانتشار المذهب المالكي في المغرب سببين (الاول) جغرافي ، لان رحلة المغاربة كانت غالبا الى الحجاز .. و (الثاني) اجتماعي ويرجع للبداوة المتجلية على المغاربة والاندلسيين ؛ ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لاهل العراق وكانوا الى اهل الحجاز أميل ..)

... ترى أكان ابن خلدون على صواب فيما زعمه او ان منهجية الخلدونية فرضت عليه تطبيق اصول نظرياته الاجتماعية في كل القضايا فاخطأ الصواب هذه المرة او اصابه ؟ ؟

ولذلك يجب ان نتساءل عن طبيعة الرحلة المغربية، وهل كانت لغير الحجاز ؟ ومن هم الذين يمكن ان ينقلوا المذاهب ؟ وهل رحل غير المغاربة الى الحجاز ؟ وهل عرف المغاربة مذاهب اخرى غير المذهب المالكي ؟

والجواب لا يتفق مع حكم ابن خلدون بتاتا ، فقد رحل المغاربة الى الحجاز والى العراق والى الشام والى مصر وغير ذلك من الاقاليم . والذين ينقلون المذاهب ليسوا مطلق حجاج بقدر ما ينقلها رجال الفكر من كبار الفقهاء ؛ كما ان جميع المسلمين رحلوا الى الحجاز من مختلف الاقطار والاصقاع وفيهم الشافعية والحنفية والحنابلة ، واخيرا عرف المغاربة المذهب الاوزاعي والظاهري والحنفي واحيانا الشافعي .

ثم لا ننسى أن حضارة المغرب والاندلس فاقتا عدة حضارات اخرى في بلاد يسودها المذهب الحنفي والشافعي والحنبلي فعلى م اعتمد ابن خلدون في هذا التعليل ؟ .

ولست شاكا ان المنهجية الخلدونية بقدر ما اعانت المفكر الكبير على تحليل كثير من القضايا التاريخية وتعليلها ، فقد خذلته في تحليل قضايا اخرى وتعليلها . ومن حقنا ان نلتمس العذر لرجل اراد أن يمسك بالاصول الرئيسية والتعليلات الجوهرية لتاريخ امة تمتد من المحيط الى الخليج وان يعتمد في تحليله على سبعة قرون او تزيد من عمر هذه الامة التي انصهرت فيها اجناس مختلفة الالوان والثقافات والاعراف ... فلا غرابة ان يخطىء حينا وان يصيب حينا آخر ... وقد ظهرت اخطاء كثير من النظريات الخلدونية بل ان نظرية العصبية لم تفسر كل احداث التاريخ المغربي . فقد استطاع المرينيون ان يتحولوا عن العصبية الى الزاوية واستطاع المولى اسماعيل ان يتحول عن القبلية الى الجيش النظامي وبذلك اثبت التاريخ المغربي عدم حتمية النظرية الخلدونية . ولذلك فالحمية الصوفية حلت محل الحمية القبلية كما حلت بعد ذلك الحمية الادارية محل الحمية القبلية ... وتحرك تاريخ المغرب في هذا الاتجاه فيبطل الفكر الخلدوني .. وقد فطن لذلك (ميشوبيلي) في كتابه عن الطرق الصوفية في المغرب ، وهكذا فشلت النظريات الخلدونية في تعليل كثير من الاحداث التاريخية في المغرب ... ايضا .

ورغم اغلاط ابن خلدون فان التاريخ يحتفظ له بمكانة مرموقة بين رجال الفكر الاحرار الذين رفضوا ان ياخذوا كل شيء جاهزا ، واختطوا لانفسهم طريقا جديدا في البحث ...

ان فلسفة البادية والحاضرة ، وفلسفة العصبية والقبلية وفلسفة الحتمية التاريخية غمرت التفكير الخلدوني.. فاصبحت الزوايا التي ينظر منها الى مختلف القضايا ليصل الى نتائج واهية في بعض الاحيان نظرا لبعد الزاوية عن المركز الذي يوضع رهن الدراسة والتحليل .

ولذلك فنحن لا نجد عناء في رد النظرية الخلدونية حول سبب انتشار المذهب المالكي في المغرب ، لانها لا تقوم على اي اساس علمي ! ولست ادري لماذا يزعم ابن خلدون هذا الزعم مع انه كان مالكيا وتولى قضاء المالكية وعاصر ائمتها في الاندلس والمشرق .

واكبر الظن ان ابن خلدون تستولي على افكاره ضرورة التعليلات لكل شيء وهيامه بمنهجيته في الحضارة والبداوة) جعله يطبق هذا الاسلوب على مختلف ما يعن له... وقديما قالوا حبك الشيء يعمي ويصم..

واذا اردنا ان نعرف الصلة بين المذهب المالكي والبلاد المغربية فنحن في حاجة الى معرفة طبيعة المذهب المالكي ... ولذلك فالحاجة أكيدة الى معرفة المذهب المالكي من خلال حياة الامام مالك ... فهو من اصل عربي ومن مدينة عربية بخلاف ابي حنيفة المولود سنة 80 هـ فهو من اصل فارسي فلا عجب أن يكون الامام مالك متشبثا بالتربية العربية واستظهار الحديث .. وقد كان آية في التشريع والاستنباط ولذلك كان كتابه (الموطا) ليس مجموعة احاديث وانما هو التشريع مستدل عليه بالحديث ... ولا شك ان ابن خلدون لاحظ انه نشا في المدينة ولها طابع البداوة او مجاراة للفكر الخلدوني (لها استمرار طابع البداوة) نظرا لقوة العنصر الديني بها .. فحكم بذلك على أن الامام مالكا من اهل البداوة واهل المغرب من اهل البداوة كذلك وهذا سر تعلق المغاربة بمذهبه ، ونسي ابن خلدون ان المغرب ورث حضارات عريقة ، فنيقية ورمانية وهلينية ، وان المغرب كانت له لغة (بربرية) منتشرة في ربوعه زيادة على اللغة الرومانية والفنيقية في بعض الجهات ، وان للمغرب تقاليدا واعرافا عريقة في مختلف شعب الحياة وان المغاربة عرفوا الفقه الفينقي المتاثر بقانون (حمورابي) وعرفوا الفقه الروماني وبرز فقهاء كبار في الفكر الروماني ومن اصل بربري وما تزال تحتفظ في حساب المواريث بالاصطلاح الروماني ولو كانت القضية قضية تعليل منطقي لكان المغاربة على المذهب الحنفي الذي كان يجوز ان تفتتح الصلاة بالفارسية اي (التكبيرة بالفارسية) وان يقرا القرآن بالفارسية ؛ لان البربر صعب عليهم اول الامر ان يتكلموا اللسان العربي بعد ان اعتنقوا الاسلام دينا ، ويجوزوا ان تتزوج المراة دون ولي حسب المذهب الحنفي مما يطابق بعض الاعراف .. مع ان الامام مالكا لا يجوز الصلاة الا باللغة العربية ، ولا يجيز زواج المراة بدون ولي .

نعم لقد انتشر المذهب الاوزاعي في المغرب والاندلس ويعود ذلك لسببين : (اولا) ان هذا المذهب ظهر في الشام ، وكان الفاتحون الاولون الذين وردوا المغرب من عرب الشام فنقلوا هذا المذهب الى المغرب (وثانيا) يقال ان الاوزاعي ظهر مذهبه في موطن اكبر مدرسة رومانية في الشام اي (لبنان اليوم) ولذلك راى بعض المستشرقين كجولد زهير وسانتلانا ان الفقه الاسلامي تاثر بالقانون الروماني وحجة هؤلاء كلمة (البينة على المدعي واليمين على من انكر) ومفهوم كلمة (فقيه) الماخوذة من الفهم والمعرفة .. والحساب

العلم في المغرب .. وبما ان المغرب والاندلس تمرسا بالفقه الروماني فقد كان من السهل ان يجدوا في الاوزعية ما الفوه في القوانين الرومانية ... ثم عدلوا عن الاوزعية لما شب تفكيرهم الاسلامي وتجاوزوا مرحلة التقليد الى مرحلة الرشد وبعد ان جعلوا من اللغة العربية لغتهم العلمية فاستطاعوا ان يدركوا ما في المذهب المالكي من سمو ومرونة ، فاعتنقوا مذهبه .

وهذا راي لا تسانده حجة لان كل ما يعطى من براهين مردودة فقهيا وتاريخيا .

ولا شك ان وجود كتلة مسيحية متراصة في شمال الاندلس ذات وحدة دينية قبل الانقسام الكنيسي ، جعل المغاربة والاندلسيين يتأثرون على طريقة علم النفس الاجتماعية بوحدة المذهب فكانوا جميعا مالكية ، لما في هذا المذهب من تسامح مع مختلف المذاهب الاسلامية وقابلية لاستيعابها ، ومن المعروف عن المذهب المالكي انه لا يقف من المذاهب الاخرى موقف التعصب بقدر ما يشمل كثيرا من اصولها في اطار حيادي يحتفظ لنفسه بقوته ومكانته وشموليته ...

واذا كان ابن خلدون يرى ان المغاربة احتفظوا بالمذهب المالكي لبداوته فلم لا يكون مذهب الامام مالك مذهب حضارة وتطور ؟ وهل القياس العقلي فقط الذي لا يسود مذهب مالك هو مظهر من مظاهر التطور؟ واذا كان كذلك فلم كانت الحزمية التي تعتمد على النص مذهبا لاقاليم متطورة متقدمة كالاندلس مثلا وهي عريقة في الحضارة .

ولعل التعليل لتعلق المغاربة بالمذهب المالكي يرتكز على الاسباب السياسية التي حملت هذا المذهب الى المغرب ، فالولاة الاولون الذين حكموا المغرب ، والدول المتعاقبة كذلك على حكمه ، كانت في معظمها مالكية المذهب .. ولن انكر كذلك الاسباب الاجتماعية التي جعلت المغاربة يسلكون الطريق الوعر والاحتياط لدينهم فياخذون بالفقه المالكي في سلوكهم ، ولذلك تمسكوا به وجعلوه درعا ضد الشيعة التي قاطعها الملكية حتى تركت المغرب الى مصر فجاء بنو زيري وحملوه بايمان وقوة وتركوه الى المرابطين فيما بعدهم ، فاستتب امره في افريقيا كلها وفي جنوب دولتهم بصفة خاصة .

وليس في البداوة تعليل كاف ما دامت بادية كثير من الاقاليم الاسلامية تتمذهب بالحنفية او الشافعية ولن ارى في الحج الى الحجاز تعليلا مرضيا ما دام المسلمون يحجون جميعا الى الحجاز وفيهم الشافعي والحنفي والحنبلي والشيعي والرافضي وغير ذلك .. ثم لا ارى ان القياس يمثل مرحلة من التطور العقلي ما دامت في الارض امم عظيمة الحضارة لا تقرر الاحكام القانونية الا عن طريق الاعراف والتوارث ... وما تزال بريطانيا وهي دولة عريقة في الحضارة تسير احكامها وفقا للتقاليد المتبعة والتي يمحى في معظم أحكامها القياس المنطقي ويبدو التسلل الفقهي لمواجهة النوازل والاحكام ...

ولذلك تغلب المذهب المالكي في المغرب لسبب آخر وهو مقاومة المغرب لنظريات الشيعة والخوارج ، وبما ان الشيعة بدت قوية في المغرب ، والتي هي في فلسفتها تجريد دون تعلق فقد كان عليها ان تتقمص مذهبا تجريديا يعطي للعقل مرونة الى حد لا تجعل الدين فلسفة عقلانية .. وتقف في النقطة الوسطى دون ان تميل الى الشيعة او الى نقيضها في المذهب (الخارجي) الذي استطاع رجاله ان يتسربوا الى المغرب وينشروا في بعض نواحيه مذهبهم ، ورغم ان بعض القبائل اعتنقت (الخارجية) فلم تعتنقها في التطرف ثم لا ننسى ان الامام مالكا كان من جهابذة الفكر الاسلامي ومن يعتبر من ائمة الفقه والفتيا والاحكام، ومن مؤسسي الاصول الفقهية والمذاهب الكلامية .. كما كان ملتزما لآرائه الى ابعد حدود الالتزام ، مخلصا لعقيدته اشد الاخلاص قوي الشخصية شديدا في الحق ، والعدل ، مرنا في الفهم والاستنتاج ...

وهذه الصفات جعلت لشخصيته مكانة بارزة في العالم الاسلامي فاخذ عنه نبغاء طلاب العالم الاسلامي الذين كان منهم الليثي فقيه الاندلس والمغرب وامامهما وكان منهم فقهاء ائمة تونس والجزائر والمغرب وصقلية ... ومن هنا عرف المغرب والاندلس المذهب المالكي ...

على ان الذي نشر المذهب المالكي في المغرب هو ابو ميمونة دراس بن اسماعيل الجراوي وهو فقيه محدث رحل للمشرق وسمع عن علي بن مطر ، بالاسكندرية ، كتاب ابن المواز واخذ في القيروان عن ابي بكر بن اللباد ودخل للاندلس مجاهدا ، ويقول مؤلف الفكر السامي وهو الذي ادخل مذهب مالك الى المغرب وكانوا قبله على مذهب ابي حنيفة .. وقال عياض في المدارك انه لما طرا على القيروان اطلع الناس من حفظه على امر عظيم حتى كان يقال ليس في وقته احفظ منه وتوفي سنة 357 هـ كما في ابن الفرضي

وما يزال قبره بفاس في باب الجيزيين ومسجده بمصمودة بفاس معروفا ومقصودا الى الان .

وبرز تلامذة مالك بفهم مذهبه في المغرب وافريقيا وكان منهم عامر بن محمد القيسي قاضي المولى ادريس الثاني ، وزياد بن عبد الرحمن شبطون ، والغازي بن قيس ، وسعيد بن عبدوس ، واسد بن الفرات ويحيى بن وسلاس .. هؤلاء أعلام المذهب المالكي الذين نشروه عبر اوربا وافريقيا والاندلس سواء على المستوى الشعبي او على المستوى المدرسي حيث كان لهم تلاميذ كبار مشهورون بالعلم الواسع والدراية الشاملة والالتزام الصادق ، ومن هنا ظهر مذهب مالك في الاندلس وافريقيا وصقلية وجنوب ايطاليا ، بل اثر في القانون الفرنسي بعد ان استمد نابليون منه عدة قوانين ، وقد انتشر مذهب مالك كما يقول القاضي عياض في الحجاز والبصرة ومصر والسودان واوسط افريقيا ظهر ببغداد ظهورا كبيرا ثم ضعف فيها في القرن الرابع وضعف في البصرة في القرن الخامس ، وظهر كذلك في خراسان وقزوين ونيسابور واليمن في القرن السادس ، ولا شك ان لمذهب مالك مزايا كثيرة جعلت مذهبه اكثر ذيوعا ، واقوى على الرسوخ لما فيه من المرونة ، ويمكن ان تختصر هذه الاسباب في ان المذهب المالكي يعتمد الاصول العامة ... المتفق عليها ، اي القرآن والسنة والاجماع والقياس ... ويتجاوزها الى مرونة من تطوير الفكر الفقهي وذلك بالاعتماد على المصلحة المرسلة وسد الذرائع ، والعرف ، وعمل اهل المدينة ومراعاة المصلحة المرسلة او المصالح المرسلة وهي التي لم ينص التاريخ على مفاسدها ولا على مصالحها وانما أرسلها ارسالا دون دليل .

وقد امتحن أصحاب مالك في المغرب مرات عديدة ، ففي معالم الايمان ان محمد ابن عبدون وهو « حنفي » لما ولي القضاء بعد موت سحنون بالقيروان ضرب طائفة من انصار سحنون وطيف بهم بغضا في مذهب مالك واصحابه وقد مات ابو اسحاق بن المضا وابو زيد بن المديني معذبين لتمسكهم بمذهب مالك ، ثم في اواخر القرن الرابع ظهرت الشيعة في المغرب ، فقتلوا اعيان المذهب المالكي ، وقد روى عياض في مداركه كيف قتل ابو بكر بن هذيل وابو اسحاق بن البرذون لعدم افتائهما بمذهب الشيعة « مذهب جعفر ابن محمد » في مسألة سقوط طلاق البتة واحاطة البنات بالميراث ... ورغم هذا الضغط فقد بقي المذهب المالكي سرا معمولا به ثم رجع الى الظهور من جديد بعد نصف قرن تقريبا ... وما يزال المذهب الرسمي الذي صدرت عنه المدونة المغربية .

الرباط : الحسن السائح

من التراث الأندلسي :

أوصاف الناس في التواريخ والصلات

للوزير لسان الدين ابن الخطيب (713 - 776)

تحقيق ودراسة الدكتور محمد كمال شبانة

— 9 —

ومن ذلك في وصف :

90 – (111 : أ) الخطيب ابي عبد الله بن رشيد (1)

بحر معارف لا يسبر غوره ، وروض فنون تضوع مسراه وابنع نوره ، وفريد زمانه الذى لا يأتي بمثله دوره .

نشأ ببلده سبتة – حرسها الله – أصون من الدر فى صدفه ، وأطهر من الماء الطهور فى نطفه . لا يسرح – فى غير المطالعة – طرفا ، ولا يتنشق – لغير المعارف – عرفا . حتى سما مقداره ، وكمل فى وطنه ابداره ، فاشارت اليه العيون . وطمح الى الرحلة والزمان برحاله غني ، وبكل قطر روض جني ، وعالم سني . فرحل عن بلده رحيل الغمام بعد ما امطره ، واقتنع اقشاع الربيع عقب ما أزهر . ولم يزل يطلع بكل ثنية ، ويعشو الى نار كل فائدة سنية . وكلما مر بفائدة فى طريقه صرفا اليها أعنة فريقه . حتى عرس بالمثوى الجليل ، واستظل بالجدار الذي رفعت قواعده اكف الخليل (2) ، ونقع من ماء زمزم معتمد العليل (3) . وسنح له باليمن طيره ، واحسب رحلته بالحرم الامين أبو اليمن وغيره . ثم صرف عنان امله وسؤله (112 : ب) الى زيارة قبر نبي الله ورسوله ، فصلى بين روضته الطاهرة ومحرابه ، وتمتع ما شاء من لثم جداره وانتشاق ترابه . ودخل الشام فى

---

1) هو الشيخ ابو عبد الله بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ، من كبار الائمة ، ومشاهير الخطباء . كانت ولادته بسبتة عام 657 هـ ، وتوفى بفاس فى شهر المحرم من عام 721 هـ ، وبها دفن بمطرح الجلة من القباب . وترجع شهرة المترجم له الى انه كان واحدا من المحدثين ذوي الاسناد ، وممن عرفوا بالتضلع فى علوم النحو والعروض والادب ، كما كان مؤرخا ، عالما فى القراءات ، رحالة . وقد وفد على غرناطه العاصمة ، فتولى الخطابة بمسجدها الاعظم حوالي عام 692 هـ ، واقام حينئذ فترة من الزمن ، حيث ظفر بمكانة سامية تليق بمقامه، وقصد المشرق مرتحلا مرتين ، وخلال تجواله التقى بالعلماء وأخذ عنهم ، ولما عاد من رحلته الاخيرة وضع كتابا حول هذه الاسفار ، واخيرا قفل راجعا الى فاس ، واقام بها حتى توفى رحمه الله .

راجع : ابن الخطيب فى « نفاضة الجراب » تحقيق د. العبادي ج2 ص 307 ، 352 (القاهرة 1968) والاستاذ عبد الله كنون فى « النبوغ المغربي » ص 206 – 207 (بيروت 1961) .

2) يعني به « البيت الحرام » ، وتعبيره اشارة الى قوله تعالى : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل . . . الآية » .

3) معتمد العليل : ما يفتقر اليه العليل .

منصرفه ، مستكثرا من عيون العلم وطرفه ، وآب الى جوه وقد دون رحلته العظيمة الامتاع ، وأتى منها ما يقيد النواظر والاسماع . وسماها بـ « ملء العيبة ، فيما قيد بطول الغيبة ، الى مكة وطيبة (4) » اسم وافق مسماه ، وسهم اصاب مرماه .

ولحق بالاندلس ، فتهللت لقدومه اسرتها ، واحتفلت لقراه درتها . واخذ عنه صدورها ، واستمدت من شمه بدورها . ونعم مجالسها العلمية طيبا ، وصعد منبر الحضرة خطيبا . ولطف من مدبر الدولة النصرية ذي الوزارتين ابن الحكيم (5) محله ، وفاء عليه ظله : لمودة بينهما عقدت ، ورسائل ــ قبل الرياسة ــ تقدمت ، فانه كان رفيق طريقه ، ومساعده على تشريقه . فانتفع به لديه الكثير ، وانجح الآمال محله الاثير .

ولما محقت النكبة نوره (6) ، وقصرت على العفاء قصوره ، ضاق بالخطيب ــ رحمه الله ــ العطن ، ونبا به بعده الوطن . (112 : 1) فارتحل الى المغرب ، ولم يزل به رفيع المكانة ، صدرا فى أولى العلم والديانة . حتى انصرم اجله ، وانقطع عن الحياة امله .

وكان له شعر يتكلفه ، ولا يكاد ــ لعدم شعوره بالوزن ــ يتالفه . ومع ذلك فاعلم اهل زمانه بالبديع والقابه ، والكلام على ابوابه .

ومن ذلك فى وصف :

91 ــ « أبي عبد الله بن هانىء السبتي (7) »

علم تشير اليه الأكف ، ويعمل الى لقائه الحوافر والخف . عمر الربع ببلده سبتة وقد قوضت الرحال ،

---

4) اورد استاذنا عبد الله كنون اسم الرحلة هكذا : « ملء العيبة ، فيما جمع بطول الغيبة ، فى الوجهتين الكريمتين الى مكة وطيبة » مشيرا الى ان المؤلف خصص فيها قدرا عظيما لذكر مسائل الحديث واسانيده ، مما يشهد له ــ فى هذا الباب ــ بطول الباع ، وقلة النظير ، مع رسوخ القدم فى التمسك بالسنة ، والعمل بمقتضاها .
راجع : « النبوغ المغربي ص : 193 .

5) هو الاديب الشاعر ابو عبد الله بن الحكيم اللخمي الرندي ، وزير السلطان محمد المخلوع (701 ــ 708هـ) واحد شيوخ ابن الخطيب ممن تتلمذ عليهم فى ميدان الادب والشعر ، له مؤلف لم يصل الينا اسمه « تاريخ الاندلس » ، توفى ابن الحكيم قتيلا عام 1308 م اثر خلع سلطانه المذكور . وتجدر الاشارة بهذه المناسبة الى ان لقب « ذي الوزارتين » يرجع الى عهد ملوك الطوائف ، وهو من القاب التشريف والتفخيم المتضمنة ازدواج الاختصاص ، اي جمع صاحبه بين وزارتي القلم والسيف ، وقد حظي بهذا اللقب عدة من أكابر وزراء عصر الطوائف ، مثل الشاعر ابي الوليد بن زيدون وزير بني جهور وبني عباد ، والشاعر ابي بكر بن عمار وزير المعتمد بن عباد ، وابي بكر ابن القصيرة كاتب امير المسلمين يوسف بن تاشفين ، ويعتبر ابو بكر بن عمار اشهر من اضطلعوا بمنصبي القيادة والوزارة . ولئن كانت القاب الوزارة قد توارت ايام المرابطين ثم الموحدين ، الا انها عادت الى الظهور فى مملكة بني نصر بغرناطة ، فكان « ابو عبد الله ابن الحكيم اول من حمل اللقب فى هذه المملكة ، ثم تلاه حاملا نفس اللقب « لسان الدين ابن الخطيب » .
راجع : لسان الدين ابن الخطيب ــ للاستاذ عبد الله عنان ، ص : 34 ، 106 ، 214 (القاهرة 1968) . وكذا : يوسف الاول ابن الاحمر ، للمحقق ، ص : 43 (القاهرة 1969) .

6) يعني بهذه النكبة الانقلاب الذي اودى بحياة صديق المترجم له الوزير ابن الحكيم ، على نحو ما اسلفنا فى التعليق .

7) هو الشيخ الفقيه الاديب ابو عبد الله محمد بن هانىء اللخمي السبتي ، احد المبرزين من علماء الاندلس فى العربية ، وله المؤلفات الهامة فى علوم الدين والادب ، منها : « شرح التسهيل لابن مالك » ، وكتاب « الغرة الطالعة ، فى شعراء المائة السابعة » ، و « انشاد الضوال ، وارشاد السؤال » ، وهو يتناول لحن العامة ، كما دون ترسيل أبي المطرف بن عميرة ، وجعله فى سفرين . وقد توفى ــ رحمه الله ــ شهيدا فى حصار جبل طارق عام 733 هـ ــ 1333 م ، ورثاه الشعراء بقصائد مؤثرة ، نذكر منها قصيدة الشاعر ابى بكر بن شبرين التي يقول فيها :

قد كان ما قال البريد	فاصبر فحزنك لا يفيد
اودى ابن هانىء الرضى	فاعتادني للثكل عيد

راجع : النبوغ المغربي ــ للاستاذ عبد الله كنون ، ص : 210 ــ 211 .

واقام رسم العلم وقد حالت الحال ، وجاد بالوابل السجم عند ما عظم الامحال . ورفع للعربية راية لا تتأخر ، ومرج منها لجة تزخر . فانفسح مجال درسه ، واثمرت ادواح غرسه . فركض في تلك الميادين ومرح ، ودون وشرح . وجلى المشكلات ، وداوى المعضلات . الى شمائل تملك الظرف زمامها ، ونادرة راشت الدعابة سهامها .

ولما اخذ المسلمون في مناوشة الجبل وحصاره ، وأصابوا الكفر منه بجارحة ابصاره . ورموا بالثكل فيه نازح امصاره ــ كان ممن انتدب وتطوع ، وسمع النداء فاهطع . (112 : ب) فلازمه حتى نفد لأهله القوت ، وبلغ من فتحه الاجل الموقوت . فأقام الصلاة بمحرابه وحياه ، وقد غبر محياه طول اغترابه ، وبادره الطاغية قبل ان يستقر نصل الاسلام في قرابه ، او يعلق اصل الدين في ترابه . وانتدب ــ رحمه الله ــ الى الحصار وتبرع ، ودعاه اجله فلبى وأسرع . ولما هدر عليه الضيق ، وركعت الى قبلته المجانيق ــ اصيب بحجر دوم عليه كالجارح المحلق ، وانقض اليه انقضاض البارق المتالق . فاقتنصه واختطفه ، وعمد الى زهره فقطفه . فمضى الى الله طوع نيته ، وصحبته غرابة المنازع حتى في منيته .

وكان له ارب قاعد عن مداه ، وقاصر في جانب العلم الذي شمله وارتداه .

ومن ذلك في وصف :

92 ــ « ابى الحسن بن تدارت »

درة تحلى بها الدهر العاطل ، وعدة انجزها الزمان الماطل . وغرة اطلعها العصر البهيم ، وفائدة انجبها الدهر العقيم . ما شئت من خلق تدل على الكمال مخائله ، ومجد كرمت اواخره واوائله ، وادب تجلت عذاراه وتبرجت عقائله . فاذا تناول (113 : ا) الرقاع ووشاها ، وغشى الطروس من خلل بيانه فما غشاها ــ ودت الجرود ان تتمثل طرسا ، والجفون السود ان تكون لها نقسا .

ورد ابوه ــ رحمه الله ــ على البلاد الاندلسية ، فرحبت بمقدمه عليها ، وجلت افادة وفادته لديها . ففاءت بها ظلال معارفه التي اغترس ، ودرس فيها علم الاصول بعد ما درس . وتصرف في القضاء ، تصرف العدالة والمضاء . ونشا ابنه هذا كريم النشأة والبداية ، مكتوفا بظل العناية . وتصرف في القضاء على حداثة سنه وغضارة عوده ، وقرب العهد بتالق سعوده .

ثم حث ركاب ارتحاله ، وبادر حزمه بحل عقاله ، فسعد سعادة شبيهة القمر عند انتقاله . وهو الان بدولة ملك المغرب ــ ايده الله ــ جملة من جمل الكمال ، ومظنة للآمال . تغري بثنائه الالسن ، ويروى من احاديثه ما يصح ويحسن . وورد على هذه البلاد ورود الكرى على مقلة الساهر ، واحتلها احتلال النسيم بين الازاهر . وجمعتني واياه بعض الاسفار ، في غزوات الكفار . (113 : ب) فاجتنيت منه الفوائد بين فرادى ومثنى ، واجتليت منه المحاسن حسا ومعنى .

وقد اثبت من ادبه ما يستعير النسيم العاطر عرفه ، ويحسد الروض حسنه وظرفه .

ومن ذلك في وصف :

93 ــ « القاضي ابى الحجاج الطرشوشي »

روض ادب لا تعرف الذرى ازهاره ، ومجموع فضل لا تخفي آثاره . كان ــ رحمه الله ــ صدرا من صدور زمانه ، وممن تزهى المهارق (8) بجمانه ، وتتجلى لباتها بقلائد عقيانه . الى ظرف يستهوى النفوس ويستميلها ، وفكاهة تهز اعطاف الوقار وتميلها ، ودعابة تركض افراس الطرب وتجيلها . ومعرفة فسيحة المدى ، اتشح بفضلها وارتدى ، وغبر في وجه من راح او غدا .

وكان في فنون الادب مطلق الاعنة ، وفي مغازيه ماضي الظبا والاسنة . فان هزل ــ والى تلك الطريقة اعتزل ــ ابرم في الغزل ما غزل ، وبذل من دنان راحه(9) ما بذل . وان صرف الى المغرب غرب لسانه ، واعاره

---

8) المهارق : بفتح الميم وكسر الراء ، ج مهرق بضم الميم وفتح الراء ، وهي الصحيفة ، كما تطلق على ثوب من حرير ابيض يسقى الصمغ ، ويصقل ، ثم يكتب فيه ، كذا في القاموس واللسان ، وكلا المعنيين متناسب .

9) دنان راحه : بكسر الدال ، اوعية خمره ، والمفرد : دن ، بفتح الدال وتشديد النون .

لمحة من لمحات احسانه ــ أطاعه عاصيه ، واستجمعت لديه اقاصيه .

(114 : أ) ورد على الحضرة الاندلسية (10) والدنيا شابة ، وريح القبول هابة . فكتب عن سلطانها ، واجتلى محاسن اوطانها ، ومدح بعض املاكها ، وعشى الى نور افلاكها . ثم كر الى وطنه وعطف ، واسرع اللحاق بجوه كالبارق اذا خطف ، فورد من العناية الحياض الفاهقة (11) والنطف ، وحل رياض الكرامة فهصر ما شاء وقطف . وتصرف فى القضاء بذلك الريف ، سالكا من الادب سننه الطريف ، ومنزعه الظريف .

وتوفى ــ على هذا العهد ــ عن يمن عالية ، وبرود من العمر بالية . وقد حلب اشطر الدهر واخلافه (12) وارتضع سلافه ، حتى امر عنده من العيش كل عذب الجنا ، وبدل من الشطط بالجنا . وبلغ من المقام لهذه الدار حده ، والبقاء لله وحده .

ومن ذلك فى وصف :

94 ــ « أبى العباس بن شعيب (13) »

مورد ترده البهيم فتروى ، وتهوى اليه النفوس فتجد عنده ما تهوى . وصدر لا يخفى مكانه ، وذخر اضاعه زمانه . (114 : ب) حاز من كل فن نصيبا ، ورمى الى كل غرض سهمامصيبا . واستمطر كل عارض وديمه ، من العلوم الحديثة والقديمة . فبرع فى فنونها وبهر ، وحذق الطب منها ومهر . وبلغ فى صنعة الثبات ، درجة الاثبات . ورضى بالانتماء الى العلم والانتساب ، عن الاكتساب . فما اهمه الدهر بالوانه ، ولا ثناه عن شانه . وعانى فى حركاته وانتقاله ، مشقة اعتقاله ، وخلص خلوص الحسام بعد صقاله . وهو ــ الان ــ من كتاب ملك المغرب (14) ، تطوى عليه الخناصر اذا عدوا ، وتدخر لقصب السبق اذا أحضروا واشتدوا .

ورد على الحضرة فى خدمة لبعض الولاة تولاها ، ووجيه فرى لها الفلا وقراها . فرايته روية لم تنهض الى المحاورة والكلام ، والمخاطبة لما يجب لمثله من الاعلام ، لجمود هذا الباعث عندي فى العهد المتقدم (15) ولم البث أن غضضت يد المتندم ، اسفا على ما ضاع من لقائه ، واجتلاء الفوائد من تلقائه .

وله شعر تهوى الشعرى أن تتخذه شنفا (16) (115 : أ) ، ونثر تود النشوة لو تتحلى به وان شمخت انفا . من ذلك ما خاطب به الشيخ أبا جعفر بن صفوان ، وقد رمى اليه بقاصية هواه ، واعتده فى رحلته أنفس ذخر حواه .

ومن ذلك فى وصف :

95 ــ « الكاتب أبى عبد الله بن عمر التونسي »

كاتب الخلافة ، ومشعشع الادب المزرى بالسلافة . كان ــ رحمه الله ــ بطل مجال ، ورب روية وارتجال .

---

10) يعني بالحضرة الاندلسية على عصره ، وهي غرناطة .
11) الحياض الفاهقة : الممتلئة .
12) التعبير كناية عن أنه خبر الدهر وجربه .
13) هو الكاتب الشاعر أبو العباس أحمد بن شعيب الجزنائي الفاسي . من حفظة الشعر ونقدته ، وممن جمعوا بين ملكة الشعر والنثر بالاضافة الى جودة الخط . عمل كاتبا فى ديوان الانشاء لدى السلطان ابى الحسن المريني . وشهر عنه ــ مع ذلك ــ معرفته بالطب والكيمياء وعلم النبات . توفى بتونس يوم عيد الاضحى من عام 749 هـ (مارس 1349 م) .
راجع : المصدر السابق ، ص : 227 .
14) السلطان ابى الحسن المريني ، كما ذكرنا (731 ــ 752 هـ)
15) يشير ابن الخطيب بهذا الى فترة شبابه بالاندلس ، حينما كان وزيرا لملك غرناطة ابى الحجاج يوسف الاول (733 ــ 755 هـ / 1333 ــ 1354 م) المعاصر لملك المغرب يومئذ (أبى الحسن المريني) ونستنتج من اشارة ابن الخطيب هذه الى أن تاريخه لهؤلاء المترجم لهم كان بعد نزوحه الى المغرب نهائيا .
16) الشنف : بتشديد الشين مع الفتح واسكان النون ، وهو : ما يعلق فى الاذن أو أعلاها من حلى عند النساء ، والجمع : شنوف ، واشناف .

قدم على هذه البلاد (17) وقد نبا وطنه، وضاق ــ ببعض الحوادث ــ عطنه. فتلوم بها تلوم النسيم بين الخمائل، وحل فيها محل الطيب من الوشاح الجائل. ولبث ــ مدة اقامته ــ تحت جراية واسعة، وميسرة يانعة. ثم آثر قطره (18) فولى وجهه شطره. واستقبله دهره بالانابة، وقلده رياسة الكتابة. فاستقامت حاله، وحطت رحاله.

حدثني بعض من عني باخباره، ايام مقامه بربة واستقراره: انه لقي بباب الملعب ــ من أبوابها ــ ذات ليلة ــ ظبية من ظباء الانس، وفتنة من فتن (115:ب) هذا الجنس. فخطب وصالها، واتقى بمهجته نضالها. حتى همت بالانقياد، وانعطفت انعطاف الغصن المياد. فابقى على نفسه وامسك، وانف من خلع العذار بعد ما تنسك.

ومن ذلك في وصف :

96 ــ « أبي عبد الملك (19) » من أهل مراكش

وقور أفرط حتى أثقل، وقريع مجد مسه الاحتياج فتنقل، ووجد الجحيم فعافه وتبقل. وحل من بلده مراكش لما جف حوضه، وصوح روضه. واتخذ ربة دارا، واختارها قرارا. وجرت عليه جراية تبلغ بها، وارتفد بسببها، رعيا لابيه، واحتراما لبيته النبيه. فقد كان ابوه ــ رحمه الله ــ قاضيها صدرا في عصره، وبدرا في هالة قطره. رحب المجال، نسيج وحده معرفة بطرق الحديث واسماء الرجال. متجرا في علوم الآداب، منتدبا لاقامة رسم المعارف كل الانتداب.

وابنه هذا متمسك من الآداب بأذيالها، مضرى بادارة جريالها. الى سرو عميم (20)، ووفاء يثني كل صديق (116 : أ) له حميم. ولما تقلدت بهذه البلاد تنفيذ ارزاق الاجناد، بادرت الى تقديم واجبه، وايثار جانبه.

ومن ذلك في وصف :

97 ــ « أبي اسحاق الحسناني » من أهل تونس

شاعر لا ينضب طبعه، ولا يقفر ربعه. قصد الملوك وانتجع، وهدل في افنان امداحها وسجع. وتجرا على اقتحام دسوتها (21)، وولوج بيوتها. وقدم على هذه البلاد، فاعجب الادباء باكثاره، والانقياد نظامه ونثاره، وتتوفى في ايثاره. ثم استرسل طوع لذاته، وسعى في جلب المكروه الى ذاته. ونحي عنه قيل وقال، ناله به اعتقال. ثم تكرر على هذه البلاد وقد تبدلت تلك الدولة، وخمدت تلك الصولة. فتلقى باقبال، وهبت له ريح اهتبال. ثم حركه الشوق الى بلده، وبلغ نواه الى امده.

وقد اثبت من شعره ما يدل على استرسال لهواته، واقتداره على الكلام من جميع جهاته.

---

(17) هذه البلاد : يعني بها الاندلس.

(18) قطره : يعني به تونس.

(19) مراكش : عاصمة المرابطين ثم الموحدين بجنوب المغرب، اسسها زعيم الاولين واعظمهم يوسف بن تاشفين عام 454 هـ (1062 م) وبنى بها مسجده المعروف باسم « جامع يوسف » ولما جاء المرينيون تحولوا عنها الى « فاس » واتخذوها حاضرة لهم، ففقدت مراكش منذ ذلك الحين مركزها السياسي. وقد شيد بها الموحدون جامع الكتبية بمنارته الشهيرة، وبمراكش من آثار السعديين مقابرهم العظيمة، وللعلويين بها جنان اجدال، التي انشاها عبد الرحمن بن هشام العلوي. وبالمدينة ضريح القاضي عياض، وأبو العباس السبتي، وأبو القاسم السهلي، ومحمد بن سليمان الجزولي.
تشتهر مراكش بصناعة الجلد والصياغة والنحاس، والمنسوجات الوطنية، والزرابي. وخارجها مزارع الزيتون، وواحات النخيل الشاسعة، تحوطها جبال الاطلس التي تكسوها الثلوج شتاء.
راجع : البغدادي في « مراصد الاطلاع، على اسماء الامكنة والبقاع » ج 3، ص : 1251.

(20) سرو عميم : شرف شامل.

(21) دسوتها : يعني بها صدور المجالس. والمفرد منه : دست، بفتح فسكون، والكلمة اصلا فارسية، ولها عدة معان اخرى، منها : صدر البيت، والوسادة، والمرجل الكبير من النحاس، وغير ذلك. كذا في القاموس المحيط.

ومن ذلك في وصف :

98 ـ « ابى عبد الله المكودي (22) » من أهل فاس

(116 : ب) شاعر لا يتعاطى ميدانه ، ومرعى بيان رف غضاه وابتع سعدانه . يدعو الكلام فيهطع لداعيه (23) ، ويسعى فى اجتلاب المعانى ، فتنجح مساعيه . غير انه افرط فى الانهماك ، وهوى الى بطن السمكة من أوج السماك .

قدم على هذه البلاد مفلتا من رهق تلمسان حين الحصار (24) ، صفر اليمين واليسار من اليسار . قل هوى الحنى على طريفه وتلاده ، واخرجه من بلاده . ولما جد به البين ، وحل هذه الحضرة ـ بحال تقتحمها العين ، والسيف بهزته ، لا بحسن بزته ـ دعوناه الى مجلس اعار البدر هالته ، وخلع عليه الاصيل غلالته . وروض تفتح كمامه ، وهمى عليه غمامه . وكاس انس تدور ، فتتلقى نجومها البدور .

ولما ذهبت المؤانسة لخجله ، وتذاكر هواه ، وبوم نواه ، حتى خفنا حلول اجله ـ جذبنا للمذاكرة زمامه ، واستسقينا منها غمامه . فامتع واحسب ، ونظر ونسب . وتكلم فى المسائل ، وحاضر بطرف الابيات وعيون الرسائل ، حتى نشر الصباح رايته . واطلع النهار آيته .

(117 : أ) ومن ذلك فى وصف :

99 ـ « الاديبة ام الحسين بنت أحمد الطنجالي » نزيلة لوشة

تالثة حمدلة وولادة ، وفاضلة جمعت الادب والمجادة . وتقلدت المحاسن قبل القلادة ، واولدت ابكار الافكار قبل سن الولادة . نشاة ابيها لا يدخر عنها تدريجا ولا تنبيها ، حتى نبض ادراكها ، وظهر فى المعارف حراكها . ودرسها الطب ففهمت أعراضه ، وعلمت اسبابه واغراضه . ولم يزل يتعهدها بالتعليم والتخريج ، وينقلها بحسن التدريج ، حتى نظمت الكلم ، ودوت بالسبك المعنى الالم .

ولما قدم ابوها من المغرب ، وتكلم بخبرها المغرب ، توجه بعض الصدور الى اختبارها ، ومطالعة اخبارها . فاستبسل اغراضها واستحسنها ، واستظرف لسنها . وسالها عن الخط ـ وهو اكسد بضاعة جلبت ، واشح درة حلبت ـ فانشدته من نظمها ما ثبت فى التاج (المحلى ، فى مساجلة القدح المعلى) (25) .

« يتبع »

مكناس ـ دكتور محمد كمال شبانة

---

22) هو الاديب الشاعر محمد بن عبد الرحمن المكودي الفاسي ، يكنى ابا عبد الله ، والنسبة الى بني مكود ، قبيلة من الهوارة التي كانت تقطن بين فاس وتازة ، ثم استقرت اسرة المترجم له فى فاس ، فعرفت من بين بيوتها العريقة بالعلم والفضل ، ويعد ابو عبد الله هذا من شعراء عصره المبدعين ، وممن عرفوا بدقة تصوير العواطف النفسية ، وجودة التعبير عنها ، حتى كان لشعره وقع جميل فى قلوب سامعيه . توفى ـ رحمه الله ـ عام 753 هـ
راجع : الاستاذ عبد الله كنون فى « النبوغ المغربي » ص : 227 ـ 228 .

23) يهطع لداعيه : يسرع اليه مقبلا ، والمصدر منه : هطعا ، بفتح فسكون ، وهطوعا بالضم .

24) تذكر المؤرخات فى صدد هذا الحصار ، أن أبا تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان كان آخر من تولى الملك من بني زيان على تلمسان عام 718 هـ ، ثم نشب خلاف بينه وبين السلطان ابى عنان ملك المغرب ، الذي هب لمنازلته ، وحاصره طيلة ثلاث سنوات ، بعدها استولى ابو عنان على المدينة ، وذلك ليلة 27 من شهر رمضان 737 هـ (29 ابريل 1337 م) .
راجع : « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » للمحقق ، ص : 57 ، وما بعدها (القاهرة 1968 م) .

25) التاج المحلى : احد مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب ، وهو عبارة عن تراجم لأعيان الاندلس فى منتصف القرن الثامن الهجري ، وتنويه بمملكة بني احمر منذ نشأتها حتى عصر المؤلف . وقد اعتمد المقري على هذا الكتاب فى كثير من التراجم التي اوردها فى كتابه « نفح الطيب » . وتوجد « للتاج المحلى » نسخة مخطوطة ضمن مخطوط ضخم بالاسكوريال بمدريد ، تحت رقم (554 الغزيري) .
راجع : البحث المنشور للمحقق فى مجلة « تراث الانسانية » ، بعنوان : «معيار الاختيار لابن الخطيب» المجلد الرابع ـ العدد 4 (ابريل 1966) الصادرة عن وزارة الثقافة بالقاهرة .



تقديم وعرض وتعليق :
الأستاذة فردوس بحماط

في نطاق النشاط الفكري الذي تقوم به وزارة الثقافة والتعليم الاصلي ، عرض الاستاذ ادريس الكتاني بحثه عن الاتجاهات الحديثة للمراة المغربية المتعلمة الذي تم انجازه خلال ثلاث سنوات تقريبا بمساعدة بعض الطلبة والمكلفين بشؤون التعليم .

واذا استثنينا الاستاذ اندري ادم الذي قام باول « بحث ميداني » في المغرب فان الاستاذ ادريس الكتاني هو اول باحث مغربي يقوم بهذه الدراسة العلمية التي تعتمد على احصاء الافكار على خلاف الابحاث النظرية التي تستمد نبعها من الذاتية المطلقة .

ويشمل البحث خمسة ميادين هي التعليم ، والثقافة ، والحرية ، والعمل ، والزواج .

وينوي الاستاذ نشره في شكل كتاب يكون بمثابة مرجع للباحثين والدارسين في علم الاجتماع .

والواقع انني لا استطيع من خلال الاستماع الى العرض تسجيل جميع الاسئلة والاجوبة بانتظام، غير انني اخترت بعض النماذج منها كدليل على المستوى الذي وصلت اليه المراة المتعلمة في بلادنا ، وكتقييم لمستوى البحث الميداني نفسه .

استهل الاستاذ عرضه بمقدمة عن اهمية البحوث الميدانية ودورها الفعال في الرفع من شان المجتمعات البشرية باعتبارها اداة علمية للتخطيط الاجتماعي والتنمية الاقتصادية . وحاول بايجاز القاء بعض الضوء على وضعية المراة المتعلمة في المجتمع المغربي، وكيف انها استطاعت ان تكسر القيود ، وتدوس التقاليد لتمارس حريتها في ميدان الثقافة والفن ، والعمل . وخلال عملية الانتقال هذه تضعضع كيان الاسرة المغربية المحافظة ، وانخفضت نسبة سلطة الآباء، واستغلت الفتاة هذا الموقف لتعزيز شخصيتها، وفرض وجودها وسيطرتها داخل البيت والمجتمع.

ويعتقد الاستاذ الكتاني « ان اكبر خطا تواجهه الاسرة المغربية الحديثة هو ان تطورها الحضاري يسير بمحض الصدفة ، ويترك عوامل الزمن تؤثر فيه دون تخطيط سابق او توجيه » .

ولعل هذا ما دفعه الى القيام بهذا البحث رغبة منه في مساعدة البحث العلمي على معرفة نسبة الوعي وطبيعة التطور الفكري عند الفتاة المغربية المثقفة حتى يسهل على المسؤولين اصلاح اخطاء التربية والتعليم التي تدفع الرجل الى تغيير نظرته التقليدية للمراة ، ومعاملتها معاملة حسنة في نطاق الاحترام والتفاهم ، الشيء الذي يجعل من الاسرة المغربية بنيانا مرصوصا تسوده الثقة والمحبة والصدق .

لاجل هذا كله اعد الاستاذ الكتاني 40 سؤالا موجها الى الفتيات المتعلمات في المدارس والكليات البالغة اعمارهن 18 سنة فاكثر ، اي اللواتي بلغن سن الرشد ، ومرحلة اكتمال تكوين الاتجاهات الشخصية .

وقد كانت نسبة الطالبات بجامعة محمدالخامس وجامعة الرباط تقدر سنة 1967 — 1968 بـ 962، بينما بلغ عددهن في اقسام الباكلوريا 1647 ، وقد وقع اختيار العينة بنسبة 25 ٪ مع مراعاة هذا العدد بالنسبة لجميع المدن المغربية وشعب التعليم

بما فى ذلك التعليم الاصلي والعصري والتقني والاجنبي .

وهذه نماذج للاسئلة والاجوبة التى عرضها الاستاذ خلال محاضرته :

اولا ـ فى ميدان التربية والتعليم

1 ـ س : اذا كان لكل عمل غاية ، فهل غايتك الاولى من التعليم هي ضمان الحصول على العمل والكسب ؟

ج : نعم = 38 فى المائة
لا = 57 فى المائة
لا جواب = 5 فى المائة

2 ـ س : هل ترغبين فى الاستمرار فى الدراسة للحصول على اجازة عليا ؟

ج : نعم = 86 ٪
لا = 9٫4 ٪
لا جواب = 4٫4 ٪

ثانيا : فى ميدان الثقافة والفن

1 ـ س : هل تعتقدين بأن الفتاة المغربية العصرية بحاجة الى الايمان بالله والعقيدة الدينية ؟

ج : نعم = 88٫4 ٪
لا = 7٫4 ٪
لا جواب = 4 ٪

2 ـ س : اذا اعتبرنا ان القيام الكامل باداء فريضة من فرائض الاسلام يعادل نسبة 100 ٪ ، فهل تعتقدين ان نسبة صيامك لرمضان تعادل نسبة 100 ٪ ، او 75 ٪ ، او 50 ٪ او 25 ٪ ، او 10 ٪ ؟

ج : 100 ٪ = 45٫4 ٪
75 ٪ = 8٫2 ٪
50 ٪ = 22٫6 ٪
25 ٪ = 4٫5 ٪
10 ٪ = 5٫3 ٪

س : وان قيامك بأداء الصلوات الخمس يعادل نسبة 100 ٪ او 75 ٪ ، او 50 ٪ ، او 25 ٪ ، او 10 ٪ ، او 0 ٪ ؟

ج : 100 ٪ = 19،3 ٪
75 ٪ = 20٫9 ٪
50 ٪ = 21٫6 ٪
25 ٪ = 18 ٪
10 ٪ = 4٫5 ٪
0 ٪ = 14٫8 ٪

س : كم كتابا تقرئين فى السنة ؟

ج : 18،1 ٪ لا يقرأن أي كتاب
22٫2 ٪ بين 1 و 10 كتب
29٫2 ٪ بين 11 و 25 كتابا
19٫2 ٪ بين 26 و 50 كتابا
9٫7 ٪ بين 51 فاكثر
0٫9 ٪ لا جواب

س : ما هي اللغة التى تستعملينها دائما او غالبا فى الكتابة والقراءة ؟

ج : 49٫7 ٪ يستعملن العربية
40٫5 ٪ يستعملن الفرنسية
5٫2 ٪ يستعملن اللغتين معا
4٫4 ٪ لا جواب

ثالثا ـ فى ميدان العمل

1 ـ س : هل ترغبين فى العمل باعتبار انه وسيلة للكسب وضمان المستقبل ؟

ج : نعم = 70،9 ٪
لا = 24،2 ٪
لا جواب = 4٫7 ٪

س : ام حبا فى العمل ذاته اذ تفضلينه على عمل البيت ؟

نعم = 35٫2 ٪
لا = 61 ٪
لا جواب = 3٫7 ٪

رابعا ـ فى ميدان الحب والزواج

1 ـ س : هل تعتقدين بأنه من الضروري ان تحبي خطيبك قبل الزواج ؟

ج : نعـــــم = 64٫1 ٪
لا = 32٫6 ٪
لا جواب = 3٫1 ٪

2 ـ س : الا تخشين في حالة فشل الـزواج ان تؤثر علاقتك به على سمعتك في المحاولات التالية ؟

ج : نعـــم = 44٫4 ٪
لا = 46٫7 ٪
لا جواب = 1٫7 ٪

3 ـ س : انت تعلمين ان نفقة البيت شرعا على الزوج ، فاذا كنت تعملين او لك دخل خاص ، فهل انت مستعدة لمشاطرة زوجك المحتاج في نفقة الاسرة ؟

ج : نعـــم = 92٫5 ٪
لا = 5٫7 ٪
لا جواب = 1٫7 ٪

خامسا ـ في ميدان الحرية والمساواة مع الرجل

1 ـ س : اذا اعتبرنا سلطة الآباء المطلقة التقليدية على بناتهم في تزويجهن وخروجهن ودخولهن تعادل نسبة 100 ٪ فهل تعتقدين ان هذه السلطة بالنسبة اليك تعادل نسبة 100 ٪ ، او 75 ٪ ، او 50 ٪ ، او 25 ٪ او 10 ٪ ، او 0 ٪ ؟

ج : 100 ٪ = 0٫4 ٪
75 ٪ = 23٫1 ٪
50 ٪ = 40٫8 ٪
25 ٪ = 15٫7 ٪
10 ٪ = 13٫9 ٪
0 ٪ = 5٫7 ٪
لا جواب = 0٫1 ٪

2 ـ س : اذا كانت حرية المراة تعني حق الدخول والخروج والاختلاط واتخاذ الاصدقاء والسفر على انفراد، وكانت هذه الحرية الكاملة تعادل 100 ٪ فما هي في رايك النسبة التي يجب أن تتمتع بها الفتاة المغربية المتعلمة ؟

ج : 100 ٪ = 5٫9 ٪
75 ٪ = 19٫8 ٪
50 ٪ = 46٫7 ٪
25 ٪ = 23٫4 ٪
10 ٪ = 0٫4 ٪
0 ٪ = 1٫8 ٪
لا جواب = 1٫7 ٪

3 ـ س : لو قدرنا بان سلوك الشاب المهذب المستقيم تجاه الفتاة يعادل نسبة 100 ٪ . فما هي النسبة الاخلاقية التى تعطينها لسلوك الشاب المغربي تجاه الفتاة المغربية ؟

ج : 100 ٪ = 0٫2 ٪
75 ٪ = 12٫7 ٪
50 ٪ = 20 ٪
25 ٪ = 27 ٪
10 ٪ = 34٫6 ٪
0 ٪ = 4٫7 ٪
لا جواب = 0٫5 ٪

من خلال هذه الاسئلة والاجوبة نكتشف عدة حقائق . واستسمح الاستاذ ادريس الكتاني ـ مع احتراماتي وتقديري للمجهودات التي بذلها لانجاز هذا العمل ـ ان اعبر عن رايي الشخصي في الموضوع .

1) ـ كان من الممكن ان يصاغ البحث في اطار عام ليعطي الصورة الحقيقية لواقع المراة المغربية المتعلمة . وقد اختار الاستاذ لبحثه هذا عنوانين هما: « تطور الفكر الاجتماعي عند المراة المغربية المتعلمة » و « الاتجاهات الحديثة للشابة المغربية المتعلمة » . وفي كلتا الحالتين فان العنوان يبدو اكبر بكثير من فحوى البحث ، فالمراة المتعلمة ليست هي الطالبة او التلميذة فحسب ، بل هي المراة الموظفة ايضا .

وانعدام وجود العينة من بين الموظفات يجعل البحث مبتورا ، ان لم اقل عبارة عن « افتراضات » لا يمكن الاعتماد عليها لقياس مدى ما حققته المراة المغربية من تطور . **ذلك ان الفتاة المتعلمة ـ طالبة** كانت ام تلميذة ـ لا تتمتع «بالاستقلال المادي» الذي يحدد اتجاهها في الحياة ؛ ان همها الكبير هو مراجعة الدرس للنجاح في نهاية السنة الدراسية ، فكيف يطلب منها مثلا ان تقول هل هي تعمل لتكسب أم حبا في العمل ذاته ؛ وهي لم تجرب بعد محنة الادارة ، ومسؤولية العمل ؟!..

2) ـ الاسئلة المطروحة تحتاج الى كثير من الدقة والتركيز والدراسة لتضفي على البحث طابع الجدية والصدق . والملاحظ ان الاسئلة تفتقر الى هذا الجانب الذي يعتبر اساسا لنجاح البحث الميداني او فشله . فالاسئلة الموجهة كانت عبارة عن « استجواب عمومي ». والفرق بين البحث والاستجواب هو ان هذا الاخير يرمي الى التعريف بالشخصية المستجوبة ـ بفتح الباء ـ ، بينما يهدف البحث الى معرفة آراء الشخص حول الناس والفن ، والثقافة ، والحياة . وكثير ما يقع الباحثون في هذا الخلط ـ خصوصا اذا كانوا حديثي العهد بالتجربة ـ . فالعيب الثاني هو ان الاسئلة المختارة كانت تحمل الاجوبة مسبقا في طيها ، بحيث لا تستطيع الفتاة ان تدلي برايها الخاص الا في اطار الاتجاه الذي اراده صاحب البحث .

واذا اعتبرنا الظروف التي تم فيها هذا العمل بمقارنة مع الواقع الذي نعيشه ونعايشه ، فاننا نتاكد من ان الارقام التي توصل اليها الباحث مجرد مقياس « لجس النبض » وليست حقائق علمية ثابتة يمكن الاعتماد عليها في التخطيط وتصميم البرامج التربوية والتوجيهية للشباب ..

3) ـ في البحث جانب مهم نسيت ان اشير اليه في البداية ، وهو عبارة عن نقد ذاتي لسلوك الفتاة المتعلمة ، وعنصر الاهمية في هذا النقد : هو انه يتسم بالجراة والصراحة اللواتي تسلحت بهما الفتاة لتصوير اخطائها ، وجوانب الضعف في شخصيتها ، وقد صعب علي التقاط بعض النماذج من الاسئلة والاجوبة للاستشهاد بها ، لذا ، فاني اكتفي بالتلميح اليها في انتظار نشرها من طرف الباحث نفسه .

4) ـ اذا افترضنا ان الاحصائيات والارقام التي توصل اليها الاستاذ الكتاني تصور بصدق وامانة واقع الفتاة المتعلمة في بلادنا ، فمن واجبنا الآن ان نتساءل : الى اين تسير هذه المراة ؟ هل تطورت فعلا في اتجاه الغاية المرجوة منها ، ام انه تطور شكلي فقط ؟ ثم هل احسنت الفتاة استغلال حريتها ام ان ظروف الحرية هي التي استغلت سذاجتها لتعبث بمستقبلها ؟

لقد كنت دائما اعتقد ان الفتاة المغربية او المتعلمة ـ على الخصوص ـ قد انحرفت من الناحية الاخلاقية لان التشبث بالقيم ـ في رايها ـ يتنافى وتيار الحضارة الجارف .

فعدم احترامها للشعائر الدينية ، ورفضها للتقاليد العريقة ، وتهورها في الحياة ادوا بها الى ما آلت اليه من ضعف في الشخصية ، وتحلل في السلوك ، وبالتالي الى التخلف بالنسبة للسلم الاجتماعي .

وفي ميدان العلاقات العائلية نلاحظ تفككا في كيان الاسرة نتيجة لانعدام الثقة بين الزوجين ، وكثرة المشاكل الناتجة عن سوء المعاملة والعناد مما يؤدي الى الانفصال وتشرد الاطفال .

اما فيما يتعلق بالتطور الفكري ذاته ، فقد وجه الاستاذ الكتاني عدة اسئلة لمعرفة مدى اهتمام الفتاة المتعلمة بالشؤون الوطنية ، والقضايا العربية والعالمية ، فكانت الاجوبة سلبية تقريبا ، ذلك ان افق ثقافتها محدود ، ان لم اقل قاصر على الدراسة الاكاديمية وحدها . ففي الوقت الذي تستطيع الفتاة الغربية ان تناقش في الفلسفة والتاريخ والسياسة والاقتصاد ، تعجز الفتاة المثقفة في بلادنا عن الحديث خارج نطاقها الادبي او العلمي .

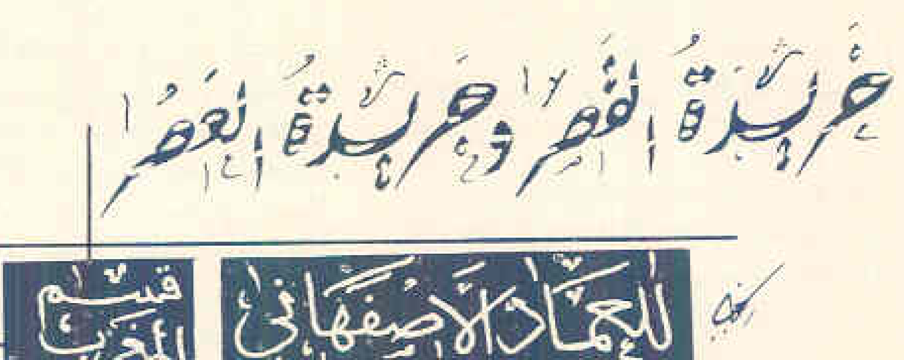
5) ـ يعد هذا البحث محاولة جادة ، وشاقة في نفس الوقت ، الا انه كان من واجب الاستاذ الكتاني ان يضرب عصفورين بحجر واحد ، فيوجه نفس الاسئلة الى الشبان من نفس المستوى، خصوصا فيما يتعلق بالاجوبة التي انتقدت فيها الفتاة نفسها، لكن ، ما هو راي الشاب المثقف في المراة المتعلمة ؟ ان مقارنة بين رايين مختلفين كانت تكون احسن ، وتفيد اكثر .

لذا ، فاني اقترح على صاحب البحث ان يقوم فيما بعد بنفس العمل بين صفوف الشبان تكملا لهذا المجهود الذي يستحق عليه الاستاذ ادريس الكتاني كل تشجيع وثناء .

اني اشكر ـ باسمي ـ ونيابة عن جميع الفتيات المتعلمات بالمغرب الاستاذ الكتاني على هذه البادرة الطيبة ، واتمنى له التوفيق في هذا الميدان .

الرباط ـ فدوى ميحاط





تحقيق : محمد المرزوقي - محمد العروسي - الجيلاني بن الحاج
تقديم وتعليق : الأستاذ محمد بن تاويت

لقد بذل المحققون الافاضل جهدا مشكورا ، فى تحقيق هذا القسم او الجزء من قسم شعراء المغرب بالخريدة ، ونحن فى انتظار الجزء الباقي من هذا القسم ، الذي نود ان يصدر ، كذلك مزودا بالتعاليق والاشارات المفيدة ، مما يضاف الى ما بذله الاستاذان : عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، فى تحقيقهما لهذا القسم ، تحقيقا علميا ، يشكران عليه ايضا ، جزيل الشكر

وان كان لنا ان نذكر ما لاحظناه ، على هذا الجزء ، فهو ما نسجله كالآتي :

فى الصفحة السابعة ، ورد بيت الصابي ، هكذا :

ان يكن تركي لقصدك ذنبا
فكفى بي الا اراك عقابا

ولا موضع فى وزن البيت يحتمل « بي » وان كانت موجودة فى النسخة « ت » كما ذكر المحققون، ولكن ما دام هذا البحر المديد يلفظها ، فلا معنى لاثباتها الا ان يكون تقليدا للمحقق الاجنبي عن ذلك اللغة وملابساتها ، مما نعده امالة ، وهو فى الواقع امالة من هذا الاجنبي ، الذى يحمل الاسفار ، فيشكر على حملها ، كما هي ، ولا نشكر نحن على حمل ما يختل به وزن من أوزاننا الشعرية .

وفى الصفحة الرابعة عشرة ، نجد التعليق على البيت :

وما كنت ادري قبل لقيا لحاظنا
بان لدى الالحاظ سهم ومقتل

هكذا ورد ، والصواب نصب سهم ومقتل ، اسم ان

فهذا التصويب ، لا تحتمله القافية ، المضموم لام رويها ، وعليه فالتنبيه بهكذا ورد ، ثم التصويب، ليس فى موضعه ، وكل ما يقال ، أن رفع الاسم مع هذا الفاصل ، ورد على سبيل الشذوذ ، عند الشعراء خاصة .

وفى الصفحة الرابعة والعشرين ورد اسم عبد الرحمان ، والصواب عبد الرحيم .

وفى الصفحة التاسعة والعشرين ، نجد القصيدة الجيمية ، التى تذكرنا باخرى تنسب الى الاصمعي ، اذكر منها قوله :

فلا تراني راكبا على حمار اعرج
يمشي على ثلاثة كمشية ...

ولا شك ان ناظمها اطلع على تلك الابيات ، كما يشعر بذلك قوله :

كمثل زق ناقص على حمار اعرج

والابيات المنسوبة الى الاصمعي ، كنت سمعتها فى طفولتي ، من العالم الورع الزاهد ، سيدي محمد اللوجري ، رحمه الله ، يذكرها فى قصة عجيبة ، تقوم على سرعة الحفظ والتلقن ، وكان اصحابها على ما يزعمون ، احد الخلفاء وعبد وجارية لهذا الخليفة ، ولحد الآن ، ما وجدت هذه القصة مذكورة في كتاب ، وكانت قد علقت بحافظتي ابيات لا اذكر منها الآن الا ما اثبت .

وفى الصفحة الحادية والثلاثين ، نجد هذه العبارة « ورد عليه » والصواب « ورد على »

وفى الصفحة الثانية والثلاثين ، نجد رسالة ، قلد بها صاحبها ، بديع الزمان الهمذاني

وفى الصفحة الثالثة والاربعين، نجد التعليق(1) فيه تحرر فى اثبات كلمة ، لا نوافق عليه ، ان لم يكن معتمدا على نسخة من النسخ .

وكان فى الامكان التثبت من تلك السجعات ، وقد رجعت فيها الى النسخة المصرية ، فوجدت المحققين ، وقعا موقعا اكثر قبولا من هذا

وفى الصفحة الرابعة والثمانين ، نجد البيت :

لا يخدعنك حب يطول منه السكوت

ويبدو لنا انه « خب » بالخاء

وفى الصفحة 116 لم يستسغ المحققون ـ كما قالوا ـ اثبات بيت فى المجون ، وقد اثبته المحققان المصريان ، فشكرا لهما ، لان الامانة العلمية تفرض ذلك ، وليس الكتاب مؤلفا لتلاميذ المدارس ، حتى يحذف منه هذا المجون .

وفى الصفحة 169 ، نجد التعليق (3) على حذف بيت لم يستسيغوه ايضا ، ولم نجد هذا البيت فى النسخة المصرية كذلك ، ولا علق المحققان بشيء على هذا ، فضاع البيت منا ، وما كان ينبغي أن يضاع علينا ، للسبب الذى قدمنا آنفا

وفى الصفحة 219 وردت فى قافية كلمة « الضر » والصواب الضرر ، ولا شك انه تصحيف مطبعي ، وقد وردت الكلمة كما صوبنا فى النسخة المصرية .

وفى الصفحة 244 ، ، وردت العبارة « وقاله بشكر » ، ويبدو من قراءة القصيدة انه يطالب ، لا يشكر ، فهو يقول : اني سقيت من الخطوب .. فاحلب بضبعي منقذي .. وامدد الي يد المغيث .. اني دعوتك حين أجحف بي الردى ..فاليك مفزع كل عان خائف .. قد طالت الشكوى .. واشتدت البلوى .. عمر يمر وكربة ما تنقضي .. وزمان سخط ما اه من آخر .. كم ذا التغافل عن وليك .. قم فى خلاصي واصطنعني ..

والقصيدة لامية ابن ابي الصلت ، وعلق على هذا الشكر المحققان المصريان ، بقولهما : لعل هذا بعد خلاصه من سجنه بمصر ، ولم ينتبها الى ان القصيدة لا شكر بها ، بل توسل مشوب بعتاب فى ابيات منها

وفى الصفحة 250 ، ورد بيت من قصيدة هكذا :

سكرى من الذل ما بها سكر
سقيمة اللحظ لكن ما بها سقم

والصواب « الدل » بالدال المهملة ، وهو ما وجدته مثبتا ، فى النسخة المصرية ، لحسن الحظ.

وفى الصفحة 253 ، نجد التعليق (1) ينص على ان ثلاثة ابيات ، لم يستسغ المحققون اثباتها ، ونحن لا نوافقهم لما قدمنا ومن لطف المحققين المصرين ، انهما حذفا ياء مد النون ، فخرجت الابيات الثلاثة، محتشمة، لا يخشى منها ، وهي طوع من يطلبها بيانها .

وفى الصفحة 255 ورد بيت هكذا :

عذيري من دهر كانني وترته
بباهر فضل فاستفاد به مني

والصواب فاستقاد ، بالقاف المثناة ، وقد رجعت الى النسخة المصرية ، فوجدتها ، كما استصوبت .

وفى الصفحة 257 ورد بيت هكذا :

فى سن البدر وسنته
وسناه ومنظره الحسن

وهو كذلك فى النسخة المصرية

والصواب « سنى » بالالف المقصورة ، اما الثانية فهي ممدودة الالف ، والقصيدة لا شك ، قد قلدت قصيدة ابي نواس في الامين :

يا كثير النوح في الدمن
لا عليها بل على السكن

ويقول صاحب البيت (امية) :

حتام تنوح على الدمن
وتسائلهن عن السكن

وهذه القصيدة في مدح ملك ، كما كانت قصيدة ابي نواس كذلك

وفي الصفحة 267 ، نجد البيت :
ما ظننا بأن قبلك للمجد ولا السماح صريعا

وعلق المحققون على « للمجد » بهذا التعليق (4) في الاصل المجد

مع ان البيت هكذا لا يفهم معناه ولا يستقيم وزنه ، وصوابه ، بما ورد في النسخة المصرية ، مع الزيادة المقتضاة (هوى) هكذا :

ماظننا بأن (هوى) قبلك المجد قتيلا ولا السماح صريعا

والقصيدة في رثاء شريف قتل ...
وفي الصفحة 278 نجد بيتا ، هكذا :
ويا يومه ما كان اقطع هوله
تشيب لمرآه المروع ولدان

والصواب « افظع » بالفاء والظاء المعجمة ، وهو ما وجدناه في النسخة المصرية بعد

وفي الصفحة 348 ، نجد بيتا هكذا :

وعجبت من عين قد اقرت وقد
سخنت بمصرع ذاك في حال معا

ولا يستقيم وزن البيت ولا معناه ، والصواب ما في النسخة المصرية :

وعجبت من عين بذا قرت وقد
سخنت بمصرع ذاك في حال معا

ولو امعن المحققون قليلا ، في المقابلة ، لما فاتهم ما في هذه النسخة .

ونكتفي بهذه الملاحظات ، وهي على كل حال لا تخل ، كثيرا ، بعمل المحققين ، هذا العمل الذي لا يدرك متاعبه الا من يكابده ، ولا شك أن بعضا من هذه الاخطاء ، نجم عن المطبعة ، لا عن المحققين ، الذين ننتظر منهم، باخلاص، اتمام هذا العمل الذي تم في مصر ، على نحو يرضي ، وفي بعضه الآخر سنشير الى ما فيه ، حينما نتناول الجزء الثاني الذي سوف ينجزه المحققون بتونس فنحن في الانتظار ، كما قلنا ، وفق الله الجميع .

تطوان ـ محمد بن تاويت



ليس في وسع أي باحث، مهما أوتي من الوقت والعلم، أن يخرج هذه الصفحات التي تجمع بين التاريخ والادب، الا أن يكون الاستاذ أنور الجندي، الذي توافر له الوقت، وطاوعه قلمه، وسعت اليه المراجع، وتيسرت له المقابلات والمحادثات.

رسم الاستاذ المؤلف صورة المجتمع من عام واحد وسبعين وثمانمائة بعد الالف الى عام تسعة وثلاثين وتسعمائة بعد الالف، اي منذ اواخر القرن التاسع عشر الى أوائل الحرب العالمية الثانية، في قطاعاته المختلفة، من خلال الندوة والمدرسة والمقهى وعيادات الاطباء ومكاتب المحامين، ومن ثنايا ندوات الفن وحلقات الشعراء، ومجالس الفكاهة، وصيحات المرأة، ورسائل الادباء، ورحلات المسافرين مسجلا الاهتزازات التي كان يتمي بها هذا المجتمع، وتسير في مجالاته من جد وهزل، وتجربة وخطأ، وفكاهة ونقد..

بدا الاستاذ الجندي كتابه برسم صورة المجتمع المصري قبل مجيء السيد جمال الدين الافغاني اليه، ولاسيما ما انبعث من الازهر الشريف في اواخر القرن الثامن عشر، وقيادته الرشيدة، وبروز علمائه الاعلام الذين مهدوا لهذا التطور الذي اصاب العالم العربي، وأحدث هذا الانقلاب الذي تمثل في الشيخ الدرديري، وعمر مكرم، ورفاعة الطهطاوي، وعياد الطنطاوي، وحسن الطويل ومحمد عبده، وحسن العطار، ومن سار على نهجهم، وتأثر بتعاليمهم، وعمل على ان يكون قدوة ونبراسا.

واقد استطاع العلامة جمال الدين، ان يهز الشرق كله، ويروع النائمين، ويفسح بيده الكهربية، كل من لامسه، او صافحه، حتى وقفت الهند وايران والافغان وتركيا ومصر، تزيل عن كاهلها كل ما علق بها من تعاليم بغيضة، وتنفض عنها غبار الجهل والتخلف.

ارخ المؤرخ لهذا التحول الذي أصاب العالم من وراء الكتابة والندوة والحكمة التي كان يجتمع لها جمال الدين، ويعمل على أن تتغلغل في الاعماق.

لكن هل وقف جمال الدين بتعاليمه عند الازهر وحده، أم هل اثر في مجالات اخرى غير هذا الازهر الذي انقسم شبابه حيال تعاليمه؟

يقول المؤلف نقلا عن الاستاذ سليم عنحوري، وكان اكثر لصوقا بالفيلسوف وأعرف الناس بنظام حياته الخاصة: «انه كان يقطع بياض نهاره في داره، حتى اذا ما جن الظلام خرج متوكئا على عصاه الى ملهى قرب الازبكية، يدعى: «قهوة البوسطة» وجلس في صدر فئة تتالق حوله على هيئة نصف دائرة، ينتظم في سمطها: اللغوي والشاعر والمنطقي والطبيب والكيماوي والتاريخي والجغرافي والمهندس والطبيعي، فيتسابقون على القاء ادق المسائل عليه، وبسط اعوص الاحاجي لديه، فيحل اشكالها فردا

فردا ، ويفتح اغلاق طلاسمها ورموزها واحدا واحدا بلسان عربي مبين ، لا يتلعثم ولا يتردد ، بل يتدفق كالسيل .. من قريحة لا تعرف الكلال ، فيدهش السامعين ، ويفحم السائلين ويبكم المعترضين ، ولا يدع هذا الشأن شأنه ، حتى يشتعل راس الليل شيبا وترعى غزالة الصبح نرجس غزالة الظلم ، فيقفل الى داره بعد ان ينقد صاحب الملهى ، كلما يترتب له في ذمة الداخلين في عداد ذلك المجتمع الانيق »

وقد انفضت ندوة جمال الدين بعدما اثمرت هذا الثمر اليانع ، واعقبتها ندوة الاستاذ الامام محمد عبده ، الذي خلف استاذه في حمل لواء تعاليمه الكريمة ، ونهضته بالشرق ، ومحاربته الجمود الفكري الذي اقتلع جذوره السيد جمال الدين ..

وليس شك في أن تسجل هذه الندوات التي قام باحصائها واثرها في الادب والفكر الاستاذ انور الجندي بالشيء المهم .. فكثير من الادباء كانوا يسمعون عن هذه الندوات ، وان كانوا قد لحظوا آثرها في جل ما كتب وسجل عنها طيلة قرنين او ثلاثة .

والحق ان القاهرة قد شهدت عشرات الندوات والسهرات التي كانت تضرب اطنابها هنا وهناك في جنباتها ، يفوح منها عبير العلم كل ليلة ويشع منها نور العرفان ، فصالون « نازلي فاضل » كان يؤمه النوابغ ، وكانت قهوة « متاتيا » مجلسا لبعض رجال القلم ، كذلك كانت قهوة « جراسيمو » وقهوة استانبول و « الاسبلنديارد » .

وفي الحي الحسني وجدت هذه النزعة مجالها في بعض مقاهي الحي الذي اطلق عليه : لقب الحي اللاتيني تشبيها بما يطلق في باريس على الحي اللاتيني الذي يجاور « السوربون » و « الكوليج دي فرانس » و « الباتشيون » فضلا عن اندية ادبية كان لها دوي ، واثر محمود في الادب والعلم ..

ولقد خص الاستاذ انور الجندي ، ندوة السيد البكري بالخرنفش في فصل من هذا الكتاب ، واشار الى المناقشات التي كانت تدور فيها ، والوفود التي تحج اليها عشية كل يوم ، وما كان لاصحابها : خلفا عن سلف من اثر التوجيه الادبي ، والتطور الذي اصاب العمود الفكري في صميمه .

على ان الذي يدعو الى قراءة هذا الكتاب ، وضع كل ناد في موضعه ، وانفراده ببعض الميزات ، وطابعه الذي عرف به ، فقد كانت ندوة شيخ العروبة على شاطىء النيل ، بجيزة الفسطاط ، يغلب عليها السماط الذي يشترك فيه كل من يحضرها ، وكانت ندوة أحمد تيمور بالزمالك ، تتسم بروح الدعابة والمرح والنكات والنوادر ، وان كان صاحبها يجد بالتنقيب في الكتب ، ويغوص بين المخطوطات كما كان صاحبه احمد زكي باشا ، وكانت هناك ندوة طلعت حرب ، وتاريخها معروف مشهور يقترن بالتحول الاقتصادي والحركة الوطنية المصرية ..

ووسط هذا التاريخ ، لم ينس الاستاذ المؤلف ، ندوتين من ندوات القاهرة كانتا قطبي الرحى ، ومداري التوجيه بين هذه الندوات ، هما ندوة الشاعر الراحل : السيد حسن التاباتي ، بداره بالسكرية بالقرب من باب زويلة ، تحت سور القاهرة القديم ، وندوة البابلي بالمعادي ، او بالسيدة زينب ..

ولكن الذي يؤخذ على الاستاذ المؤلف ، في ذكر ندوة التاباتي ، انه ذكر أن الشاعر حسن التاباتي هو الذي بدا بالاجتماع فيها ، ولكني استطيع ان اجزم انني كنت من رواد هذه الندوة سنين عده في عهد صاحبها الشاعر .. ولم ادرك انا ، ولم يدرك المؤلف نفسه ، عهد الشيخ مصطفى التاباتي ، المؤسس الاول لهذه الندوة ، التي اكملها السيد حسن في عصرنا الذي خرجنا فيه نسعى الى الاندية ، ونبحث عن الندوات .

اما دار البابلي ، فقد عمرت كثيرا ، وطار اسمها في كل مكان ، بما عرفت به من الفكاهات المهذبة ، والنكات المستملحة ..

وهناك عشرات الاندية ، ارخ لها ، وابرز طابعها ، وما اتسمت به الاستاذ المؤلف ، وان كان في هذا التاريخ كثيرا ما يعتمد على الصحف والدوريات التي كانت تسجل احداث هذه النوادي ، وتبرز حوادثها على حسب ما يهوى اصحابها او يشتهي الرائدون منهم .. فلم ينصرف الناس عن مقهى « الحلمية » بموت الشاعر الهروي ، وانما كان يغشاه : « الزين والاسمر وكثير من ادباء الجيل ، ويكفي ان يكون الشاعر الراحل عبد الله عفيفي في مقدمة من كانوا يزورون هذه الندوة صباح مساء وهو في طريقه الى عمله في قصر « عابدين » وكان الراحل الشاعر حسن القاياتي ، كثيرا ما يبعث بي الى هذه المقهى ، لاستطلع وجود هذا الشاعر وغيره من جلة الادباء ، ثم يصطحبني واياه في عربة « حنطور » الى ذلك المكان حيث نقضي شطر الليل الاول ، ثم نعود وقد اكتمل عقد ندوته بداره بالسكرية ...

والحق، ان تعداد المؤلف لهذه الندوات يعد ضربا لم يسبق اليه كاتب من قبل سواء في القديم او الحديث، لان جمع المادة التي يعمر بها المجلس، واصحاب الرواد، وتناولهم هذا التناول الامين، لا يتيسر الا لعالم بمسالك هذه النوادي، ملم الالمام الواسع بهذه الكتائب التي يهمها القلب في الحديث، والسبق في الرد والمجادلة، وليس في مقدور اي كاتب ان يجمع هذا التنافر على صعيد واحد، وان اتفقت هذه الاندية في الغرض والاتجاه، تعمل للادب، وتفتن في النهوض به وتدعو الى التحليق حول موائده ..

وقد عقد الاستاذ الجندي، فصلا ممتعا، عن «الكتاب»، وما كان يمثله في القرن التاسع عشر، وآراء كبار الكتاب فيه، ثم ما كان عليه الازهر الذي كان يتغذى منه، والازهر والجامعة القديمة، والشخصيات التي اثرت في المجتمع وعبت تعاليمها من هذا الجامع العتيد، كالدكتور زكي مبارك وراي الاستاذ العقاد فيه والدكتور طه حسين ومقالبه ومشاغباته مع اساتذته ودروس الشيخ المهدي، والتجديد الذي دخل الازهر، والصيحات التي علت ضد البغاء والمسكرات، وتمثلت في الشيخ ابي العيون، والدكتور احمد علوش.

ولم يفت المؤلف، ان يسجل الى جوار النواحي الادبية، ومكاسبها، النواحي الاقتصادية والتعاونية والطبية، بارزة على يدي: عمر لطفي، وعلي ابراهيم ومحجوب ثابت، وابراهيم ناجي، وعشرات غيرهم من الادباء الفلاسفة المتفننين عبر ابواب شائقة، تحرز للمحامات، واثر كبارها، والدعوة الى تحرير المراة ودفاع قاسم امين ..

على ان الملفت للنظر حقا في هذا الكتاب، انه بديء بالتاريخ للادب، واثر ندواته فيه، وختمه صاحبه بالفن، واثر المغنين الذين لعبوا دورا هاما في ميدان الموسيقى والغناء، وما فعله الشعر في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن مثلا في البارودي وشوقي وحافظ، فضلا عن شعراء الفكاهة والمداعبة الذين احتلوا من النفوس مركزا، ومن القلوب مكانة، كعبد الحميد الديب، ومحمد مصطفى همام، وحسين شفيق المصري، وبيرم التونسي، وطاهر ابو فاشا.

غير ان الفصلين اللذين عقدهما المؤلف في هذا الكتاب بعنوان «رسائل الادباء» و: «ذكريات الصحافة والطيران» يعدان بمثابة «الرقعة» او الحشو، بجانب ابوابه الكثيرة .. وليس بنافع المؤلف الفاضل، ان يدافع عن الاثبات بحجة استكمال التاريخ لهذه الحقبة .. فلقد كان يمكن ان ياتي بجديد في هذه الرسائل، او ينشر ما وقع بين هؤلاء الادباء انفسهم من صراعات عادت بمكاسب على الادب، وزادت من حصيلة الادباء .. والا ماذا يعني او يفيد من نشر رسالة وجهها احمد زكي الى شكيب ارسلان، او من الانسة «مي» الى فريد وجدي، او من مصطفى لطفي المنفلوطي الى حسن انور الموسيقار .. او من الدكتور عبد الوهاب عزام الى ابنته، او محمد المويلحي الى سليم سركيس. وماذا يفيدني اذا علمت: ان عزيز خانكي قد عمل بالمحاماة خمسين عاما، وان الدكتور علي عبد السلام خريج جامعة كمبردج، الحاصل على الدكتوراه في الفلسفة قد امضى عشر سنوات في مستشفى المجاذيب.

والواقع ان الاستاذ انور الجندي، قد شعر بانه اثقل على القارىء، وشق عليه بمطالعة هذين الفصلين، او هما لا يعفيانه من اللوم، او ياخذانه بجريرة، فبادر الى سوق طائفة من احاديث الظرفاء والقدماء الذين ترددت اسماؤهم كثيرا ولعبوا دورا هاما في مجالي الظرف والندامة، ولكن مساق هذه الفكاهات، لم يكن بالشيء الذي ينتظره الادباء من اديب كالجندي، له مؤلفات عدة، وابحاث مشرقة تدل على سعة اطلاعه، واجتهاده في كثير من مجالات الاداب والفنون .. ودون ما شك، فان رواية هذه النكات، واثباتها على علاتها، دون مناقشتها او ابداء الراي فيها، ليدل دلالة واضحة، على ان المؤلف، يريد ان يضخم من صفحات الكتاب، او يسلك نفسه في عداد الذين يمطرون المكتبة العربية كل عام بسيل جارف من المؤلفات ..

فحوادث هذه الحقبة التي حددها المؤلف، لا يستعصى ارواؤها على ناشئة الادب، وشداة البيان، فاكثرها مثبوت مسطور في اكثر من كتاب، واكثر من صحيفة، ويحفظه عدد ضخم من الادباء وان كان للاستاذ الجندي العذر في اثبات هذه النوادر، فهي — في نظره — تمثل قطاعا خاصا لفترة محددة الزمان والمكان، وان كنت انا شخصيا لا اعفيه من اللوم اذ ليس من الصعب على رجل مثله، شغل نفسه منذ سنين عدة بهذا الجانب الحيوي من التاريخ الادبي اللامع، ان ياتي بجديد، يحمد له في باب من ابواب الادب، وينظر اليه الادباء على انه حسنة من حسنات

الجندي نفسه وعقله في تقديمها خالصة لوجه الله والادب . . .

ومن المطاعن التي وجهت الى هذا الكتاب الجليل ، واصبحت وصمة عار تلازمه ، الى ان يمضي فيه صاحبه برأي ، تلك الاخطاء اللغوية والنحوية التي لا يصح ان يخرج كتاب كهذا بها .. فمن اول صفحة الى آخر سطر ـ وما اكثر صفحات الكتاب وعدد سطوره ـ تختال اخطاء مشهورة ، وتمسك بعيني المطالع ايا كانت ثقافته ، وحظه من العلم والثقافة ، غير تلك الاخطاء المطبعية التي ضربت بجرانها على حروف جل الكلمات ..

ومهما ابتدع الاستاذ الجندي من اعتذار ، او اظهر من تواضع ، فان يعفيه اي قارىء من هذه الكوارث التي لحقت بهذا الكتاب ، فشوهت من خلقته ، واذبلت من يناعته ، وغضت من تيهه ودلـه ، ووقفت حجر عثرة امام شموخه واستطالته ..

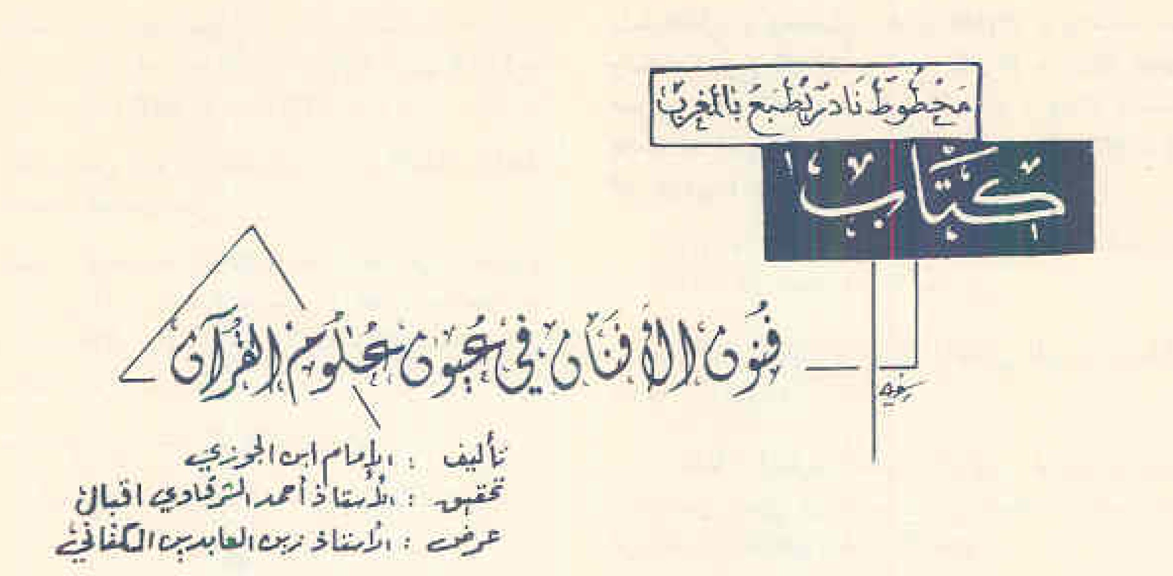
على اني خدمة للادب ، اضع نفسي في مراجعة تجارب هذا الاثر الرائع ، ان اراد الاستاذ انور الجندي اعادة النظر في طباعته من جديد ، ولعلي لا اكون مغاليا ، اذا قلت : ان الاستاذ المؤلف لن يتأخر ، او يتوانى او يهمل في هذا الرجاء الذي كان مجمع الراي لكثير من الادباء ..

فلعل ، وعسى ..

القاهرة ـ ابو طالب زيان

مشؤوم .. وميمون

لقى بعض الملوك في موكبه رجلا اعور ، فحبسه ؛ فلما نزل حلاه ، وقال : تطيرت منك . قال : انت اشأم مني لانك خرجت من منزلك ولقيتني فما رأيت الا خيرا ، وخرجت من منزلي فحبستني .. فلم يعد بعدها يتطير .



أحببت في هذا العدد من مجلة « دعوة الحق » ان اقدم للقراء المخطوط النادر الذى تم العثور عليه مؤخرا فى نسخة تامة كاملة بالمغرب ، وفى مراكش بالذات .

وان العثور على هذا الكتاب بالمغرب من جهة وتقديمه فى صمت للتداول من جهة ثانية له دلالات وعلامات تشير اولا الى ان الوديعة كانت فى يد امينة ، وان الذى احتفظ بها كان اهلا لذلك .. وان المحقق يستحق كل تنويه .

والمخطوط النادر الذى نعني فى هذا العرض هو كتاب : **« فنون الافنان فى عيون علوم القرآن »** الذى صدر تحت شعار «من المكتبة القرآنية» عن احدى المطابع بالدار البيضاء في نهاية شهر يوليو من السنة الماضية وهو للعلامة جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن الجوزي البغدادي الحنبلي .

وقام بنشر هذا الكتاب وقدمه الاستاذ السيد احمد الشرقاوي اقبال الذى عثر عليه عند احد الكتبيين بمراكش وهو السيد احمد الغزالي كما اشار الى ذلك فى تقديمه :

◆ والكتاب المطبوع من الحجم المتوسط يقع فى 128 صفحة من الحجم دون المتوسط .

◆ يحتوي على قسمين : التعريف بالكتاب للمحقق الناشر ويتناول : التعريف بالمؤلف ومدرسته ومؤلفاته وقائمة بكتبه ، وقصة الكتاب المعنى ، وما يتصل به ، وينتهي هذا القسم بثلاث صور فتوغرافية للمخطوط .

ثم النص الكامل للكتاب المعثور عليه .

وقد اكد الناشر انه لم يتصرف فى نص المخطوط لا بقليل ولا بكثير خلا بضع كلمات وردت فى كلام المؤلف على وجه لا تجيزه العربية فاصلحها(1)

اما النصوص القرآنية فابقيت ـ يقول الناشر ـ كتابتها على ما رسمت عليه اذ كانت بالوجه الذى تقبله القراءات المتواترة ، وان جاء منها ما خالف رسم مصحف الامام .

يعتبر كتاب « فنون الافنان فى عيون علوم القرآن » (2) فى طليعة الكتب التى تناولت علوم القرآن ، بل كما قال ناشر الكتاب كانت تمهيدا لكتب مثلها فى الموضوع جاءت اجمع واوعى واكمل وارضى من مثل كتاب « البرهان » للامام الزركشي، وكتاب « الاتقان » لجلال الدين السيوطي مما يجعله من امهات الكتب فى موضوعه .

(1) صفحة : 14 من نفس الكتاب

(2) تعرض الناشر للاسماء التى عرف بها الكتاب وهي سبعة (انظر صفحة : 11 و 12) من نفس الكتاب .

والعلامة جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمان ابن علي الجوزي ولد ببغداد سنة (508 هـ ـ 1114م) وتوفي بها سنة (597 هـ ـ 1200 م) .

ويعتبر من ابرز الوعاظ في تاريخ الاسلام واحد علماء الاسلام الموسوعيين .

تعدت مؤلفاته الـ 400 مصنف في العلوم القرآنية وفي السنة والاصول والفقه والعقائد والوعظ والاخلاق والتصوف واللغة والادبيات وفي السير والطب والجغرافية .

لم يطبع من كتبه الا ثلاثون كتابا

اما المخطوطات فلم يوجد منها الا 140 مؤلف .

— * —

ويضم كتاب « فنون الافنان » عشرين بابا تتناول الابواب الاولى نبذة من فضائل القرآن وانه غير مخلوق ، وانه نزل على سبعة أحرف ، ويليها باب في كتابة المصحف وهجائه وعدد سور القرآن وكلماته وحروفه ونقطه واجزائه وعدد آيات السور (3) وذكر القرائن من السور في العدد ، وبيان السور المكية والمدنية ، وذكر اللغات في القرآن وآداب الوقوف والابتداء ، وباب يخص الياءات المحذوفات .

اما الابواب الثمانية الاخيرة فهي تتناول موضوعات يمكننا في مجموعها ان تجعل منه الجزء الثاني وهي : (ابواب المتشابه) وتتناول ابواب مشكل ما في القرآن منه حرف واحد والمتشابه ، وابدال كلمة بكلمة او حرف بحرف من المتشابه ، والحروف الزوائد والنواقص من المتشابه ، والمقدم والمؤخر من المتشابه ، والمفرد من المتشابه ، وذكر الاوصاف التي شاركت امتنا فيها الانبياء .

وقبل ان يشرع الامام ابن الجوزي في ابواب كتابه عرف لنا القرآن الكريم تعريفا علميا دقيقا مؤكدا باللفظ ان الله سبحانه وتعالى « **جعله معجزا في المعنى واللفظ والنظام ، مشتملا على علوم حارت فيها عقول الانام ، فمنه ما يوضح الحلال ، ويبين الحرام ، ومنه وعد على التقوى ، ووعيد على الانام، ينبه الفكر ، ومفصل وضح للافهام ، ومنه نص ومنه منسوخ للابتلاء وناسخ للابرام ، ومنه مجمل صريح . ومنه تنبيه على الاحكام ، ومنه متشابه يجب له التسليم ، ومنه مخصوص بالاحكام ، ومنه امر ونهي ، وخبر واعلام (4) »** .

واذا ما انتقلنا مع المؤلف في ابواب كتابه نلاحظ ان الكتاب قد تميز عموما بما يلي :

اولا : موضوع الكتاب العلمي المهم جدا في مادته وموضوعه .

ثانيا : اسلوب الكتاب اسلوب قوي ورصين ومختصر يشير في وضوح الى صفاء التفكير العربي في القرن الحادي عشر الميلادي .

ثالثا : التبويب العلمي الصرف الذي لا يعرف الحشو او التكرار أو الاستطراد خصوصا بالنسبة للموضوع الذي يعنيه الكتاب .

رابعا : ان الامام ابن الجوزي قد سلك طريقة في البحث بلغت من الروعة والدقة العلمية والتحديد ما يجعلنا نتاسف على فقدان هذه الطريقة وهذا الاسلوب في كتابتنا وبحثنا حتى اليوم .

وكنموذج لهذه الدقة نشير الى ان الامام ابن الجوزي قد سلك ـ مثلا ـ في باب ان « القرآن غير مخلوق » الطريقة التالية :

«ما في الموضوع من نصوص من القرآن والسنة وقول الصحابة ، وما انتهى الى ذلك العصر من اقوال اهل البلدان من التابعين من اهل المدينة واهل مكة والكوفة والبصرة واليمن والشام والجزيرة ، واهل الثغر ومصر وخراسان وبغداد واهل الري والجبل واصبهان .. »

والحقيقة ان القارىء او الباحث ينتهي وقد ملأ الموضوع عليه كل آفاقه ومختلف جوانبه .. حيث يقول في هذا الموضوع :

« قال المصنف :

« وقرات على ابي الفضل محمد بن ناصر الحافظ على ابي القاسم عبد الرحمن ابن ابي عبد

---

(3) (انظر صفحة 42) وهو فصل كتب بدقة وباسلوب علمي رائع .
(4) صفحة 23 من نفس الكتاب .

الله بن مفدة عن أبيه أن الصحابة والتابعين ، وائمة الامصار قرنا بعد قرن الى عصرنا هذا اجمعوا على ان القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال غير ذلك كفر .

ونحن نقتصر على ذكر ما ثبت من طريق السند (5) »

ونلتقي مع الامام ابن الجوزي في صورة اخرى من موضوعه الجميل في باب (عدد الآيات والسور) فيقول :

« الفاتحة :

سبع آيات بلا خلاف في جملتها ؛ والخلف في آيتين منها .

فعد الكوفيون والمكيون وجماعة من الصحابة والتابعين « بسم الله الرحمن الرحيم » آية وتركوا « انعمت عليهم »

وعد الشاميون والبصريون « انعمت عليهم » آية (6)

والحقيقة ان الكتاب كتاب علمي صرف دقيق في موضوعه ، وقوي في اسلوبه ، غني بما يشتمل عليه من علوم وهو مادة علمية للدرس والبحث والمقارنة ..

وليس من السهل ان يتناول مثل هذا الكتاب في عرض سريع الا انني اتمنى وقد سعدت بقراءته مرتين ان يدخل في مناهج مدرستنا في مادة علوم القرآن ، لان مؤلفه كتبه بروح علمية صرفة بلغت القمة ، هذا بالاضافة الى احاطته العريضة بعلوم القرءان وحقائقه في تفكير سليم واتجاه يبغي به مؤلفه وجه الله تعالى ..

وتهانينا لمراكش وللاستاذ الشرقاوي على هذه الخطوة المباركة .

الرباط ـ زين العابدين الكتاني

---

(5) انظر صفحة 26 من نفس الكتاب .

(6) انظر صفحة 52 من نفس الكتاب .





للأستاذ عدنان الداعوق

لا استطيع بشكل من الاشكال ان انسى ..

فان ما مر علي .. وما ذقته خلال ايام معدودات لا يمكن ان ينسى .

فى الصباح كنا نهمس بكلمات غير مسموعة ، ونشير بأصابعنا المرتجفة الى الافق البعيد .. وعلى الرغم من ان الكلمات لم تكن مفهومة ، الا اننا كنا نعرف تماما ما نعنيه .

ويدور علينا « فارس » بأقداح الشاي الساخن ، وتتوالى الرشفات ، وتدور معها حلقات لولبية من ذكريات تختلط فيها الحلاوة بالمرارة ، واللذة بالالم ..

ثم اترك الكاس بجانبي ، فوق كومة من تراب احمر هش ، واضع لفافتي تحترق بين اصابعي رويدا دون ان امتص منها شيئا .. وارقب الدخان المتصاعد من اللفافة ، وما ان تهب عليه نسمات الصبح الباردة حتى يبدا يتصاعد ويتلاشى ويضيع ...

ويصيح احد الرفاق ، وقد اتى على آخر كاس الشاي :

— فارس ... اين انت يا فارس .. ؟

ويرد عليه آخر من خلف كومة من التراب :

— انك لن تعثر على فارس الآن .. فان عليه أكثر من مهمة ..

فيسأل الرفيق فى فزع :

— وهل وزعت المهمات .. ؟

وتضج اكثر من ضحكة ، ويهمس آخر :

— ان فارس فوق كل المهمات ...

— ♦ —

اعود من جديد الى حلقة الذكريات ...

هناك ودعتهم .. وبعد ايام سألت عنهم ... فلم اعثر على اثر واحد لهم ، كانوا كلهم قد رحلوا فى قافلة انتظمت ، ثم تلاشت بعد ان سارت ساعات قليلة ، وضاعت القافلة كلها فى متاهات الصحراء الموغلة فى القدم .

— ♦ —

— اين انت يا فارس ... ؟

ويفترش « فارس » التراب الاحمر الهش ، ويبتسم ابتسامة قاسية وهو يتطلع الى السماء .. وكأن احدا من الرفاق لم يسأل عن غيبته .

ونصمت جميعا ، ونحن نتطلع الى « فارس » نلاحق ، عبثا ، نظرته الملحقة الى فوق . وينهض « فارس » فجأة .. ويجلس متكوما على نفسه .. ويصيح بصوت كالرعد :

— كلكم اغبياء .. كلكم اغبياء .. فمنذ مئات السنين ونحن في نوم عميق .. نتلذذ بالرقاد ، ونحلم فوق العشب اليابس وتحت ضوء القمر في الليالي الصيفية .. هذا الشرق عجيب .. عجيب الى حد الجنون .

— لم تكلمنا اليوم مهمتك يا فارس .. ؟

استوعب « فارس » السؤال ورد على صاحبه قائلا :

— انظر .. الى فوق .. الى فوق أكثر .. وامكث هكذا لحظات وانت تتطلع الى زرقة السماء ، ستلمح صورتك – بعد آن ، وقد وضعت ضمن اطار أسود .

قال أحد الرفاق مداعبا :

— وهل نحن في مأتم .. ؟

رد « فارس » بعنف يتوعد :

— اسكت لئلا تضيع الصورة .. نحن دوما في مأتم .. خلقنا في مأتم على الرغم من انهم كانوا يزغردون يوم ولادتنا ..

قال آخر :

— تلك هي الصورة .. انني المحها الان .. ها قد بانت لعيني ، يا لها من صورة جميلة .. يزمجر « فارس » بغضب :

— اسكت ايها الغبي .. انها اقبح صورة لاغبى انسان .

ويسكت الجميع ، ويأخذ « فارس » بالثرثرة ، وكأنه يحدث نفسه :

— لماذا أنتم هكذا .. اسحرتم بنور القمر فتخدرتم ، واخذتم بروعة المساء فاستسلمتم للراحة حتى نسيتم غدكم الموعود .. ؟ .. الم ترددوا دائما : لنا عودة – لنا عودة .. ؟ .. فلماذا الاحلام اذن .؟

يا لكم من اغبياء .. بنيتم جمهورية افلاطون وانتم تتمددون فوق العشب ، وناطحتم السحاب وانتم في استلقاء ولا مبالاة ..

تلك هي الصورة .. الصورة تختفي الان .. وسوف تظهر غدا في افق آخر .

اجل ، هناك ودعتهم .. وبعد ايام سألت عنهم فلم اعثر عليهم .

كان بينهم صغير في عمر الصباح ، يبتسم لغد ويحلم احلام الطفولة .. بالحصان الخشبي والسيف الحديدي .. وما تكاد تبرق في ذهنه تلك البارقة الصغيرة حتى ينتشي ويصيح :

— سوف أركب الحصان واطوف البلاد واقهر الاعداء .

هناك ودعتهم . وبعد ايام سألت عنهم ، فلم اعثر الا على صدى عبارة جميلة حملتها معي :

— سوف أركب الحصان وأطوف البلاد واقهر الاعداء ..

— ◆ —

قال « فارس » وهو يطوف فوق رؤوسنا :

— هل سمعتم ما قال افلاطون بالامس .. ؟ رد الجميع بصوت واحد :

— كلا لم نسمع ..

قال « فارس » :

— لا بد انكم كنتم نائمين ..

قال الرفاق بصوت واحد !

— حدثنا ماذا قال افلاطون ..

قال « فارس » :

— حدثنا افلاطون عن لسان احد حوارييه فقال : « .. كان هناك قوم ينتمون الى قبيلة تأكل لحوم البشر .. وتحاصر هذه القبيلة طرقا تؤدي الى واحة كبيرة في وسط الصحراء .

وكان لا بد للقوافل من أن تمر في احدى تلك الطرق لترد الماء وتشرب منه بعد مسير طويل في حرقة الرمال ..

وحين كانت تصل القافلة الى نبع الماء ، كانت تفقد رشدها وتصاب بالجنون .. ولذلك كان يسهل على قبيلة اكلة اللحوم اقتناص القافلة بمجموعها .. وتقيم القبيلة فرحا كبيرا تدعو اليه القبائل المجاورة .. وتقام الولائم لايام دون انقطاع .. وتقدم اجساد

القافلة طعاما فاخرا لكل هؤلاء حتى يصابوا بالتخمة .. ويكون ماء النبع قد تلون بدم القافلة، ويظل الماء الاحمر يروي كل الرمال لايام مديدة .. »

— ◆ —

قلت للصبي الصغير في يوم بعيد :

— واذا ركبت حصانك الخشبي وتقلدت سيفك الحديدي .. الى أين ستذهب .. ؟

فالتمعت عينا الصبي الصغير ، وحملق في وجهي ، وشعرت وكأني ارتكبت اثما عظيما في سؤالي .. وقال بصوت حازم :

— هناك اكثر من قبيلة في الصحراء تقطع الطرق وتنهب وتسرق وتطوق المارة ..

سأذهب الى تأديب تلك القبائل المتوحشة .. الا تعرف الى أين سأذهب .. الى القبائل المتوحشة المنحدرة الى الصحراء ، القبائل المتوحشة الغريبة عن الرمال ، القادمة الينا من بلاد الصقيع .. بلاد الهمجية .. بلاد اللصوص .

— ◆ —

انتهكت قبلة بعيدة حرمة افكار « فارس » .. فصمت قليلا عن الكلام .

وما كاد السكون يعود الينا من جديد ، حتى عاد الى الثرثرة ، وقد اخذت نبرات صوته حدة أكثر :

— لا تخشوا شيئا ايها الرفاق .. اسمعتم ذلك الصوت الذي دوى منذ آن .. ؟ انه صوت افلاطون نفسه ...

سأل احدنا يداعب « فارس » :

— احقا هذا صوت افلاطون .. ؟

فقال آخر منا :

— ومن هو افلاطون هذا ... ؟

قال « فارس » :

— وددتك لو بقيت غبيا .. اما ان تزين غباءك بالحماقة ، فهذا ما لا اطيقه ابدا .

ونهض « فارس » ينوي المسير :

قلت له ، وقد عدت من ذكرياتي البعيدة :

— الى اين يا فارس .. ؟

قال :

— لا حياة لي مع هؤلاء الحمقى .. تصور .. تصور انهم لا يعرفون افلاطون .. قلت في استغراب :

— وكيف لا يعرفون افلاطون .. افي الدنيا من يجهله ؟ .

قال فارس متأففا :

— هؤلاء الحمقى يجهلون افلاطون .. يجهلون من قال : « العين التي لا تبصر الاذى يجب قلعها » . قلت في استدراك :

— وهل قال افلاطون هذا يا فارس .. ؟ قال :

— اجل ، وقال ايضا : « الصرصار يغني القصائد ايام الحصاد .. » قلت مهدئا :

— رويدك يا فارس .. يجب الا تحرمنا منك وتذهب عنا ، لم تكن تعلم انك تحفظ كل هذا .. ابق هنا ، وقل لنا حكم افلاطون .. فقد آن لنا ان نحفظ قصائد الصرصار . قال « فارس » :

— هيهات فقد فات الاوان ..

— ◆ —

عدت اسأل الصبي الصغير :

— وهذه الرمال يا صغيري .. هل تكن لها بعض الحب ؟ ..

قال الصغير :

— انها حبات عرق جدي .. وجدي الاكبر .. وجد جدي .. انها قصائد العمر ، اغنيات وجودنا منذ أن عرفنا الحياة . قلت مندهشا :

— ومن الذي علمك كل هذا يا صغيري .. ؟ قال :

— لم اتعلمه من احد .. بل احسست به هنا ، فى قلبـــي .

— ◆ —

— أين الشاي يا فارس .. ؟
جاء هذا الصوت من حفرة قريبـــة ، فارتعـــش « فارس » وهو يتكلم ، حتى احسبنا انه قـــد اصيب بشظية قنبلة .
والتفت « فارس » الينا ، وقال :

— يريد ان يتسمم بالشاي لكي يلبد أفكاره .
ونهض وهو يتمتم :

— سأهيىء له بعض الســـم .. ليتــه يرتشــف الحكم كما يرتشف الشـــاي .. افلاطـــون قال هذا .. وابتعد « فارس » قليـــلا ، وما كـــاد يغيب عنا حتى سرت بيننا ابتسامة تبادلناهـــا فى صمت وتحفظ وخوف .
ودوت فى الافق البعيد قنبلة صارخة ...
وصفر الجو عن قنبلة اخرى .. ثم ارتجت لها الارض من تحتنا ، وتساقطت بعـــض نيرانهـــا فالتمع المكان البعيد حتـــى احسسنا بالنـــور وكأنه يحرقنـــا .
وعاد « فارس » مهرولا الينا ، وهو يصيح :

— ماذا جرى لافلاطون ... هل حطـــم احدكـــم حكمتـــه .. ؟
قال احدنـــا :

— كلا .. لكن بريق افكاره يصل الينا .
قال « فارس » ، وابريق الشاي فى يده :

— لقد قال افلاطون مرة : « لا ينفع المرء الا حرارة الحكمـــة » .

— اين الشاي يا فارس ... ؟
امتعض « فارس » ، وهو واقف امامنا ، ومضى بابريق الشاي وهو يتمتم .

— ◆ —

قلت للصبي الصغير يوما :

— اسمع يا صغيري .. لن ينفعك هذا الحصـــان الخشبي .. لانك لن تستطيـــع أن تبتعد بـــه مسير قدم واحدة ..
قال الصبي ضاحكا :

— ومن قال لك انني سأستخدمه فى جولاتي .. ؟ انه الان للتدريـــب فقط .. امـــا الحصـــان الحقيقي فهو من حديد .. حصـــان يسابـــق الريح ، ويصهل نارا من فمه ، ويطلـــق رعـــدا يزلزل اركان الصحراء كلها .. افهمت الان .. ؟
ابتسمت للصغير ، واشرق الافق فى ناظـــري من بعيد ، وقلت :

— اجل يا صغيري .. لقد فهمت الان .

— ◆ —

وناولني « فارس » قدح الشاي ، وقال :

— هذه لك ... خذ انها ملأى حتى حافتها .
قلت ضاحكا :

— وهل هذه الحكمة ايضا من افلاطون .. ؟
قال فجـــأة :

— اسكت ... اسمع ، ارهف سمعك قليلا ، انـــي اكاد احس وقع اقدام غريبة . قلت مستغربا :

— وقع اقدام .. اني لا افهم شيئا .. ؟
قـــال :

— هذا افضل .. انا وحدي أسمع وقع الاقـــدام الغريبة .. اقدام وخيول تسابق الريح .
قلت فى عجب :

— خيول تسابق الريح .. ؟
قـــال :

— اجل . اجل ... خيول من حديـــد تسابـــق الريح ، وتصهل نارا من افواهها ... انتظـــر قليلا ، وستعرف كل شيء ..
وانتظـــرت ...
واضيئت الدنيا من حولنـــا .. ثم اظلمـــت ، ثم اضيئـــت .
وتفجر كل شيء حولي ...
تفجرت الرمال .. تفجرت الارض .. تفجـــرت اقداح الشاي والابريق العتيق ، وتفجرت كذلك حكم افلاطون وقصائد الصرصار الطويلة .

سوريا ــ عدنان الداعوق



المغـــــرب :

* استقبل صاحب الجلالة والمهابة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله وايده ، بقصــره العامــر بالصخيرات صبيحة يوم الجمعة 17 ربيع الثاني 1391 الموافق 11 يونيه 1971 ، الامين العام لرابطة علمـاء المغرب ، وعمداء كليات الشريعة ، واللغة العربيــة واصول الدين ، ودار الحديث الحسنية ، وذلك بحضور معالي الوزير الاول ، والمدير العام للديوان الملكـي ، ووزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافيــة والتعليـم الاصلي ، ووزير التعليم الثانوي والعالــي ، ووزيــر الاوقاف والشؤون الاسلامية .

وقد ابدى جلالة الملك حفظه الله ، على عادتــه الكريمة ، حفاوة بالغة بالعلماء واكد لهم تقديره وعطفه وسروره بلقائهم .

ومن النتائج الحسنة التي تمخض عنها هــذا الاستقبال المولوي الكريم ما يلي :

1) ان يفيض التعليم الاصلي من مواده الفقهية، والعربية على التعليم العمومي الى غاية السنة الثانية من الثانوي ؛ وذلك بقدر ما يفيض هذا التعليــم على التعليم الاصلي من مواده الفقهية .

2) انشاء مدارس نموذجية في كــل اقليــم للابتدائي الاصلي ، لتكون بمثابة روافد له .

3) تاليف لجنة وزارية بأمر من صاحب الجلالة لتحضير مشروع يتكفل بتحقيق هذه الغاية ، وتتركب من ممثل للديوان الملكي ، ووزير التعليم العالي والثانوي وتكوين الاطارات ، وزير الدولة المكلــف بالشــؤون الثقافية والتعليم الاصلي ، ووزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وزير التعليم الابتدائي .

وخلال هذا الاستقبال صرح جلالته بأن الزيادة في اجور موظفي التعليم تشمل كذلك التعليم الاصلــي ، وامر بتنفيذها ، مما يؤكد عطفه على هذا التعليــم ، ورغبته في تطوره وازدهاره .

* انهى مؤتمر المراكز الثقافية الاسلامية المنعقد في الرباط اشغاله بعد اجتماع دام ثلاثة ايام .

وقد اختتم المؤتمر السيد تنكو عبد الرحمن امين عام المؤتمر الاسلامي بكلمة قال فيها : « ان هذا الاجتماع يعتبر فرصة جديدة في حياة الامة الاسلامية تهدف الى اعادة الوحدة للعالم الاسلامي » .

واضاف يقول : « ان رغبتنا في التعاون ككتلة اسلامية في اطار المجتمع الدولي لتوحيد افكارنا واعمالنا يمكنها أن تساهم مساهمة كلية في ايجاد نظام عالمــي سلمي واكثر استقرارا » .

ومضى تنكو عبد لرحمن يقول: « ان اجتماعنا هذا لا ينبغي ان يدرج تحت بند الثقافة الروحية فحسب ولكن يجب ان يشمل هذا البند على النشاطات التــي يمكنها المساعدة في خلق شعور قــوي بالمجتمــع الاسلامي او شعور بالانتماء الى اخوة واحدة »

هذا ويقول الملاحظون ان هذا المؤتمر هو واحد من اربعة اجتماعات تعقدها اللجان الاسلامية المختصة قبل انعقاد المؤتمر الثالث لوزراء خارجيــة الــدول الاسلامية في كابل عاصمة افغانستان في شهر سبتمبر القادم وتبحث اللجان الثلاث الاخرى المسائل المالية والمصرفية ووكالة الانباء الاسلامية .

وقد بحث المؤتمر احوال المراكــز الاسلاميــة الحالية الموجودة في باريس ولندن وواشنطن ومدريد وروما واوتاوا وبروكسيل وبيونس ايرس . كما بحث امكانية اقامة مراكز اسلامية اخرى في بلــدان غيــر اسلاميــة .

* اجتمع جلالة الحسن الثاني نصره الله مع تنكو عبد الرحمن الامين العام للامانة العامة للمؤتمر الاسلامي اثناء انعقاد المؤتمر الثقافي .

وقد قال جلالة الملك الحسن الثاني بعد أن رحب بتنكو عبد الرحمن انه مقتنع بان القرارات التي اتخذت في المؤتمر ستساعد على تدعيم الروابط التي تربط الدول الاسلامية التي تسعى الى تحقيق السلام والامن العالمـــي .

ومن ناحية اخرى ـ اكد تنكو عبد الرحمن الامين العام للمؤتمر الاسلامي ان مؤتمر المراكز الثقافيـــة الاسلامية الذي عقد اخيرا في الرباط قد حقق نجاحا حقيقيـــا .

وقد جاء هذا التاكيد في تصريح ادلى به تنكـــو عبد الرحمن لدى مغادرته الدار البيضاء في طريقه الى كوالالمبور .

※ استقبل معالي وزير الاوقـــاف والشـــؤون الاسلامية الســيد الحـــاج احمـــد بركـــاش بمقـــر وزارته الســيد بركات الله خان وزير العدل والاوقاف بالحكومة الهندية الذي قام بزيارة ود ومجاملة للسيد الوزيــــر .

وقد كان الوزير الهندي مصحوبا خلال هـــذه الزيارة بسفير الهند بالمملكة المغربية ودار الحديث بين الوزير المغربي والوزير الهندي في جو مفعم بالمودة والصداقة التي تجمع بين البلدين كما تناول الشؤون الاسلامية والثقافية .

※ توجه الى مدينة وزان ، معالـــي وزير عمـــوم الاوقاف والشؤون الاسلامية الســيد الحـــاج احمـــد بركاش ، حيث قام بتدشين مدرسة تخريج الوعـــاظ والمرشدين وكذا المقر الجديد للنظارة الحبسية بهذه المدينـــة .

واغتنم معاليه وجوده بهذه المدينة ، حيث تفقد اعمال البناء الجارية ، وعمليات الاصلاح والتجديد على بعض المساجد .

※ توجه معالي وزيـــر الاوقـــاف والشـــؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركـــاش الى مدينـــة الدار البيضاء لتفقد سيـــر معهـــد تكويـــن الوعـــاظ والمرشدين الذي انشاته وزارته اخيرا بالعاصمـــة الاقتصادية ، كما تفقد معاليه شؤون بعض المؤســـسات الدينية بهذه المدينة صحبة الســيد ناظـــر الاوقـــاف بالدار البيضاء .

※ القى الاستاذ عبد الرحيم عبد البر محاضرات عن (اقوم السبل لتكوين الخطبـــاء والوعـــاظ) و « الاخلاص واحضار النية » و لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » وذلك بمقر المعهد الديني الـــذي تأسس مؤخرا في الدار البيضاء لتكوين الخطباء والوعاظ ، وذلك في اطار الدروس التي تنظمها ادارة المعهـــد ونشـــاطـــه .

※ اقامت مدينة الرباط حفلا دينيا بجامع الســنة الاعظم بالرباط يوم الجمعة 10 ربيـــع الثاني 1391 موافق 4 يونيو 1971 عقب صلاة العصر وذلك للترحم على روح فقيد العلم والدين والوطنية والوفاء المرحوم بكرم الله سيدي الحاج محمد اليمني الناصري الذي وافاه الاجل المحتوم بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام التي جاورها منـــذ اكثـــر من عشر سنيـــن .

والفقيد من كبار رجالات المغرب والوطنييـــن الاوائل الذين قاوموا الاستعمار وبثوا الوعي في الشباب، وكان شعره الفحل في القضايا الوطنية والاناشيد التي نظمها للناشئة المنثورة على كل لسان ، وقد اسهـــم بنصيـــب كبير في نشـــر السلفيـــة والدعـــوة اليها ومحاربة البدع والخرافات وله في ذلك كتابات هامة ، وتولى القضاء وكان رئيسا للبعثـــة الطلابيـــة المغربية ومديرا لبيت المغرب في مصر منذ انشائـــه الى ان اقفل ، وجهوده في الحركة الوطنية والنهضـــة العلمية مما يسجله له التاريخ ، فالله يتغمده برحمته ويجزيه بما احسن لوطنه وملته ، وتعازينا الحارة لاسرته المجيدة وخاصة اخاه الاستاذ العالم الشيـــخ محمد المكي الناصري ولرفقائـــه في الجهـــاد واصدقائـــه الكثيريـــن .

وقد ابن الفقيد عدة شخصيات في عالم الفكر والعلـــم والادب بمسجـــد الســـنـــة بالربـــاط كالاساتذة : محمـــد حســـن الوزانـــي ، وعبـــد الرحمن الدكالي ، ومحمد عباس القباج ، ومحمد الجزولي ، وابي بكر القادري ، ومحمد الناصري ، ومصطفى الغربي ، واحمد الموذن ، ومحمد العربـــي الزكاري ، ومحمد الناصر الكتاني ، واحمد معنينو ، واحمد العلـــوي ، وعبد الله الجـــراري ، ومحمـــد التطواني وغيرهم من الاعلام الكبار ..

وجمعت هذه المرثيات في اعداد متواليـــة من جريدة « الشعب » التي يشـــرف عليهـــا الاستـــاذ الشيخ محمد المكي الناصري ..

※ صدر فى الايام الاخيرة بالرباط «ذكريات من ربيع الحياة » للاستاذ الكبير الشاعر الناثر السيد محمد الجزولي احد اعلام الرباط ، وقيدوم كتابها وشعرائها ، وقد قدم للكتاب رائد الادب والنقد الاستاذ الكبير والشاعر المبدع السيد محمد عباس القباج حفظه الله .

و « ذكريات ربيع الحياة » يتضمن قصائد متعددة الاعراض ، ومقطوعات واخوانيات ونبذة عن حياة الاستاذ السيد محمد الجزولي بقلمه تبرهن على ان العمل الحر الذى آثره الاستاذ عن اعمال الوظيف اغنى واقنى وان حفت به المصاعب ، كما يتضمن قصيدة فى ذكرى «البخاري» التى كان قد تلاها حينما ختم الشيخ ابو شعيب الدكالي دراسته الصحيح بالمسجد الاعظم بالرباط ، وهي قصيدة صادرة فى اعماق الفؤاد تعرب عما تلقاه شاعرنا المبدع من هاتيك الدروس من نشوة الروح ، وشفوف العقل ، ولذة الفكر ...

※ فى اطار السياسة الاجتماعية لحكومة صاحب الجلالة الحسن الثاني اصبح اطفال عمالنا المغاربة فى بلجيكا يتلقون دروسا فى اللغة العربية واصول الدين والحضارة العربية الاسلامية ، ويجيدون لغتنا كتابة ونطقا .

وهذا العمل الجليل تم بتعاون بين وزارة التعليم الابتدائي ووزارة الشؤون الخارجية حينما تم ايفاد عدد من المعلمين الى بلجيكا لهذا الغرض حيث اصبح عدد من عمالنا فى الديار البلجيكية يتقنون الكتابة والقراءة باللغة الام ويتوفرون على المعلومات الضرورية فى الدين والاخلاق والتاريخ المغربي والاسلامي .

وقد اقامت قنصليتنا بالمناسبة حفلا بمناسبة نهاية السنة الدراسية تشجيعا لهؤلاء الاطفال وعائلاتهم ومعلميهم ووزعت خلاله جوائز على التلاميذ المتفوقين وعرض فيلم « المغرب بلد الحضارة والتقدم » .

وبالمناسبة طلب آباء التلاميذ ابلاغ ارتياحهم وشكرهم للعمل الذى قام به جلالة الملك وتعلقهم بالعرش العلوي المجيد متمنين طول العمر لولي العهد الامير سيدي محمد

※ انتهى الاستاذ عبد الهادي التازي سفير المغرب فى العراق من اعداد دراسة موسعة عن حي المغاربة فى القدس الشريف الذى قامت سلطات لاحتلال الصهيوني بهدمه فى اواخر عام 1967 م .

وستنشر هذه الدراسة العلمية القيمة الفريدة فى الجزء الخاص بالقدس فى موسوعة العتبات المقدسة التى يصدرها الكاتب الكبير الاستاذ جعفر الخيلي والتى تضم بحوثا اصيلة عميقة عن الاماكن المقدسة فى العالم الاسلامي .

والمعروف ان احد عشر جزءا ضخما من هذه الموسوعة تم نشرها خلال السنوات الاربع الماضية ودارت حول مكة المكرمة والمدينة المنورة والنجف الاشرف وكربلاء .

※ اتفقت ادارة سلسلة « من المسرح العالمي » التى تصدر عن وزارة الاعلام الكويتية باشراف الاستاذ احمد مساوي العدواني ؛ مع الاستاذ حسن الوراكلي على نشر مسرحية اليخان وكاسونا «الاشجار تموت واقفة» التى ترجمها عن الاسبانية. ويعكف صديقنا الاستاذ حسن الوراكلي الآن على كتابة دراسة عن مسرح الفونسو ساستري الذى نقل له الى العربية مسرحيته الرائعة « الكمامة » والتى ستصدر فى نفس السلسلة .

الجــزائــــر :

※ اسفرت حملة التضامن من اجل الشعب الفلسطيني التي نظمها حزب جبهة التحرير مع وزارة الاوقاف الجزائرية عن جمع مبلغ 315 الف جنيه استرليني .

تــونـــس :

※ تنظم اللجنةالثقافية الجهوية بسوسة مسابقتها السنوية الرابعة بين الشبان لحفظ القرآن الكريم بجوائز مالية للفائزين .

افـــريقيـــا :

※ داكار — قدمت مصر هبة من 1,764 طنا من الاسمنت الى السنغال لبناء المعهد الاسلامي فى داكار .

ومصر هي أول بلد يعلن تقديم هبة للمعهد منذ النداء الذي وجهه الرئيس سنغور في 28 مارس الماضي للمساعدة في بناء المعهد .

* قام المسلمون في جنوب افريقيا بتشكيل جمعية اسلامية اطلق عليها اسم (اتحاد شباب المسلمين) تهدف للقيام بعدة مشاريع منها . انشاء مكتبة اسلامية .. ورفع المستوى الثقافي للمسلمين .. وتقديم العون المالي لفقراء المسلمين ودفع مسيرة الدعوة الاسلامية في البلاد . ولا شك ان هذا العمل المبارك يتطلب دعما اسلاميا كبيرا .. خاصة وانها تمثل الوجه المشرق لهذا الدين الانساني السمح في وسط كيان عنصري بغيض .

نيجيريا :

* بتاريخ 26 مارس 1971 من يوم الجمعة قدم سعادة الاستاذ فؤاد الخطيب، سفير المملكة العربية السعودية لدى نيجيريا شيكا بخمسمائة جنيه استرليني تبرع به جلالة الملك فيصل المعظم لبناء مسجد في كلية اوريو ، ايكورود (نيجيريا) .

وتقدر تكاليف المسجد اذا تم ، ما يقارب 3 500 جنيه استرليني .

وقد اشار السفير بهذه الخطوة المباركة من جمعية الطلبة المسلمين وحثهم على التمسك باخلاق الاسلام وقيمه العليا ليكون تعليمهم نافعا لهم في المستقبل .

* تقوم جمعية الطلبة المسلمين في نيجيريا بحملة لجمع التبرعات لبناء مسجد في كلية اوريو بولاية ايكورود بنيجيريا .

وتقدر تكاليف المسجد بعد تمامه ما يقارب 3 500 جنيه استرليني .

* صدر كتاب : افريقيا بعد الاستقلال : تأليف غي دولوزينيان وهو ترجمة لنص انجليزي عن دار « فيار » في نطاق مجموعتها : عالم بلا حدود المخصصة للمشاكل السياسية الراهنة ، وقد اعتبره ناقد مجلة لوموند الادبي احسن مرجع متوفر حتى الان عن افريقيا الناطقة بالفرنسية . وكان السيد لوزنيان كما يقول التعريف المنشور في الغلاف الاخير لمؤلفه ، موظفا دوليا في احدى وكالات الامم المتحدة ، قضى سنوات طويلة في القارة وتمكن من معايشة واحيانا معالجة القضايا الاقتصادية والسياسية التي تحتل مكان الصدارة في الكتاب . وبعد أن درس الكاتب طريقة حصول الدول الافريقية على استقلالها تناول العلاقات الافريقية الداخلية ، وصلات دول القارة السوداء بالعالم الخارجي .

السودان :

* اجرى وزير الارشادالقومي السوداني مباحثات مع المسؤولين في العربية المتحدة استهدفت تدعيم التعاون الثقافي الاسلامي بين البلدين وتم الاتفاق على تزويد السودان بالمصاحف المرتلة والمجودة والمكتبات الاسلامية .

مصر :

* قرر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة ترجمة معاني القرآن الكريم الى 4 لغات هي :

الانجليزية ، والفرنسية ، والاسبانية ، واليونانية، وتنفيذ مشروعات تهدف الى تثقيف اطفال وشباب المسلمين بمبادىء الاسلام كعقيدة وشريعة وسلوك وخلق ، والتعاون مع المكتبات العالمية لاحياء التراث الاسلامي .

صرح بذلك السيد محمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية وقال : ان المشروع ينفذ تلبية لرغبة الشعوب الاسلامية في اوروبا وافريقيا وآسيا ممن لا يعرفون اللغة العربية ، وحددت 8 اشهر لاعداد ترجمة معاني القرآن الكريم .

واضاف ان المجلس شكل لهذا المشروع اربع لجان تضم عددا كبيرا من المتخصصين في اللغات الاجنبية ، الى جانب علماء الدين المتخصصين في التفسير واللغة العربية وعلوم القرآن الكريم والشريعة الاسلامية .

وقد استقر الراي على منهج لتفسير المعاني القرآنية على اساس ان تكتب الآية كما هي باللغة العربية صونا لاصل كتاب الله ، ثم يكتب تحتها بالاحرف اللاتينية لتيسير نطقها صحيحة لغير الناطقين بالعربية،

ثم تسجيل الترجمة الصحيحة لمعاني الآية حتى تصل الى ذهن القارىء بلغته الاصلية .

وسيتم نشر هذا المشروع على اوسع نطاق ممكن وذلك بطبع الاف النسخ التي تغطي احتياجات المسلمين غير الناطقين بالعربية وذلك الى جانب القرآن المرتل والمصحف المعلم والمصحف المقروء وكذلك الوضوء والحج والصلاة والمناسك الاسلامية وكتب التراث الاسلامي .

وذكر السيد عويضة ان لدى المجلس عددا من المشروعات الاخرى من اهمها تسجيل مصحف مرتل للسودان وآخر لليبيا . كما تم الاتفاق على أن يتعاون المجلس مع مكتبة لكهنؤ التابعة لندوة العلماء فى الهند التي تضم الاف المخطوطات الاسلامية ومكتبات تركيا وافغانستان ودار التصنيف فى باكستان لاحياء المخطوطات والتراث الاسلامي فى هذه البلدان لتنتفع به الشعوب الاسلامية .

* بلغ عدد السكان فى جميع المحافظات المصرية فى أول مايو الماضي 34 مليونا ، بزيادة مليون فى 15 شهرا ، حيث كان عددهم 33 مليونا فى فبراير عام 1970 م وتبين ان محافظة القاهرة تستقبل مولودا جديدا كل دقيقتين ونصف دقيقة .

* بعث فضيلة الدكتور محمد الفحام شيخ الازهر الى رئيس مجلس الشعب ورئيس لجنة الدستور بالبرقية التالية :

ـــ باسم الاسلام الذي جاء بأحكم دستور ، حقق عزة العرب ومجد الانسانية ، باسم الشعب الذي امطرنا وابلا من البرقيات والخطابات يعبر عن رغبته الاكيدة المنبعثة من تدين المصريين منذ اقدم العصور ، وباسمي وباسم جميع العلماء والعاملين بالازهر الذين حفظوا تراث الاسلام ونشروا هدايته ، وانتم المعروفون بغيرتكم الدينية وحماستكم الوطنية . .

باسم هؤلاء جميعا نرجو ، ملحين فى الرجاء ، ان ينص الدستور على ان الدين الرسمي للدولة هو الاسلام ، الذي وسع الناس جميعا ، بعدله وانصافه وسماحته ، وان تستمد منه القوانين ، والتشريعات التي تنظم حياتنا الجديدة ، على اساس العلم ، والعمل ، والايمان ، والاخلاق . . مع تمنياتنا لكم بالتوفيق لاعظم عمل تشهده الامة فى عهد السيد الرئيس الحازم المتدين محمد انور السادات .

* كشفت مصادر صحافية انه تقرر اقصاء الصحفيين الشيوعيين عن مراكز القوى فى دور الصحف ، وانه ينتظر ان يصدر خلال ايام قرار باقالة عدد من هؤلاء من مراكزهم وتعيين آخرين مكانهم .

ويوم 11 حزيران الجاري جرى انتخاب نقيب الصحافيين فى القاهرة . ويتخذ التنافس على المراكز هذه المرة طابعا حادا لم يسبق ان اتخذه وهو يستأثر باهتمام المواطنين الى درجة تلفت النظر بعد ان اتخذت المعركة طابع الصراع بين الصحفيين اليساريين وزملائهم غير اليساريين .

* اتفق وجيه اباظة محافظ القاهرة مع نقابة الممثلين على تسليمها قطعة ارض لتقيم عليها اول بيت لايواء قدامى الفنانين والعجزة منهم . على ان تقام دار سينما بجواره يخصص دخلها لزيادة معاشاتهم والانفاق على البيت .

* تعقد بمقر الامانة لجامعة الدول العربية فى الفترة من 15 الى 24 ايار الحالي الحلقة الدراسية الاولى لبرامج الاطفال فى الاذاعة المرئية والمسموعة تحت اشراف اتحاد اذاعات الدول العربية وتشترك فى عمال هذه الحلقة هيئات الاذاعة والتلفزيون فى الدول العربية وامارات الخليج العربي .

* نظمت جمعية المحافظة على القرآن الكريم سلسلة من المحاضرات والندوات تستهدف توضيح الجوانب التشريعية والخلقية فى القرآن الكريم

وقام محمد عبد المقصود مصطفى المحامي ورئيس الجمعية بتشكيل عدة لجان لاستطلاع آراء ومقترحات رواد هذه المحاضرات والندوات حول الدستور الدائم ورفع هذه المقترحات الى لجنة الدستور .

* استقبل فضيلة شيخ الازهر فى مكتبه 15 طفلا متفوقا من اعضاء نادي المسلم الصغير (احد فروع الشبان المسلمين) حيث سلمهم مجموعة جوائز تقديرية تشجيعا لهم على الاستمرار فى حفظ « جزء عم » و « جزء تبارك » اصغر طفل من بين المجموعة عمره (3 سنوات ونصف) وقد اتم حفظ جزء عم رغم انه لم يستطع ان يكتب اسمه .

* اهدى المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية مكتبات اسلامية تحتوي على كتب التراث الاسلامي

والتعريف بالاسلام والعبادات باللغات الفرنسية والانجليزية والعربية والمصاحف الشريفة وكتب الحديث والسنة الى الجمعيات والمراكز الثقافية والهيئات والاتحادات الاسلامية فى كل من الصومال وفولتا العليا وبناما والمركز الاسلامي فى واشنطن ونيويورك بالولايات المتحدة وقسم الدراسات الشرقية والعربية بجامعة ملبرن باستراليا .

※ صرح محمد توفيق عويضة امين عام المجلس ان المجلس تلقى كثيرا من الطلبات من الهيئات الاسلامية فى افريقيا وآسيا تطلب مكتبات بالعربية والانجليزية واللغات الافريقية والاسيوية المحلية وان المجلس يدرس هذه الطلبات تمهيدا لتنفيذها وارسال المكتبات الى هذه الهيئات .

※ انضمت الجمعيات الاسلامية فى كل من كينيا ونيجيريا وبريطانيا وسيراليون والهند والمغرب وسوريا وقطر الى الاتحاد العالمي للشباب المسلم .. وبذلك يبلغ عدد الدول التى انضمت جمعياتها الاسلامية الى الاتحاد 45 دولة صرح بذلك مصدر مسؤول بالمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة .

وكان ممثلو بعض الجمعيات والهيئات الاسلامية قد اعلنوا عن قيام هذا الاتحاد خلال اجتماعهم بالمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة فى شهر ابريل الماضي عقب انتهاء مؤتمر علماء المسلمين السادس الذى عقد فى اواخر شهر مارس الماضي . ويهدف الاتحاد الذى يتخذ القاهرة مقرا له الى توثيق رابطة الاخاء والتضامن بين الجمعيات والهيئات الاسلامية وتهيئة الظروف التى تعين الشباب المسلم على تفهم تعاليم الاسلام .

وستناقش الحلقة الجهود الموجهة لثقافة الطفل فى الوطن العربي وتجارب الاذاعات العربية فى مجال برامج الاطفال وتعاون الراديو والتلفزيون مع الاجهزة الاخرى المعنية بثقافة الطفل بموسيقى الاطفال واغانيهم وأناشيدهم .

※ صدرت طبعات جديدة للكاتب الكبير ابراهيم عبد القادر المازني هي :

قصة حياة وقبض الريح واعلام الاسلام بشار بن برد وثلاثة رجال وامرأة .. « مطبوعات الشعب » .

※ قال الدكتور طه حسين فى حديث له انه كان قد كتب فصولا من الجزء الثالث من كتابه « الايام » حيث نشرت في الصحف ثم فوجيء بأنها جمعت وصدرت فى لبنان تحت عنوان « مذكرات طه حسين » ثم اضاف بانه ينوي جمع هذه الفصول واعطاءها لدار المعارف بمصر حتى تصدر منقحة ومضافا اليها .

※ العمل الاول الضخم من كتاب « العمارة العربية فى مصر الاسلامية ـ عصر الولاة » ـ الجزء الاول للدكتور فريد شافعي صدر اخيرا . والكتاب من القطع الكبير ومزود بالرسومات واللوحات والفهارس وفى 700 صفحة « الهيئة المصرية للتاليف » والكتاب يعتبر موسوعة دقيقة للعمارة الاسلامية . والمؤلف حجة فى ذلك وقد تابع العمارة العربية وهو ما يزال صغيرا . وهو يروي فى المقدمة كيف ان كلمة « ارابسك » قد شغلته ولفتته ثم جذبته نهائيا الى هذا الميدان الواسع الذي انفرد به . .

※ العميد محمد محمد فرج .. صدر له كتاب جديد هو رقم 36 فى سلسلة التاريخ العسكري الاسلامي . وهو يؤرخ لبعض الشخصيات العسكرية الاسلامية مثل : خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص والمثنى بن حارثة . وعقد مقارنة بينهم وبين القادة العسكريين فى العصر الحديث مثل : روميل ومونتجمري .

※ اعدت اليونسكو فى القاهرة دراسة عن « اثر العرب والاسلام فى النهضة الاوربية » اشرف عليها الدكتور محمد خلف الله احمد .

※ يجتمع الرئيس انور السادات باساتذة الجامعات فى موعد قريب ويتحدث اليهم عن تطورات الموقف الداخلي وخطوات بناء الدولة الحديثة .

وذكرت صحيفة الاهرام أن الرئيس انور السادات سوف يقوم بزيارة بعض المحافظات فى الاسبوع القادم.

※ القاهرة ـ صرح السيد احمد نعمان مستشار المجلس الجمهوري اليمني الذي يزور الجمهورية العربية المتحدة فى الوقت الحاضر أن بلاده قررت انتهاج سياسة الانفتاح على كل العالم فى محاولة منها لحل مشكلتها الاولى المتمثلة فى الازمة الاقتصادية .

وقال ان العجز المالي فى الميزانية بلغ 19 مليون دولار اذ تقدر الايرادات بمبلغ 16 مليون دولار بينما تبلغ المصروفات 35 مليون دولار .

* صدر عن المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية فى القاهرة كتاب المقتبس من انباء اهل الاندلس لمؤلفه ابن حيان القرطبي 377 ـ 469 هـ . وقد قام بتحقيقه الدكتور محمود علي مكي .

* اقامت الجمعية الادبية بجامعة القاهرة ندوة عن « تأثير الموسيقى العربية فى الموسيقى الاندلسية » للدكتور سيد حنفي حسنين وندوة عن « اتجاهات القصة العربية » للدكتور عبد المحسن طه بدر وندوة عن « الاغاني الشعبية » لعبد الحميد حواس .

وتقيم فى اختتام موسم عملها لعام 1971 ندوة شعرية يشترك فيها : محمود درويش وصلاح عبد الصبور وامل دنقل واحمد عبد المعطي حجازي وابراهيم ابو سنة ، ومن شعراء الجامعة : حسين علي محمد ونصر حامد رزق واحمد عبد العزيز واحمد عز الدين وصلاح الراوي .

* قررت وزارة الاوقاف وشؤون الازهر التوسع فى قبول اعداد اكبر من الطلبة بكلية اصول الدين لسد النقص الذي يعانيه جهاز الدعوة الاسلامية ومساجد الوزارة والذي يقدر بالف خريج .

وتقرر كذلك انشاء مساكن لائمة المساجد بالمناطق النائية على اساس 20 وحدة اسكانية كل عام والحاق قاعات اجتماعية ودينية بالمساجد الجديدة تعقد فيها المؤتمرات والندوات وتقام بها احتفالات الافراح واجتماعات المآتم للمواطنين .

كما ستنشأ مكتبات اسلامية بالاحياء الشعبية لتثقيف المواطنين دينيا ، وقد طبقت الوزارة فى ميزانيتها الجديدة اعتماد 100 الف جنيه لبناء مدينة جامعية كاملة لطلاب جامعة الازهر .

وكان الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وشؤون الازهر قد طلب اعداد تقرير كامل عن جهاز الدعوة الاسلامية تبين منه :

ان المساجد تحتاج الى الف عالم ازهري و 2147 من مقيمي الشعائر والملاحظين والمؤذنين والخدم لسد النقص الذي تعانيه .

كما تحتاج الوزارة الى 2 مليون ونصف جنيه لاصلاح المساجد القائمة واستكمال المساجد الجديدة علما بان التكاليف السنوية لصيانة المساجد وترميمها تبلغ 800 الف جنيه .

ان عدد المساجد ببعض المحافظات لا يتناسب مع الكثافة السكانية بينما محافظات اخرى تحصل على نصيب اكبر .

* صدر عن المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية فى القاهرة الجزء الاول من كتاب الغريبين (غريب القرآن والحديث) للامام المحدث ابي عبيد احمد ابن محمد الهروي المتوفى سنة 401 هـ ـ وقد قام بتحقيقه محمد محمود الطناحي على ثلاث مخطوطات ، وهو شرح لغريب الفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وسيتم الكتاب بثلاثة مجلدات . والاستاذ الطناحي هو الذي حقق نهاية ابن الاثير واخرجها ذلك الاخراج الجميل .

* تقرر انشاء قاعة للعقاد فى دار الكتب بالقاهرة تضم مكتبة الاديب الراحل عباس محمود العقاد (20 الف مجلد من الكتب العربية والاجنبية) . وافق ورثته على بيعها لدار الكتب التي ستدفع فيها خمسة الاف جنيه كقيمة رمزية للمكتبة . وشكلت الدار لجنة لتسجيل محتوياتها وفهرستها . وستخصص دار الكتب قاعة تحمل اسم العقاد وتضم مجموعات كتبه مع متروكاته التي كان يستعملها فى حياته الخاصة .

لبنـــــان :

* اصدر فى بيروت المحامي محسن سليم كتابه « التعريب فى لبنان : مشاكله وابعاده » وهو يعالج حسنات وسيئات تعريب مواد تعليم الرياضيات والعلوم فى صفوف البريفية والبكالوريا ، انطلاقا من واقع لبنان كمركز لعدة جامعات وطنية واجنبية وكجسر بين الشرق والغرب ، ويحلل الكتاب الاراء التي ابديت ضد التعريب او معه ، منذ بدأ فريق من الطلاب والمفكرين يطالب بتعريب مناهج التعليم وتصدى له فريق آخر مطالبا بحرية اللغة فى مواد الرياضيات والعلوم .

* دعا المجلس الثقافي للبنان الشمالي الى لقاء فكري عقده فى قاعة سينما كولورادو فى طرابلس برعاية سليمان فرنجية رئيس الجمهورية ، وتكلم فيه :

المحامي بدوي أبو ديب عن « الشمال في المغترب » وجواد بولس « لبنان في التاريخ » والشيخ نديم الجسر « كلمة » والدكتور بطرس ديب « من الثقافة الى بناء الوطن » والقاضي طربيه رحمه «من هنا اطل جبران» والشيخ الياس خليل زخريا القى قصيدة عنوانها « قصيدة الشمال » والشيخ صبحي الصالح « طرابلس في الجهاد والثقافة » والمحامي فوزي غازي «الشمال في الوجود اللبناني » وعبد الرؤوف فضل الله « المجالس الثقافية في لبنان » وكان عريف الحفلة الدكتور علي شلق الذي قدم لها بكلمة .

* دعا الدكتور شمس الدين الوكيل رئيس جامعة بيروت العربية لحضور حفل افتتاح « المعرض السنوي للخرائط » الذي اقيم في قاعة المعارض بالجامعة .

* ديوان الشاعر الحلبي علي الزيبق « شلحة ناي » صدر في بيروت عن المكتب التجاري في 132 صفحة وتقديم سعيد عقل ولوحة الغلاف بريشة رضوان الشهال . هذه ثالث مجموعة شعرية للشاعر ، الاولى « ساميا » 1952 والثانية « النبعة اليتيمة » 1959 .

* دعت جمعية متخرجي المقاصد الاسلامية لسماع محاضرة القاها وزير التربية والانباء السابق غسان تويني وموضوعها « الوزير في مواجهة الاصلاح» اعقبها نقاش وحوار وذلك في نادي متخرجي المقاصد ببيروت .

* المؤرخ الشيخ طه الولي قدم للطبع في بيروت ثلاث كتب في حقل الدراسات الاسلامية وهي

1 ـ « تاريخ المساجد والجوامع الشرقية في بيروت » وفيه دراسة عامة عن المساجد والجوامع الموجودة في مدينة بيروت مع استعراض للمراحل التاريخية التي تم فيها بناء هذه المعابد الدينية خلال العصور الاسلامية المتعاقبة منذ الفتح العربي حتى اليوم . مع مقدمة عن المسلمين ونسبة عددهم في هذه المدينة الى غيرهم من ابناء الطوائف الاخرى في مختلف العهود .

2 ـ « الجامع العمري الكبير في بيروت » وهو دراسة وتحقيق في تاريخ بناء هذا الجامع واصله والعهود التي تعاقبت عليه والرجال الذين خدموه او خدموا فيه مع لوحات من صوره والكتابات المرقومة في اعمدته وعلى جدرانه وزخارفه ونقوشه والرسوم التي تزينه . مع استعراض سريع للمؤرخين والكتاب الذين تحدثوا عنه .

3 ـ « المساجد في الاسلام » وفيه دراسة تاريخية عن نشوء المساجد عند المسلمين والمراحل التي مرت بها عمارتها والتقاليد التي روعيت في تطورها والمؤسسات التي فيها والدور الذي قام به المسجد في المجتمع الاسلامي من خلال رسالته الحضارية . مع مقدمة موجزة عن المعابد الدينية بوجه عام لدى الامم المختلفة .

سوريا :

* اصدر الرئيس السوري حافظ الاسد مرسوما باحداث جامعة جديدة في مدينة اللاذقية التي تعتبر اكبر الموانيء السورية ، ونص المرسوم على ان تضم الجامعة الجديدة مبدئيا خمس كليات للطب والعلوم الهندسية والادب والزراعة .

وذكر المرسوم ان انشاء هذه الجامعة وهي ثالث جامعة في سوريا بعد جامعتي دمشق وحلب قد جاء نتيجة للكثافة السكانية الكبيرة لمدينة اللاذقية .

* عقدت لجنة التربية والتعليم والبحث العلمي الخاصة بتنفيذ اعلان اتحاد الجمهوريات العربية اول اجتماع لها برئاسة الدكتور شاكر الفحام وزير التعليم العالي .

وصرح الدكتور الفحام بأن اللجنة التي تضم وزراء التعليم العالي والتربية والثقافة ومعاونيهم تدارست في هذا الاجتماع الاسس المتعلقة بخطة عملها وشكلت ثلاث لجان فرعية منبثقة عنها عهد الى كل منها بدراسة المواضيع المحددة في نطاق اختصاصها .

وكان الفريق حافظ الاسد رئيس الجمهورية قد اصدر قرارا في الاسبوع الماضي بتشكيل ثلاث لجان لوضع الاسس لتنفيذ اعلان اتحاد الجمهوريات العربية واحكامه الاساسية على ان تقدم تقاريرها اليه خلال شهر واحد .

واللجنتان الاخريان هما اللجنة السياسية واللجة الاقتصادية .

* الباحث السوري عدنان بن ذريل صدر له عن دار الاجيال في دمشق كتاب جديد عنوانه « البعد الروحي في تفسير الوجود والزوال » وهو رابع

دراسة فلسفية تصدر للمؤلف . كما صدر له كتاب « المسرح السوري منذ ابي خليل القباني الى اليوم » وكان سبق للمؤلف نشر عدد من الدراسات في الادب المسرحي في سورية وبعض اعلامه ، عدنان مردم بك ووليد مدفعي وغيرهما .

* عقد مجمع اللغة العربية بدمشق جلسة علنية بقاعة الاستاذ الرئيس محمد كرد علي لاستقبال العضو العامل المنتخب الدكتور ميشيل حنا الخوري وقد تضمن جدول الاعمال كلمة لرئيس المجمع الدكتور حسني سبح فكلمة للدكتور صلاح الدين الكواكبي فكلمة العضو المنتخب .

* صدر في دمشق الجزء الاول من « الموسوعة الموجزة » ويضم حرف الالف تاليف حسان الكاتب مراجعة وتقديم محمد خير الدرع مدرس اللغة العربية بدمشق . وهذه الموسوعة « موجزة » وكنا نتمنى ان تكون اشمل مما تضمنته . على كل هو عمل خير مفيد قام به المؤلف يشكر عليه . الكتاب في 128 صفحة حجم كبير .

* ستصدر الكتب التالية عن المجمع العلمي العربي بدمشق :

— المجلد الثالث من تاريخ ابن عساكر بتحقيق السيدة ملك هناتو .

* دمشق ـ ذكرت صحف دمشق انه تم التوقيع على بروتوكول ثقافي بين فرنسا وسورية .

وقد تم الاتفاق على صياغة هذا البروتوكول بين المسؤولين في وزارة التعليم السورية والسفارة الفرنسية .

— فهارس الكتب المخطوطة والمحفوظة بالمكتبة الظاهرية ـ قسم اللغة ـ تاليف السيدة اسماء الحمصي .

— سفر السعادة للفيروزبادي بمجلدين .

— فهارس المخطوطات المحفوظة في خزانة المكتبة الظاهرية ـ قسم الفقه الحنفي ـ باعتناء مطيع الحافظ .

— فهارس المخطوطات المحفوظة في خزانة المكتبة الظاهرية ـ قسم التاريخ ـ باعتناء دكتور خالد الريان .

— رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي الى الحجاز ، باعتناء عضو المجمع عارف النكدي .

الاردن :

* اعلن رسميا ان الشركة التي تقوم بالتنقيب عن النفط في الاردن قد باشرت حفر بئر ثالثة في منطقة امتيازها .

وكانت الشركة قد حصلت في عام 1968 بالاشتراك مع سلطة المصادر الطبيعية الاردنية على امتياز للتنقيب عن البترول في ما مساحته 16 000 كيلو متر من منطقة وادي السرحان والازرق في الصحراء الاردنية .

* بدا الموسم الثقافي الاسلامي الذي نظمته وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية . وتضمن برنامج الموسم الثقافي القاء المحاضرات وعقد الندوات الدينية في مختلف محافظات الاردن لتوعية المواطنين بامور الدين الاسلامي الحنيف في المحافظات .

وقد عقدت اولى هذه الندوات في قاعة امانة العاصمة وتحدث في هذه الندوة السيد عمر بهاء الدين الاميري الاستاذ في جامعة الرباط بالمغرب الذي وصل الى عمان بدعوة من وزارة الاوقاف للمشاركة في احياء الموسم الثقافي .

وقد شارك في الموسم المذكور عدد من كبار رجال العلم والفكر في العالم الاسلامي بينهم الاستاذ عبد العزيز كامل وزير الاوقاف في الجمهورية العربية المتحدة والدكتور عبد الحليم محمود وكيل جامعة الازهر والكاتب الاسلامي الكبير مالك بن نبي والاستاذ علي الطنطاوي الاستاذ في جامعة الملك عبد العزيز والاستاذ محمد المبارك عميد كلية الشريعة السابق في الجامعة السورية .

* نشرت جريدة الدستور الاردنية هذا الخبر :

اعلن وزير الاديان الاسرائيلي الدكتور زيراح فارها فتيج امام الكنيست ان مائتي اسرائيلي اعتنقوا

الاسلام في العام الماضي ، اغلبهم من النساء المتزوجات من مسلمين .

واضاف يقول ان 190 حالة من هذا النوع تمت في يافا حيث يعيش الاف عدة من العرب .

وقد ندد الوزير بالانتقادات العنيفة التي تعرض لها الحاخامات في الاونة الاخيرة في اسرائيل بصدد بعض القضايا التي يعتبرها الراي العام متزمتة .

* قالت مصادر دائرة الآثار العامة الاردنية امس أن اتفاقا تم التوصل اليه بين الدائرة ومؤسسة الجيولوجيا والاثار في روما يقضي بقدوم 1500 من الاساتذة والطلاب الايطاليين الى منطقة « البتراء » الاثرية على مجموعات تتالف كل منها من 100 شخص .

وتمكث كل مجموعة 10 ايام تتبعها مجموعة اخرى لعشرة ايام اخرى .. ويستمر ذلك على مدى خمسة اشهر .

وقالت المصادر ان الاساتذة والطلاب سيقومون بحفريات اثرية في المنطقة على ان تشرف دائرة الاثار العامة كليا على الحفر وتعيين امكانه وستكون حصة المؤسسة الايطالية ثلث ما يكتشف من القطع الاثرية بشرط ان يكون لكل قطعة بديل .

* ذكرت مصادر صحفية اردنية في عمان أن اتصالات تجري بين عدد من العواصم العربية للقيام بتحرك عربي على الصعيد الدولي بالنسبة لمستقبل القدس ومواجهة مخططات التهويد التي تتعرض لها المدينة المقدسة .

ويقول مراسل وكالة الانباء العراقية في عمان نقلا عن مصادر سياسية انه بات من المحتمل ان يثير الاردن هذا الموضوع في المحافل الدولية وقد يتقدم بشكوى بذلك الى مجلس الامن الدولي من أجل اتخاذ موقف دولي حاسم لوقف عمليات التهويد التي تمارسها السلطات الصهيونية ، وذكرت مصادر مطلعة ان الزيارة التي يقوم بها السيد اكرم زعيتر السفير الاردني لدى لبنان للعاصمة الاردنية الان لها علاقة بهذه الاتصالات وخاصة في ضوء نتائج زيارة السيد خليل ابو حمد وزير خارجية لبنان مؤخرا لكل من الفاتيكان وباريس والمحادثات التي اجراها مع كل من قداسة البابا بولس السادس والمسؤولين الفرنسيين .

* عقدت اللجنة المركزية المكلفة باعداد مشروع القانون المدني الاردني اجتماعا استعرضت فيه المراحل العامة للمشروع .

وكان في مقدمة ما استعرضته اللجنة رسالة الملك حسين الخاصة بوضع القانون ورغبة في وضع قانون مدني منبثق عن الشريعة الاسلامية ، ومأخوذ من العادات والتقاليد الاردنية .

* صدر في منشورات مكتبة عمان كتاب « ادباء الجيل الغاضب » للدكتور محمود السمرة عميد كلية الاداب في الجامعة الاردنية ، ويبحث الكتاب في من يسميهم المؤلف بكتاب الجيل الثالث ، الجيل الغاضب ويناقش ما في نفوسهم من ثورة على التقاليد والمقدسات .

الكويت :

* ذكر ان الحكومة الكويتية تدرس خطة جديدة لتقديم المساعدات الى المؤسسات الاسلامية المنتشرة في العالم .

ونقلت صحيفة « التايمز » الكويتية الصادرة بالانكليزية عن لسان السيد راشد عبد الله الفرحان وزير الشؤون الاسلامية قوله ان المشروع الجديد يتطلب مشاركة كويتيين اثرياء في توفير المساعدات المالية للشعوب الاسلامية التي تحتاج الى مساجد او مدارس او مراكز دينية في بلادها .

* من ذيول « العبر » للذهبي والحسيني تحقيق رشاد عبد المطلب صدر ضمن سلسلة التراث العربي التي تصدرها وزارة الارشاد والانباء في الكويت .

* وكيل وزارة التربية والتعليم الكويتية يعقوب يوسف الغنيم نال شهادة الماجستير من جامعة القاهرة بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف وكان موضوع رسالته « ابن عصفور في النحو والصرف » .

المنامة :

* قالت صحيفة « صدى الاسبوع البحرانية » الاسبوعية نقلا عن مصدر وثيق الاطلاع ان جهودا تبذل لعقد اجتماع لنواب حكام امارات الخليج التسع للبحث في آخر التطورات المتعلقة باتحاد الامارات .

واضاف المصدر يقول ان اجتماعا على مستوى اللجان سيكون اكثر احتمالا اذا لم يعقد اجتماع نواب الحكام ، وقال انه اذا توصلت الجهود الى اتفاق بصدد اجتماع اللجان فان ذلك سيتم في نهاية الشهر الحالي او اوائل شهر يونيو القادم .

العــــراق :

※ اصدرت وزارة الاعلام العراقية ديوان شعر للشاعر الفقيد بدر شاكر السياب عنوانه « قيثارة الريح » ضم قصائد لم تنشر من قبل وهي في مختلف الاغراض الشعرية . كما باشرت دار الجمهورية ببغداد بطبع كتاب اعده خالص عزمي يتضمن بعض المسرحيات التي ترجمها السياب ونشرها دون ذكر اسمه لاسباب سياسية اذاك .

※ الباحث العراقي زهير غازي زاهد يعد رسالة دكتوراه في جامعة القاهرة باشراف الدكتور شوقي ضيف وموضوع رسالته « تحقيق ودراسة كتاب اعراب القرآن لابي جعفر النحاس » احد علماء القرن الرابع الهجري . كما يقوم بتحقيق كتاب « شرح ابيات سيبويه » لابي جعفر النحاس ايضا على نسخة فريدة تامة وجدها في معهد المخطوطات في الجامعة العربية بالقاهرة .

※ الدكتور جعفر آل ياسين استاذ الفلسفة المساعد بجامعة بغداد صدر له كتاب جديد عنوانه « فلاسفة يونانيون : العصر الاول » في 180 صفحة حجم كبير . وقد ساعدت جامعة بغداد على نشر الكتاب .

※ « المسافر » مجموعة شعرية جديدة صدرت في بغداد للدكتور رزوق فرج رزوق في 80 صفحة وقد ساعدت وزارة الاعلام العراقية على نشر الكتاب . للشاعر مجموعة شعرية صدرت في بيروت عام 1955 بعنوان « وجد » .

※ الاديب العراقي وحيد الدين بها الدين يعكف الان على كتابة فصول ادبية ليصدرها في كتاب بعنوان « الوان ادبية » تضم حديثا عن بعض ادباء المهجر والعراق وحديثا عن الادب والفكر والنقد .

※ صدر في بغداد قرار بتعيين احسان شيرزاد والدكتور عبد الله النقشبندي والدكتورة باكزة رفيق حلمي والشيخ محمد الخال وعبد الرحمن هزار اعضاء عاملين في المجمع العلمي الكردي .

※ جميل عارف يعد باقي مذكرات رشيد عالي الكيلاني الزعيم العراقي . وكان قد نشر جانبا من هذه المذكرات في آخر ساعة منذ 10 سنوات والمذكرات الجديدة تتعرض لاسرار الفترة ما بين سنوات 1930 و 1960 . وتدور حول معارك الكيلاني مع الانجليز ومباحثاته وخلافه مع عبد الكريم قاسم .

※ يعد « الادب العصري في العراق العربي » لمصنفه المرحوم رفائيل بطي ، المتوفى سنة 1956 م من اهم مصادر دراسة ادبنا المعاصر .

ولقد صدر منه جزءان في الربع الاول من هذا القرن . طبعا في القاهرة ، يمثلان قسم المنظوم ، وضما تراجم ودراسات ونماذج وصورا لعدد من ابرزشعرائنا في مقدمتهم الزهاوي والرصافي ورضا الشبيبي والكاظمي وغيرهم .

وكان المؤمل ان يواصل المرحوم بطي عمله بتقديم قسم المنثور ، لا سيما انه اعلن اسماء من تناول ترجمتهم واختار نماذج من نترهم الا انه لم يكتب لهذا القسم ان ينشر.

ويقول الدكتور داود سلوم انه كان جالسا ذات يوم من ايام سنة 1953 بصحبة المرحوم رفائيل وعدد من الادباء ، يذكر منهم الدكتور ناصر الحاني والسيدة الاديبة سافرة جميل حافظ ، وتحدث اليهم بطي بما معناه انه ارسل مسودات الادب العصري ، قسم المنثور الى احد الناشرين المصريين ، وذكر اسمه ، فضاعت المسودات واشار الى انه لا يملك شيئا من اصوله .

وهكذا ظلت الموسوعة التي بذل فيها مصنفها جهودا كبيرة ، ناقصة ، تلك الموسوعة التي دعت امين الريحاني الى ان يطلق على مؤلفها لقب « ابن خلكان العراق » .

و اخيرا ، اتاح الاخ الاستاذ فائق نجل المرحوم رفائيل بطي فرصة الوقوف على كل الاوراق والمسودات الموجودة لديه ، ولدى شقيقيه كمال وسامي ، كان من نتائجها العثور على الجزء الثاني من قسم المنثور ويقع في مجلد كبير .

ويضم الجزء مسودات تراجم ونماذج لكل من الاساتذة سليمان فيضي ورزوق عيسى والقس سليمان الصائغ وشكري الفضلي وحسن غصيبة ومحمد باقر الشبيبي وعبد العزيز الجواهري وهبة الدين الشهرستاني والدكتور حنا الخياط والقس حنا رحماني .

ولهذا الجزء اهمية ، اذ ان عددا من المترجم لهم كتبوا تراجمهم بخط ايديهم ، كما يتضمن مجموعة من الوثق التاريخية المهمة .

* انجز ابراهيم الوائلي الاستاذ بكلية الاداب بجامعة بغداد كتابه الجديد « اضطراب الكلم عند الزهاوي » وهو دراسة ادبية ولغوية بمعالجة جديدة .

* انتهت احدى مطابع النجف من طباعة كتاب جديد عن حياة وآثار فقيد اللغة والادب والتاريخ الدكتور مصطفى جواد . والكتاب من تاليف الدكتور صفاء خلوصي والاستاذ وحيد الدين بهاء الدين .

السعودية :

* ان الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة التي ينتمي طلابها الى ما يقرب من ثمانين قطرا من اقطار العالم تعلن استنكارها الشديد للتدخل السافر من قبل بعض الدول فى الشؤون الداخلية للباكستان ، وتعتقد ان ذلك انتهاك للمواثيق الدولية ، واخلال بحقوق السيادة ، وان هذا الذي اقدمت عليه ليس اساءة الى الباكستان وحدها بل هو اساءة الى العالم الاسلامي باسره .

وان الجامعة الاسلامية اذ تستنكر هذا التدخل ، ترجو ان تكون الدول المعنية اكثر تقديرا للامور ، وان تاخذ بمبادىء العدالة والتي منها عدم التدخل فى شؤون الغير ، وان تكف عن التدخل فى شؤون الباكستان الداخلية ، وعن كل عمل يعمق الهوة بينها وبين العالم الاسلامي .

والله المسؤول ان يجمع كلمة المسلمين على الهدى وينصر بهم الحق ، انه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

* جامعة فيصل الاسلامية فى الرياض مشروع اسلامي كبير سوف يخرج الى حيز الوجود قريبا وتتضمن الجامعة الكليات الدينية الموجودة حاليا ومعهد القضاء العالي ومعهدا جديدا للدراسات العليا يتبع كلية اللغة العربية .

* تقرر تخصيص ثمانية ملايين ريال سعودي لنزع ملكية الارض المقترحة لاقامة مكتبة الحرم المكي الشريف .

* « من كنوز السنة » كتاب جديد لمحمد علي الصابوني المدرس بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة يحتوي على دراسات ادبية ولغوية عن الحديث النبوي الشريف .

تركيا :

* انقره ـ الغ السيد بهجت تانير السكرتير العام لاتحاد غرف التجارة التركية مؤتمرا فى انقرة لممثلين تجاريين اتراك وعرب ان التجارة بين تركيا والبلدان العربية اظهرت تقدما طيبا خلال العامين الماضيين فقد زادت 38ر4 ٪ فى عام 1970 عليها فى العام السابق .

* عقد الاتحاد الوطني للطلبة الاتراك مؤتمره العام الخمسون فى 26 مارس 1971 وقد حضره ممثلو 31 فرعا من مجموع فروع الاتحاد البالغة 36 فرعا فى جميع انحاء تركيا .

وقد ناقش المؤتمر نتائج اعمال الاتحاد فى العام الماضي واتخذ مجموعة من القرارات وانتخب هيئات جديدة للاتحاد . هذا وقد انتخب لرئاسة الاتحاد السيد عمر اوزتوك وهو طالب فى كلية العلوم التجارية والاقتصادية فى استانبول ، كما انتخب السيد محمد اروول لرئاسة فرع ازمير ، والسيد مصطفى جيجك لرئاسة فرع ارضروم .

كما انتخب مجلس للشورى من الاعضاء : ارمان تونجار رئيسا وحكمت اوزدمير نائبا للرئيس .

كما اتخذ الاتحاد بعض القرارات الهامة ، منها اخراج كل من كلية العلوم السياسية فى جامعة انقرة والمعهد العالي للمعلمين فى استانبول من عضوية الاتحاد ، وقبول المعهد الاسلامي فى ارضروم عضوا جديدا فى الاتحاد .

※ « صلات بين العرب والفرس والترك » للدكتور حسين مجيب المصري : دراسة تاريخية ادبية عن الصلات الوثيقة بين العرب والفرس والترك منذ اقدم العصـــور .

※ الاديب الحلبي عبد الله الطنطاوي انتهى من ترجمة مسرحيتين عن الادب التركي : « الابله » لناظم حكمت و « قبل ان يذوب الثلج » لجيفان فهمي باشكوت

※ اسس جماعة من الاساتذة الجامعيين وكبار الاسلاميين المتخصصين جمعية على مستوى علمي عال لبحث المسائل الاجتماعية والاقتصادية على ضوء الاســلام .

※ غادرت آخر فرقة عسكرية تركية تابعة لقوات الامم المتحدة كوريا الجنوبية عائدة الى تركيا .. وكانت الفرقة التركية تشترك في مساعدة حكومة كوريا الجنوبية ضد غزو كوريا الشمالية بالتعاون مع باقي فرق قوات الامم المتحدة وذلك منذ سنة 1953 م

وقد سجل التاريخ للجنود الاتراك فضل نشر الاسلام فى كوريا الجنوبية حيث يبلغ عدد المسلمين اليوم في هذا البلد الاسيوي حوالي ثلاثة آلاف مسلم ولهم نشاطهم الكبير فى ميدان الدعوة .

※ ينوي الدكتور زكريا كتابجي من تركيا طبع ونشر رسالة التي قدمها ونال بها الدكتوراه من جامعة كراتشي بباكستان وهي بعنوان (الاتراك فى مؤلفات الجاحظ ومكانتهم فى التاريخ الاسلامي من القرون الاولى الى اواخر القرن الثالث الهجر) .

وقد جعلت مؤلفات الجاحظ المرجع الاول فى هذه الرسالة لان المؤلف يعتبره اول من كشف النقاب عن مكانة الاتراك فى المجتمع الاسلامي فى زمن الخلفاء العباسييـــن .

آســـيـــا :

※ اصدر زعماء المسلمين فى الصين الوطنية ، نداء عاما موجها الى قادة الفكر والسياسة فى البلدان الاسلامية يدعونهم فيه الى عدم الاغترار بما يبثه الشيوعيون من دعاوي زائفة تحت ستار خدمة الاسلام والمسلمين بأساليبهم الخادعة المضللة . وهو موقع من حضرتي : الحاج ابو بكر تسنومين يواك رئيس الجمعية الاسلامية الصينية بتايبيه والحاج صالح شون عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي والنائب لمجلس الامة الصينـــي .

※ اقيم فى كتماندو عاصمة نيبال احتفال بمناسبة يوم التضامن مع الشعوب العربية وقد اكد المتحدثون فى هذا الاحتفال تضامنهم وتاييدهم الكامل للقضية العربية العادلة واستنكروا سياسة اسرائيل العدوانية كما طالبوا بضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن الدولي الصادر فى الثاني والعشرين من نوفمبر عام 67 م .. والذي يقضي بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة .

※ مانيلا ـ ذبح رجال مسلحون سبعين شخصا في مقاطعة جنوبية فى كوتاباتو .

وقالت صحيفة المانيلا تايمز التى اوردت هذا الخبر بأن الحادث وقع فى قرية بوال .. واضافت الصحيفة بأن الضحايا وكلهم مسلمون كانوا متناظرين فى مسجد حيث عقد مؤتمر للسلام مع المسيحيين حينما داهمت جماعة مسلحة المسجد وبدات تطلق النار على الرجال والنساء والاطفال الموجودين فى المسجد حتى الموت .

هذا وقد جرح عدد كبير من الموجودين هناك والمعروف ان مئات الضحايا قد لقوا مصرعهم فى الشهور الاخيرة فى مقاطعة كوتاباتو التى تبعد 885 كلم. جنوب عاصمة الفلبين .. بسبب الجماعات المسيحية المتعصبة والقبائل المتوحشة والتى اعلنت حربا شعواء على المسلمين هنـاك .

※ ارتكبت مجزرة جديدة نكراء فى الفلبين ضد السكان المسلمين ، وذكرت وكالة الصحافة الفرنسية ان عشرة اشخاص مسلمين قد قتلوا فى بعض قرى اقليم كوستاراكو الفليبيني على ايدي عصابة ارتكبت مجزرة رهيبة ضد السكان المسلمين فى احدى قرى الاقليم .. وقالت الوكالة ان الحكومة الفليبينية ارسلت قوات اضافية الى اقليم كوستاركو بجزيرة منداناو لملاحقة افراد تلك العصابة . وكان حوالي 69 مزارعا من المسلمين قد قتلوا فى القرية المذكورة من قبل هذه العصابة بعد ان قامت بتجميعهم فى مسجد القريـــة .

* كراتشي ـ قال راديو باكستان ان القوات الباكستانية قضت على جميع جيوب المقاومة فى باكستان الشرقية كما قطعت الطريق على المتسللين .

واضاف الراديو قائلا : ان القوات الباكستانية اشتبكت مع القوات الهندية عند بلدة على الحدود .

* الهند ـ يقوم وفد من علماء الهند فى جامعة بنارس الاسلامية بجولة فى بعض الدول الاسلامية وامارات الخليج العربي .

* كوالالمبور ـ قامت طائرات سلاح الجو الماليزي بقصف مواقع الشيوعيين على امتداد الحدود الماليزية مع تايلند واندونيسيا .

وقال قائد سلاح الجو الماليزي ان القصف تم على عدة مرات . وذكرت مصادر وزارة الدفاع ان القصف بدا منذ اوائل العام الحالي .

* قرر مجلس الدعوة الاسلامي بجاكرتا تنظيم ندوات اسلامية فى مختلف المدن باندونيسيا وذلك لهدف تبصير المسلمين بأمور دينهم وتنوير الشعب بحقائق الاسلام ودور الفرد المسلم فى بناء مجتمعه كما قرر المجلس دعم مختلف المدارس الاهلية والمؤسسات التعليمية بالكتب الاسلامية .

اليونيسكو :

* قررت اليونيسكو الاحتفال بذكرى مرور خمس وعشرين عاما على قيامها . وقد اسست المنظمة فى 24 تشرين الثاني عام 1946 بهدف تحقيق السلم والازهار الشامل للانسانية عن طريق التعاون الدولي فى ميادين التربية والعلوم والثقافة .

* ستقوم اليونيسكو ابتداء من السنة الحالية بتقديم مساعدة فنية للبلاد المهتمة بصيانة محفوظاتها ، كما ستنظم برامج دراسية اقليمية لتدريب الفنيين . وقد قامت عدة لجان بالتجول فى 14 بلدا فى آسيا ، وامريكا اللاتينية ، والعالم العربي ، وصورت على الافلام المصغرة 4 ملايين صفحة من الوثق والخرائط والمنقوشات والمخطوطات القديمة . هذا بينما قامت فرق اخرى منذ سنة 1964 بتصوير اكثر من مليون صفحة من المخطوطات فى سوريا ، وكامبوديا ، والهند ، والعراق ، والفليبين ، والسودان ، واثيوبيا .

* اصدرت هيئة اليونيسكو بمناسبة العام الدولي لمقاومة التفرقة العنصرية كتاب « الاسلام والتفرقة العنصرية » للدكتور عبد العزيز كامل . وقد صدر هذا الكتاب باللغات الانجليزية والفرنسية والعربية فى 80 صفحة يقول د. عبد العزيز كامل « ان المظالم التي يوقعها جنس بجنس او لون بلون ، لا يمكن ان تستند الى اساس من الدين . فالله يأمر بالعدل . ويترك للانسان مجالا واسعا ليقيم شريعة الحق فى ارضه ويقاوم الظلم بادئا باول حصونه . الفكر الانساني وما يرتبط به من مصالح طبقية او طائفية او عنصرية » .

* وجه مدير عام اليونيسكو نداء الى شعوب العالم لتقديم العون اللازم لتربية ابناء اللاجئين الفلسطينيين واعلن مدير المنظمة العالمية ان جهود المنظمة قد يكون مآلها الفشل لقلة الاعتمادات وتزايد اللاجئين .

امريكا :

* تفخر كلية ربكر التي تقع فى الشمال الشرقي من الولايات المتحدة ، بانها اول مؤسسة تعليمية امريكية تمنح درجة البكالوريوس فى دراسات العالم الاسلامي . ومع ان كثيرا من الكليات والجامعات الامريكية الاخرى تعطي دراسة مركزية او تمنح درجة البكالوريوس فى اللغة العربية او دراسات الشرق الاوسط فان كلية ربكر قد وضعت منهاجا دراسيا اساسيا فى دراسات العالم الاسلامي ، من المغرب الى اندونيسيا .

* تلقت الجمعية الوطنية للهلال الاحمر الاردني كتابا من المواطن الامريكي ريتشارد اندلاند مع شيك بمبلغ 125 دولارا تبرعا منه للجمعية للمساهمة فى الاعمال الخيرية .

* تم شراء ارض لاقامة مدرسة اسلامية بالبرازيل وتبلغ مساحتها 8500 مترا مربعا وبها ثلاثة بيوت وقد وقفت لجنة لرؤية الارض وقد استحسنت موقعها ..

الجدير بالذكر ان هذه هي المدرسة الثانية فى سان باولو بعد المدرسة الاسلامية فى حي فبلاكرون.

* يقوم وفد من المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة بزيارة الى الولايات المتحدة الامريكية تستمر عشرة ايام ويرأس الوفد السيد محمد توفيق عويضة رئيس المجلس .

ومن المقرر ان يشترك الوفد لاول مرة فى جلسات مؤتمر الجمعيات الاسلامية السنوي الذى افتتح جلساته فى لوس انجلوس يوم السبت الماضي .. الى جانب ما يقارب الالف عضو الذين يمثلون الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ..

* فقدت امريكا كاتبها الكبير دوس باسوس الذي ولد بشيكاغو سنة 1896 ، فى سبتمبر 1970 ، وقد ترك عدة مؤلفات آخرها بعنوان (قصة البرتغال) التي صدرت فى 1969 ، وقد فاز بالجائزة الدولية التي تمنح بروما والمسماة جائزة ا فلترنيلي) .

* دفع الى المطبعة كتاب النصف الثاني من كتاب الزهرة لمؤلفه ابي داود الاصفهاني المتوفى سنة 295هـ بتحقيق الدكتورين ابراهيم السامرائي ، ونوري القيسي . وقد حقق النصف الاول منه المستشرق الامريكي ا. ر. نيكل بمساعدة الشاعر ابراهيم طوقان ؛ وطبع فى بيروت سنة 1936 لحساب جامعة شيكاغو ؛ وقد اعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد سنة 1968 .

* اهدت جامعة اوريجون الى الملاكم محمد علي كلاي وسام الخدمة الممتاز تقديرا لما قدمه للمجتمع الانساني من خدمات . وقد اخذ كلاي الكلمة امام 1 500 شخص فقال ان المسلمين السود اكثر تقدما من السود غير المسلمين وان عشرة من المسلمين الحقيقيين يعدلون بالف من غيرهم وقال انه سينازل خصمه فرايزر من جديد .

* صدرت الطبعة الثالثة من القاموس الدولي الجديد عن احدى دور النشر الامريكية فى لوس انجيلوس الامريكية . وهو قاموس خصص فقط فى بحث الكلمات الجديدة التي شاع استعمالها فيما بعد عام 1900 وعددها سبعة آلاف كلمة وتعبير .

اوروبا :

اسبانيا :

* القى الدكتور خوان فيرنيت مؤلف كتاب « الادب العربي » باللغة الاسبانية محاضرة فى المجمع الادبي ببرشلونة تحدث فيها عن الباحث والشاعر السوري الدكتور زكي المحاسني عضو المجمع المراسل ، فى اعماله الادبية ومنزلته فى الشعر العربي المعاصر . والاستاذ المحاضر عضو المجمع المشار اليه واستاذ الادب العربي فى كلية الاداب والفلسفة فى جامعة برشلونة باسبانيا .

* نظم المركز الاسلامي الاسباني فى الشهر الماضي بمدريد المؤتمر الاسلامي الثقافي الدولي لاحياء التراث والحضارة الاسلامية فى الاندلس ، بمشاركة ممثلين عن الهيئات الثقافية والدينية بالعالم الاسلامي والجامعات .

ومن بين المواضيع التي كانت موضع اهتمام من المؤتمر :

— بعث الثقافة الاسلامية على جميع المستويات وبجميع لغات العالم .

— تجديد كتابة ونشر التاريخ الاسلامي وتطهيره من الشوائب .

— تشجيع البحث العلمي فى كافة البلاد الاسلامية بالمكافآت والمنح وتبادل الراي والمشورة عن طريق الهيئة الدائمة التي اقترح المشاركون انشاءها

انجلترا :

* صدرت فى انكلترا دائرة معارف للاطفال تقع فى عشرين مجلدا ، وتحتوي على ثلاثة ملايين كلمة وتسعة آلاف رسم توضيحي منتشرة على 6565 صفحة

* بدا فى لندن الاسبوع العالمي لنصرة فلسطين بافتتاح معرض للفنون والحرف اليدوية الفلسطينية . وقد افتتح المعرض احمد انيس مدير مكتب جامعة الدول العربية فى لندن وحضره عدد من اعضاء البرلمان البريطاني واعضاء المنظمات الانجلو — عربية .

* عقدت فيدرالية الطلبة المسلمين ببريطانيا مؤتمرها السنوي ايام 9 ، 10 ، 11 يوليوز بمدينة منشيستر ببريطانيا تحت شعار : « نشاطات الطلبة المسلمين فى اوربا الغربية » ؛ وسيبحث المؤتمر وسائل تنسيق اعمال الفيديرالية مع الاتحادات الطلابية التي تقوم بنشاط اسلامي .

* تمت طباعة كتاب «المكاييل والاوزان الاسلامية» وما يعادلها فى النظام المتري لفالتر هينتس المستشرق

الالماني وقد قام بالترجمة الدكتور كامل العسلي امين عام مكتبة الجامعة الاردنية .

※ المستشرق الدكتور ايس مورن يقوم الان بدراسات عن الادب العربي المعاصر في العراق . ويترجم بعض القصائد والبحوث للكتاب والشعراء العراقيين المعاصرين . وقد طلب الى لفيف من شعرائنا وكتابنا تزويده بنسخ من مؤلفاتهم واعمالهم .

سويسرا :

※ بعث وزير الاوقاف المصري د. عبد العزيز كامل، بلوحة نادرة تحمل اسم ــ الله ــ مع امين مجمع البحوث الاسلامية د. عبد الرحمن بيصار ، هدية باسم مصر الى مسجد زوريخ القديم في سويسرا .

اللوحة تم رفعها الى مكان الصدارة بالمسجد هذا الاسبوع في حفل حضره الف شخص من المسلمين الموجودين في زوريخ مع امامهم الشيخ مشتاق احمد بجوس .

باريس :

※ افتتح في باريس خلال الشهر الحالي ، ولمدة تزيد على شهر معرض للفنون الاسلامية ينظمه اتحاد المتاحف الوطنية الفرنسي .

وسيقام المعرض في متحف حدائق التويلري في باريس في الفترة من 23 يونيو الى 30 اغسطس .

والهدف من اقامة هذا المعرض ــ كما تقول الصحافة الفرنسية ــ هو التعريف بالحضارة الاسلامية التي توجد الشواهد الدالة عليها في المتاحف المختلفة بصورة متناثرة وسط المقتنيات الاثرية القديمة والمقتنيات الفنية الشرقية .

※ قررت عدة جامعات فرنسية تدريس اللغة العربية لطلبة الجامعة كلغة ثانوية . وقد انتدب لهذه المهمة اساتذة من الجمهورية العربية المتحدة .

※ عقد في ستراسبورج مؤتمر دولي صحفي نوقش خلاله مفهوم الصحافة في الوقت الحاضر . حضره صحفيون من 25 دولة .

※ باعت دار النشر الفرنسية التي تقوم بطبع مذكرات ديغول الرئيس الفرنسي الراحل .. الجزء الرابع من هذه المذكرات والتي اطلق عليها اسم « الامل » وقد ذكرت بعض الصحف الفرنسية ان ديغول اشترط قبل وفاته بترجمة مذكراته الى اللغة العربية وان يقوم احد الفرنسيين بمراجعة الترجمة قبل السماح بنشرها .

هولندة

※ بدات مطابع لايدن في هولندا بطبع كتاب جديد للدكتور قاسم السامرائي الاستاذ في كلية الاداب وعنوان الكتاب « مناقب الابرار ومحاسن الاخيار » لابن خميس الكعبي المتوفى سنة 552 الهجرية . وهو كتاب يبحث عن التصوف الاسلامي وفيه تراجم عن المتصوفة وطبقات الصوفية . وهو ذيل لكتاب « طبقات الصوفية »

بلجيكا :

※ قابل رئيس مجلس الشيوخ البلجيكي السيد بول ستروى سفراء المغرب والجزائر واندونيسيا والسنغال والسعودية في بروكسيل وكذا السيد محمد العوينى امام ومدير المركز الاسلامي والثقافي في العاصمة البلجيكية .

واجرى سفراء الدول الاسلامية مع السيد ستروى حديثا مسهبا حول مشروع القانون البلجيكي الذى عرض على البرلمان اخيرا والذي يهدف الاعتراف رسميا بالاسلام دينا ومنح اتباعه جميع الحقوق الممنوحة لاتباع الطوائف المسيحية واليهودية .

※ خلال السنوات العشر الاخيرة عرفت بلجيكا نموا متزايدا في عدد المسلمين الذين نزحوا اليها من مختلف البلدان الاسلامية ، خاصة من بلاد المغرب العربي ، وتركيا ، والبانيا ، للعمل او للدراسة وانضم اليهم عدد من البلجيكيين اعتنقوا الدين الاسلامي حتى بلغ هذا العدد اليوم ما يقارب 100 الف مسلم .

وقد دعا ذلك المركز الاسلامي والثقافي في بروكسيل الى عقد اجتماع بالشباب المسلم من اجل تنظيم عمل جاد لصالح الدعوة الاسلامية .

وقد لبى الدعوة عدد كبير من الطلبة والعمال والموظفين من مختلف الجنسيات جاءوا من جميع انحاء بلجيكا ، وتدارس المجتمعون عدة قضايا منها اعداد دراسات وبحوث مركزة عن الاسلام بعديد من اللغات ونشرها وكذلك تنظيم دروس في التربية

الاسلامية واللغة العربية والعمل على تكوين منظمة كشفية وقد انتخبت لجنة ثقافية لتحقيق هذه الاهداف .

المانيا :

※ يبلغ عدد المسلمين الذين يعيشون في المانيا الغربية ما يزيد عن نصف مليون نسمة يعيش منهم 20 الفا في هامبورج ، بعضهم من الاطباء وبعضهم من التجار او المتدربين او العمال او الطلبة . وقد اقيم في هامبورج اكبر واجمل مسجد للمسلمين في المانيا وهو يقع على ضفاف بحيرة الالستر التي تعتبر من اجمل بقاع المدينة .

وقد جمع المسجد في بنائه بين الطراز المعماري الاسلامي التقليدي والطراز المعماري الحديث ، والحق به مركز ثقافي تلقى فيه الدروس باللغة الالمانية ويجتمع فيه افراد الجالية الاسلامية فينظر في شؤونهم الخاصة وتقدم لهم المساعدات الجماعية عند الحاجة .

※ برلين اكدت صحيفة « برلينر تسايتونج » الالمانية الدور الاستعماري الذي تلعبه اسرائيل في افريقيا وقالت ان المساعدات الامريكية غير المحدودة تمكن اسرائيل من التسلل الاستعماري في القارة الافريقية .

وعرضت الصحيفة في مقالها الذي اذاعته وكالة الانباء الالمانية للمؤامرات الخطيرة التي يقوم بها الاسرائيليون في جنوب السودان

كما نددت الصحيفة بمحاولات التسلل التي تقوم بها النقابات الاسرائيلية في افريقيا

واوردت على ذلك امثلة تكشف التعاون السياسي والاقتصادي والعسكري الوثيق بين اسرائيل وحكومة جنوب افريقيا العنصرية .

وقالت ان الارتباط بين المعتدين الاسرائيليين في الشرق الاوسط والنظام العنصري في جنوب افريقيا يأتي نتيجة اتجاهها نفس السياسة كدعائم استعمارية ضد حركات التحرر الوطني في افريقيا.

السويد :

※ سيصدر للدكتور كريستوفر بول استاذ الادب العربي في جامعة السويد كتاب مترجم عن ابي محمد الحسن بن يعقوب الهمداني واسمه الاكليل ، وفي الكتاب دراسة شاملة عن النقود الذهبية والجواهر وكيفية تحويل المعادن عند العرب القدماء والكتاب الثاني الذي يعده ايضا كتاب يدور حول اللهجات العامية الموجودة حاليا في العالم العربي .

يوغسلافيا :

※ قام المستشرق اليوغسلافي رادي بوزوفيتش بترجمة مجموعة من قصائد الشاعر العراقي بلند الحيدري نزيل بيروت وسينشرها قريبا في كتاب يصدر في يوغسلافيا .

السلام الذي اعرف ..

اسم قصيدة رائعة القاها الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل في المهرجان الدولي للشعر في مدينة « ستروجا » بيوغسلافيا يوم 25 اغسطس سنة 1969 . وقد نقلها شعرا الى الانجليزية د. مهدي علام .. القصيدة الطويلة والترجمة مباراة بين الفخامة والجمال وبين البساطة والوضوح صدرت القصيدة وترجمتها في كتاب 34 صفحة « الهيئة المصرية للتأليف » .

※ كان لدخول الاسلام في بلاد بالقان اثر عظيم في جميع ميادين الحياة .

ويذكر للدكتور ويلكو لارانجيتش ما كان للاسلام ولحضارته في التغذية فيقول بأن الاسلام جاء في هذه البلاد باصناف جديدة من الاطعمة واشكال مختلفة من المأكولات لم تكن موجودة بأوربا .

※ مجلة « غلاسنيق » وهي مجلة اسلامية تعنى بالشؤون الدينية وبمشاكل حياة المسلمين في يوغوسلافيا ، تصدرها الرئاسة الاسلامية العليا وتنطق باسم هذه الرئاسة .

وقد صدر العدد الاول من المجلة في شهر يناير سنة 1933 وكانت تصدر كل شهر حتى سنة 1945 ثم توقف صدورها الى سنة 1950 حيث بدأت تصدر من جديد .

※ قامت مجلة «غلاسنيق» برسالة نشر الاسلام وبيان احكامه ومبادئه وتعاليمه وشرح فكره في هذه البلاد اكثر من ثلاث وثلاثين سنة . وقد دافعت عن الاسلام وحقوق المسلمين وادت مهمتها خير اداء

بالرغم من الصعوبات والظروف التي كانت تعرقل سير حياة المسلمين . واليوم تحتفل هذه المجلة بمرور 33 عاما على صدور أول عدد من اعدادها .

روسيـــا :

* ترجم د. محمد مرسي كتاب « الشعر العربي في الاندلس » للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي . وعلق عليه ايضا . وقدم له د. احمد هيكل . والكتاب في 86 صفحة

* عادت جوقة الرقص الشعبي « لولا » الطاجيكيةمن جولتها في افغانستان الى الوطن . وقد اقام فنانو الجوقة في كابول وجلال آباد وكوندوز 18 حفلة . وكان عدد الراغبين في مشاهدة حفلات الفنانين الطاجيكيين كبيرا وقد حظيت الراقصتان حايمة اركايبفا وماليكي كالانيروفا بنجاح خاص .

* افتتح 40 مسرحا جديدا في الاتحاد السوفييتي في الاعوام الخمسة الماضية . ورغم منافسة السينما والتليفزيون فالمسرح لا يفقد شعبيته ويزور المسارح حوالي 100 مليون متفرج سنويا .

* عرضت الافلام الروائية من اخراج السينمائيين الايستونيين في 30 بلدا خلال الاعوام الخمسة عشرة الاخيرة وقد حظيت بشهرة خاصة افلام « ذوبان الجليد » و « الربيع » و « آخر شيء مقدس » التي اقتبست كل منها من مؤلفات الكتاب الايستونيين . هذا وينتج استوديو « تالينفيلم » 4 ـ5 افلام روائية وعشرات الافلام الوثائقية وافلام الكارتون سنويا . وقد عرضت الافلام الايستونية في 17 مهرجانا دوليا بما في ذلك المهرجانات التي جرت في فرنسا وايطاليا والولايات المتحدة ويوغوسلافيا وحاز بعضها على جوائز تلك المهرجانات .

* وصل الى الاتحاد السوفييتي وفد جمعية الشبان المسلمين في ج. ع. م. الذي يضم ابراهيم الطحاوي ، رئيس الجمعية وعبد الرحمن محمد أمين وعبد الرحمن حسني حسن، ويحيى محمود رمضان. وذلك بدعوة من رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان .

* نشأ في أوكرانيا في الآونة الاخيرة 170 مسرحا شعبيا يقترب مستواها الفني من مستوى المسارح المحترفة . وقد عرضت تلك المسارح في العام الماضي 5 آلاف تمثيلية . وتقدم المؤسسات الحكومية في الجمهورية للممثلين الهواة مساعدة كبيرة فتقدم لهم قاعات للبروفات والعرض وكذلك الديكور والازياء مجانا .

* كرس النحات السوفييتي البارز اليكساندر كيباليكوف عمله الجديد لبطولة الشعب السوفييتي في ايام الحرب العالمية الثانية وهو عبارة عن مشروع المجموعة التذكارية لاحياء ذكرى المدافعين عن قلعة بريست كانت حامية تلك القلعة القريبة من الحدود اول من تلقى هجوم القوات الهتليرية التي اقتحمت الاراضي لسوفييتية . وقد اصبح الدفاع البطولي عن قلعة بريست من امجد صفحات الحرب العالمية الثانية وسيخلد التمثال الذي نحته كيباليكوف ذكرى الجنود السوفييت .

وقد جسد الفنان في تماثيل الجنود بسالة العسكريين السوفييت وارادتهم الفولاذية وستبنى المجموعة التذكارية بحيث تضم انقاض قلعة بريست الاسطورية التي تقرر المحافظة عليها كما هي لتذكر دوما بايام المعارك الدامية . وستجري مراسم افتتاح المجموعة التذكارية في الصيف القادم حينما يتم مرور ثلاثين عاما على اعتداء المانيا الفاشية على الاتحاد السوفييتي .

* اعد معهد الاستشراق لدى اكاديمية العلوم الجورجية للطبع قاموسا عربيا جورجيا في عدة اجزاء . وصرح المستعرب السوفييتي غيورغي تسيرا تيلي بأن القاموس سيكون سندا وتوضيح معنى الكلمات ويورد القاموس عبارات مقتبسة من العربي ومقارنات من التراجم الجورجية القديمة والحديثة للمؤلفات العربية وسيحوي القاموس على الكلمات الحديثة التي تستعمل في الشعر والمؤلفات العلمية وسيضم 200 الف كلمة .

* تسعى الرابطة العلمية العربية في اوربا الى توحيد المصطلحات العلمية العربية ، والى حين يتم وضع المصطلحات وطرحها على مجالس العلوم العربية الاخرى والاتفاق عليها تنشر الرابطة معجما علميا عربيا وسيكون نواة للمعجم الذي ستنشره بعد ذلك بعد لغات تتكون اللغة العربية فيه اللغة الام. وقد اتفق معظم افراد الرابطة على محاولة ايجاد كلمات عربية الاصل على ان لا تقع في اخطاء المعربين الذين يمزجون كلمات لاتينية واوربية مع اللغة العربية .